

السيرة النبوية

عيون الأثر

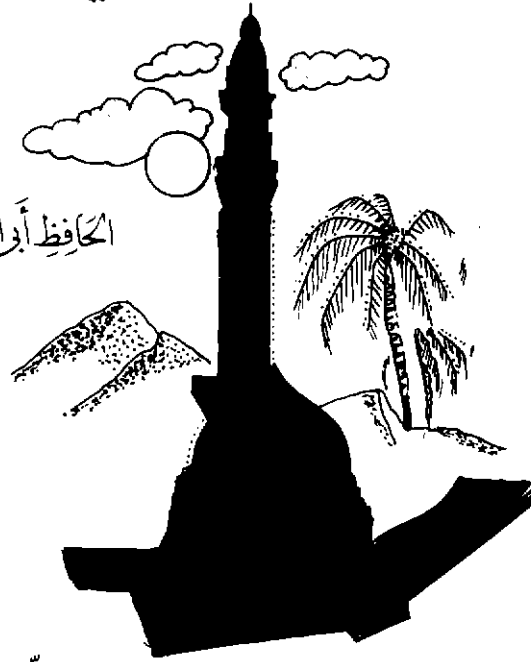
في فنون المغازي والسمائل والسير

تأليف

الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الثاني

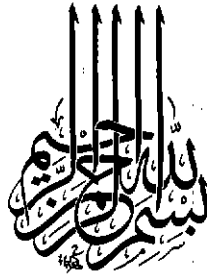


مقر نصره وفرج أماريه وعلّس عليه

د. محمد العيد الخطراوي محيي الدين

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة



غزوة أحد

قرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي ، أخبركم أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البناء ، قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد البُسْري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن أَخْلَص ، حدثنا عبد الله ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا أبو عَوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحداً هذا جبلٌ يُحبُّنا ونُحِبُّه »^(١) .

وكانت في شوال سنة ثلاث ، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه عند ابن عائذ ، وعند ابن سعد : لسبع ليالٍ خلون منه ، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مُهاجره^(٢) ، وقيل : للنصف منه .

وكان من حديث أحد ، قال ابن إسحاق : كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدَّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلُّه فيما سَقَتْ من هذا الحديث عن يوم أحد ، قالوا — أو من قال منهم — : لما أُصيبَ يومَ بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، ورجعَ قُلُوبُهم إلى مكة ، ورجع أبو

(١) قال في نور النبراس لوحة ٢ / ١٨٥ : وهذه الطريق التي ذكر فيها حديث « أحد جبل يُحبُّنا ونُحِبُّه » ليس في الكتب ، إنما هو فيها من غير هذه الطريق ، والله أعلم . وعمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أفضل ما قيل فيه : صالح الحديث . انظر الميزان ٢٠١/٣ . والحديث في الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في الجهاد (باب الخدمة في الغزو) رقم / ٢٨٨٩ ، ومسلم في الحج (باب أحد جبل يُحبُّنا ونُحِبُّه) رقم / ١٣٩٣ ، ومالك في الموطأ (باب ما جاء في تحريم المدينة) ٨٨٩/٢ ، والترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل المدينة) رقم / ٣٩١٨ . ورواه البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي ، ورواه البخاري عن سبيل بن سعد ، ورواه مالك في الموطأ عن عروة بن الزبير مرسلًا .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٦/٢ .

سفيان بن حرب بعيره ، مِثْنَى عَبْدُ اللَّهِ بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، ممن أصيبَ آبائهم وإخوانهم وأبنائهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ؛ إن محمداً قد وتَرَكم وقتلَ خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربهِ لعلنا نُدرِكُ منه ثاراً بمن أصاب منا ، ففعلوا^(١) .

وقال ابن سعد : لما رجع مَنْ حَضَرَ بدرًا من المشركين إلى مكة ، وجدوا العيرَ التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طَيِّبُو أنفسِ أن تجهرُوا ببيع هذه العير جيشاً إلى محمد . فقال أبو سفيان : فأنا أولُ من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف ، فباعوها ، فصارت ذهباً ، وكانت ألف بعير ، والمال خمسين ألف دينار ، فسَلَّم إلى أهل العير رؤوس أموالهم ، وأخرجوا أربابهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم لكل دينار ديناراً^(٢) .

قال ابن إسحاق : ففهم كما ذكر لي بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] فاجتمعت قريشُ لحرب رسول الله ﷺ حين فعلَ ذلك أبو سفيان وأصحابُ العير بأحاييشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تِهامة^(٤) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٧/٢ .

(٣) « الأحاييش » : هم أحاييش قريش ؛ سُموا بذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم لَيَدَّ على غيرهم ما سجد ليلاً ووضَّح نهار ، ومارسَ حُبَّشِيٌّ . وحُبْشِي : بضم الحاء ، اسم جبل بأسفل مكة ، ومنهم : بنو المصطلق ، وبنو الهون بن خزيمه ، وهم من عامة حلفاء قريش .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠/٢ — ٦١ .

قال ابن سعد : وكتب العباسُ بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ بخبرهم كله ، فأخبر رسول الله ﷺ سعد بن الربيع بكتاب العباس (١) .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها فامننْ عليَّ صلى الله عليك وسلم ، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك رجلٌ شاعر ، فأعنتاً بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إن محمداً قد مَنَّ عليَّ ، فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنتاً بلسانك ، فلك الله عليَّ إن رجعتُ أن أغنيك ، وإن أُصبتُ أن أجعلَ بناتك مع بناتي يُصيبهن ما أصابهن من عُسر ويُسر ، فخرج أبو عزة ومُسافع بن عبد مناف يستنفران الناسَ بأشعارٍ لهما ، فأما أبو عزة فظفر به رسول الله ﷺ بعد الوقعة بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد أقلني . فقال : لا والله ، لا تمسحُ عارضيكَ بمكة ، تقول : خدعتُ محمداً مرتين . ثم أمرَ عاصم بن ثابت فضربَ عنقه . وقال سعيد بن المسيب : فيه قال عليه الصلاة والسلام : « لا يلدغ المؤمن من جُحُر مرتين » (٢) .

ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلاماً له حبشياً ، يُقال له وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلماً يُخطيء بها . فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلتَ حمزة عمَّ محمد بعَمِّي طُعيمة بن عدي فأنت عتيق .

وخرجوا معهم بالظُّن (٣) التماسَ الحفيظة ، وأن لا يفرُّوا ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين — جبل بطن السبخة من قناة ، على شفير الوادي مقابل المدينة — فلما سمع بهم

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٧/٢ .

(٢) حديث سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا يلدغ المؤمن من جُحُر واحدٍ مرتين » رواه البخاري في الأدب (باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) رقم ٦١٣٣ ، ومسلم في الزهد (باب لا يلدغ المؤمن ..) رقم ٢٩٩٨ / ، وأبو داود في الأدب (باب في الحذر من الناس) رقم ٤٨٦٢ / ، وابن ماجه في الفتن (باب العزلة) رقم ٣٩٨٢ / .

(٣) « الظن » : النساء في الهواج .

رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيْتُ والله خيراً . رأيْتُ بقرأً تُذبحُ ، ورأيْتُ في ذُبابٍ سيفي ثلماً ، ورأيْتُ أني أدخلْتُ يدي في درع حصينة ، فأولتُها المدينة . وعن ابن هشام : فأما البقرُ فناسٌ من أصحابي يُقتلون ، وأما الثَّلَمُ الذي رأيْتُ في سيفي ، فهو رجلٌ من أهل بيتي يُقتل^(١) .

وقال ابن عُقبة : ويقولُ رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه : الذي أصابَ وجهه ، فإن العدو أصابوا وجهه ﷺ يومئذ وفصموا^(٢) ربايعته ، وجرحوا شفتَه ، وسيأتي ذكر من فعل ذلك . وعن ابن عائذ أن الرؤيا كانت ليلة الجمعة .

رجع إلى الأول ، قال ابن إسحاق : قال — يعني النبي ﷺ — : فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأيُ عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى أن لا يخرج إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين — ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره — ممن فاتته بدر مع رسول الله ﷺ — : اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يروُنَ أنا جَبَنًا عنهم وضعفنا . فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخلَ فلبسَ لأُمته^(٣) ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار ، يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ ، ثم خرجَ إليهم وقد ندم الناسُ ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرجَ عليهم رسول الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت فاقعد . فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي للنبي إذا لبسَ لأُمته أن يضعها حتى يُقاتل . فخرجَ رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعملَ ابنُ أمِّ مكتوم على الصلاة بالناس ، قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشُّوط بين المدينة وأحد انخزل^(٤) عنه عبد الله بن أبيّ بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم

(١) السيرة النبوية ٦١/٢ — ٦٣ .

(٢) « وقصموا » : كسروا .

(٣) « لأُمته » : اللأمة : أداة الحرب ، والدرع خاصة .

(٤) « انخزل » : انفرد ورجع .

وعصاني ، ما ندري على ما نقتل أنفسنا . فرجع بمن أتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، يقول : يا قوم أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونيبكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف . قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه^(١) .

قال ابن عقبة : فلما رجع عبد الله بن أبي بشلائمة سقَطَ في أيدي الطوائفتين من المسلمين ، وهما أن يقتتلا ، وهما بنو حارثة وبنو سلمة كما يُقال .

أخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن الواسطي قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا المشايخ : أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي ، وأبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن السبّاك ، قال الأولان : أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن محمد بن البنا ، وقال الثاني : أخبرنا أبو المعالي محمد بن محمد بن محمد الجبّان ، قال الأول : أخبرنا . وقال الثاني : أنبأنا أبو القاسم بن البصري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن الذهبي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن البراء بن عازب ، قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، خرج معه أناس ، فرجعوا ، قال : فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين ، فقالت فرقة : نقتلهم ، وقالت فرقة : لا نقتلهم . قال : فنزلت ﴿ فمالكم في المنافقين فتتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ [النساء : ٨٨] .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة »^(٢) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣/٢ - ٦٤ .

(٢) قال في نور التبراس : هذا الحديث هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، لكن من حديث عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت ، وإنما أثر المؤلف تحريجه من عند البغوي ، ولم يخرج من هذه الكتب ؛ لأنه يقع له أعلى مما في الكتب بدرجة . وهو عند البخاري في المغازي (باب غزوة أحد) رقم /٤٠٥٠/ ، ومسلم في المنافقين في أوله رقم /٢٧٧٦/ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة النساء) رقم /٣٠٣١/ .

وعن ابن إسحاق من غير طريق زياد ، عن الزهري ، أن الأنصار يوم أحد قالوا : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : « لا حاجة لنا فيهم »^(١) .

قال زياد : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى سَلَكَ في حرة بني حارثة ، فذَبَّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كُلابَ سيفٍ^(٢) واستلَّه ، فقال رسول الله ﷺ — وكان يُحِبُّ القُالَ ولا يُعْتَأَفُ^(٣) — : يا صاحب السيفِ شِمَّ^(٤) سيفك ، فإني أرى السُّيُوفَ تُسَلُّ اليومَ .

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجلٌ يَخْرُجُ بنا على القوم من كَتَبٍ — أي من قرب — من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سَلَكَ في مالٍ لِمَرْبَعِ بن قَيْطِي ، وكان رجلاً منافقاً ضريراً البصر ، فلما سمع رسول الله ﷺ ومَنْ معه من المسلمين قام يَخْتِي في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله ﷺ فإني لا أُجِلُّ لك أن تدخلَ حائطي . وقد ذُكِرَ لي أنه أخذ حفنةً من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنني لا أصيبُ بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بذر إليه سعدُ بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضرَّ به بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزلَ الشعب من أحد ، في غُدُوَّةِ الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : « لا يُقاتِلَنَّ أحدٌ حتى أمره بالقتال » . وقد سَرَّحتْ قريشُ الظُّهْرَ والكُراعَ في زروع كانت بالصَّمْغَةِ^(٥) من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهي رسول الله ﷺ عن القتال : أُرْعَى زروعُ

(١) السيرة النبوية ٦٤/٢ عن ابن هشام .

(٢) « كُلاب سيف » : الحديدية المعقوفة في آخر مقبض السيف ممالي الغمد .

(٣) « ولا يُعْتَأَفُ » : هي من العيافة ، وهي عادة جاهلية ، تتمثل في زجر الطير بغية كشف المستقبل ، فهو إن طار ميمناً دلَّ عندهم على الخير ، وإن طار شاملاً دلَّ على الشر ، وقد اعتبر الإسلام هذا وما شابهه منافياً للتوحيد .

(٤) « شِمَّ سيفك » : أغمده ، قالوا : وهو من الأضداد .

(٥) « الصَّمْغَةُ » : موضع قرب أحد .

بني قَيْلَة ولما تُضارب . وتعَبَّى رسولُ الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل .

وأمر على الرماة عبدُ الله بنُ جُبَيْر أخا بني عمرو بن عوف ، وهو مُعَلِّمٌ ^(١) يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيلَ عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك . وظاهر ^(٢) رسولُ الله ﷺ بين درعين ، ودفعَ اللواء إلى مصعب بن عُمَيْر أخي بني عبد الدار ^(٣) .

وقال ابن عقبة : وكان حاملَ لواء المهاجرين ^(٤) رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ ، فقال : أنا عاصمٌ إن شاء الله لما معي . فقال له طلحةٌ : هل لك يا عاصم في المبارزة ؟ قال : نعم فيدركه ذلك الرجل فضربه بالسيف على رأسه — وقع السيف في لحيته — فقتله ، فكان قتل صاحب لواء المشركين تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ « إني مُردف كيشاً » ^(٥) . فلما صُرع صاحبُ اللواء انتشر النُّيُ ﷺ وأصحابه وصاروا كتاباً متفرقة ، فجاسوا العدو ضرباً حتى أجهضوهم عن أنفالقهم ^(٦) ، وحملت خيلُ المشركين على المسلمين ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلُّ ذلك تُنضح بالنبل ، فترجعُ مفلولة ، وحمل المسلمون على المشركين فهكَّوهم قتلاً .

وذكر ابن عائذ : أن طلحة المذكور في هذا الخبر هو ابن عثمان أخو شيبَةَ ، من بني عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين يومئذ ، وأن الرجلَ الذي كان بيده لواء المسلمين المهاجرين عليُّ بن أبي طالب .

والذي قاله ابن هشام في هذه القصة قال : ويُقال إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين

(١) « مُعَلِّمٌ » : أعلم الفارس نفسه في الحرب ؛ إذا وسمَ نفسه بِسِمَةٍ يُعلم بها ولا يختلط بغيره من المقاتلين ، وهو أمارَةٌ عندهم على الشجاعة وقوة المواجهة .

(٢) « وظاهر » : ليس إحدى الدرعين فوق الأخرى ، ولعلَّ في ذلك توجيهاً منه ﷺ إلى وجوب اتخاذ الأسباب ، ومواجهة القتال بالحيلة وإعداد العدة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢ / ٦٥ — ٦٦ .

(٤) سيأتي قريباً : أن الرجلَ هو عليُّ بن أبي طالب ، وأن طلحة هو عثمان حامل لواء المشركين .

(٥) رواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ كما في السيرة الشامية ٤ / ٢٧٤ ، وهو في المسند ١ / ٢٧١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣ / ٢٠٧ .

(٦) « أجهضوهم عن أنفالقهم » : نُكَّوهم وأزالوهم ، والأنقال : جمع ثَقَل ، بفتحتيْن ، المتاع .

الصفين فنادى : أنا قاصمٌ من يُارزني ؟ مراراً . فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد : زعمتم أن قتلاكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار ، كذبتم واللات ، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم . فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي رضي الله عنه^(١) .

قال ابن هشام : وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج أحد بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقبل له : إن رافعاً رام ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً قيل له : يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ ، وردّ أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسيد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة^(٢) .

قرأت على أبي الهيثماء غازي بن أبي الفضل ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرّج سماعاً ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين أخبرنا أبو علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبي ﷺ عرضّه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزه ، ثم عرضّه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه ، رواه أبو داود عن الإمام أحمد^(٣) .

وأخبرتنا السيدة مؤنسة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحمهما الله ، ورحم سلفهما ، سماعاً ، قالت : أخبرتنا أم هانئ عفيفة بنت أحمد

(١) السيرة النبوية ٤ لابن هشام ٢ / ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٦٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١٧ / ٢ ، ٤٠ ، وأبو داود في كتاب الحدود (باب في الغلام يُصيب الحد) رقم / ٤٤٠٦ / وفي كتاب الخراج والإمارة رقم / ٢٩٥٢ / عن الإمام أحمد بن حنبل . وهو حديث صحيح رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الخندق) رقم / ٤٠٩٧ / ، ومسلم في الإمارة (باب سن البلوغ) رقم / ١٨٦٨ / ، والترمذي في الجهاد (باب حد بلوغ الرجل) رقم / ١٧١١ / ، وابن ماجه في الحدود (باب من لا يجب عليه الحد) رقم / ٢٥٤٣ / . ونسبه المنذري للنسائي في السنن الكبرى أيضاً . وإنما أثر المؤلف إخراج هذا الحديث من مسند أحمد ولم يخرج من هذه الكتب لعلوه له من المسند . نور النبراس لوحة ١٩١ / ٢ .

الفاركانية إجازة ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الدشتج ، أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الصَّوَّاف ، حدثنا جعفر بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن نافع ؛ أن عمر بن عبد العزيز سأله : هل تدرون ما شهد عبد الله بن عمر مع النبي ﷺ من المغازي ؟ فقال : نعم . حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : كانت غزوة بدر وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فلم أخرج مع النبي ﷺ ، ثم كانت غزوة أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فخرجتُ إلى النبي ﷺ ، فلما رأيَ استصغري فردني ، وخلفني في حرس المدينة في نفر ردهم ، منهم : زيد بن ثابت ، وأوس بن عرابة بن أوس ، ورافع بن خديج ، وكان رافعُ أطولنا يومئذ ، فأنفذه النبي ﷺ فلم يرده معنا ، وكانت غزوة الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة ، وأنفذني فغزوت معه . فلما حُدثَ هذا الحديث دعا كاتبه ، فقال : أعجل عليّ كاتباً إلى الأمصار كلها ، فإن رجالاً يقدّمون إليّ يستفرضون لأبنائهم وإخوانهم ، فانظروا من فرضتُ له فاسألوهم عن أسنانهم ، فمن كان منهم ابن خمس عشرة سنة فافرضوا له في المقاتلة ، ومن كان دون ذلك فافرضوا له في الذرية^(١) .

كذا وقع في هذا الخبر أوس بن عرابة ، وإنما هو عرابة بن أوس ، وأبوه أوس بن قبيصة ، كان من كبار المنافقين ، وهو أحد القائلين : إن بيوتنا عورة . وعرابة الذي يقول فيه الشَّماخ بن ضرار :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخِيَرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِحْدِي تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

وقد ردَّ رسولُ الله ﷺ يوم أحد أيضاً البراء بن عازب ، وأبا سعيد الخدري ، وزيد بن أرقم ، وسعد بن عُقَيْب بن عمرو بن عدي بن زيد بن جُشم بن حارثة الأنصاري الحارثي ، وسعد بن حَبَّة جدُّ أبي يوسف الفقيه — وهو سعدُ بن بَجِير بن معاوية حليفُ بني عمرو بن عوف ، أمُّه حَبَّة بنت مالك — وزيد بن جارية من بني عمرو بن عوف ، وذكره ابن أبي حاتم فيمن اسم أبيه على حرف الحاء ، يعني ابن حارثة ، فوهم في ذلك — وهو أخو

(١) المصنف ؛ لابن أبي شيبة ٥٣٩/١٢ ، وكتاب الخراج ؛ لأبي يوسف ص ٣٤٢ .

مُجْمَع بن جارية — وجابر بن عبد الله ، وليس بالذي يُروى عنه الحديث^(١) .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس^(٢) .

قال ابن عُبَبة : وليس في المسلمين فرسٌ واحدٌ .

قال الواقدي : لم يكن مع المسلمين يوم أحد من الخيل إلا فرسُ رسول الله ﷺ وفرسُ أبي بُردة^(٣) . قال ابن عُبَبة : فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

قال ابن سعد : وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ، وقيل : عمرو بن العاص ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة ، وفيهم سبعمائة دارع ، والطَّعن خمس عشرة امرأة . وشاع خبرُهم في الناس وسيرُهم حتى نزلوا ذا^(٤) الحليفة ، فبعث رسول الله ﷺ عَينين له أنساً ومونساً ابني فَضالة الطَّفَرِيزِ ، ليلة الخميس لخمس ليالٍ مضت من شوال ، فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم ، وأتهم قد خَلُّوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعَرِيض^(٥) ، حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعث الحُبَاب بن المنذر بن الجموح إليهم أيضاً ، فدخل فيهم ، فحزَرهم ، وجاءه بعلمهم ، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير وسعد بن عباد في عِدَّة ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ ، وحُرست المدينة حتى أصبحوا — وذكر الرؤيا واختلافهم في الخروج كما سَقناه — فصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس ، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالتهَيُّؤ لعدوهم ، وفرح الناس بذلك ، ثم صلى بالناس العصر وقد حَشَدُوا ، وحضر أهلُ العوالي ، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعمَّماه ولبَّساه . وصفَ الناسُ

(١) أي : ليس هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السُّلَمي الذي استشهد أبوه في أحد . واشتهر هو رضي الله عنه برواية الحديث . بل هو رجل آخر من الأنصار . انظر الإصابة ١/٢١٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٦/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٩/٢ .

(٤) « ذا الحليفة » : مقيات أهل المدينة ، ويقع في الجنوب الغربي منها ، على مسافة ثمانية أكيال .

(٥) « العَرِيض » : مكان كما تقدم ، نزلوا فيه بعد ارتحالهم من ذي الحليفة .

ينتظرون خروجَه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيد بن حضير : استكرهتم رسولَ الله ﷺ على الخروج ، فَرُدُّوا الأَمْرَ إليه . فعَرجَ رسولُ الله ﷺ وقد لبس لأَمَتَه ، وأَظهرَ الدرع ، وحزَمَ وسطَها بِمِنْطَقَةٍ من أَدَم من حَمائل سيف ، واعتمَ وتقلَّدَ السيف ، وألقى التَّرسَ في ظَهره ، فندموا جميعاً على ما صنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفَكَ فاصنع ما بدا لك . فقال : « لا ينبغي لنبِي إذا لبس لأَمَتَه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » وعقد ثلاثة ألوية : لواء الأوس بيد أُسَيد بن الحضير ، ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب ، وقيل : بيد مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج بيد الحُبَاب بن المنذر ، وقيل : بيد سعد بن عبادَة . وفي المسلمين مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان — سعد بن معاذ وسعد بن عبادَة — دارعين .

واستعمل على المدينة ابنُ أم مكتوم ، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين ، وأدْجَلَ رسولُ الله ﷺ في السَّحَر ، ودليله أبو خيثمة الحارثي ، فحانت الصلاة — يعني الصبح — فصلَّى .

وانخزل حينئذ ابنُ أبيّ من ذلك المكان بثلاثمائة . ومعه فرسه وفرسُ لأبي بُردة بن نيار ، وهو يقول : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ^(١) .

رجع إلى خمر ابن إسحاق : قال : وقال رسولُ الله ﷺ « مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سِمَاك بن خَرَّشَة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضربَ به في وجه العدو حتى ينحني » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يَحْتَالُ عند الحرب إذا كانت ، وحين رآه عليه الصلاة والسلام يتبختر ، قال : « إنها لمُشِيَّة يُغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

وكان أوَّل من أنشَبَ الحربَ بينهم أبو عامر عبدُ بن عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحدُ بني ضُبَيْعة ، وكان فيما ذَكَرَ ابنُ إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، خرجَ

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٦/٢ — ٤٠ .

حين خرج إلى مكة مُبَاعِداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعضُ الناس يقولُ خمسة عشر ، وكانَ يَعِدُ قريشاً أن لو لقي قومَه لم يتخلف عليه منهم رجلان ، فلقِيهم في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنَادَى : يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر . قالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان يُسَمَّى في الجاهلية الراهب ، فسَمَّاه رسولُ الله ﷺ الفاسق . فلمَّا سمع رُدُّهم عليه ، قال : لقد أَصَابَ قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يُحَرِّضُهم على القتال : يا بني عبد الدار ؛ إنكم قد وَلَّيْتُمْ لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيْتُمْ وإنما يوثقُ الناس من قَبْلِ رايائهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تُخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهُمُّوا به وتواعدوه وقالوا : نحنُ نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنعُ . وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناسُ قامت هندُ بنت عتبة في النسوة اللاتي معها : وأخذن الدفوف يضربن بها خلفَ الرجال ، ويحُرِّضُنَّهم ، فقالت هندُ فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَنَهًا حِمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

وتقول :

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرَشِ الثَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقٍ^(١)

(١) في « ج » و « د » زيادة : قال أبو عمر في الاستيعاب : وكانت تقول — أي هند — :

نَحْنُ بَنَاتُ طِبَارِقِ	نَمْشِي عَلَى الثَّمَارِقِ
وَالْمَسْلُوكُ فِي الْمَفَارِقِ	وَالدَّرُّ فِي الْمَحَارِقِ
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقِ	وَنَفْرَشِ الثَّمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقِ	فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

« الثَّمَارِق » : جمع غمرقة ، وهي الوسادة . و « الوامِق » : المُجَبِّ .

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب . وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام : وحديثي غير واحد ؛ أن الزبير بن العوام قال : وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السِّيفَ فَمَنْعَنِي ، وَأَعْطَاهُ أَبَا دِجَانَةَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَخَذَ عَصَابَةً لَهُ حُمْرَاءُ ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : أَخْرَجَ أَبُو دِجَانَةَ عَصَابَةَ الْمَوْتِ ، وَهَكَذَا كَانَ يَقُولُ إِذَا عَصَبَ بِهَا ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَغَنَ بِالسَّفْعِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرَبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ ^(١)

فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ . وَكَانَ فِي الْمَشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا دَفَّفَ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ ، فَدَعَوَاتُ اللَّهِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَالتَقِيَا فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرَبَ الْمَشْرِكُ أَبَا دِجَانَةَ ، فَأَتَقَاهُ بِدَرْقَتِهِ ، فَعَصَّتْ بِسَيْفِهِ ، وَضَرَبَهُ أَبُو دِجَانَةَ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ حَمَلَ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يَحْمُسُ ^(٢) الناسَ حَمْسًا شديدًا فصمدتُ إليه ، فلما حملتُ عليه السيفَ وَلَوَلْ ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتلَ أَرْطَاةَ بْنَ شُرْحَبِيلَ بْنَ هَاشِمٍ بْنَ عَبْدِ مَنَاةَ بْنَ عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ أَحَدُ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى الْقُبْشَانِي ، فَقَالَ لَهُ : هَلُمَّ يَا بْنَ مُقْطَعَةِ الْبُظُورِ . وَكَانَتْ أُمُّهُ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا التَقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ . قَالَ وَحِشِي غَلَامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ فَمَا يُلْقِي شَيْئًا ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ ، إِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى الْقُبْشَانِي ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً ، فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا ، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي ، فَغَلَبَ ، فَوَقَعَ ، فَأَمَهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُهُ فَأَخَذْتُ

(١) « الْكَيْوَلُ » : هُوَ سَوَادٌ وَدُخَانٌ يَخْرُجُ مِنَ الزُّنْدِ آخِرًا بَعْدَ الْقَدْحِ إِذَا لَمْ يُورَ نَارًا ، وَهُوَ شَيْءٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ وَلَا غَنَاءَ فِيهِ . وَالْمَقْصُودُ بِهِ : آخِرُ الصَّفُوفِ فِي الْحَرْبِ ، جَاءَ بِهِ هُنَا عَلَى التَّشْبِيهِ .

(٢) « يَحْمُسُ » : يَشْجَعُ ، وَسَيَأْتِي تَفْسِيرُهَا مُفَصَّلًا فِي الْفَوَائِدِ ص ٤٠ .

حربتي ، ثم تنحيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره^(١) .

وقاتل مصعبُ بن عُمير دون رسول الله ﷺ ، حتى قُتل ، وكان الذي قتله ابنُ قَيْمَةَ الليثي ، وهو يظنُّه رسولَ الله ﷺ ، فرجع إلى قريش ، فقال : قتلتُ محمداً ، فلما قُتل مصعبُ ، أعطى رسولُ الله ﷺ الراية علياً^(٢) .

وقال ابن سعدٍ : قتل مُصعبُ بن عُمير ، فأخذ اللواءَ مَلَكٌ في صورة مُصعب ، وحضرتِ الملائكةُ يومئذ ، ولم تُقاتل^(٣) ، وحكى ذُو القوم بعضهم من بعض ، والرماء يرشقون خيلَ المشركين فتولِّي هوارب ، فصاح طلحةُ بن أبي طلحة صاحبُ اللواء : من يُبارز ؟ فبرزَ له عليٌّ فقتله ، وهو كبشُ الكتيبة الذي تقدَّمت الإشارةُ إليه في الرويا ؛ ثم حملَ لواءهم عثمانُ بنُ أبي طلحة ، فحمل عليه حمزةُ فقطعَ يده وكفَّه ، حتى انتهى إلى مؤتزره وبدأ سحره ، ثم حمله أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعدُ بن أبي وقاص فأصابَ حنجرته فقتله ، ثم حمله مُسافعُ بن طلحة ، فرماه عاصمُ بن ثابت فقتله ، ثم حمله الحارثُ بنُ طلحة ، فرماه عاصمُ فقتله ، ثم حمله كلابُ بن طلحة فقتله الزبيرُ بن العوام ، ثم حمله الجلاسُ بن طلحة فقتله طلحةُ بن عبيد الله ، ثم حمله أُرطاةُ بن شرجبيل ، فقتله علي بن أبي طالب ، ثم حمله شرح بن قارط ، فلسنا ندري مَنْ قتلَه ، ثم حمله صُوابُ غلامهم ، فقتله سعدُ بن أبي وقاص ، وقيل : علي ، وقيل : قُزَمان ، وهو أثبتُ الأقاويل^(٤) .

رجعَ إلى خمر ابن إسحاق : والتقى حنظلةُ بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلةُ ، رآه شدَّادُ بن الأوس بن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضربه شداد فقتله . فقال رسولُ الله ﷺ : إن صاحبكم — يعني حنظلة — لتغسلهُ الملائكة . فسُئِلَتْ صاحبتُهُ ؟ فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمعَ الهاتفة . فقال رسولُ الله ﷺ : لذلك

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٩/٢ — ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ٧٣/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٢/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٠/١ — ٤١ .

غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَسُّوهُمْ^(١) بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ
عَنِ الْعِسْكَرِ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَاشْتِكَّ فِيهَا .

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُبَادٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ عُبَادَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ أَنَّهُ
قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مُشْمَرَاتِ هَوَارِبَ ، مَا دُونَ
أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، إِذْ مَالَتِ الرَّمَاةُ إِلَى الْعِسْكَرِ حَتَّى كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا
لِلخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ خَلْفِنَا ، وَصَرَخَ صَارِخٌ أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . فَانْكَفَأْنَا وَانْكَفَأَ الْقَوْمُ عَلَيْنَا
بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللُّوَاءِ ، حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللُّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيعًا حَتَّى أَخَذَتْهُ
عَمْرَةُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةِ ، فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشَ فَلَاثَوْا بِهِ^(٢) وَكَانَ آخِرُ مَنْ أَخَذَ اللُّوَاءَ مِنْهُمْ
صُوبَابُ ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِصَدْرِهِ وَغَنَقَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ^(٣) .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : فَلَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ اللُّوَاءِ انْكَشَفَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهَزِمِينَ ، لَا يَلُودُونَ عَلَى
شَيْءٍ ، وَنَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَضْعُونَ السُّلَاحَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاؤُوا ، حَتَّى
أَجْهَضُوهُمْ عَنِ الْعِسْكَرِ ، وَوَقَعُوا يَنْتَهَبُونَ الْعِسْكَرَ ، وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَتَكَلَّمَ الرَّمَاةُ
الَّذِينَ عَلَى عَيْنَيْنِ ، وَاخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ ، وَثَبَتَ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ فِي نَفَرٍ يَسِيرُ دُونَ الْعَشْرَةِ
مَكَائِهِ ، وَقَالَ : لَا أَجَاوِزُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَغْيًا^(٤) ، وَوَعِظَ أَصْحَابَهُ ، وَذَكَرَهُمْ أَمْرَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالُوا : لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا ، قَدْ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا مُقَامُنَا
هَاهُنَا ، فَانْطَلَقُوا يَتَّبِعُونَ الْعِسْكَرَ ، وَيَنْتَهَبُونَ مَعَهُمْ ، وَخَلَّوْا الْجَبَلَ . وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى
خِلَاءِ الْجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَكَّرَ بِالْخَيْلِ ، وَتَبِعَهُ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ
الرَّمَاةِ فَقَتَلُوهُمْ ، وَقَتَلَ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَانْتَقَضَتْ صَفُوفُ الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَدَارَتْ
رَحَاهُمْ ، وَجَالَتِ الرِّيحُ ، فَصَارَتْ دَبُورًا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَبَاً ، وَنَادَى إِبْلِيسُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ

(١) « حَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ » : قَتَلُوهُمْ .

(٢) « فَلَاثَوْا بِهِ » : اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٧٥/٢ — ٧٨ .

(٤) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ ، وَلَمْ تَرِدْ فِي ابْنِ سَعْدٍ . وَلَعَلَّهَا « وَبَقِيَ » .

قُتِل ، واختلط المسلمون ، فصاروا يقتتلون على غير شعار ، ويضرب بعضهم بعضاً ، ما يشعرون به من العجلة والذهش ، ونادى المشركون بشعارهم بالعزى وبهبل ، فأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً ، وولّى من ولّى منهم يومئذ^(١) .

قال موسى بن عقبة : ولما قُتِلَ رسولُ الله ﷺ ، قال رجل منهم : إن رسولَ الله ﷺ قد قُتِلَ فارجعوا إلى قومكم ، فيؤمّنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فإنهم داخلوا البيوت . وقال رجال منهم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا . وقال آخرون : إن كان رسولُ الله ﷺ قد قُتِلَ ، أفلا تُقاتلون على دينكم ، وعلى ما كان عليه نبيكم ، حتى تلقوا الله عز وجل شهداء؟ منهم : أنس بن مالك بن النضر ، شهد له بها سعدُ بن معاذ عند رسول الله ﷺ .

قلت : كذا وقع في هذا الخبر : أنس بن مالك بن النضر ، وإنما هو أنس بن النضر ، عمُّ أنس بن مالك بن النضر .

رجع إلى خير ابن سعد : وثبت رسولُ الله ﷺ ما يزول ، يرمي عن قوسه ، حتى صارت شظايا ، ويرمي بالحجر ، وثبت معه عصاة من أصحابه ، أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق ، وسبعة من الأنصار حتى تجاوزوا^(٢) .

وروى البخاري : لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً^(٣) . وعن أبي طلحة : اغشينا النعاس ونحن في مَصَافِنَا يوم أحد ، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى تخلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقذف بالحجارة حتى وقع لشقه ، وأصيبت رباعيته ، وشجَّ في وجهه وكُلِّمَتْ شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص^(٤) .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤١/٢ — ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٢/٢ .

(٣) رواه البخاري في التفسير (باب : والرسول يدعوكم في أخراكم) رقم/٤٥٦٢ .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب : ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمة ناعساً) رقم/٤٠٦٨ وفي التفسير

(باب : أمة ناعساً) رقم/٤٥٦٢ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة آل عمران)

رقم/٣٠١٠/و/٣٠١١ .

قال ابن إسحاق : فحدثني حُمَيْد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُسرَت رِباعية النَّبِيِّ ﷺ يوم أحد ، وَشَجَّ وَجْهَهُ ، فجعل الدَّمُ يسيل على وجهه ، وجعلَ يمسحُ الدَّمَ وهو يقولُ : « كيف يُفلح قومٌ خَضَبُوا وجهَ نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم » فَأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨]^(١) .

قال ابنُ هشام : وَذَكَرَ لي رُئَيْحُ بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ؛ أَنَّ عتبة بن أبي وقاص رَمَى رسولَ اللهِ ﷺ يومئذٍ فَكَسَرَ رِباعِيَّته النِّني السفلى ، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السفلى ، وَأَنَّ عبدَ اللهِ بن شهاب الزهري شَجَّهُ في وجهه ، وَأَنَّ ابنَ قَمِيْثَةَ جَرَحَ وَجَتَهُ ، فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنَ الْمُقَفَّرِ في وَجَتِهِ ، وَوَقَعَ رسولُ اللهِ ﷺ في حَفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ التي عَمِلَ أَبُو عامر ، ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بن أبي طالب بيد رسولِ اللهِ ﷺ ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بنُ عبيد اللهِ ، حتَّى اسْتَوَى قائمًا ، وَمَصَّ مالِكُ بنُ سِنَانٍ — أَبُو سعيد الخدري — الدَّمَ من وجهه ، ثُمَّ أَزْدَرَدَهُ . فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تَصْبِهِ النَّارُ »^(٢) .

وَذَكَرَ عبدُ العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بن عبيد اللهِ » . وَعَنْ عيسى بن طلحة ، عَنْ عائِشَةَ ، عَنْ أَبِي بكر الصديق ؛ أَنَّ أَبَا عبيدة بن الجراح نَزَعَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ ، ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى ، فَكَانَ سَاقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ^(٣) .

وَرَوَيْنَا عَنْ ابنِ عَائِذٍ : أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بن مسلم ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن يزيد بن جابر ، أَنَّ الَّذِي رَمَى رسولَ اللهِ ﷺ بِأُحَدٍ فَجَرَحَهُ فِي وَجْهِهِ قَالَ لَمَّا رَمَاهُ فَأَصَابَهُ : خَذَاهَا وَأَنَا ابنُ قَمِيْثَةَ . فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أَقْمَأُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » . قَالَ ابنُ جَابِرٍ : انصَرَفَ ابْنُ

(١) السورة النبوية ؛ لابن هشام ٨٠/٢ .

(٢) السورة النبوية ، لابن هشام ٨١/٢ .

قمعة من ذلك اليوم إلى أهله ، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل ، فأخذ فيها يعترضها ، ويشدُّ عليه ثِيَسُها ، فنطَحَها نطحةً أَرادَها من شاهقة الجبل فتقطَّع .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله ﷺ حين غشيَه القومُ : « من رجلٌ يشتري لنا نفسه ؟ » كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زيادُ بنُ السَّكَنِ في نفر خمسة من الأنصار ، وبعضُ الناس يقول إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَنِ ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زيادُ أو عُمارة ، فقاتلَ حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءتُ فئةٌ من المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسَّده قدمه ، فمات وخدَّه على قدم رسول الله ﷺ » (١) .

قال ابن هشام : وقاتلت أمُّ عُمارة تُسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد ، فذكر سعيد بن أبي يزيد الأنصاري ؛ أن أمَّ سعد ابنة سعد بن الربيع كانت تقول : دخلتُ على أمِّ عُمارة ، فقلت : يا خالة أخبريني خبرك ؟ فقالت : خرجتُ أوَّلَ النهار ، وأنا أنظرُ ما يصنعُ الناسُ ، ومعِي سِقَاء فيه ماء ، فانتَهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انْحَزْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقمْتُ أباشِرُ القتال وأذبُ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصتُ الجراحةَ إليَّ . فرأيتُ على عاتقها جرحاً أجوفَ ، له غَوْرٌ . فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمعة ، أقمأه الله ، لما وَلَّى الناسُ عن رسول الله ﷺ ، أقبل يقول : دُلُّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا . فاعترضتُ له أنا ومصعبُ بن عمير ، وأناسٌ ممن ثبتَ مع رسول الله ﷺ ، فضرَبني هذه الضربة ، ولكن ضربته ضرباتٍ على ذلك ، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه درعان (٢) .

قال ابن إسحاق : وترَّسَ دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يقعُ النبل في ظهره وهو منحَن عليه حتى كَثُرَ فيه النَّبَلُ . ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ . قال

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

(٢) المصدر السابق ٨١/٢ — ٨٢ .

سعد : فلقد رأيته يُناولني النبل ويقول : ارم فذاك أبي وأمي ، حتى إنه لِيناولني السهم ماله من نَصْل ، فيقول : ارم به .

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيبتها^(١) ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده .

وأصيبت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة ؛ أن رسول الله ﷺ ردها بيده ، فكانت أحسنَ عينيه وأحدهما^(٢) .

وذكر الأصمعيُّ : عن أبي معشر المدني ، قال : وفد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديوان أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قتادة بن النعمان ، فلما قدم عليه ، قال له : ممن الرجل ؟ فقال :

أنا ابنُ الذي سالتُ على الخدِّ عينه فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الرِّدِّ
فَعَادَتْ كما كانتُ لأوَّلِ أمرها فَيَا حَسَنَ ما عَيْنِ وَيَا حَسَنَ ما رَدِّ

حكاه أبو عمر^(٣) .

قال ابن سعد : ورُمي يومئذ أبو رهم الغفاري كلثومُ بن الحصين بسهم فوقع في نحره . فجاء رسول الله ﷺ فبصقَ عليه فبرأ^(٤) .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلَ مَنْ عَرَفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قُتل رسولُ الله ﷺ — كما ذكرَ لي ابنُ شهاب الزهري — كعبُ بن مالك ، قال : عرفتُ عينيه تُزهرانِ من تحتِ المغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشرَ المسلمين ! أبشروا هذا رسولُ الله ﷺ . فأشارَ لي رسولُ الله ﷺ أن أَتَيْتُ . فلما عَرَفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ تَهَضُّوا به ، ونهَضَ معهم نحو الشَّعْبِ ، معه أبو بكر وعمر وعليٌّ وطلحة

(١) سبتها : سية القوس : ما عطف من طرفها ، والجمع سيات .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٢/٢ .

(٣) الاستيعاب ٢٤٩/٣ بهامش الإصابة .

(٤) لم نجد في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧١/٤ عن أبي عروبة .

والزبير والحارث بن الصُّمَّة ، ورهط من المسلمين^(١) .

قال موسى بن عقبة : بايعوه على الموت ، فلما أسند رسول الله ﷺ ، أدركه أبي بن خلف ، وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوئُ إن نجا . قال ابن عقبة : قال سعيد بن المسيب : فاعترض له رجال من المسلمين ، فأمرهم رسول الله ﷺ فخللوا طريقه ، واستقبله مصعبُ بن عُمير أخو بني عبد الدار بقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعبُ بن عُمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ثُرْقُوةَ أبي بن خلف من فُرْجةِ من سابغةِ الدرع والبيضة ، فطعنه بجرحته ، فوقع أبي عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم . قال سعيد : فكسر ضلعاً من أضلاعه . قال : ففي ذلك نزلت : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وقال ابن إسحاق في هذا الخبر : كان أبي بن خلف — كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف — يلقى رسول الله ﷺ بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندي العود — فرساً له^(٢) — أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة ، أقتلك عليها . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدَّم . قال : قتلتني والله محمد . قالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك من بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله بسيف ، وهم قافلون به إلى مكة^(٣) .

وقال ابن عقبة : قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز لما توا أجمعون .

رجع إلى الأول : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المِهْرَاسِ^(٤) ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٣/٢ .

(٢) هذا شرح للعود ، و« الفرق » : مكيال يسع عندهم ستة عشر مثلاً ، وقيل : اثني عشر رطلاً .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٤/٢ .

(٤) « ملأ دَرَقَتَهُ من المِهْرَاسِ » : الدرقة : الترس من جلد ، والمِهْرَاسُ : حوض يُنْقَر في الصخر ، ويُجعل عادة إلى جانب البئر ، وقد يُجعل بسفوح الجبال ؛ لتستقر به مياه الأمطار ، وينتفع الناس به .

فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسلَ عن وجهه الدَّم ، وصَبَّ على رأسه ، وهو يقول : « اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَّى وجهَ نبيه » . فحدثني صالح بن كيسان ، عن من حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَضْتُ على قتل رجلٍ قطَّ جِرْصِي على قتل عُتْبَةَ بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمتُ لَسِيءَ الخلق مُبَغِضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسول الله ﷺ : « اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَّى وجهَ رسوله » .

قال ابن إسحاق : فبينما رسولُ الله ﷺ في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علتُ عاليةٌ من قريشِ الجبلِ فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمرُ بن الخطاب ، ورهطُ من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهضَ رسولُ الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بَدَنٌ^(١) رسولُ الله ﷺ ، وظاهرَ بين درعين ، فلما ذهبَ لينهضَ لم يستطع ، فجلسَ تحته طلحة بن عُبيد الله ، فنهضَ به حتى استوى عليها . فقال رسولُ الله ﷺ كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول يومئذ : أوجب^(٢) طلحةُ . حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني ؛ عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رسولَ الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب . وذكر عمر مولى غُفْرَة : أن النبي ﷺ صَلَّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصَلَّى المسلمون خلفه قعوداً^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان النَّاسُ انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقَى دون الأعوص^(٤) . وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : فلما خرج رسولُ الله ﷺ إلى أحد ، رفعَ حُسَيْلُ بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابتُ بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه — وهما شيخان

(١) « بَدَنٌ » : أَسْنٌ وضعف .

(٢) « أوجب » : وَجَبَتْ لَهُ الحَنَّة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٥/٢ .

(٤) « المنقَى والأعوص » : موضعان بين أحد والمدينة .

كبيران — : لا أبالك ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلَظْمٌ^(١) حِمَارٌ ، إنما نحن هامة^(٢) اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيفنا ، ثم نلحقُ برسول الله ﷺ ، لعلَّ اللهَ يرزقنا شهادةً مع رسول الله ﷺ . فأخذنا أسيفهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسيل بن جابر ، فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبي والله أبي . قالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله ﷺ خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أُنِّي^(٣) ولا ندري ممن هو ، يقال له قُرْمان . وكان رسول الله ﷺ إذا ذُكر يقولُ : إنه لمن أهل النار . قال : فلما كان يومُ أحد ، قاتل قتالاً شديداً ، فقتلَ وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحةُ . فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبلتَ اليومَ يا قُرْمانُ فأبشُر . قال : بماذا أبشُر . فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ، ولولا ذلك لما قاتلتُ . قال : فلما اشتدَّت عليه جراحتهُ ، أخذ سهماً من كِئسانه ، فقتل به نفسه .

وكان ممن قُتل يومئذٍ مُحَيَّرِيْق ، وقد تقدم^(٣) خبره^(٤) .

وكان الحارث بن سُويد بن الصامت منافقاً لم ينصرف مع عبد الله بن أبي في حين انصرافه عن رسول الله ﷺ مع جماعته عن غزوة أحد ، ونهَضَ مع المسلمين ، فلما التقى المسلمون والمشركون عدا على المُجَذَّر بن زياد ، وعلى قيس بن زيد أحد بني ضُبَيْعة ، فقتلتهما ، وفرَّ إلى الكفار ، وكان المُجَذَّر قد قتل في الجاهلية سُويد بن الصامت والد الحارث

(١) « ظم حمار » : الظم : مدة ما يكون بين الشربتين ، والمراد وقت سِير ، وإنما خصَّ الحمار ؛ لأنه أقل

الدواب صبراً عن الماء ، وهو مثلٌ يُضرب لقرب الأجل .

(٢) « إنما نحن هامة » : يريد الموت . و « رجل أُنِّي » : غريب .

(٣) انظر ج ١ ص ٣٣٤ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٦—٨٩ .

المذكور في بعض حروب الأوس والخزرج ، ثم إن الحارث رجَعَ إلى المدينة إلى قومه ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، ونزل جبريل عليه فأخبره أن الحارث بن سويد قدم فانهض إليه واقتص منه لمن قتله من المسلمين غدراً يوم أحد ، فنهض رسول الله ﷺ إلى قباء في وقت لم يكن يأتهم فيه ، فخرج إليه الأنصار أهل قباء في جماعتهم ، وفي جملتهم الحارث بن سويد وعليه ثوب مورس^(١) ، فأمر رسول الله ﷺ عويم بن ساعدة بضرب عنقه . فقال الحارث : لم يا رسول الله ؟ فقال : بقتلك المُجذَّر بن زياد وقيس بن زيد . فما راجعه الحارث بكلمة ، وقَدَّمه عويم فضرَبَ عنقه ، ثم رجَعَ رسول الله ﷺ فلم ينزل عندهم^(٢) .

هذا عن أبي عمر الثمري ، والمأمور بضرب عنقه عند بعضهم عثمان بن عفان ، وعند آخرين بعض الأنصار ، وفي قتل المجذر سويداً خلافاً بين أهل النقل .

قال ابن إسحاق : وحديثي الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، قال : كان يقول : حَدَّثُونِي عن رجل دخل الجنة لم يُصلِّ قط ، فإذا لم يعرفه الناس ، سألوه : مَنْ هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم خروج النبي ﷺ إلى أحد ، بدا له في الإسلام ، فأسلم ، ثم أخذ سيفه فغدا ، حتى دخل في عَرْض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الحديث ، فسألوه : ما جاء بك ؟ أَحَدَبَ على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام ، آمَنْتُ بالله ورسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فغدت مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وحديثي أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سليمة ، أن عمرو بن الجموح كان

(١) «مورس» : مصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .

(٢) الدرر ؛ لأبي عمر بن عبد البر ص ١٥١ .

رجلاً أعرج ، شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثلُ الأسد ، يشهدون المشاهدة مع رسول الله ﷺ ، فلما كان يومُ أحد ، أرادوا حبسه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بني يُريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجي هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : أمّا أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه شهادة . فخرج معه ، فقتل يوم أحد^(١) .

وذكر أبو عمر في خبره ، قال : فأخذ سلاحه وولّى ، فلما ولّى أقبل على القبلة ، وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً . وفيه : ثم قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده : إن منكم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيته يظأ في الجنة بعرجته . وقيل : حمل هو وابنه خلاد حين انكشف المسلمون فقتلا جميعاً^(٢) .

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثني صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتي معها يُمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجذعن الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٣) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وأفرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت من كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تُسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مُشرقة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

نحن جزيناكم يوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سُغر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمّه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليّ عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب ، فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر	يا بنت وقناع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر	بالحاشيين الطوال الزهر

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ٩٠/٢ .

(٢) الاستيعاب ٥٠٣/٢ — ٥٠٤ .

(٣) « خدماً » : خلخالاً .

بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري فخصباً منه ضواحي النحر^(١)
ونذرك السوء فشر نذر

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فقال^(٢) . فقال : إن الحرب سجال يوم يوم بدر ، اعل هبل — أي أظهر دينك — . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلتنا في الجنة وقتلاكم في النار . وقال : إن لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله ﷺ : قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم »^(٣) .

عن ابن عائد وغيره^(٤) .

رجع : فلما أجاب عمر أبا سفيان . قال له أبو سفيان : هلم إلي يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائمه ، فانظر ما شأنه . فجاءه ، فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه يسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر — لقول ابن قمئة : إني قتل محمداً — ثم نادى أبو سفيان : قد كان في قتلاكم مثلي ، والله ما رضيئ ولا سخطئ ، ولا نهيت ولا أمرت ، ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد . ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب — وقال ابن عائد : سعد بن أبي وقاص — فقال : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جئوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم

(١) « شيب » : هو شيبه ، رخصته في غير النداء على غير قياس للضرورة .

(٢) « أنعمت فقال » : أنعمت : بالغت ، يخاطب بها نفسه . عال : فعل أمر من مادة العلو ، أي : زد وارتفع ، والجملة جارية مجرى المثل .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٩١/٢ — ٩٢ .

(٤) كذا في جميع النسخ ، ولعل المؤلف رحمه الله أراد الإشارة إلى وجود هذا الخبر عند ابن عائد وغيره أيضاً .

فيها ، ثم لأنجزتهم . قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، وتوجهوا إلى مكة .

وفزع الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ — كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صغصعة المازني ، أخو بني النجار — : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر ، فوجده جريحاً في القتلى ، وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات . فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جرى به نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم ، ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . قال : فبحث رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده بطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به ، فجدع أنفه وأذناه^(١) .

أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى ، وأبو الهيثم غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب بقراءة والدي عليهما وأنا اسمع متفرقين ، قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا حامد بن محمد ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا صالح المري ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد ، فنظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه ، ونظر قد مثل به . فقال : « رحمة الله عليك ، فإنك كنت ما علمتكم فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم ، ولولا حزن من بعدي عليك ، لسررتي أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى ، أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك » . قال : فنزل جبريل عليه

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٩٣/٢ — ٩٥ .

السلام والنبى ﷺ واقف بعدد ، بخواتيم سورة النحل : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] إلى آخر السورة . فصبر النبي ﷺ ، فكفر عن يمينه وأمسك عما أراد^(١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى برده ، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٢) .

وقد روينا حديث مقسم هذا عن ابن عباس : أتى بهم رسول الله ﷺ يوم أحد ، فجعل يُصلي على عشرة عشرة .. الحديث ، من طريق ابن ماجه ، عن محمد بن عبد الله بن نخير ، عن أبي بكر بن عياش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم به^(٣) .

وروي عن ابن سعد ، قال : أخبرنا أبو منذر البزاز ، حدثنا سفيان الثوري ، عن حصين ، عن أبي مالك ؛ أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد^(٤) . وقال ابن عقبة : لم يُغسلهم ولم يُصلّ على أحد منهم ، كما يُصلى على الموتى ، ولم يكفهم في غير ثيابهم التي قتلوا فيها .

قال أبو عمر : واختلف في صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أحد ، ولم يُختلف عنه في أنه أمر أن يُدفنوا بثيابهم ودمائهم ، ولم يُغسلوا ، ومثّل يومئذ بعبد الله بن جحش بن رثاب غير أنه لم يقرر عن كبده^(٥) .

(١) هذه القصة ذكرها المؤلف من « الغيلانيات » وفي سندها : بشر بن الوليد لم يوثقه غير ابن حبان ، وصالح المري ضعيف جداً . وذكرها ابن عبد البر في « الاستيعاب » مرسل عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن حنطب ، وفي كثير بن زيد ضعف ، والمطلب بن حنطب يرسل عن كبار الصحابة . باختصار من نور النبراس وميزان الاعتدال . ومتن القصة فيه نكارة ظاهرة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٩٧/٢ .

(٣) رواه ابن ماجه في الجناز (باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم) رقم ١٥١٣ / وقال السندي : يظهر من الزوائد أن إسناده حسن .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٨/٢ .

(٥) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٥٦ .

وروى ابن وهب عن أبي صخر ، عن ابن قُسيط ، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ؛ أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تأتي ندعو الله . فحلوا في ناحية ، فدعا سعد ، فقال : يارب إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأُسه ، شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وأخذ سلبه ، فأمن عبد الله بن جحش ، ثم قال : اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأُسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني ، فيقتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيت قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنيك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك . فيقول الله تعالى : صدقت . قال سعد : كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخرَ النهار وإن أذنه وأنفه معلقان في خيط .

وذكر الزبير في « الموفقيات » ، أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد ، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة ، فصار في يده سيفاً ، يقال : إن قائمه منه . وكان يُسمى العرجون . ولم يزل يتناقل حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار . يقال : إنه قتل عبد الله يومئذ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، ودُفن^(١) هو وحمة بن عبد المطلب في قبر واحد .

قال ابن سعد : ودُفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ، ودُفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد ، ودُفن النعمان بن مالك وعبد بن الحسحاس في قبر واحد ، وكان الناس أو عامتهم قد حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنهم في نواحيها ، فنادى منادي رسول الله ﷺ رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم ، فأدرك المنادي رجلاً واحداً لم يكن دُفن فرداً ، وهو شماس بن عثمان المخزومي^(٢) .

وسمّي لوفاة شماس ذكر في أشعار أحد إن شاء الله تعالى .

وأما أبو عمر ، فقال : يومئذ احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فردهم رسول الله ﷺ ليُدفنوا حيث قتلوا^(٣) .

قال الواقدي : وولي رسول الله ﷺ تركة عبد الله بن جحش ، واشترى لابنه مالا بخير

(١) وكان حمرة خاله ، لأن والدة عبد الله هي أميمة بنت عبد المطلب كما سيذكره المؤلف قريباً .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤/٢ ومغازي الواقدي ٣١٢/١ .

(٣) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٦٧ .

— وعبدُ الله^(١) لأُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عَمَّةُ رسول الله ﷺ — ويومئذ قال رسولُ الله ﷺ وقد أشرف على القتلى : أنا شهيد على هؤلاء ، وما من جريح يُجرَحُ في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يذمى جرحه ، اللون لونُ دم ، والريح ريحُ مسك^(٢) .

روينا عن أبي بكر الشافعي بالإسناد المذكور آنفاً ، حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل ، حدثنا قطن ، حدثنا حفص ، حدثنا إبراهيم ، عن عبَّاد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أنه أخيره ، أن رسول الله ﷺ قال لقتلى أحد : « زَمَلُوهم بجراحهم ، إنه ليس مَكْلُومٌ يُكَلِّم في الله تعالى إلا وهو يأتي يومَ القيامة لوَّنه لونُ دم وريحه ريح مسك^(٣) » .

وكذلك رواه محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، وغيره يخالفه . قال الدارقطني : الصوابُ رواية الليث ، ومن وافقه وروَّاه عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن جابر : ويومئذ قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « ارمِ فذاك أبي وأمي^(٤) » .

قُرئ على عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي وأنا أسمع ، أخيركم أبو علي حنبل ابن عبد الله بن الفرَج بن سعادة الرِّصافي قراءة عليه وأنت حاضر في الخامسة ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن الحصين ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن شدَّاد ، عن علي ، قال : ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُفدِّي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، فإني

(١) أي : كان عبدُ الله بن جحش ولداً لأُميمة .

(٢) لم نجده في مغازي الواقدي ، ولا الطبقات الكبرى ؛ فلعله في تاريخ الواقدي .

(٣) الحديث رواه المؤلف من الغيلانيات ، ورواه النسائي في الحناظر (باب مواراة الشهيد في دمه) ٧٨/٢ عن هناد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة . قال في نور النبراس : وهذه الطريق التي ذكرها — أي المؤلف في الغيلانيات — مساوية لطريق النسائي ، وكان ينبغي للمؤلف أن يذكره من قوله أو يتعقبه بالتعريف ، والله تعالى أعلم .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب : إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا) رقم /٤٠٥٥/ ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب : فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) رقم /٢٤١١/ و /٢٤١٢/ .

سمعته يقول له يوم أحد : « ارم سعد فذاك أبي وأمي »^(١) .

وقال رسول الله ﷺ في الشهداء : « انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر »^(٢) . وكانوا يدفنون الثلاثة والاثنيين في القبر . وقال ابن سعد : وقال رسول الله ﷺ : « ادفنوا عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح في قبر واحد ؛ لما كان بينهما من الصفاء » . قال فحُفِرَ عنهما وعليهما بُرْتَان^(٣) . وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه فيده على جرحه ، فأُمِيطَ يده عن وجهه ، فانبعث الدم ، فَرُدَّتْ يده إلى مكانها فسكنَ الدم^(٤) . وقال : أخبرنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، قال : حدثنا هشام الدُّسْتَوَائِي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صُرح بنا إلى قتلتنا يوم أحد حين أجرى معاوية العين ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة لئنة أجسادهم ، تنثني أطرافهم^(٥) .

قُرئ على الحرة الأصبيلة أم محمد شامية بنت الحافظ صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن البكري ، وأنا أسمع بالقاهرة سنة ثمان وسبعين وستائة ، أخبرك الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد الدَّارَقَزَنِي قراءة عليه وأنت تسمعين ؟ فأقرت به ، قال : أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسين بن أحمد بن البنا قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن علي بن

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٢٤/١ و١٣٧ ، ورواه البخاري في المغازي (باب : إذ همت طائفتان أن تفشلا) رقم/٤٠٥٨ / ومسلم في فضائل الصحابة رقم/٢٤١١ / ، والترمذي في المناقب (باب : مناقب سعد بن أبي وقاص) رقم/٣٥٦ / ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/١٩٢ / . وإنما عدل المؤلف عن رواية الحديث من هذه الكتب ورواه من المسند ؛ لأنه وقع له عالياً بدرجة ؛ كما ورد في نور النيراس لوحة ٢١١/٢ .

(٢) رواه بنحوه أبو داود في الجنائز (باب في تعميق القبر) رقم/٣٢١٥ / ، كما رواه الترمذي في الجهاد (باب في دفن الشهداء) رقم/١٧١٣ / ، والنسائي في الجنائز (باب ما يستحب من إعماق القبر) ٨٠/٢ ، وابن ماجه في الجنائز (باب في حفر القبر) رقم/١٥٦٠ / . وقال سبط ابن العجمي : أكثر جمعاً للقرآن : أكثر محفوظاً .

(٣) « بُرْتَان » : الثَّيْمَرَةُ : بردة من صوف ، فيها خطوط بيض وسود .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٦٢/٣ .

(٥) المصدر السابق ٥٦٣/٣ .

معروف بن محمد البراز قراءة عليه في رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ، حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرني النضر بن شميل ، حدثنا شعبة ، حدثنا محمد بن المنكدر ، قال سمعتُ جابراً ، قال : قُتل أبي يوم أحد ، فجئتُ إليه وقد مُثِّلَ به ، وهو مُعْطَى الوجه ، فكشفتُ عن وجهه ، وجعلتُ أبكي ، وجعل الناسُ يَنهَوْنِي ، ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، وجعلتُ فاطمة بنتُ عمر وعمتي تبيكه . فقال رسول الله ﷺ : « لا تبيكه ، فما زالت الملائكة تَنْظُرُهُ بأجنحتها حتى رفعتموه »^(١) .

وقرأتُ على عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي الصوري ، وأبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي ، قلت للأول : أخبرك أبو البركات بن مُلاعب ، والثاني : أخبركم أبو نصر موسى بن عبد القادر ، قال : أخبرنا سعيد بن البنا ، أخبرنا أبو القاسم بن البُصري ، أخبرنا أبو طاهر المُخَلَّص ، حدثنا يحيى — يعني ابن صاعد — حدثنا عبد الله بن محمد بن المسور ، حدثنا سفيان ، أخبرنا كوفي لنا ، أخبرنا محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أعلمتُ أن الله أحيا أباك ، فقال له : تمته . فقال : أُرِدُّ إلى الدنيا فأقتل . فقال : قد قضيتُ أنهم إلى الدنيا لا يرجعون »^(٢) .

كذا وقع في هذه الرواية عن سفيان قال : أخبرنا كوفي لنا ، أخبرنا محمد بن يحيى ، وكأنه تصحيف ، ولعلَّ الصواب فيه : حدثنا سفيان ، أخبرنا كوفي لنا محمد بن علي ، عن ابن عقيل . وهو محمد بن علي بن ربيعة السلمي أبو عتَّاب الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر ، وأخوه لأمه ، رأى رَبعِيَّ بن جِراش ، روى عن ابن عقيل وغيره ، وروى عنه سفيان بن عُيينة وغيره ، وثقه يحيى بن معين ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : هو من الشيعة . قلت : ما حاله ؟ قال : صدوق ، لا بأس به ، صالح الحديث . ووقع في ترجمته وَهَمٌ عن ابن أبي حاتم تبع فيه البخاري على عادته ، نبّه عليه أبو بكر الخطيب ، وقد أثبتته هناك . وكذا ذكرَ هذا الخبر أبو عمر بن عبد البر ، قال : وروى ابنُ عيينة عن محمد بن علي السلمي ،

(١) روى حديث جابر البخاري في المغازي (باب من قتل من المسلمين يوم أحد) رقم / ٤٠٨٠ / ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام) رقم / ٢٤٧١ / ، وعزاه في نور النبراس إلى النسائي في الجنائز ولم نجده ، وقال سبط ابن العجمي : إنما أثر المؤلف إخراجاً من هذه الطريق الذي ذكره منها ، ولم يخرج من هذه الكتب ؛ لأنه عال من هذا الطريق . نور النبراس لوحة ٢١٢ / ٢ .

عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، فذكره .

ويومئذ نهى رسول الله ﷺ عن النوح ، قال ابن إسحاق : وحديثي عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله تعالى كما تحبين . قالت : أرونيهِ حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته ، قالت : كلُّ مُصيبةٍ بعدك جَلَل — تريد صغيرة — (١) .

وكان لطلحة بن عبيد الله يومئذ المقام المحمود في الذَّبِّ عن رسول الله ﷺ ، قال الزبير وغيره : وأبلى طلحةً بلاء حسناً يوم أحد ، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه ، واتقى عنه الثَّبل بيده ، حتى شَلَّتْ أصبعه ، وضرب الضربة في رأسه ، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى استقلَّ على الصخرة ، وقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » (٢) .

وقرأت على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبرتكم أم الفضل زينب بنت محمد بن أحمد بن عقيل القيسية قراءة عليها وأنت تسمع سنة ست وستائة ، قالت : أخبرنا الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي ، حدثنا محمد بن أحمد بن النضر الأزدي ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق — يعني الفزاري — عن حميد ، عن أنس ، قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال أهل بدر ، فقال : غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين ، أما والله لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعترز إليك مما صنع هؤلاء

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٩٩/٢ .

(٢) خبر أن يد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه شلت يوم أحد رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب ذكر طلحة بن عبيد الله) رقم/٣٧٢٤ ، وخبر رفعه النبي ﷺ على ظهره حتى استوى على الصخرة ، وقول النبي ﷺ : « أوجب طلحة » رواه الترمذي في المناقب (باب مناقب طلحة) رقم/٣٧٣٩ ، والحاكم في المستدرک ٣٧٤/١ وصححه ، وسكت عليه الذهبي .

— لأصحابه — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — المشركون — . ثم تقدّم فلقية سعد بن معاذ ، فقال : أين يا سعد ؟ واهأ لريح الجنة ، والله إني لأجد ريحها دون أحد . قال سعد : فما استطعتُ أصنعُ ما صنعَ ، مضى حتى استشهد . قال : قال أنس : ما عرفته إلا بينائِهِ ، لأنه مُثِّلَ به ، وجدنا فيه بضعةً وثمانين أثراً ما بين ضربةٍ بالسيف وطعنةٍ بالرمح ورميةٍ بالسهم ، فكنا نتحدث أن فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ ^(١) [الأحزاب : ٢٣] .

وروينا عن ابن إسحاق ، عن حُميد الطويل ، عن أنس قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعينَ ضربةً ، فما عرفته إلا أخته ، عرفته بينائِهِ ^(٢) .

أخبرتنا السيدة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سلفها ، فيما قرأته عليها ، عن عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفارقانية إجازةً ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الصباغ ، قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا محمد بن نصر — يعني أبا جعفر الصايغ — حدثنا إبراهيم — يعني ابن حمزة — حدثنا عبد العزيز — يعني ابن محمد — عن عُبيد الله — يعني ابن عمر — عن نافع ، عن ابن عمر : أن عمرَ بن الخطاب قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد : خذْ درعي هذه يا أخي . فقال له إني أريد الشهادة مثل ما تُريد . فتركاها جميعاً ^(٣) .

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى أهلِهِ ناولَ سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمَه يا بنيةً ، فوالله لقد صدقني اليومَ . وناولها عليُّ بن أبي طالب سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه دمَه ، فوالله لقد صدقني اليومَ . فقال رسولُ الله ﷺ : لئن كنتُ

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب قول الله عز وجل : من المؤمنين رجال صدقوا ...) رقم/٢٨٠٥ ، ومسلم في الإمامة (باب ثبوت الجنة للشهيد) رقم/١٩٠٣ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة الأحزاب) رقم/٣١٩٨ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٣/١٩٤ و٢٥٣ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٣ .

(٣) حلية الأولياء ١/٣٦٧ .

صدقَت القتالَ ، لقد صدقَ معكَ سهلُ بن حنيف وأبو دجانة^(١) .

وروينا عن ابن عقبة : ولما رأى رسولُ الله ﷺ سيفَ عليٍّ مختضباً دماً ، قال : « إن تكنَ أحسنَت القتالَ فقد أحسنَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارثُ بن الصَّمة ، وسهلُ بن حنيف » ثم قال : أخبروني عن الناس ما فعلوا وأين عامَّتْهم ؟ ثم قال : إن المشركينَ لن يُصيبوا منا مثلاًها حتى تُبيحَهم^(٢) . ومثَّلَ المشركونَ يومئذٍ بقتلى المسلمين إلا ما كان من حنظلة ابن أبي عامر ، فإن أباه كان معهم ، فلذلك لم يُمثلوا به ذكره ابن عقبة . وقال : قال سهل بن سعد الساعدي : قال رسولُ الله ﷺ : « اللهم اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون » .

وانهزمَ قومٌ من المسلمين ، منهم عثمانُ بن عفان ، وسعدُ بن عثمان ، وأخوه عقبة بن عثمان ، من بني زُرَيْق ، وخارجة بن عامر الأنصاري . ثم عفا الله عنهم ، ونزلَ فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥] الآية .

قال ابن عقبة : تولوا حتى انتهوا إلى بئرِ جَرْم^(٣) .

وروينا عن محمد بن سعد : قال أبو التمر الكِنَاني — هو جدُّ شريك بن عبد الله بن أبي نمر المحدث — : شهد أحداً مع المشركين ، وقال : رَمِيتُ يومئذٍ بخمسينَ مَرَّمةً ، فأصِبتُ منها بأَسَهم ، وإني لأنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ ، وإن أصحابه لمُحدقونَ به ، وإن النبلَ ليمرُّ عن يمينه وعن شماله ، ويقصرُ بين يديه ويخرجُ من ورائه ، ثم هداه الله للإسلام .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● الأحابيش : الذين حالقوا قريشاً ، هم بنو المصطلق سعد بن عمرو ، وبنو الهون بن خزيمه ، اجتمعوا بدنية حُبشي ، وهو جبل بأسفل مكة ، فتحالفوا بالله : إنا ليد على غيرنا

(١) السيرة النبوية ٢/ ١٠٠ .

(٢) « تُبيحهم » : قال في النهاية : يُقال : أتاحَ الله لفلانَ كذا : أي قدَّره له وأَنزله به . وفي نور التبراس لوحة ٢١٤/ ١٢ : يُقال : أتاحَ له الشيءُ يَتَوَخَّ : تهيأ .

(٣) بئرِ جَرْم : هو بفتح الجيم وإسكان الراء وباليم .

ما سَجَى لَيْلٍ وَوَضَحَ نَهَارَ ، وَمَا رَسَا حُبْشَى مَكَانَهُ . فَسُمُوا أَحَابِيشَ ، بِاسْمِ الْجَبَلِ . قَالَ حَمَادُ الرَّائِيَةِ : سُمُوا أَحَابِيشَ لِاجْتِمَاعِهِمْ ، وَالتَّجْمُعِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ التَّجْبُشُ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي كِتَابِ « الْمَعَارِفِ » لَهُ . رَأَيْتُ ذَلِكَ بِحُطِّ جَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَرَأَهُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ شَيْخِهِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيِّ .

● وَالْتَلَمَ : — سَاكِنُ اللَّامِ — ، فِي السِّيفِ ، وَالْتَلَمَ — مُفْتَوِّحُ اللَّامِ — : تَلَمَّ الْوَادِي .
● وَذَكَرَ أَبَا خَيْثَمَةَ الْحَارِثِيَّ دَلِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَنْبِهِ عَلَيْهِ ابْنُ هِشَامٍ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ^(١) سَعْدٍ وَغَيْرُهُ أَبُو حَثْمَةَ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ وَالِدُ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ ، قَالَ أَبُو عَمَرَ^(٢) :
وَلَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ أَبُو خَيْثَمَةَ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَيْثَمَةَ السَّامِيُّ ، لَهُ خَبَرٌ مَعْرُوفٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيِّ ، وَالِدُ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبُو حَثْمَةَ هَذَا : عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ : عَامِرُ بْنُ سَاعِدَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَجْدَعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، نَسَبُهُ كَذَلِكَ أَبُو عَمَرَ .

● وَنَضَحْتُ النَّشَابَ ، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : رَمَيْتُ .

● وَذَكَرَ الرَّجَزُ الَّذِي قَالَتْهُ هِنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ * إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ * وَأَوَّلُهُ :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى التَّمَارِقِ

وَكَذَا ذَكَرَهُ^(٣) ابْنُ سَعْدٍ ، فَقَالَ : رَوَى هَذَا الشَّعْرُ لَهْنَدُ بِنْتُ عَتَبَةَ ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَالشَّعْرُ لَيْسَ لَهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ لَهْنَدُ بِنْتُ بِيَاضَةَ بْنِ طَارِقِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ طَارِقِ الْإِيَادِيِّ ، قَالَتْهُ حِينَ لَقِيَتْ إِيَادَ جَيْشِ الْفَرَسِ بِجَزِيرَةِ الْمَوْصِلِ ، وَكَانَ رَئِيسَ إِيَادَ بِيَاضَةَ بْنِ طَارِقِ وَوَقَعَ فِي شَعْرِ أَبِي دُوَادِ الْإِيَادِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو رِيَّاحٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ لَمَّا لَقِيَتْ تَغْلَبَ يَوْمَ قِصَّةٍ ، وَيُسَمَّى يَوْمَ التَّحْلِيْقِ ، أَقْبَلَ الْفِنْدَ^(٤) الزَّمَانِيَّ ، وَمَعَهُ ابْنَتَانِ ، وَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا تَقُولُ : * نَحْنُ

(٢) الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٤١/٤ .

(١) الطبقات الكبرى ٣٨/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٠/٢ .

(٤) « الْفِنْدُ » : بِكَسْرِ الْفَاءِ وَسُكُونِ النُّونِ وَدَالِ الْمَهْمَلَةِ ، هُوَ لَقَبٌ ، وَاسْمُهُ سَهْلُ الزَّمَانِيَّ ، كَذَا قَالَهُ مَجْدُ الدِّينِ الْفَيْرُوزُ أَبَايَدِي فِي قَامُوسِهِ ، وَلَفْظُهُ : الْفِنْدُ : بِالْكَسْرِ ، الْجَبَلُ الْعَظِيمُ ، أَوْقُطْعَةٌ مِنْهُ ، وَيُفْتَحُ ، وَفِي الصَّحَاحِ : وَالْفِنْدُ : قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَلِ طَوْلًا ، وَالْفِنْدُ : الزَّمَانِيُّ الشَّاعِرُ .

بنات طارق * فطارق على رواية من رواه لهند بنت عتبة أو لبنت الفند الزماني تمثيل واستعارة ، لا حقيقة ، شبهت أباهما بالنجم الطارق في شرفه وعلوه ، وعلى رواية من رواه هند بنت بياضة حقيقة لا استعارة ؛ لأنه اسم جدّها ، قال البطليوسي : والأظهر أنه لبنت بياضة ، وإنما قاله غيرهما تمثلاً . وقال أبو القاسم السبيلي على قول من قال أرادت به النجم لعلوه : هذا التأويل عندي بعيد ، لأن طارقاً وصف للنجم لطروقه ، فلما أرادت لقالت : بنات طارق ، فعلى تقدير الاستعارة يكون « بنات » مرفوعاً ، وعلى تقدير أن يكون الشعر لابنة بياضة بن طارق يكون منصوباً على المدح والاختصاص نحو :

* نحن بني ضبة أصحاب الجمل *

● والكَيْوَل : آخر القوم أو آخر الصفوف .

● ولولت المرأة : دعت بالويل .

● ما يُليق : ما يُقي .

● والهد — معجم الدال — القطع ، ومهملها : الهدم .

● وقوله : فكأنما أخطأ رأسه ، أخطأ الشيء إذا لم يتعمده ، أي كان في إلقائه رأسه كأنه لم يتعمده ولا قصده .

● وَيَحْمُسُ النَّاسَ : بالسّين المهملة ، يُشجعهم ، من الحماسة ، وبالمعجمة من أحمشت النار : أوقدتها ، أي يُغضبهم .

● وذكر خبر قتادة بن النعمان في ذهاب عينه ورجوعها ، وقد روي أن عينه جميعاً سقطت ، رواه محمد بن أبي عثمان ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان ، قال : أصيبت عيني يوم أحد ، فسقطتا على وجنتي ، فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تبرقان . قال الدارقطني : هذا حديث غريب عن مالك ، تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ، ورواه الدارقطني : عن إبراهيم الحربي ، عن عمار بن نصر هذا .

● وذكرَ قتل حُسَيْل — أبي حذيفة بن اليمان — ويقال : الذي قتله خطأ عتبة بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود .

● والهامة : كانت العرب تقول : إن روح الميت تصير هامة ، ومنه :

* وكيف حياة أصداء وهام *

● وظمُّ حمار : الحمار أقصرُ الدواب ظمًّا ، وأطولها الإبل .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « من رجل ينظرُ ما صنع سعد بن الربيع ؟ » . لم يُسمَّ في الخبر . قال الواقدي : هو مُحمد بن مسلمة . وذكر أبو عمر أنه أُلِّيَ بن كعب .

● وذكر السهيلي في حديث ابن إسحاق ، عمن لا يَتَّهم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : في صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد : أنه يعني بمن لا يَتَّهم : الحسن بن عمار ، وضَعَّف الحديث به ، لكن قد ذكرناه من رواية يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، من طريق ابن ماجه ، ويزيدُ : أخرج له مسلم مقروناً بغيره في الأُطعمة ، وصَحَّح الترمذِيُّ حديثه في غير ما موضع ، وبينه وبين الحسن بن عمار بون بعيد ، وقد رأيتُ قبل هذا موضعاً تكلم فيه السهيلي على رواية لابن إسحاق عمن لا يَتَّهم ، فقال : هو الحسن بن عمار . وهذا يحتاج إلى نقل عن ابن إسحاق ، وأقل ما في ذلك نقلٌ عن معاصر له أو قريب منه في الطبقة ، وإلا فما المانع من أن يكون الذي لا يَتَّهمه في هذا الخبر هو يزيد بن أبي زياد ، فكثيراً ما يروي عنه ، وهو أجدرُ بالثناء عليه ، وقد روى الخبر عنه أبو بكر بن عياش كما أوردناه ، وعند ابن إسحاق رجلٌ آخرُ يقال له : يزيد بن أبي زياد ، وهو يزيد بن زياد بن أبي زياد ميسرة^(١) ، يروي عن محمد بن كعب القرظي ، مستور الحال .

● وأوجب طلحة : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

● الأُتَي : الغريب ، لا يُدرى من أين أتى ، كذا وقع في هذا الخبر عند ابن إسحاق ، وذكره ابن سعد ، فقال : قرمان بن الحارث من بني عيس حليف لبني ظَفَر .

● الوَقَّاع : السَّبَّاب .

(١) الجرح والتعديل ٢٣٦/٩ .

● ضاحية الشيء : ناحيته .

● أَنْعَمْتُ ، فَعَالَ^(١) : اسم للفعل الحسن ، وأنعم : زاد . وقال السهيلي : معناه : أنعمت بالأزلام ، وكان استقسم بها حين خروجه إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكان فيما أنزل الله من القرآن يوم أحد ستون آية من سورة آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) [آل عمران : ١٢١] .

ذكر من استشهد يوم أحد

من المهاجرين عندهم^(٣) :

من بني هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بني أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش حليف لهم من بني أسد بن خزيمه .

ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير .

ومن بني مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان .

وزاد ابن عقبة خامساً لهم ، وهو : سعد مولى حاطب ، من بني أسد بن عبد العزى .

وزاد ابن سعد^(٤) : عبد الله ، وعبد الرحمن ابني الهُبَيْب ، من بني سعد بن ليث .

ووهب ابن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عَقبَة بن قابوس . ومالكاً ، ونعمان ، ابني

خلف بن عوف بن دارم بن عَنَز بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن

أسلم ابن أَفْصَى بن حارثة ، كانا طليعتين للنبي ﷺ فقتلا يوم أحد شهيدين ، ودفنا في قبر .

= أحد عشر .

(١) انظر تعليقنا ص ٢٩ . وعلى تفسير السهيلي لمصحح العبارة : « أَنْعَمْتُ فَعَالَ » .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٠٦/٢ - ١٢١ .

(٣) « عندهم » : أي عند جميع أهل السيرة .

(٤) الطبقات الكبرى ٤٢/٢ .

وزاد أبو عمر^(١) : ثَقَفَ بن عمرو الأسلمي ، حليف بني عبد شمس . وعقربة أبا بشير بن عقربة الجُهني . وذكرَ أن حُنَيْسَ بن حُذَافَةَ بن قيس بن عدي بن سُعيد بن سهم القرشي شهدَ أحداً ، ونالته بها جراحات مات منها بالمدينة .

وليس ذلك بشيء ، والمعروف أنه مات بالمدينة على رأس خمسة وعشرين شهراً بعد رجوعه من بدر ، وتَأَيَّمَتْ منه حفصة بنت عمر ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ في شعبان على رأس ثلاثين شهراً ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وكل ذلك قبل أحد . وفي قول أبي عمر : عدي بن سُعيد بن سهم : وَهَمَ ثَانٍ إنما هو عدي بن سعد بن سهم ، وسعد وسُعيد ابنا سهم ، فعدي من ولد سعد ، والله أعلم .

ومن الأنصار ، ثم من الأوس ثم :

من بني عبد الأشهل : عمرو بن معاذ ، وابن أخيه الحارث بن أوس ، والحارث بن أنس ، وعمارة بن زياد ، وسلمة ، وعمرو ، ابنا ثابت بن وقش ، وأبوهما ، وعمُّهما رفاعة ، وحُسيل بن جابر أبو حذيفة بن اليمان ، حليف لهم ، وصيفي وخباب ابنا قيظي ، وعند ابن سعد : صيفي والخباب ابنا قيظي بن عمرو بن سهل بن مخزومة بن قَلْعَ بن حريش بن عبد الأشهل . وكان ابن الكلبي يقول : حريش بن جُشم ، أخي عبد الأشهل ليس ولده . والمشهور الأول . وعمُّهما : عبَّاد بن سهل ، وعمُّه معبد بن مخزومة عند ابن سعد ، وعنده أيضاً عامر بن يزيد بن السَّكَن ، وعند ابن إسحاق في أخبار الوقعة مقتل زياد بن السَّكَن ، حين قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ » قال : فقام زياد بن السَّكَن في خمسة من الأنصار ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وكان زياد آخرهم . قال : وبعضُ الناس يقول : هو عمارة بن يزيد^(٢) . ويزيد : ابن السكَن بن رافع .

وسهل بن رومي بن وقش ، ورافع بن يزيد ، وقرّة بن عُقبة بن قرة ، حليف لهم .

وفي عدادهم من ولد جشم بن الحارث أبي عبد الأشهل عندهم : إياس بن أوس بن عتيك ، ومن حلفائهم : حبيب بن زيد بن تيم بن أمية بن خِفَاف بن بَيَّاضة .

(١) الاستيعاب ٢٠٩/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨١/٢ .

كذا ذكره ابن سعد : حبيب بن زيد ، في حلفاء بني عبد الأشهل ورأيته في موضع آخر من ولد مرة بن مالك بن الأوس ، وهو حبيب بن زيد بن تيم بن أمية بن يياضة بن خفاف بن سعيد بن مرة بن مالك ، قاله ابن الكلبي .

وعبيد بن التيهان ، وهو عند ابن عقبة وأبي معشر وابن القداح : عتيك ، وابن عُمارة ينسبه إلى جُشم بن الحارث هذا ، وغيره يقول : من حلفائهم ، وليس من أنفسهم ، وقد سبق ذلك عند ذكر أخيه أبي الهيثم . قال أبو عمر : وقيل : بل قتل بصفين .

وعند ابن سعد : سهل بن عدي بن زيد بن عامر بن جُشم أخي عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث : ويسار مولى أبي الهيثم بن التيهان .

= أربعة وعشرون ، انفرد منهم ابن سعد عن ابن إسحاق بتسعة .

ومن بني ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع بن سويد بن حرام بن الهيثم بن ظفر .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو — وهو التَّيِّب — بن مالك بن الأوس ، عند ابن سعد : قيس بن الحارث بن عدي بن جُشم بن مجدعة بن حارثة . والواقدي وابن عُمارة يقولان فيه : قيس بن مُحَرَّث ، قال ابن عمارة : أما قيس بن الحارث فقتل يوم البجامة .

ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : رفاعة بن عبد المنذر ، عند ابن سعد ، وفيه نظر .

ومن بني ضُبَيْعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضُبَيْعة ، وحنظلة بن أبي عامر بن صفى بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضُبَيْعة ، قتله أبو سفيان بن حرب ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتل يوم بدر ، فكان أبوه أبو سفيان يقول : حنظلةُ بَحْنِظْلَة .

ومن بني عُيْد بن زيد أخي ضُبَيْعة : أنيس بن قتادة .

ومن حلفاء بني زيد بن مالك ، من بني العجلان : عبد الله بن سَلِمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجد بن العجلان . وهو عند ابن إسحاق حليف لبني السَّلم بن امرئ القيس .

ومن بني العجلان وأنيف ، من بلي ، حلفاء بني زيد ، عند ابن سعد : ثابت بن الدَّحْدَاح ، ويقال : الدحداحة ، بن نعيم بن غنم بن إياس .

ومن بني معاوية بن مالك بن عمرو بن عوف : سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، وقال فيه ابن عقبة : سويق .

ومن حلفائهم : مالك بن ثُميلة ، ذكره ابن سعد و ابن هشام ، وليس عند ابن إسحاق في روايتنا ، وقال أبو عمر : ذكره إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حبة — بالباء — بن عمرو بن ثابت ، وعند آخرين ، منهم ابن سعد : أبو حنة — بالنون — بن ثابت ، وعبد الله بن جبير .

ومن بني السَّلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النُّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلم ، وهو أبو سعد بن خيشمة .

ومن بني خَطْمة ، وهو عبدُ الله بن جشم بن مالك بن الأوس عند ابن هشام : الحارث بن عدي بن خَرْشة بن أمية بن عامر بن خَطْمة .

= أربعة عشر ، منهم تسعة متفق عليهم .

ومن الخُزَرج ، ثم :

من بني النجار ، ثم من بني سواد بن غنم بن مالك بن النجار و ابن سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، والمعروف أن ولد غنم بن مالك ثلاثة : عوف ، وثعلبة ، وسواد ، كذا قال ابن الكلبي : عمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر بن مَخْلَد . وزاد ابن سعد عن ابن القَدَّاح : وعبد الله بن قيس ، وخالفه الواقدي ، فزعم أنه تأخَّر إلى خلافة عثمان . وزاد ابن هشام فيهم : مالك بن إياس ، ولم يُوصَل نسبه .

ومن بني مَبْذول ، وهو عامر بن مالك بن النجار : أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثَقَف بن مَبْذول ، كذا هو عند ابن إسحاق ، و ابن سعد يقول : ثَقَف بن مالك بن مَبْذول . قلت : وعمرو بن مَبْذول ومالك بن مَبْذول معروفان ، وكان الواقدي يقول فيه : أبو أسيرة . و ابنُ عمه عمرو بن مُطَرَف بن علقمة ، ومنهم مَنْ يقول فيه : مُطَرَف بن عمرو .

ومن بني مغالة ، وهم من بني عمرو بن مالك بن النجار : أوسُ بن ثابت ، غير أن
الواقدي أنكر ذلك ، وزعم أنه بقي إلى خلافة عثمان .

ومن بني عدى بن النجار : أنسُ بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حَرَام بن جُنْدَب بن
عامر بن غَنَم بن عدي . وزاد ابن سعد : عامر بن أمية . وزاد ابن هشام في بني عمرو بن
مالك : إياس بن عدي ، ولم يَصِلْ نسبُه .

ومن بني مازن بن النجار : قيسُ بن مُحَلَّد ، وكيسانُ ، عبدُ لهم . زاد ابن سعد : ورافع
مولى غَزِيَّة بن عمرو .

ومن بني دينار بن النجار : سُليمُ بن الحارث ، والنعمانُ بن عبد عمرو . وزاد ابن
سعد : وأبو حَرَام عمرو بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل .

ومن بني الحارث بن الخزرج : حارِجَةُ بن زيد ، وسعدُ بن الربيع بن عمرو ، وأوسُ بن
الأرقم بن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك الأغر ، زاد ابن سعد : والحارث بن ثابت بن
سفيان بن عدي بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر ، والحارث بن ثابت بن
عبد الله بن سعد بن عمرو بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك .

ومن بني الأبحر ، وهو حُذْرَة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : مالكُ بن سنان بن
عُبَيْد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبحر ، كذا هو عند ابن إسحاق و ابن الكلبي وخليفة بن
خياط . وابن سعد يُخالفهم فيسقط عبداً الأول ، وأما أبو عمر فأسقطه في نسب أبي سعيد
الخدري كما فعل ابن سعد ، وأثبتته في نسب أبيه كما قال غيره . وسعيدُ بن سُويد بن قيس بن
عامر بن عَبَاد بن الأبحر ، وهو سعدُ بن سُويد بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن أبحر عند
الدمياطي . وسعدُ بن سُويد بن عُبيد بن أبحر ، عند ابن سعد . وعقد أبو عمر ترجمتين في
كتابه في الصحابة ؛ إحداهما في باب سعد ، والأخرى في باب سعيد ، وقال في كل منهما :
قُتِلَ بأحد شهيداً ، ويُحتمل أن يكونَ واحداً وَقَعَ الاختلاف فيه . وعتبةُ بن ربيع بن رافع بن
معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبحر . و ابن سعد يقول : معاوية بن عُبيد بن الأبحر .
وعبدُ الله بن الربيع بن قيس ذكره ابن الكلبي .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبةُ بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن

حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثَقْبُ بن فروة بن البدْي ، وبعضُهم يفتح قافه أيضاً ، ويُقال فيه : ثَقِيب^(١) ، ويُقال في البدْي : البدَيْن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، وعبيدُ بن مسعود بن البدْي ، قاله ابن عقبة . وعبدُ الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، وضَمْرُهُ ، حليف لهم من جُهينة ، وهو ضَمْرَةُ بن عمرو بن كعب بن عمرو بن عدي بن عامر بن رِفاعَةَ بن كليب بن مُودعة بن عدي بن غَنَم بن الربعة بن رَشْدان بن قيس بن جهينة .

ومن القواقلة ، وهم بنو غنم وبنو سالم ابني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العَبَّاسُ بن عبادة بن نضلة ، ونوفلُ بن عبد الله بن نضلة المذكور . وغير ابن إسحاق يقول : نوفل بن ثعلبة بن عبد الله بن نضلة . والنعمانُ بن مالك .

ومن حلفائهم : المُجَذَّر بن زياد ، وعَبْدَةُ بن الحسحاس ، ويقال فيه : عبادة .

ومن بني الحبلى ، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج : رِفاعَةُ بن عمرو بن زيد ، وزيدُ بن ودِيعَة ، ذكره الدمياطي .

ومن بني سَلِمة ، ثم من بني حَرَام : عبد الله بن عمرو — أبو جابر — وعمروُ بن الجموح ، وابنه خَلَادُ ، وأبو أيمن مولى عمرو ، هذا هو المشهور ، قال أبو عمر : ويقال : هو ابنه .

ومن بني سَواد بن غنم : سُليم بن عمرو ، ومولاه عنترَة ، وسهل بن قيس .

ومن بني زُرَيْق : ذُكوان بن عبد قيس . زاد ابن سعد : ورافع بن مالك .

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشَم بن الخزرج : عُبيد بن المُعلَّى بن لُوْذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب .

= سبعة وأربعون ، عند ابن إسحاق منهم : سبعة وثلاثون .

فجميعهم ستة وتسعون . من المهاجرين ومنْ ذُكر معهم : أحد عشر ، ومن الأنصار : خمسة وثمانون ؛ من الأوس : ثمانية وثلاثون ، ومن الخزرج : سبعة وأربعون . منهم عند ابن

(١) في هامش « ب » : أسقط المؤلف قولاً في اسمه هو « ثَقَف » بالفاء في آخره .

إسحاق من المهاجرين : أربعة ، ومن الأنصار : واحد وستون ، من الأوس : أربعة وعشرون ، ومن الخزرج : سبعة وثلاثون . والباقون عن موسى بن عقبة ، أو عن ابن سعد ، أو عن ابن هشام ، وقد ذكر أبو عمر فيهم : زياد بن السكن أبا عمارة بن زياد ، وقد حكينا عن ابن إسحاق كيف وقع ذكره عنده ، وهو داخل في المعدودين من بني عبد الأشهل ، ومن ذكر أبو عمر في « الاستيعاب » : أبا زيد الأنصاري ، وهو أبو بشير بن أبي زيد ، ذكره عن ابن الكلبي . وفي باب الباء في باب بشير ابنه ، وذكر في « كتاب الصحابة » حارثة بن عمرو الأنصاري من بني ساعدة ، ولم يصل نسب . وذكر الحافظ أبو محمد الدمياطي في « نسب الأوس » له : خدش بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد ، أخا أنيس بن قتادة ، وقال : شهد بدرًا وقتل بأحد ، قاله ابن الكلبي ، وقد ذكرنا أخاه أنيسا في شهداء أحد . وذكر أبو عمر في كتابه في « المغازي » منهم عُمير بن عدي الخطمي ، وغيره يقول في عُمير : لم يشهد أحداً ، وكان ضريح البصر .

فقد تجاوزوا هذه الزيادات المائة ، على أنه قد ذكر أن قتل أحد سبعون ، ومن الناس من يجعل السبعين من الأنصار خاصة ، وكذلك قال ابن سعد في باب غزوة أحد ، لكنهم في تراجم الطبقات له زادوا على ذلك .

ويذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] أنه تسلية للمؤمنين عن أصيب منهم يوم أحد ، بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلًا وسبعين أسيرًا ، فإن صحَّ ذلك نقلًا وحملًا ، فالزيادة ناشئة عن الخلاف في التفصيل ، وليست زيادة في الحملة .

وقتل من كفار قريش يوم أحد : ثلاثة وعشرون رجلاً .

منهم : حملة اللواء من بني عبد الدار بن قصي ، عشرة قد سبق ذكرهم ، ومنهم : أبو يزيد بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد .
ومن بني زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف لهم ،

وسباع بن عبد العزى ، واسمه عمرو بن نضلة من غُبْشان بن سُليم بن مَلْكان — حليف لهم من خِزاعة — .

ومن بني مخزوم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، والوليد بن العاصي بن هشام بن المغيرة ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم حليف لهم .

ومن بني جُمَح : عمرو بن عبد الله بن عُمر بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وهو أبو عزة ، وأبي بن خلف بن وهب بن حُذافة ، قتله رسولُ الله ﷺ .

ومن بني عامر بن لؤي : عبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك . وذكر غيرُ ابن إسحاق فيهم : شريح بن قارظ ، والله أعلم .

ومما قيل من الشعر يوم أحد قول حسان بن ثابت يذكر أصحاب اللواء من بني عبد الدار :

وخيالٌ إذا تغورُ النجومُ	منع النومَ بالعشاءِ الهمومُ
سَقَمٌ فهو داخلٌ مكتومٌ	من حبيبٍ أصابَ قلبكُ منه
غيرَ أن الشَّبابَ ليس يدومُ	لم تُفْتِها شمسُ النهارِ بشيءٍ
لِجهلٍ غطى عليه النعيمُ	رُبَّ جِلْمٍ أضاعه عدمُ الما
إن سبِّي من الرجالِ الكريمِ ^(١)	لا تُسَبِّنِي فلستَ بسبِّي
أَمْ لَحاني بظهيرِ غيبٍ لئيمِ ^(٢)	ما أبالي أنبَ بالحزنِ تيسُ
أسرةً من بني قُصَيٍّ صميمِ	وليَّ البأسِ منكمُ إذ رحلتُم
في رَعاعٍ من القنا « مخزومُ » ^(٣)	تسعةً تحملُ اللواءَ وطارثُ
في مقامٍ وكلُّهم مَذْمومُ ^(٤)	وأقاموا حتى أتيحوا جميعاً
والقنا في نخورهم مَحْطومُ ^(٥)	وأقاموا حتى أزيروا شعوباً

(١) « سبي » : السَّبُّ : هو الذي يُقاوَلُ الرجلُ في السَّبِّ ، ويكون مساوياً له في الشرف .

(٢) « نَبَّ » : صاح .

(٣) « رَعاع » : ضعفاء .

(٤) « أتيحوا » : أُصيبوا .

(٥) « شعوباً » : الموت .

وقريشٌ تَفِرُّ مِنَّا لَوْأذًا أن يُقيموا وخفَّ منها الحُلُومُ^(١)
لم تُطَقْ حمَلَه العَوَاتِقُ منهم إنما يحملُ اللواءُ النجومُ^(٢)

ومن أبيات لعبد الله بن الزُّبَيْرِ ، ولم يكن أسلم يومئذ :

يا غرابَ البين أسمعْ فقلْ إنما تنطقُ شيئاً قد فُعلْ
كلُّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدهرِ يلعبنَ بكلِّ
أبلغنَ حسانَ عنا آيةً فقريضُ الشعرِ يَشْفِي ذَا الْعُلُلِ
كم قتلنا من كريمٍ سيِّدٍ ماجدِ الجدِّينِ مقدامِ بطلِ
صادقِ النجدةِ قَرْمٍ بارِعٍ غيرِ مُلثاثٍ لدى وقعِ الأسلِ^(٣)
حينَ حَلَّتْ بقاءَ بَرَكْها واستحرَّ القتلُ في عبدِ الأشلِ^(٤)
ليتَ أشياخي يبدِرَ شَهدُوا جَزَعَ الخُرجِ من وقعِ الأسلِ
فقتلنا الضَّعْفَ من أشرافهم وعدلنا مَيْلَ بديرٍ فاعتدلْ

وقال حسان يكي حمزة في أبيات رضي الله عنهما :

أتعرفُ الدارَ عفا رَسمَها بعدك صوبُ المسيلِ الهاطلِ^(٥)
ساءلتُها عن ذاك فاستعجمتُ لم تدري ما مَرْجوعَةُ السائلِ؟^(٦)
دُع عنك داراً قد عفا رَسمُها وابكِ على حمزة ذي النائلِ
الماليءُ الشَّيزي إذا أعصفُ غبراء في ذي الشَّيمِ الماحلِ^(٧)
والتَّارِكِ القِرْنِ لدى لُبْدَةٍ يعثرُ في ذي الخُرْصِ الذابلِ^(٨)

(١) « لَوْأَذًا » : مُسْتَخْفَيْنِ مُسْتَتْرَيْنِ .

(٢) « النجوم » المشاهير من الناس ، وشبههم بالنجوم .

(٣) « قَرْم » : الفحل الكريم الأصل . « مُلثاث » : ضعيف .

(٤) « بَرَكْها » : صدرها . « عبد الأشل » : يريد بني عبد الأشهل .

(٥) « صوب » : مطر .

(٦) « مَرْجوعَةُ السائلِ » : رجوعُ الجواب .

(٧) « الشَّيزي » : القِصَاعُ من الخشب . « الشَّيم » : البرْد . وذي الشَّيم : زمن اشتداد البرد .

(٨) « القِرْن » : المكافئ في القتال . « لُبْدَةٍ » : غُبار مُلْبَد . « ذي الخُرْص » : الرمح ، والخُرْص : سنانهُ ،

جمعه : خُرْصان . والذابل : الرقيق .

واللابس الخيل إذا أحجمت
أبيض في الذروة من هاشم
مال شهيداً بين أسيافكم
أي امرئ غادر في آلة
أظلمت الأرض لفقدانه
صلى عليه الله في جنة
كنا نرى حمزة جزراً لنا
كالليث في غابته الباسل
لم يمر دون الحق بالباطل^(١)
سلك يدا وحشي من قاتل^(٢)
مطرورة مارئة العامل^(٣)
واسود نور القمر الناصل^(٤)
عالية مكرمة الداحل
من كل أمر نابنا نازل

وقال كعب بن مالك يكي حمزة أيضاً :

طرقتم هومك فالرقاد مسهد
ودعت فؤادك للهوى ضميرة
فدع التماذي في العواية سادراً
ولقد أنى لك أن تناهي طائعا
ولقد هددت لفقد حمزة هدة
ولو أنها فجمعت جراً بمثله
وجزعت أن سلخ الشبَاب الأعيد^(٥)
فهواك غوري وصحيك منجد^(٦)
قد كنت في طلب العواية تُفند
أو تستفيق إذا نهاك المرشد^(٧)
ظلت بنات الجوف منها ترعد^(٨)
لرأيت راسي صخرها يتهدد

(١) « لم يمر » من المراء ، وهو الجدال .

(٢) « وحشي » : حذف التنوين من وحشي ؛ للضرورة ؛ لأنه علم ، والعلم قد يترك صرفة كثيراً .

(٣) « آلة » : حربة لها سنان طويل . « المطرورة » : المستنة المحددة . « مارئة » : لينة . « العامل » : أعلى الرمح مما يلي حديدته .

(٤) « القمر الناصل » : الخارج من السحاب .

(٥) « الأعيد » : الناعم .

(٦) « ضميرة » : نسبة إلى قبيلة « ضمرة » ، وهي من القبائل التي تسكن الغور . « غوري » : نسبة إلى الغور ، وهو منخفض من الأرض ، والمقصود هنا : الجزء الساحلي من الحجاز الذي يُسمى أيضاً « تنامة » . « وصحيك » : كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « وصحوك » هما بمعنى واحد . وقد وردت في السيرة الشامية ٣٥٠/٤ « وصحيك » وهو تصحيف .

(٧) « أنى » : حان وقته .

(٨) « بنات الجوف » : يعني قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه .

قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذَوَابَةِ هَاشِمٍ
 وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجَلَادُ إِذَا غَدَتْ
 وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدِّلاً
 وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
 عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ
 وَأَتَى الْمَنِيَةَ مُعْلِماً فِي أَسْرَةٍ
 وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هِنْدًا بَشَّرَتْ
 مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا
 وَبِئْرٍ بَدِيرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ
 حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سِرَاتِهِمْ
 فَأَقَامَ بِالْعَطْنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ
 وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
 وَأَمِيَّةُ الْجَمَحِيِّ قَوْمَ مَيْلِهِ
 فَاتَّكَ قُلُ الْمَشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
 شَتَانٌ مِنْ هُوٍ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا
 حَيْثُ النَّبِيُّوَةُ وَالنَّدَى وَالسَّوْدُ
 رِيحٌ يَكَاذُ الْمَاءَ مِنْهَا يَجْمَدُ^(١)
 يَوْمَ الْكَرْبَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ^(٢)
 ذُو لَيْدَةٍ شَتْنُ الْبِرَاقِ أُرِيدَ
 وَرَدَ الْحِمَامِ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ
 نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ^(٣)
 لُتِمَتْ دَاخِلَ غَصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
 يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
 جَرِيرِلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
 قَسَمِينَ : نَقْتُلُ مِنْ نَشَاءٍ وَنَطْرُدُ
 سَبْعُونَ : عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ^(٤)
 فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
 عَضِبَتْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهْنَدُ
 وَالْخَيْلُ تَنْفِثُهُمْ نَعَامٌ شَرْدُ^(٥)
 أَبْدَأُ وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مُخِلَّدُ

وقال كعب يذكر يوم أحد ، أنشدته ابن هشام :

سَائِلُ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أَحَدٍ
 مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقَوْا مِنَ الْحَرْبِ
 كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا التَّمَرَ إِذْ زَحَفُوا
 مَا إِنْ نَرَاكَ مِنْ إِلٍ وَلَا نَسِبِ^(١)
 فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطْلٍ
 حَامِي الذَّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ^(٢)

(١) « الْكُومَ » جمع كوما ، وهي العظيمة السنام من الإبل .

(٢) « الْكَمِيَّ » : الشجاع . « مُجَدِّلاً » : مطروحاً على الجدالة ، وهي الأرض . « يَتَقَصَّدُ » : يتكرس .

(٣) « مُعْلِماً » : مشيراً نفسه بعلامة يُعرف بها في الحرب .

(٤) « الْعَطْنُ » : مبرك الإبل حول الماء . و « الْمُعْطَنُ » : الذي عُوِدَ أَنْ يَتَّخِذَ عَطْنًا .

(٥) « تَنْفِثُهُمْ » : تطردهم وتتبع آثارهم .

(٦) « إِلٍ » : عهد .

(٧) « الذَّمَارُ » : كل ما يجب على المرء حمايته من مال وأهل وولد .

فينا الرسولُ شهابٌ ثمَّ يتبعه
الحقُّ منطقهُ والعدلُ سيرته
نَجْدُ المُقَدَّمِ ، ماضي الهَمِّ ، مُعْتَزَمٌ
يمضي ويذمُّرنا من غير معصية
بدا لنا فاتَّبِعناه نُصدِّقه
جالوا وجُلنا فما فاؤوا ولا رَجعوا
لسنا سواء وشَتَّى بين أمرهما

وقال ضِرَارُ بن الخطاب الفَهْرِي يذكرُ يومَ أحدٍ من أبيات :

ما بالُ عينك قد أزرى بها الشُّهُدُ
أمنُ فِراقٍ حبيبٍ كنتَ تألِّفه
أم ذاكَ من شُعْبٍ قومٍ لا جداءَ بهم
ما يَنتهونَ عن الغيِّ الذي رَكِبوا
وقد نشدناهم بالله قاطبةً
حتى إذا ما أبوا إلا محاربةً
سرنا إليهم بجيش في جوانبه
فأبرز الحينُ قوماً من منازلهم
وقد تركناهم للطير ملحمةً

وقالت نُعمُ امرأةُ شماس بن عثمان تبكي شماساً ، وكان أصيب يوم أحد رحمه الله ورضي

عنه :

يا عينُ جُودي بفيضٍ غيرِ إِبْسَاسٍ على كريمٍ مِنَ الفتيانِ لِبَاسٍ^(١)

(١) « من تَبَّ » : من خسران .

(٢) « يذمُّرنا » : يذفنا .

(٣) إنشاد ابن هشام لهذه القصيدة يبدأ من البيت السابع ، و أوله : يمضي ويذمُّرنا ... إلخ : انظر السيرة ١٦٨/٢ .

(٤) « لا جَداءَ » : لا جدوى ، أي : لا نفع .

(٥) « استحصدت » : تقوَّت واستحكمت .

(٦) « إِبْسَاس » : الإِباس : مسعُ ضرع الناقة بقصد إدارها ، استعارته للدمع الفائض بغير تكلف .

صعب البديهة ، ميمون نقيته
أقول لما أتى الناعي له جزعاً
وقلت لما خلث منه مجالسه
فأجابها أخوها يعزبها :

أقنني حياءك في عز وفي كرم
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
قد كان حمزة ليث الله فاصطيري
فإنما كان شماس من الناس^(١)
في طاعة الله يوم الرّوع والباس
فذاق يومئذ من كاس شماس

وذكر أبو عمر البيتين الأول والأخير من هذه الآيات الثلاثة ، ونسبها لحسان ، يعزب
أخت شماس فيه ، وهو شماس بن الشريد بن هرّمي بن عامر بن مخزوم . كذا نسبته ابن
الكلبي ، وزاد فيه أبو عمر سويداً ، بين الشريد وهرّمي ، وليس بشيء .

وشماس لقب ، واسمه عثمان بن عثمان ، قُتل يوم أحد ، ابن أربع وثلاثين سنة ، وكان
رسول الله ﷺ لا يرمي ببصره يمناً ولا شمالاً يومئذ إلا رأى شماساً في ذلك الوجه يذب
بسيفه عنه ، حتى غشي رسول الله ﷺ القوم ، فترس بنفسه دونه ، حتى قُتل ، فحُمِلَ إلى
المدينة وبه رمق ، فأدخل على عائشة ، فقالت أم سلمة : ابن عمي يُدخل على غيري ؟ فقال
رسول الله ﷺ : أحملوه إلى أم سلمة ، فحُمِلَ إليها ، فمات عندها . فأمر رسول الله ﷺ
أن يُردَّ إلى أحد فيُدفن هنالك كما هو في ثيابه التي مات فيها ، بعد أن مكث يوماً وليلة ، إلا أنه
لم يأكل ولم يشرب ، ولم يُصلِّ عليه رسول الله ﷺ ولم يُغسله .

وكان خارجة بن زيد بن أبي زهير قد أخذته الرماح يوم أحد فُجرح بضعة عشر جرحاً ،
فمرَّ به صفوان بن أمية فعرفه ، فأجهز عليه ومثّل به ، وقال : هذا ممن أغرى بأبي يوم بدر
— يعني أباه أمية بن خلف — وقد ذكر بعضهم خارجة فيمن قتل أمية ، ولما قتل صفوان بن
أمية من قتل يوم أحد ، قال : الآن شَفَيْتُ نفسي حين قتلُ الأماثل من أصحاب محمد ،
قتلت ابن قوقل و ابن أبي زهير ، وأوس بن أرقم .

(١) « صعب البديهة » : قوي في مواجهة الأمور لا يتردد . « ميمون نقيته » : حميد الأخلاق مباركها .

(٢) « أقنني حياءك » : من القنية ، أي الزمي حياءك واحفظه .

ذكر فوائد تتعلق بما ذكرناه من الأشعار

- قال السهيلي : في قول حسان « وجهل غَطَّى عليه النعيم » رواية يونس بن حبيب غطا ، مخففة الطاء ، ومعناه عنده : علا عليه النعيم .
- وقوله « لم تُطَقِّ حملَه العوائقُ منهم » يُريد بذلك أنه عندما قتل صَوَّاب مولى بني عبد الدار ، وكان عاشر مقتول تحت لوائهم سقط ، فرفعت امرأة منهم هي عَمْرَة بنت علقمة ، كما ذكرناه من قبل ، ثم طرحته .
- وفي شعر ابن الزُّبَيْرِ « عبد الأشل » يريد عبد الأشهل .
- والشَّيزِيُّ : خشب تُعمل منه القصعة ، وقيل : القصعة من خشب الجوز .
- الخُرْصُ : الرمح القصير ، وجمعه خُرْصَان .
- ومَرَاهُ : جحدَه .
- والآلةُ : الحرية .
- وسِنَان طرير : ذو هيئة حسنة .
- ومارئة : لينة ، عامل الرمح : صَدْرُهُ ، والناصيلُ : الخارج .
- والكُومُ : جمع كَوَماء ، وهي الطويلة السَّنام .
- والجلاد : أَدَسَمُ الإبل لبناً .
- وقال ابن القوطية : ثَفَنَ الرجلُ ثَفْناً : ضربَه ، وثَفَنَ الكتيبةُ : طردها .
- ذمرته : لمته وحضضته .

* * *

ذِكْرُ فَضْلِ شُهَدَاءِ أَحَدٍ

روينا عن ابن إسحاق : قال : حدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي (١) الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضير تردُّ أنهار الجنة وتأكُل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب ، فقال الله تبارك وتعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل على نبيه هذه الآيات ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ﴾ الآيات [آل عمران : ١٦٩ - ١٧٥] (٢) .

وذكر ابن إسحاق ها هنا : حدثني الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارقي نهر بباب الجنة في قبة خضراء ، يأتيهم فيها رزقهم بكرةً وعيشاً » (٣) . قرأته على السيدة مؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سلفها ، أخبرتك الشيخة أم هانئ عفيفة بنت أحمد بن عبد الله كساب ، عن أبي طاهر عبد الواحد بن محمد بن الصباغ ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن محمد بن إسحاق ، فذكره .

* * *

-
- (١) أبو الزبير : قال في نور الثبراس لوحة ١٢/ب٢ : هو محمد بن مسلم بن زيد بن أبي الزبير المكي ، روى عن عائشة وابن عباس وابن عمر ، حديثه في مسلم والبخاري مقروناً بغيره ، وله ترجمة في الميزان ٣٧/٤ .
- (٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١١٩/٢ ، وفي نور الثبراس : حديث أبي الزبير هذا ، عن ابن عباس ، ليس في الكتب الستة ولا بعضها .
- (٣) المصدر السابق ١١٩/٢ ، ورواه الحاكم في المستدرک ٧٤/٢ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

غزوة حمراء^(١) الأسد

وهي صبيحة يوم الأحد عند ابن إسحاق لست عشرة مضت من شوال . وعند ابن سعد : ثمان خلون من شوال من صبيحة أحد ، والخلاف عندهم في أحد كما سبق . قال ابن إسحاق . وأذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس ، فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان خلّفتي في أخوات لي سبع ، وقال : يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن ترك هؤلاء النسوة ، لا رجل فيهنّ ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ ، فتخلّف على أخواتك . فتخلّفت عليهن . فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرهباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبه ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد — وهي من المدينة على ثمانية أميال — واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به — كما حدثني عبد الله بن أبي بكر — معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركلهم غيبة^(٢) نصّح رسول الله ﷺ بتهامة ، صفقتهم^(٣) معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله قد عافاك فيهم . وكان معبد قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقي أبا سفيان وكفّار قريش بالروحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ في طلبهم ، ففتّ ذلك في أعضاء قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة ، فكسرهم خروجه ﷺ ، فمادوا إلى مكة .

(١) « حمراء الأسد » : اسم مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وهي على يسار الطريق .

(٢) « غيبة نصّح .. » : موضع سره وأمانته .

(٣) « صفقتهم معه » : اتفاهم .

وظَفِر رسول الله ﷺ في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه صبراً ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

وروى أن النبي ﷺ قال وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همُّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُومت لهم حجارة لو صُبَّحوا بها ، لكانوا كأمسِ الذاهب » .

قال ابن هشام : ويقال إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلَا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد كان لجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له رسول الله ﷺ ، فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث ، وتوارى ، فبعثهما النبي ﷺ ، وقال إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه^(١) .

وقال ابن سعد : ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يُحلَّ ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق ، وخرج وهو مجروح في وجهه ، ومشجوج في جبهته ، ورباعيته قد شَطِيت^(٢) ، وشقته السفلى قد كلمت في باطنها ، وهو متوهن منكبه — يعني الأيمن — من ضربة ابن قمئة ، وركبناه مجحوشتان^(٣) ، وحشد أهل العوالي ونزلوا حيث أتاهم الصريح ، وركب رسول الله ﷺ فرسه ، وخرج الناس معه ، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم ، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد . قال : وللقوم زَجَلٌ وهم يأتَمرون بالرجوع ، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك ، فبَصُرُوا بالرجلين ، فغطفوا عليهما فقتلوهما ، ومَضَوْا ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه ، حتى عسكرُوا بحمراء الأسد ، وكان المسلمون يُوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهب صوتُ معسكرهم ونيرانهم في كل وجه ، فكَبَّتْ الله تبارك وتعالى بذلك عدوَّهم^(٤) .

وكان دليُّه ﷺ إلى حمراء الأسد ثابت بن الضحاك بن ثعلبة من الخزرج وليس بأخي أبي جَبيرة بن الضحاك ، ذاك أوسي من بني عبد الأشهل ، وله حديث في النبي عن المزارعة رواه مسلم^(٥) ، ومن الناس من يجعل ذلك الحديث لثابت هذا ، وليس بشيء .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٠١/٢ — ١٠٥ .

(٢) « شَطِيت » : كسرت .

(٣) « مجحوشتان » : من الجحش ، وهو اتخذ الشَّجَل .

(٤) الطبقات الكبرى ٤٩/٢ .

(٥) رواه مسلم في المساقاة (باب المزارعة والمؤاجرة) رقم ١٥٤٩/١ .

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد

روينا عن ابن سعد ، قال : ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن ، وهو جبل بناحية قيد — ماء لبني أسد بن خزيمه — في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد ، قد سارا في قومهما ، ومن أطاعهما ، يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة ، وعقد له لواء ، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد ، فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم . فخرج ، فأغذ السير ، ونكب عن سنن الطريق ، وسبق الأخبار ، وانتهى إلى أدنى قطن ، فأغار على سرح لهم ، فضمه ، وأخذ رعاء لهم ممالك ثلاثة ، وأفلت سائرهم ، فجاءوا جميعهم فحذروهم ، فتفرقوا في كل ناحية ، ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاء ، فأبوا إليه سالمين ، قد أصابوا إبلاً وشاء ، ولم يلقوا أحداً ، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة (١) .

سرية عبد الله بن أنيس

قال ابن سعد : ثم سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن ثبيح الهذلي بعرة ؛ خرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني — وكان ينزل عرة وما والاها — في ناس من قومه ، قد جمع الجموع لرسول الله ﷺ ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس ليقتله ، فقال : صفه لي يا رسول الله . فقال : « إذا رأيته هبته وفرقت منه » ، وذكرت الشيطان . قال : وكنت لأهاب الرجال ، فاستأذنت رسول الله ﷺ أن أقوم ، فأذن لي ، فأخذت سيفي وخرجت أعترى إلى خزاعة ، حتى إذا كنت ببطن عرة ، لقيته بمشي ووراء الأحابيش ومن ضوى إليه ، فعرفته بنعت رسول الله ﷺ ، وهبته ، فرأيتني أظطر عرقاً ، فقلت : صدق الله ورسوله ﷺ . فقال : من

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٠/٢ .

الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني خُزاعة ، سمعتُ بجمعك لحمد ، فجتُّك لأكونَ معك . قال : أجل ، إني لأجمع له ، فمَشَيْتُ معه ساعةً وحدثته ، فاستحلى حديثي ، حتى انتهى إلى خِباته ، وتفرق عنه أصحابُه (قال لي : يا أخا خزاعة ! هلم ، فجتته : فقال لي : اجلس ، فجلستُ^(١)) حتى إذا هدا الناسُ وناموا ، اغتررتُه فقتلته ، وأخذتُ رأسه ، ثم دخلتُ غاراً في الجبل ، وضربتُ العنكبوتَ عليّ ، وجاء الطلبُ فلم يجدوا شيئاً ، فانصرفوا راجعين ، ثم خرجتُ فكنْتُ أسيرُ الليلَ وأتوارى بالنهار ، حتى قدمتُ المدينة ، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد ، فلما رآني ، قال : « أفلح الوجه » . قلت : أفلح وجهُك يا رسولَ الله . فوضعتُ رأسه بين يديه ، وأخبرتهُ خبري ، فدفعَ إليّ عصاً ، فقال تخصّرْ بهذه في الجنة . فكانت عنده ، فلما حضرتهُ الوفاةُ ، أوصى أهله أن يُدرجوها في كفنه ، ففعلوا ، وكانت غيبتهُ ثمانِي عشرةَ ليلةً ، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم^(٢) .

وقال ابن عقبة : جعلوها في كفنه بين جلده وثيابه .

وقال موسى بن عقبة أيضاً : فزعموا أن رسولَ الله ﷺ أخبر بموته قبل قدوم عبد الله بن أنيس .

قال ابن هشام : وقال عبدُ الله بن أنيس في ذلك :

تركتُ ابنَ ثورٍ كالخَوَارِ وحولَه	نوائحُ تفري كلِّ جيبٍ مُقَدَّد
تناولتُه والظُّنُّ خلفي وخلفه	بأبيضَ من ماء الحديد مُهند
أقول له والسيْفُ يعجمُ رأسه	أنا ابنُ أنيسٍ فارساً غيرَ قُعْدُد
وقلتُ له خذها بضربةٍ ماجدٍ	حنيفٌ على دينِ النبيِّ محمد
وكنْتُ إذا همَّ النبيُّ بكافرٍ	سبقْتُ إليه باللسان وباليَد ^(٣)

● وقوله : يَعْجُمُ رأسه : من قولهم فلان يَعْجُمُ التمرة : أي يلوكها ويعضُّها .

● والقُعْدُد : الجبان .

(١) ما بين القوسين أثبتناه من « ج » .

(٢) الطبقات الكبرى ٥٠/٢ - ٥١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٠/٢ .

● قال ابن عقبة : ولا ندري من أين بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس إلى ابن نُبَيْح ، أمن المدينة أم من غيرها ؟ .

* * *

بعث الرجيع

وكان في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ عند ابن سعد^(١).

روينا من طريق البخاري ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم ، أخبرنا ابن شهاب ، أخبرني عمرو بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة ، وكان من أصحاب أبي هريرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، بعث رسول الله ﷺ عشرة^(٢) غيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري ، جد^(٣) عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتى إذا كانوا بالهدأة ، بين عُسفان ومكة ، ذكروا لحَيٍّ من هذيل ، يُقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام ، فاقتصموا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم التمر في منزل نزله ، فقالوا : تمر يُفرب ، فأتبعوا آثارهم ، فلما حسَّ بهم عاصم وأصحابه ، لجؤوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً . فقال عاصم بن ثابت : أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ثم قال : اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ ، فرمهم بالنبل فقتلوا عاصماً ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق ، منهم خبيب ، وزيد بن الدثنة ، ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث^(٤) : هذا أولُ الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء أسوة — يُريد القتلى — فجرّروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبهم ، فأنطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً ، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٥/٢ .

(٢) « غيناً » : العَيْنُ : هو الذي يتجسس الأخبار .

(٣) صوابه « خاله » لا جدّه ؛ لأن والدته عاصم هي جميلة بنت ثابت الأنصاري ، وعاصم أخوها . قال القاضي

عياض : إذا قرئ « جدٌ » بالكسر على أنه صفة لثابت ؛ استقام الكلام . انظر فتح الباري ٣١٠/٧ .

(٤) هو عبد الله بن طارق الظفري ، حليف لهم .

يستحذُّ بها ، فأعارته فدرج بُني لها وهي غافلة حتى أتاه ، فوجدته مُجلّسه على فخذِه والموسى بيده ، قالت : ففرعتُ فرعةً عرفها خبيبٌ ، فقال : أَتُحْشِنُ أَنْ أَقْتَلَ ، ما كنت لأفعل ذلك . قالت : والله ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطْفاً^(١) من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة ، وكانت تقولُ : إنه لرزق رزقه الله خُبياً . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ ، قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت ، ثم قال اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تُبق منهم أحداً ، ثم أنشأ يقول :

فلستُ أبالي حين أُقتل مُسلماً على أي جنبٍ كان الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالٍ شِلُو مُمَزَّعٍ^(٢)

ثم قام إليه أبو سيرة عقبة بن الحارث فقتله . وكان خبيب هو سنٌ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة . وأخبر رسولُ الله ﷺ أصحابه يوم أُصيبوا خبرهم ، وبعث ناساً من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حَدَّثوا أنه قُتل أن يُؤثروا بشيء منه يُعرف — وكان قتل عظيماً من عظمائهم — فبعث الله لعاصم مثل الظلة^(٣) من الدُّبر ، فحتمته من رسلهم ، فلم يقدرُوا أن يقطعوا منه شيئاً — كذا روينَا في هذا الخبر من طريق البخاري^(٤) في جامعه ، وفيه أن خُبياً هذا قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، وليس ذلك عندهم بمعروف ، وإنما الذي قتل الحارث بن عامر خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جُشم بن الحارث بن الخزرج . وخبيب بن عدي لم يشهد بدرأ عند أحد من أرباب المغازي .

وروينَا عن ابن إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : وقدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهطٍ من عَصَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث معهم نفرأ ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد العنوي حليف

(١) « قِطْفاً » : عنقوداً .

(٢) « شِلُو مُمَزَّع » : جسد مقطع .

(٣) « الظِّلَّة » : السحابة .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الرجيع) رقم / ٤٩٨٦ .

حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير اللبني حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَجَا بن كُلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدُّثَّة أخو بني بياضة ، وعبد الله بن طارق حليف بني ظَفَر . وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء هذيل — غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسياфهم ليقتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله لا نريد قتلکم ، ولكنَّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، فأبوا ، فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً ، وقاتلوا حتى قتلوا . فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سِلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتشربن فيه الخمر .

قال أبو جعفر الطبري : وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فمَنعه الدُّبَر ، فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا دعوه حتى يُمسي فنأخذهُ ، فبعث الله الوادي فاحتملَ عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ أعطى الله عهداً أن لا يمسه مُشركٌ ، ولا يمسُّ مشركاً أبداً .

وأما زيد بن الدُّثَّة وخبيبٌ وابن طارق فلانوا ورقوا ، ورجعوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزعَ عبدُ الله بن طارق يده من القرآن^(١) ، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم ، فرمَوْه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظهران رحمه الله .

وأما خبيبٌ وزيدٌ فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيباً حجيرٌ بن أبي إهاب التميمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتلَه بأبيه . وأما زيدٌ بن الدُّثَّة فابتاعه صفوانُ بن أمية ، ليقتلَه بأبيه ، فأخرجه مع مولى له يُقال له نسطاس إلى التنعيم خارج الحرم ليقتلَه ، واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن

(١) « القرآن » : الحبل .

حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ ليقْتَلَ : أنشدك بالله يا زيد أتُحِبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك تُضْرَبُ عنقه وأنت في أهلِكَ ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُهُ شوكةٌ تؤذيه وأناي للجالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمد محمداً . ثم قتلَهُ نسطاسُ يرحمه الله^(١) .

ورأيت في كتاب « ذيل المذيل » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، لحسان بن ثابت يرثي أصحاب الرجيع الستة :

ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق وزيداً وما تُغني الأمانى ومرثداً
ودافعت عن حبيبي حبيب وعاصم وكان شفأء لو تداركتُ خالداً

وذكر ابن سعد أن البعث كانوا عشرة ، وذكر الستة الذين ذكرناهم ، وزاد : ومُعْتَب بن عُبيد ، وهو أخو عبد الله بن طارق لأمه ، ولم يذكر الباقيين^(٢) .

وذكر ابن عقبة أيضاً مُعْتَب بن عُبيد فيهم ، وذكر أن الذي قيل له : أُتُحِبُّ أن محمداً مكانك ؟ هو حُبيِّب بن عدي ، حين رُفِعَ على الخشبة ، فقال : لا والله . فضحكوا منه . قال : وقال حُبيِّب : اللهم إني لا أجدُ إلى رسولك رسولاً غيرك ، فأبلغه مني السلام ، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قُتِلَ فيه : وعليكما — أو عليك — السلام ، حبيبٌ قتلته قريش . ولا يدرون أذكر زيد بن الدثنة معه أم لا ؟ .

وزعموا أنهم رموا زيد بن الدثنة بالنبل ، وأرادوا فنته ، فلم يزد إلا إيماناً وثباتاً ، وزعموا أن عمرو بن أمية الضمري دفن حُبيِّباً . قال أبو عمر : وروى عمرو بن أمية الضمري ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى حُبيِّب بن عدي لأنزله من الخشبة ، فصعدت خشبته ليلاً ، فقطعت عنه ، وألقيته ، فسمعت وَجَبَةً^(٣) خلفي ، فالتفتُ فلم أر شيئاً .

وقال ابن عقبة : واشترك في ابتياع حُبيِّب — كما زعموا — أبو إهاب بن عزيز ، وعكرمة بن أبي جهل ، والأخنس بن شريق ، وعبيدة بن حكيم بن الأوقص ، وأمّية بن أبي

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٦٩/٢ — ١٧٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٥/٢ .

(٣) « وجبة » : صوت شيء يسقط .

عتبة ، وبنو الحضرمي ، وصفوان بن أمية بن خلف ، وهم أبناء من قُتل من المشركين يوم بدر ، ودفعوه إلى عتبة بن الحارث ، فسجنه في داره .. الحديث .

وكان فيما أنزل الله تعالى في المنافقين الذين كانوا يلمزونهم ، وفيهم ، من القرآن : ﴿ ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ إلى أن ذكرهم فقال : ﴿ ومن الناس من يَشري نفسه ابتغاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤ — ٢٠٧] الآيات .

ومما قاله حسان يهجو هذيلاً :

أحاديثُ كانت في خبيب وعاصم	لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك
ولحيان رَكَّابون شرَّ الجرائم	أحاديثُ لحيان صَلُّوا بقييحها
أمانتهم ذا عِقَّة ومكَّارم	هم غَدَرُوا يومَ الرَّجيعِ وأسلمت
وإن ظَلَمُوا لم يدفعوا كَفَّ ظالم	قَبِيلَةٌ ليس الوفاء بهمهم
بمجرى مسيل الماء بين المخارم	إذا الناسُ حَلُّوا بالفضاء رأيتهم
إذا نابهم أمرٌ كرأي الهائم	محلهم دارُ البوار ورأيهم

● الدُّبُرُ : ذكر النحل .

* * *

قصة بئر معونة

وكانت في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد عند ابن إسحاق ، قال : وكان من حديثهم كما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم^(١) وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مَلَاعِبُ الأَسنة على رسول الله ﷺ فعرضَ عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يُبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أخشى أهل نجد عليهم » . قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة المُعَتِق ليموت ، في أربعين — وعن غير ابن إسحاق : في سبعين — رجالاً من أصحابه ، من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب ، فلما نزلوها ، بعثوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عُصَيَّة ورِعْلًا ، فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غَشَوْا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم رحمهم الله ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ ، فَأَرُتْ^(٢) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً رحمه الله . وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل آخر من الأنصار ، أخذ بني عمرو بن عوف . قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجُلّاح .

(١) في جميع النسخ : عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، والتصحيح من السيرة النبوية ١٨٤/٢ وتقريب التهذيب ص ٣٢٠ وهامش « د » .

(٢) « فَأَرُتْ » : حُمل من المعركة مرتناً ، أي : جريحاً وبه رمق .

قال ابن إسحاق : فلم يبينهما بمصائب أصحابهما إلا الطير ، تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا ينظران ، فإذا القوم في دماثهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتل القوم حتى قتل رحمه الله ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أخذه عامر بن الطفيل وجزأ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر ، حتى نزلا معه في ظل هو فيه ، فكان مع العامرين عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثورة^(٢) من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، قال رسول الله ﷺ : لقد قتل قتيلين ، لأدينهما . ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً ، فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه .

وقال حسان بن ثابت يُحرّض بني أبي براء على عامر بن الطفيل :

بنو أم البنين ألم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي	فما أحدث في الحدّثان بعد
أبوك أبو الحروب أبو براء	وخالك ماجد حكم بن سعد

● أم البنين : هي أم براء ، من بني عامر بن صعصعة .

فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع في فخذه فأشواه^(٣) ، ووقع عن فرسه فقال هذا عمل أبي براء ، إن أنا مت فدمي لعمي فلا يتبعن به ،

(١) « القرقرة » : هي قرقرة الكدر ، موضع بناحية المعدن « مهد الذهب » .

(٢) « ثورة » : ثاراً .

(٣) « فأشواه » : أصابه وأخطأ مقتله .

وإن أعش فسأرى رأيي^(١) .

قال أبو عمر : ذكر عبد الرزاق : عن معمر ، عن ثُمَامَةَ بن عبد الله بن أنيس ، عن أنس بن مالك ، أن حَرَامَ بن ملحان ، هو خال أنس ، طعن يومَ بئر معونة في رأسه ، فتلَّقَى دمه بكفه ثم نَضَحَهُ على رأسه ووجهه ، وقال : فزت ورب الكعبة . وقيل : إن حرام بن ملحان ارْتُثَّ يومَ بئر معونة ، فقال الضحَّاك بن سُفيان الكِلَابِي — وكان مسيلماً يَكْتُمُ إسلامه — لامرأة من قومه : هل لك في رجل إن صحَّ كان نعم المراعي ؟ فضمتَه إليها فعالجته ، فسمعتَه يقول :

أتت عامرٌ ترجو الهوادةَ بيننا وهل عامرٌ إلا عدوٌّ مُداجن
إذا ما رجعنا ثم لم تكِ وقعةٌ بأسيا فنا في عامرٍ أو نُطاعن
فلا ترجونا أن تقاتلَ بعدنا عشائرنا والمقربات الصوافن
فوثبوا عليه فقتلوه ، والأول أصح .

وقُتل يومئذ عامر بن فُهَيْرَة ، قتله عامر بن الطفيل . ومن طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما قدم عامرُ بن الطفيل على رسول الله ﷺ ، قال له : من الرجل الذي لما قُتل رأيته رُفِعَ بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء دونه ، ثم وُضِعَ ؟ فقال له : هو عامر بن فُهَيْرَة^(٢) .

وروى ابن المبارك : عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فُهَيْرَة قُتل يومئذ ، فلم يُوجد جسده حين دفنوا ، يرون أن الملائكة دفنته ، رحمه الله ، والله أعلم بالصواب .

ومن استشهد يومَ بئر معونة^(٣) عامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر الصديق ، وهو ابن أربعين سنة ، قديم الإسلام ، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دارَ الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٨٣/٢ — ١٨٨ .

(٢) السائل هو عامر بن الطفيل ، كما في الروض الأنف ؛ للسيوطي ٢٣٩/٣ وانظر رواية البكائي عن ابن إسحاق في السيرة النبوية ١٨٦/٢ .

(٣) « بئر معونة » : في أرض بني سُليم ، فيما بين مكة والمدينة .

والحكم بن كيسان ، مولى بني مخزوم ، والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح ، وأبو عبيدة بن عمرو بن مَحْصَن ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول ، وأبي بن معاذ بن أنس بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأخوه أنس . وابن إسحاق وابن عقبة يُسميانه أوساً ، والواقدي يقول : إن أنساً هذا مات في خلافة عثمان .

وأبو شيخ بن أبي بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، وحَرَامٌ وسُلَيْمٌ ابنا مِلْحان بن خالد بن زيد بن حَرَام بن جندب بن عامر بن غَنَم بن عدي بن النجار ، واسم مِلْحان : مالك ، وهما أخوا أُمِّ سُلَيْم أُم أنس بن مالك ، وأخوا أُم حَرَام امرأة عُباد بن الصامت . ومالك وسفيان ابنا ثابت من الأنصار ، من بني النُبَيْت ، وذلك مما انفرد به محمد بن عمر الواقدي ، لم يُوجد ذكر مالك وسفيان في شهداء بئر معونة عن غير محمد بن عمر .

وعروة بن أسماء بن الصلت ، من بني عمرو بن عوف ، من حلفائهم ، وقُطَيْبٌ بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، والمنذر بن عمرو بن حُنَيْس بن لَوْذَان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة ، وهو أميرهم .

ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر بن زُرَيْق ، وأخوه عائذ . وغير الواقدي يقول : جرح معاذ بيدر ، ومات منه بالمدينة ، وقيل في عائذ : مات باليامة .

ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر بن زُرَيْق عند الواقدي ، وأما ابن القَدَّاح فقال : مات بخيبر .

وخالد بن ثابت بن النعمان بن الحارث بن عبد رَزَّاح بن ظَفَر ، وقيل : بل قُتِل خالد بن ثابت بمؤتة .

وسفيان بن حاطب بن أمية بن رافع بن سُويد بن حَرَام بن الهيثم بن ظَفَر ، وسعد بن عمرو بن ثَقَف ، واسمُه كعب بن مالك بن مبدول ، وابنه الطُّفَيْل وابن أخيه سهل بن عامر بن سعد بن عمرو بن ثَقَف ، وعبدُ الله بن قيس بن صِرْمَة بن أبي أنس بن صِرْمَة بن

مالك بن عدي بن النجار ، ونافع بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي ، وفيه يقول عبد الله بن راحة يرثيه :

رحم الله نافع بن بُذيل رحمة المتنفي ثواب الجهاد
صابراً صادق اللقاء إذا ما أكثر القوم قال قول السداد^(١)

ذكر هؤلاء المستشهدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه « ذيل المذيل » من رواية ابن عبد البر ، عن أبي عمرو أحمد بن محمد بن الجسور ، عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الخفاف ، عنه . ومن أصل أبي عمرو بن عبد البر نقلت .
وعند ابن سعد : فيهم الضحّاك بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار^(٢) .

وذكر ابنُ القُدّاح فيهم عمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطف بن ضبيعة من بني عمرو بن عوف ، واسمه عند ابن إسحاق عمرو ، وهو عند ابن القُدّاح عُمير .
وذكر ابنُ الكلبي خالد بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار في شهداء بئر معونة .

وذكر أبو عمر الثُمري في « الاستيعاب » سهيل بن عامر بن سعد فيهم ، وأظنه سهل بن عامر الذي ذكرناه ، على أنه ذكر ذلك في ترجمتين إحداهما في باب سهل والأخرى في باب سهيل .

والمختلف في قتله في هذه الواقعة مختلف في حضوره ، فأرباب المغازي متفقون على أن الكل قُتلوا إلا عمرو بن أمية الضمّري ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، فإنه جرح يوم بئر معونة ، ومات بالخنوق .

(١) الاستيعاب ٥٤١/٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٥٢/٢ .

وقال ابن سعد : لما أحيط بهم قالوا : اللهم إنا لا نجد من يُبلغُ رسولك منا السلام غيرك ، فأقرئه منا السلام ، فأخبره جبريلُ عليه السلام بذلك ، فقال : وعليهم السلام . وقال : فقد عمرو بن أمية عامر بن فهيرة من بين القتلى ، فسأل عنه عامر بن الطفيل ، فقال : قتله رجلٌ من بني كلاب يقال له جبار بن سلمى ، فلما قتله قال : فرتُ والله ، ورفُِعَ إلى السماء ، فأسلم جبار بن سلمى لما رأى من قتل عامر بن فهيرة ورفُيعه . وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَارَتْ جُثَّتَهُ ، وَأُنْزِلَ فِي عِلِّيِّينَ »^(١) .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عاصم ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ وَجَدَ على أحد ما وَجَدَ على أصحاب بئر معونة^(٢) .

وروينا من طريق مسلم ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأتُ على مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : دعا رسولُ الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابَ بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رِعل ولحيان وعُصَيَّة ، عصت الله ورسوله . قال أنس : أنزل الله في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه ثم نُسخَ بعدُ : أَنْ بَلَغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فِرْضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ^(٣) .

كذا وقع في هذه الرواية ، وهو يُوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة ، وليس كذلك ، وإنما أصاب هؤلاء رِعل وذُكُوان وعُصَيَّة ومنَ أصحابهم من سليم . وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع ، وإنما أتى الخبرُ إلى رسول الله ﷺ عنهم كُلِّهِمْ في وقت واحد ، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاءً واحداً .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٢/٢ — ٥٤ .

(٢) رواه مسلم في المساجد (باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة) رقم / ٦٧٧ / .

غزوة بني النضير

وهي عند ابن إسحاق في شهر ربيع الأول ، على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد .
وقال البخاري^(١) : قال الزهري ، عن عروة : كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد .

قال موسى بن عقبة : وكانوا قد دُسُّوا إلى قريش في قتال رسول الله ﷺ فحَضُّوهم على القتال ، ودَلُّوهم على العورة .

قال ابن إسحاق وغيره : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف ، فلما أتاها رسول الله ﷺ يستعينهم في ديتهما ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه (اجلس حتى تطعم وترجع بحاجتك ، فجلس إلى ظل جدار من جُدُر بيوتهم)^(٢) ؛ ثم خلا بعضهم ببعض ، وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم^(٣) .

وقال ابن سعد : فقال سلام بن مشكم — يعني لليهود — لا تفعلوا ، والله ليُخيرنَّ بما هممت به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه^(٤) .

(١) ذكره البخاري تعليقاً في المغازي (باب حديث بني النضير) .

(٢) ما بين القوسين زيادة من « ج » و « د » .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩٠/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٧/٢ .

رجع إلى خمر ابن إسحاق : قال : فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً من المدينة مُقبلاً ، فسألوه ، فقال : رأيته داخلاً إلى المدينة ، فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت أرادت يهود من الغدر به ^(١) .

قال ابن عتبة : ونزل في ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
أَنْ يَسْتُطُوا .. ﴾ الآية [المائدة : ١١] .

رجع إلى خمر ابن إسحاق : فأمر رسول الله ﷺ بالتهيو لحربهم والسير إليهم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم — فيما قال ابن هشام — قال : ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليالٍ ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ .

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعه بن مالك بن أبي قوئل ، وشويد ، وداعس ، بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُجاليهم ويكف عن دماهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ^(٢) ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف بابه ^(٣) فيضعه على بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام ، واخلوا الأموال ^(٤) لرسول الله ﷺ ، فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩٠/٢ .

(٢) « الحلقة » : السلاح ، أو هو الدروع خاصة ، والمراد الأول .

(٣) « نجاف بابه » التَّجَاف : العتبة التي بأعلى الباب ، أما التي في أسفله فتسمى الأسكفة .

(٤) « الأموال » : بساكن النخيل .

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عُمر^(١) — أبو كعب وابن عم عمرو بن جَحَّاش — وأبو سعد^(٢) بن وَهَب ، أسلما فأحرزا أموالهما بذلك ، ويُقال : إن رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم تر إلى ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأني ، فجعل يامين جُعلاً لمن يقتله ، فقتل^(٣) .

ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر . قال ابن عقبة : ولحق بنو أبي الحقيق بخير ومعهم آية كثيرة من فضة ، قد رآها النبي ﷺ وأصحابه حين خرجوا بها ، وعمد حيي بن أخطب حتى قدم مكة على قريش ، فاستغواهم على رسول الله ﷺ ، واستنصرهم ، وبين الله عز وجل لرسول الله ﷺ حديث أهل النفاق ، وما بينهم وبين اليهود .

وفيا ذكر ابن سعد من الخبر عن بني النضير : أنهم حين هموا بغدر رسول الله ﷺ ، وأعلمه الله بذلك ، ونهض سريعاً إلى المدينة ، بعث إليهم محمد بن مسلمة : أن اخرجوا من بلدي ، فلا تسكنوني بها ، وقد هممت بما هممت به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً ، فمن روي بعد ذلك ضربت عنقه . فمكثوا على ذلك ، أياماً يتجهزون ، وأرسلوا إلى ظهر^(٤) لهم بذي الجدر^(٥) ، وتكازوا^(٦) من ناس من أشجع إبلاً . فأرسل إليهم ابن أبي : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي ومن العرب ، يدخلون حصنكم فيموتون من آخرهم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . فطمع حيي فيما قال ابن أبي ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ : إنا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك . فأظهر رسول الله ﷺ التكبير ، وكبر المسلمون لتكبيره ، وقال : حارب يهود . فسار إليهم النبي ﷺ في أصحابه ، فصلّى العصر بفناء بني النضير ، وعليّ يحمل رايته ، واستخلف على

(١) في جميع النسخ : يامين بن عمرو بن كعب ابن عم عمرو بن جَحَّاش . والتصحيح من نور النبراس والإصابة ٦٤٨/٣ .

(٢) في جميع النسخ : أبو سعيد ، والتصحيح من نور النبراس والإصابة ٨٧/٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩١/٢ — ١٩٢ .

(٤) « ظهر » : إبلى .

(٥) « بذي الجدر » : كان على ستة أميال من المدينة من ناحية قباء .

(٦) « تكازوا » : اكتروا المراكب من الإبل واستأجروها .

المدينة ابن أم مكتوم . فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم ، معهم التل والحجارة ، واعتزلتهم قريظة فلم تُعْنِهم ، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان ، فيسوا من نصرهم ، فحاصرهم رسول الله ﷺ ، وقطع نخْلهم . فقالوا : نحن نخرج عن بلادك . فقال : لا أقبِلُه اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة . فزلت يهود على ذلك ، وكان حاصرهم خمسة عشر يوماً ، فكاثوا يُخربون بيوتهم بأيديهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، وولي إخراجهم محمد بن مسلمة ، وحملوا النساء والصبيان ، وتحملوا على ستائة بعير . فقال رسول الله ﷺ : هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش . فلاحقوا بخير ، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً ، وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة خمسين درعاً ، وخمسين بيضة ، وثلاثمائة وأربعين سيفاً .

وكانت (أموال) بني النضير صفياً^(١) لرسول الله ﷺ ، حَسَباً لنوائبه^(٢) ، ولم يُخْمَسْها ، ولم يُسهم منها لأحد ، وقد أعطى ناساً من أصحابه ، ووسّع في الناس منها^(٣) .

وذكر أبو عبد الله الحاكم في كتاب « الإكليل » له ، بإسناده إلى الواقدي ، عن معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن خارجة بن زيد ، عن أم العلاء ، قالت : طار لنا عثمان بن مظعون في القرعة ، فكان في منزلي حتى توفي ، قالت : فكان المسلمون والمهاجرون في دورهم وأموالهم ، فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير ، دعا ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : ادع لي قومك . فقال ثابت : اخرج يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : الأنصار كلها . فدعا له الأوس والخزرج ، فتكلّم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الأنصار ، وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم ، وأثرتهم على أنفسهم . ثم قال : إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فتكلّم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ، فقالا : يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا . ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا

(١) « صفياً » : ما يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنائم قبل القسمة ، يضعه حسب المصلحة حيث يشاء .

(٢) « لنوائبه » : النوايب : الطوارئ والنوازل .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٧/٢ - ٥٨ .

يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » . فقسم رسول الله ﷺ ما أفاء الله عليه ، وأعطى المهاجرين ، ولم يُعطِ أحداً من الأنصار شيئاً إلا رجلين كانا محتاجين : سهل بن حنيف ، وأبا دُجانة . وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ، وكان سيفاً له ذكر عندهم .

وذكر أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، في كتاب « فتوح البلدان » له ؛ أن رسول الله ﷺ قال للأنصار : ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شتمت قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شتمت أمسكت أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة ، فقالوا : بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت ، فنزلت : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] قال أبو بكر رضي الله عنه : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً ، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطين فزلت
أبوأ أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت^(١)

قال : وكانت أموال بني النضير خالصة لرسول الله ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل في أرضهم ، فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح .

وروينا من طريق البخاري ، قال : حدثني إسحاق ، أخبرنا جبان ، حدثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير ، قال : ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبؤيرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث :
أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بؤز وتعلم أي أرضينا تضير^(٢)

هذه رواية البخاري^(٣) .

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) « بزه » : بنأى .

(٣) رواه البخاري في المغازي (باب حديث بني النضير) رقم ٤٠٣٢ / .

وقال أبو عمرو الشيباني وغيره : إن أبا سفيان بن الحارث قال :
لَعَزَّ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُيُوتِ مُسْتَطِيرٌ
وَيُرَوَّى بِالْبُيُوتِ .

وذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ أعطى الزبير بن العوام وأبا سلمة البؤيلة من أرضهم ،
فأجابه حسان :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكُمْ حَرِيقاً وَضُرَّمْ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ
هُمُ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ فَهَمَّ عُمِّي عَنْ التَّوَارَةِ بُورُ
هذه أشبه بالضواب من الرواية الأولى .

* * *

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير شهر ربيع .
وقال الواقشي : الصواب شهري ربيع وبعض جمادى .

ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال عثمان بن عفان — فيما قال ابن هشام — وقال : حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرقاع ، وسُميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويُقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع ، وقيل : لأن أقدامهم نَقِبَتْ^(١) ، فكانوا يَلْقُونَ عليها الحِرْقَ ، وقيل : بل الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقني بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صَلَّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس^(٢) .

قال ابن سعد : وكان ذلك أول ما صلاها^(٣) .

وبين الرواة خُلِفَ في صلاة الخوف ، ليس هذا موضعه .

رجع إلى الأول : قال ابن إسحاق : حدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رجلاً من بني محارب ، يقال له غُورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتكُ به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ وسيفه في حجره . فقال : يا محمد ! أنظرني إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأخذه فاستله ، ثم جعل يهره ويهمهم ، فيكبتهم الله . ثم قال : يا محمد أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك . قال : وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، بل يمنعي الله منك . قال : ثم

(١) « نَقِبَتْ » : رُقَّ باطنها ؛ لما تُصادفه من خشونة الأرض ، رقة تمنعهم من مواصلة السير حفاة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦١/٢ .

عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فردّه عليه . فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم .. ﴾ (١) الآية [المائدة : ١١] .

وقد رواه من حديث جابر أيضاً أبو عوانة ، وفيه : فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال الأعرجي : أعاهدك أني لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يُقاتلونك . قال : فخلني رسول الله ﷺ سبيله ، فجاء إلى قومه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس (٢) .

قلت : وقد تقدم في غزوة ذي أمر خير لرجل يقال له دُعْثُور بن الحارث ، من بني مُحارب يُشبه هذا الخير ، قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ، فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : الله . ودفع جبريل في صدره ، فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، وقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى إسلام ، ونزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... ﴾ الآية [المائدة : ١١] والظاهر أن الخيرين واحد . وقد قيل : إن هذه الآية نزلت في أمر بني النضير كما سبق ، فالله أعلم .

وفي انصرافه عليه الصلاة والسلام من هذه الغزوة أبطاً جملُ جابر بن عبد الله به ، فنحسه النبي ﷺ ، فانطلق متقدماً بين يدي الرّكّاب ، ثم قال : أتبيعنني ؟ فابتاعه منه ، وقال له : لك ظهره إلى المدينة . فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن ووهب له الحمل (٣) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٥ .

(٢) رواه أبو عوانة في مسنده ٢/٣٦٥ ، وفي إسناده يحيى بن أبي كثير ، ذكر بالتدليس .

(٣) قال برهان الدين الحلبي : وفي انصرافه عليه الصلاة والسلام من هذه الغزوة أبطاً جملُ جابر . اعلم أن في البخاري ؛ أن قصة الحمل كانت بطريق تبوك ولكنه مُعَلَّق ، وفي مسلم في البيوع أنه كان في رجوعه من مكة إلى المدينة . وقال ابن إمام الجوزية في غزوة ذات الرقاع مالفظة : وقد ذكر أن قصة بيع جملُ جابر إلى النبي ﷺ كانت في غزوة ذات الرقاع ، وقيل : في رجوعه من تبوك ، وقيل : في إخباره للنبي ﷺ أنه تزوج امرأة ثيباً تقوم على أخواته وتكفلهم ؛ إشعاراً بأنه بادر إلى ذلك بعد مقتل أبيه ، ولم يؤخر إلى عام تبوك ، والله أعلم . نور النيراس لوحة ٢ ب/٣٠ . والحديث رواه البخاري في مواضع عديدة أولها الوكالة (باب إذا وكل رجل رجلاً أن يعطي شيئاً ولم يُبين كم يُعطي) رقم ٢٣٠٩/ ، ورواه مسلم في المساقاة (باب بيع البعير

وقال ابن سعد : قالوا : قدم قادم المدينة بجلب له ، فأخبر أصحاب النبي ﷺ أن أنمار
وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج ليلة السبت لعشر خلون
من المحرم في أربعمائة من أصحابه ، ويقال سبعمائة ، فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع ،
فلم يجد في محالهم إلا نسوة ، وبعث رسول الله ﷺ جعّال بن سُرّاقة بشيراً بسلامته وسلامة
المسلمين ، قال : وغاب خمس عشرة ليلة^(١) .

وروي في صحيح البخاري^(٢) ، من حديث أبي موسى ، أنهم تَقَبَّطْ أقدامهم ، فلفوا
عليها الخرق ، فَسُمِّيتْ غزوة ذات الرقاع ، وجعل حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة
ذات الرقاع متأخرة عن خيبر ، وذلك أن أبا موسى إنما قدم مع أصحاب السفينتين بعد هذا
بثلاث سنين ، والمشهور في تاريخ غزوة ذات الرقاع ما قدّمناه ، وليس في خبر أبي موسى
ما يدلُّ على شيء من ذلك .

● وغورث : مقيد بالغيث معجمة ومهملة ، وهو عند بعضهم مصغرٌ بالعين المهملة .

= واستثناء ركوبه (رقم / ٧١٥ / كما روت أجزاء منه كتب السنن الأربعة ، وانظر القصة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٦/٢ — ٢٠٧ .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦١/٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة ذات الرقاع) رقم / ٤١٢٨ / .

غزوة بدر الأخيرة

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى إلى آخر رجب ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمان ليالٍ ينتظرُ أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّةَ من ناحية الظَّهران ، وبعضُ الناس يقول قد بلغ عُسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامٌ جذب ، وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، وسماهم أهلُ مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّويق . وأقام رسولُ الله ﷺ على بدر ينتظرُ أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخَشِيُّ بن عمرو الضَّمْري ، وهو الذي كان وادَّعه على بني ضَمْرَةَ في غزوة ودان ، فقال : يا محمد أجنث لميعاد قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أبا بني ضَمْرَةَ ، وإن شئت مع ذلك رَدَدْنَا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالَدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك حاجة . ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة^(١) .

وروى الحاكم في «الإكلیل» عن الواقدي ، قال : وكان رسولُ الله ﷺ قد خرج في هذه الغزوة في ألف وخمسمائة من أصحابه ، وكانت الخيل عشرة أفراس ، فرسٌ لرسول الله ﷺ ، وفرسٌ لأبي بكر ، وفرسٌ لعمر ، وفرسٌ لأبي قتادة ، وفرسٌ لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وفرسٌ للمقداد ، وفرسٌ للحُبَاب ، وفرسٌ للزبير ، وفرسٌ لعَبَاد بن بشر ، وذكر عنه أن النبي ﷺ استخلف على المدينة عبد الله بن رواحة .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/٢ — ٢١٠ .

غزوة دُومة الجندل

ودومة بضم الدال وفتحها ، سميت بدومة بن إسماعيل لأنه نزلها .

ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل ، قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري ، ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

وقال ابن سعد : قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً يظلمون من مرَّ بهم ، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة . وهي طرف من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين ، فكان يسيرُ الليل ويكمنُ النهار ، ومعه دليل له من بني عُذرة يُقال له مذكور ، فلما دنا منهم إذا هم مُغربون^(١) ، وإذا آثار النعم والشاء ، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه .

وجاء الخبرُ أهل دومة ففرَّقوا ، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحداً ، فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرَّقها ، فرجعت ولم تُصب منهم أحداً ، وأخذ منهم رجل فسأله رسول الله ﷺ عنهم ، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعيمهم ، فعرض عليه الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لعشر ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر .

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله ﷺ عُيينة بن حصن أن يرعى بتعلمين^(٢) وما والاها إلى المراض^(٣) ، وكانت بلاده قد أجذبت^(٤) .

(١) « مُغْرَبُونَ » : نازحون عن مكانهم .

(٢) « بتعلمين » : ضبطها في نور النيراس بالعين ، فقال : تعلم كجعفر : موضع أو جبل ، واسم الجبل « تعلمان » كزعران . وضبطها الصالح في السيرة الشامية بالعين المعجمة ، وكذا وردت في القاموس في مادة « غلم » ، فقال : وتعلم كتمنع : أرض . وتعلمان : — مثنى — موضع . والمؤلف أوردته بالياء ، مما يدل على أنهما مكانان كل منهما يحمل اسم : تعلم أو تعلم ؛ كالأخشيين . أما إذا كان المقصود — جبلاً أو موضعاً — جاء بالألف وضماً ، فإنه يجب التزامه في جميع الأحوال .

(٣) « المراض » : كسحاب ، وهو اسم مكان من راض يروض ، موضع أو واد على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(٤) الطبقات الكبرى ٦٢/٢ — ٦٣ .

غزوة الخندق

وقال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

وقال ابن سعد : في ذي القعدة^(١) .

فحدثني^(٢) يزيد بن رومان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، ومن لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كل قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يُحدث ما لا يحدث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق ، أن نفراً من يهود ، منهم سلام بن مشكم ، وابن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النَّضْرِيون ، وهُوْدَةُ بن قيس ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ومن بني وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود! إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِّبِ وَالطَّاعُوتِ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعيراً ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٥] فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ، ونَشَطُوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك ، وأتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عَيْلَانَ ، فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عَيْنَةُ بن

(١) الطبقات الكبرى ٦٥/٢ .

(٢) رجع إلى ابن إسحاق ٢/٢١٤ . وقال ابن القيم في زاد المعاد : كانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين .

حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف المرِّي في بني مرة ، ومسعود^(١) بن رُخيلة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب على المدينة الخندق ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُورُونَ^(٢) بالضعف من العمل ، ويتسللون إليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابه النائية من الحاجة التي لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه في اللحق بها ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان عليه من عمله رغبة في الخير واحتساباً به^(٣) .

قرأت على السيدة الأصيلة مؤسسة خاتون ابنة المولى السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سلفها ، أخبرتك الشيخة الأصيلة أم هانيء عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفارقانية إجازة ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن محمد بن الصباغ ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا أبو جعفر محمد بن نصر الصايغ ، حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف ، فأتيت النبي ﷺ فاستأذنته وهو بالخندق ، فأذن لي ، وقال لي : مَنْ لقيت منهم فقل لهم : « إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا » . قال : وكان ذلك في برد شديد ، فلقيت الناس ، فقلت لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا . قال : والله ما عطف عليّ منهم اثنان أو واحد^(٤) .

(١) ورد اسمه في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢١٥/٢ « مسعر » والصواب ما أثبتته المؤلف . انظر الإصابة ٤١٠/٣ ، ونور النيراس .

(٢) « يُورُونَ » يتسترون بالعمل القليل مدعين الضعف .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢١٤/٢ — ٢١٦ .

(٤) روى حديث ابن عمر أبو نعيم الأصبهاني ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٥/٦ وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . وقال سبط ابن العجمي في نور النيراس معقباً على كلام

كذا وقع في هذا الخبر : عثمان بن مظعون ، وعثمان بن مظعون توفي قبل هذا ، وإخوة عثمان : قدامة والسائب وعبد الله ، تأخروا . وقدامة مذكور فيمن شهد الخندق ، وهم أحوال عبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

قال ابن إسحاق فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٦٢] ثم قال — يعني للمنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون من غير إذن ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ أَوْ يُصِيبِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من صدق أو كذب إلى قوله — ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) [النور : ٦٣ — ٦٤] .

وقال ابن سعد : وتجهزت قريش ، وجمعوا أحابيشهم ؛ ومن تبعهم من العرب ، فكانوا أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة ، وقادوا معهم ثلثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير ، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب ، ووافقتهم بنو سليم بمر الظهران ، وكانوا سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعرور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين ، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي ، وخرجت فزارة فأوعبت ، وهم ألف يقودهم غيثة بن حصن ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن ربيعة ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف وخرج معهم غيرهم . وقد روى الزهري أن الحارث بن عوف رجع بني مرة فلم يشهد الخندق منهم أحد ، وكذلك روت بنو مرة ، والأول أثبت : أنهم شهدوا الخندق مع الحارث بن عوف ، فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر ، وعناج^(٢) الأمر إلى أبي سفيان .

= المؤلف : هذا تنبيه حسن . وعثمان توفي بعد سنتين ونصف من الهجرة ، وهو أول من مات من المهاجرين في المدينة ... ونقل المؤلف فيما يظهر من كلامه إلى أن المذكور في هذا الحديث « قدامة » واشتبه على الراوي ، وأخذت ذلك من كلام المؤلف . وقدامة مذكور فيمن شهد الخندق .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢١٦/٢ — ٢١٧ .

(٢) « عناج الأمر » : العناج في اللغة : حبل تحمل به الدلو ونحوها ، يثبت في أسفلها أو في عراها ، والمقصود هنا : بيده قيادتهم وملك أمرهم .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ندب الناس وأخبرهم خیر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ، فأشار عليه سلمان بالخنْدَق ، فَأَعْجَبَ ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سَفْح سَلْع ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم خنْدَقَ على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ بيده ، لِيُنْشِطَ النَّاسَ ، وكمل في ستة أيام^(١) . انتهى ما نقله ابن سعد .

وغيره يقول : حفر رسول الله ﷺ وأصحابه في الخندق بضَع عشرة ليلة ، وقيل : أربعاً وعشرين .

وكان في حفر الخندق آيات من أعلام النبوة : منها أن جابراً كان يُحَدِّث : أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كُذْيَةً^(٢) فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ المِعْوَلَ وضرب فعاد كثيباً أهيل^(٣) . وروي في هذا الخبر أنه عليه الصلاة والسلام دعا بماء فتفل عليه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضَحَ ذلك الماء على تلك الكُذْيَةِ ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لانْهالت حتى عادت كالكتيب ما تردُّ فأساً ولا مسحاة .

ومنها خيرُ الحفنة من التمر الذي جاءت به ابنة بشير بن سعد لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة ليتغديا به ، فقال لها رسول الله ﷺ : هاتيه ، فصَبَّتْ في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هَلُمَّ إلى الغداء . فاجتمع أهلُ الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيدُ حتى صدرَ أهلُ الخندق عنه ، وإنه ليسقطُ من أطراف الثوب .

ومنها حديث شُوَيْهَةِ جابر ، وكانت غيرَ جِدَّةٍ^(٤) سمينة ، قال : صنعْتُها ، وإنما أريدُ أن ينصرفَ معي رسول الله ﷺ وحده ، فلما قلت له ، أمر صارخاً ، فصَرَخَ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال :

(١) الطبقات الكبرى ٦٦/٢ — ٦٧ .

(٢) « كُذْيَةٌ » : الصخرة العظيمة الشديدة .

(٣) « أَهَيْلٌ » : رملٌ مُنْصَبٌّ .

(٤) « غيرُ جِدَّةٍ سمينة » : غير كاملة السمن .

فَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَجَلَسَ فَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ فَبَرَّكَ ثُمَّ سَمَّى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ أَكَلَ وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، كُلَّمَا فَرَعَ قَوْمٌ قَامُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١) ، وَفِيهِ : وَهُمْ أَلْفٌ ، فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا ، وَإِنْ بَرْمَتْنَا لَتَغْفُطُ كَمَا هِيَ ، وَإِنْ عَجِيتْنَا لَيُخْبِرَ كَمَا هُوَ .

ومنها : حديث سلمان الفارسي أنه قال : ضربتُ في ناحية من الخندق ، فغلظت عليّ ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ مِنِّي ، فلما رآني أضربُ ، ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعولَ من يدي ، فضربَ به ضربةً لمعثٍ تحت المعولِ برقةً ، ثم ضربَ به أخرى فلمعت تحت برقة أخرى ، ثم ضربَ به الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعولِ وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أمّا الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأمّا الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأمّا الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني مَنْ لا أتهم ، عن أبي هريرة ؛ أنه كان يقول حين فُتحت هذه الأمصار في زمن عمر وزمن عثمان : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفسُ أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال ^(٣) ، وغطفان ومن تبعهم بذنب نَقَمَى ^(٤) إلى جانب أحد ، وخرج رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي (بَابُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ) رَقْمُ ٤١٠١ / وَفِي الْجِهَادِ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْأَشْرَةِ (بَابُ جَوَازِ اسْتِبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارٍ مِنْ يَثْقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ) رَقْمُ ٢٠٣٩ / .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢١٧/٢ — ٢١٩ . وحديث سلمان ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٢/٦ وقال : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ الصَّحِيحُ غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَنَعِيمَ الْعَنْبَرِيِّ ، وَهُمَا ثِقَتَانِ . وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ٣٩٩/٣ مِنْ مَغَازِي ابْنِ عَقِبَةَ وَ٤١٧/٣ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَقَالَ فِي نَوْرِ النَّبَرِاسِ : عَزَاهُ بَعْضُ مَشَائِخِي لِمُوسَى بْنِ عَقِبَةَ . وَقَالَ السَّهْلِيُّ : خَرَجَهُ الْبَغْوِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ .

(٣) مجتمع الأسيال : موضع تجتمع فيه السيول ، ويقع شمال المدينة المنورة .

(٤) ذنب نَقَمَى : موضع من أعراض المدينة ، كان لآل أبي طالب . قاله الصغاني .. كما في نور النبراس .

جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخنديق بينه وبين القوم ، وأمر بالنساء والذراري أن يُجعلوا في الآطام^(١) .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد ، وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير ، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة ، وكان عباد بن بشر على حرس^(٢) رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة . كذا قال ابن سعد في هذا الموضع^(٣) .

وقال في باب حراس النبي ﷺ : حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ ، ويوم أحد محمد بن مسلمة ، ويوم الخندق الزبير بن العوام^(٤) .

رجع إلى ابن سعد^(٥) : وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هُبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يُجِيلون خيلهم ، ويتفرقون مرة ، ويجتمعون أخرى ، ويُناوشون أصحاب رسول الله ﷺ ، ويقدمون رمائهم فيرمون .

رجع إلى ابن إسحاق : وخرج عدو الله حُصَيُّ بن أخطب النَّضْرِي حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك ، فلما سمع كعبٌ بحبي أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي ويحك يا كعب افتح لي . قال : ويحك يا حُصَيُّ إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً . قال : ويحك افتح لي أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دوني إلا تخوفاً على

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢١٩/٢ — ٢٢٠ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي الطبقات ؛ لابن سعد : على حرس قبة رسول الله ﷺ .

(٣) الطبقات الكبرى ٦٧/٢ .

(٤) المصدر السابق ٦٧/٢ .

(٥) أي : رجع إلى أخبار غزوة الخندق .

جشيشتك^(١) أن آكل معك منها . فأحفظ^(٢) الرجل ، ففتح له . فقال : ويحك يا كعب جئتُك بعزّ الدهر ، وبيحر طام ، جئتُك بقريش ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وغطفان حتى أنزلتهم بذبّ نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال له كعب : جئتني والله بذيّ الدهر وبجهام^(٣) قد هراق ماءه ، يرعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه ، فإنني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً . فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٤) ، حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يُصيبيوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الحير وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعهما ابن ربيعة وخوات بن جبير . فقال : انطلقوا حتى تنتظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ، فإن كان حقاً فالحنوا إليّ لحناً حتى أعرفه ، ولا تقتلوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك للناس . فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ، ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة . فقال له سعد بن عباد : دُع عنك مشائعتهم فما بيننا وبينهم أرى من المشائمة^(٥) .

وذكر ابن عائد : أن الذي شاتمهم سعد بن عباد ، والذي قال له : ما بيننا وبينهم أرى من المشائمة ، سعد بن معاذ .

ثم أقبل السعدان^(٦) ومن معهما على رسول الله ﷺ فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَصَل

(١) « جشيشتك » : طعام يُصنع من البر المحروش جرشاً غليظاً ، يُلقى عليه لحم أو تمر ، ونحو ذلك . وقد يُسمى دشيش أو جريش .

(٢) « فأحفظ الرجل » : أثار حفيظته وأغضبه وأغاظه .

(٣) « بجهام » : سحاب رقيق لا ماء فيه .

(٤) مثلُ يُضرب في المرافضة والمخاطلة . وانظر فوائد المؤلف ص ١١٤ .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/ ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٦) رجع إلى ابن إسحاق .

والقارة ، أي : كغدر عَصَل والقارة بأصحاب الرجيع . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين . وعَظُمَ عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ الظنِّ ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعْتَبُ بن قُشَيْر : كان محمد يعدُّنا أن نأكل كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وقيل : لم يكن مُعْتَب من المنافقين ، وقد شهد بدرًا . قاله ابن هشام^(١) .

وقال ابن عائد : وقال رجال ممن معه : يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا .

قال ابن إسحاق : وقال أوس بن قيطي : يا رسول الله ! إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذُنْ لنا أن نخرج فزجَّعَ إلى ديارنا فإنها خارجٌ من المدينة . فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل ، والحِصَار^(٢) .

وقال ابن عائد : وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليُوثِبَه الخندق ، فوقع في الخندق فقتله الله تعالى ، وكَبُرَ ذلك على المشركين ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه . فردَّ إليهم رسولُ الله ﷺ : إنه خبيثٌ ، خبيثُ الدية ، فلعنَه الله ولعنَ ديتَه ، ولا تَمْنَعُكم أن تدفِنوه ، ولا أربَ لنا في ديتِه . وقيل : أعطوا في جثته عشرة آلاف .

قال ابن إسحاق : وبعثَ رسولُ الله ﷺ كما حدثني عاصمُ بن عمر ، عن الزهري إلى عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وإلى الحارث بن عوف المُرِّي ، وهما قائدَا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلحُ حتى كتبوا الكتب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد يذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أُمراً تحبُّه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني

(١) و (٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢٢/٢ .

رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتَكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَأَنَّكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسَرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكِيهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا . فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى أَوْ يَبْعَا ، فَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نَعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟ مَا لَنَا بِهِذَا مِنْ حَاجَةٍ ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَنْتِ وَذَلِكَ . فَتَنَاولَ سَعْدُ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ . ثُمَّ قَالَ : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا . فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوَّهُمْ مُحَاصِرَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ، إِلَّا أَنْ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ وَعُكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ وَضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ تَلَبَّسُوا لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ حَتَّى مَرَوْا بِمَنَازِلِ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقَالُوا : تَهَيَّؤُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ ، فَسَتَعْلَمُونَ مِنَ الْفَرَسَانِ الْيَوْمَ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا تُعْنِقُ^(١) بِهِمْ خَيْلُهُمْ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ ، قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لِمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا . ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ ضَيْقًا ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ، فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبِيخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى أَخَذُوا عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خَيْلَهُمْ ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانِ تُعْنِقُ نَحْوَهُمْ . وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ قَدْ قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِيُرَى مَكَانُهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ ، قَالَ مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَبَرَزَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي هَذَا الْخَبَرِ : أَنَّ عَمْرًا كَانَ ابْنَ تِسْعِينَ سَنَةً ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا أَبَارِزُهُ . فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيْفَهُ وَعِصْمَتَهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّهُ عَلَيْهِ .

رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ : فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو إِنَّكَ كُنْتَ عَاهَدْتَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى إِحْدَى خِلَتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْهَا مِنْهُ . قَالَ لَهُ : أَجَلٌ . قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِلَى الْإِسْلَامِ . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ . قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى التَّزَالِ . قَالَ لَهُ : لَمْ يَأْبَنِ أَخِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ عَلِيٌّ : لَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ : فَحَمِي عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَفَعَّرَهُ ، وَضَرَبَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ فَتَنَاولَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مِنْهَزِمَةً حَتَّى اقْتَحَمَتْ

(١) « تُعْنِقُ » : تُسْرِعُ .

من الخندق هاربة ، وقال عليّ في ذلك :

ونصرتُ دينَ محمد بضراب ^(١)	نصرَ الحجارةَ من سفاهة رأيه
كالجذع بين دَكَادِكِ ورواب ^(٢)	فصددتُ حين تركته متجدلاً
كنتُ المُقَطَّرَ بَزَنِي أثوابي ^(٣)	وعففتُ عن أثوابه ولو انني
ونبيّه يا معشر الأحزاب	لا تحسبن الله خاذلَ دينه

وعن ابن إسحاق من غير رواية البكائي ؛ أن عمراً لما نادى بطلب من يبارزه ، قام عليّ رضي الله عنه وهو مُقَنَّع في الحديد ، فقال : أنا له يا نبيّ الله . فقال له : اجلس إنه عمرو . ثم كرّر عمرو النداء ، وجعل يُؤثِّبهم ، ويقول : أين جئتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبرزون لي رجلاً . فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بُححت من النداء	بجمعكم هل من مُبارز
ووقفتُ إذ جُبِن المشجع	وقفَةَ الرجل المناجز
وكذلك أني لم أزل	متسرعاً قبل الهزاهز ^(٤)
إن الشجاعةَ في الفتى	والجودَ من خير الغرائز

فقام علي رضي الله عنه ، فقال : أنا له يا رسول الله . فقال : إنه عمرو . فقال : وإن كان عمراً ، فأذن له رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، فمشى إليه عليّ وهو يقول :

لا تعجلنَّ فقد أتا	ك مجيبُ صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائر
إني لأرجو أن أقيـ	م عليك نائحة الجنائر
من ضربة نجلاء يـ	قى ذكرها عند الهزاهز ^(٤)

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢٤/٢ والسيرة الشامية ٥٣٤/٤ : ونصرتُ دينَ محمدٍ بصواب .

(٢) « مُتَجَدِّلاً : مرمياً على الجدالة لاصقاً بها ، والجدالة : الأرض . و« دَكَادِك » : جمع دَكَادِك ، وهو من الرمل ما تيلَّد بالأرض ولم يرتفع .

(٣) « المُقَطَّر » : الملقى على أحد قُطْرَيْهِ ، أي جنبيه . و« بَزَنِي » : سلبني . ونَبَّه ابن هشام في السيرة وسبط ابن العمجي في نور التبراس أن أهل العلم بالشعر يُنكرون نسبتها لعلي رضي الله عنه .

(٤) « ألْهَزَاهِز » : الحروب .

فقال عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي . قال : ابنُ عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : غيرك يا ابن أخي ، من أعمامك ، من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أُهريقَ دمَكَ . فقال علي : لكني والله ما أكره أن أُهريقَ دمَكَ . فغضب ، ونزلَ وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً . ويقال : إنه كان على فرسه ، فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معي ، فنزلَ عن فرسه ، ثم أقبل نحوه ، فاستقبله علي بدارقته ، فضربه عمرو فيها ففقدَها ، وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجَّه ، فضربه علي على حبل العاتق ، فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسولُ الله عليه الصلاة والسلام التكبير ، فعرف أن علياً قد قُتل .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الخندق ويوم بني قريظة ﴿ حم . لا يُنصرون ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن (٢) عبد الرحمن الأنصاري ، أخو بني حارثة ؛ أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحصن حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت : وذلك قبل أن يُضربَ علينا الحجاب ، فمر سعدٌ وعليه درع له مُقلَّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقُدُ (٣) بها ويقول :

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمْلُ
لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ (٤)

فقالت له أمُّه : الحقُّ بني فقد والله أُخِرت . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت لها :

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢٦/٢ . والشعار : هي العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب ، والمعروفة اليوم بكلمة السر .

(٢) في المطبوع : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن . وقد نبّه صاحب « نور النيراس » إلى أن الصواب : عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل . ثم قال : إن الذهبي ذكره في الكشي من « التهذيب » وأشار إلى أنه روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) « يرقُدُ بها » : يُسرع .

(٤) البيت كما جاء في نور النيراس لرجل من كلب اسمه : حمل بن سعدانة بن حارثة ، تمثل به سعد رضي الله عنه في هذا الموقف .

يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفتُ عليه حيث أصاب السهمُ منه . فرُمي سعدُ بن معاذ بسهمٍ فقطع منه الأُكحل^(١) ، رماه كما حدثني عاصم : جَبان بن العَرِقة^(٢) أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عَرَّقَ الله وجهك في النار^(٣) .

ويقال : بل الذي رماه خفاجة بن عاصم بن جبارة ، وقيل بل الذي رماه أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم .

رجع إلى خير ابن إسحاق : ثم قال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إليَّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك ، وأخرجوه وكذبوه ، اللهم إن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تُمتني حتى تفر عيني من بني قريظة^(٤) .

وذكر ابن عائد أن المشركين جهزوا نحو رسول الله ﷺ كتيبةً عظيمة غليظة ، فقاتلوههم يوماً إلى الليل ، فلما حضرت العصرُ دنت الكتائبُ ، فلم يقدر النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على ما أرادوا ، فانكفأت مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ . قال : شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً .

وقرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي ، أخيراً كم الشيخ أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرُّ به ، أخبرنا : أبو بكر بن الزاغوني ، أخبرنا ابن البصري ، أخبرنا المخلص ، حدثنا يحيى بن محمد ، حدثنا محمد بن يزيد أبو هاشم الرفاعي ، حدثنا أبو مالك الجنبي عمرو بن هاشم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : ما صلَّى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام يومَ الخندق الظهر والعصر حتى غابَت الشمس^(٤) .

(١) « الأُكحل » : عرق في وسط الذراع يكثر فصدّه .

(٢) « العَرِقة » : قلابة بنت سعد ، وهي أمه ؛ لقبت بذلك لطيب ريحها ، وهي جدة أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها ، (أمُّ أمها هالة) .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢٧/٢ .

(٤) حديث سعيد بن المسيب عن عمر ليس في الكتب الستة ، كذا قال في « نور النبراس » ورجح أن رواية

رواية سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، ذهب بعضُ الناس إلى أنها مرسلة ، لأنه ولد لستين بقيتاً من خلافة عمر ، وقيل : ولد لستين خلتماً من خلافة عمر ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ، فتكون متصلة ، وله عنه أحاديث يسيرة هي عندهم متصلة ، ويقول في بعضها : سمعتُ عمرَ رضي الله عنه على المنبر .

وذكر ابن سعد في هذا الخبر أنهم شغلوا عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . قال ابن سعد : وأقام أسيد بن الحضير على الخندق في مائتين من المسلمين ، وكرَّ خالد بن الوليد في خيل من المشركين ، يطلبون غزوة المسلمين ، فناوشوهم ساعة ، ومع المشركين وحشي ، فزرق^(١) الطفيل بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتله ، وانكشفوا ؛ وسار رسول الله ﷺ إلى قبته ، فأمر بلالاً فأذن وأقام الظهر فصلّى ، ثم أقام بعد لكل صلاة إقامة إقامة ، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات ، وقال : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً . ولم يكن لهم قتال^(٢) بعد ذلك جميعاً ، حتى انصرفوا ، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل ، يطعمون في الغارة^(٣) .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة ، بمظاهرة عدوهم وإتيانهم إليهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله ! إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب تحدة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية . فقال : يا بني قريظة قد

= سعيد عن عمر متصلة ، ونقل كلام المزي في التهذيب ، قال أحمد : رأى سعيد عمر وسمع منه ، وإذا لم يُقبل سعيد عن عمر فمن يقبل وفي سنده محمد بن يزيد مختلف في جرحه وتعديله ، ومن ضعفه أبو حاتم والنسائي وقال أحمد : لا بأس به . وأبو مالك الجني : فيه ضعف أيضاً ، قال أحمد : صدوق ولم يكن صاحب حديث ، وقال البخاري : فيه نظر .

(١) « زَرَقَ » : رمأه بمزراقه ، وهو الرمح القصير .

(٢) في « أ » و « ب » : ولم يكن لهم قتال بعد ذلك جميعاً .

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٦٨/٢ - ٦٩ .

عرقتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، وبه أموالكم ونساؤكم وأبنائكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ، حتى تُناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرقتم ودي لكم . وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلّموا أن معشرَ يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يُرضيك أن تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم ، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ؟ ثم نكون معك على من بقي منهم ، حتى نستأصلهم . فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً ، ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إلي ، ولا أراكم تهملوني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكموه عليّ . قالوا : نعم . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ ، أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة : عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخُفُّ والحافر ، فأعدّوا للقتال ، حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليه أن اليومَ يومُ السبت ، وقد علمتم ما نال منا من تعدّي في السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . فلما رجع الرسولُ بذلك ، قالوا : صدقنا والله نعيم بن مسعود ، فردوا إليهم الرسل ، وقالوا والله لا نُعطيكُم رهناً أبداً فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم . فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود . وخذّل الله بينهم ، واختلفت كلمتهم ، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً ، في ليل شديدة البرد ، فجعلت الريحُ تقلب أبتيتهم ، وتكفأ قدورهم . فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلافُ أمرهم ، بعث

حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم ، فأتاهم واستتر في غمارهم ، وسمع أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جلسه . قال حذيفة : فأخذت بيد جليسي ، وقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، ما يستمسك لنا بناء ، ولا تثبت لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ووثب علي جملة ، فما حل عقال يده إلا وهو قائم ، قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي إذ بعثني أن لا أحدث شيئاً ، لقتلته بسهم . ثم أتيت رسول الله ﷺ عند رحيلهم ، فوجدته قائماً يصلي ، فأخبرته ، فحمد الله ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم^(١) .

وروينا من طريق البخاري : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، قال : سمعت جابرًا يقول : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : إن لكل نبي حواريًا وإن حواريي الزبير »^(٢) .

كذا وقع في هذا الخبر ، والمشهور أن الذي توجه ليأتي بخبر القوم حذيفة بن اليمان ، كما روينا عنه من طريق ابن إسحاق وغيره . قال — يعني النبي ﷺ — : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع ؟ — يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجزع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم . وذكر الحديث .

وذكر ابن عتبة ومحمد بن عائذ : خروج حذيفة إلى المشركين ، ومشقة ذلك عليه ، إلى أن قال له رسول الله ﷺ : قم فحفظك الله من أمامك ومن خلفك ، وعن يمينك ، وعن شمالك حتى ترجع إلينا . فقام حذيفة مستبشراً بدعاء رسول الله ﷺ ، كأنه احتمل احتمالاً ، فما شق عليه شيء مما كان فيه .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٠/٢ — ٢٣٣ . بتصرف يسير .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) رقم ٤١١٣/ .

وعند ابن عائذ : فقبضَ حذيفةُ على يد رجل عن يمينه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا معاوية بن أبي سفيان ، وقبض على يد آخر عن يساره ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا فلان . وفعل ذلك خشية أن يُفطن له ، فبدرهم بالمسألة .

وقد روينا في خبر نُعيم بن مسعود غير ما ذكرناه .

وقال ﷺ حين أجلى الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » . ذكره البخاري^(١) بسنده .

وقال ابن سعد : وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقية لعسكر المشركين ورداء لهم مخافة الطلب ، وانصرف رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة^(٢) .

وكان مما قيل من الشعر يوم الخندق قول عبد الله بن الزُّبَيْرِ السهمي :

حيّ الديارَ بما معارفَ رسمها	طولُ البلى وتراوُحُ الأحقاب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها	في نعمةٍ بأوانسٍ أترابٍ
فاتركَ تذكُّرَ ما مضى من عيشة	ومَحَلَّةٍ خَلَقَ المقام ، يباب
واذكربلاءَ معاشِرَ واشكرهم	ساروا بأجمعهم من الأنصاب ^(٣)
أنصابٍ مكةَ عامدين ليثرِب	في ذي غياطلَ ، جحفل ججباب ^(٤)
يدعُ الحزونَ مناهجاً معلومةً	في كل نشيرٍ ظاهرٍ وشعاب ^(٥)
فيه الجيادُ شوازِبٌ مجنوبةً	قُبُ البطونِ ، لواحقُ الأقرب ^(٦)

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) رقم ٤١٠٩ / .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٩/٢ — ٧٠ .

(٣) « الأنصاب » : هنا ، جمع نُصب ، وهو الحجر ونحوه مما تُعلم به الحدود المكانية ، كأعلام الحرم .

(٤) « في ذي غياطل » : جمع غيطلة ، وهي هنا الصوت المرتفع المختلط . و « جَجَبَاب » : كثير الصوت .

(٥) « الحزون » : جمع حَزَن ، وهو ما ارتفع من الأرض . و « المناهج » : جمع منهج ، وهو الطريق الواضح البين .

(٦) « شوازِب » : ضوامر . و « مجنوبة » : مقودة . و « قُبُ البطون » : ضوامر البطون ، مفردها أقب . و « لواحق » : ضوامر أيضاً ، و « الأقرب » : جمع قَرَب ، وهو الحاصرة وما يليها .

كَالسَّيِّدِ بَادِرِ غَفْلَةِ الرُّقَابِ (١)
فِيهِ ، وَصَخْرٍ قَائِدِ الْأَحْزَابِ
غَيْثِ الْفَقِيرِ وَمَعْقِلِ الْهَرَابِ (٢)
لِلْمَوْتِ كُلِّ مُجَرَّبٍ قَضَابِ (٣)
وَصِحَابِهِ فِي الْحَرْبِ ، غَيْرُ صَحَابِ
قَتْلَى لَطِيرِ سُغَيِّبٍ وَذَنَابِ

مُتَكَلِّمٌ لِمَحَاوِرِ بَجْوَابِ ؟
بِيضَاءِ ، آتِسَةِ الْحَدِيثِ ، كَعَابِ
مِنْ مَعْشَرِ ظَلَمُوا الرُّسُولَ ، غَضَابِ
أَهْلِ الْقُرَى وَبَوَادِي الْأَعْرَابِ
مُتَخَمِّطُونَ بِحُلْبَةِ الْأَحْزَابِ (٤)
قَتَلَ الرُّسُولَ وَمَغْنَمِ الْأَسْلَابِ
رُدُّوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ (٥)
وَجَنُودُ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
وَأَتَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ
تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَذَلَّ كُلَّ مُكْذِبٍ مُرْتَابِ

مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبِ
جَيْشٍ عَيْنَةٍ قَاصِدٌ بِلَوَائِهِ
قَرْمَانِ كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا
حَتَّى إِذَا وَزَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَدُّوا
شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

هَلْ رَسَمُ دَارِسَةِ الْمَقَامِ يِيَابِ
فَدَعَ الدِّيَارَ وَذَكَرَ كُلَّ خَرِيدَةٍ
وَأَشَكَ الْهَمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى
سَارُوا بِجَمْعِهِمْ إِلَيْهِ وَالْبُؤَى
جَيْشٍ عَيْنَةٍ وَابْنِ حَرْبٍ فِيهِمْ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا
وَعَدُّوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ
بِهَوْبٍ مُعْصِفَةٍ تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ
وَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، فَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ
وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ

وَقَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ ، وَيَكْفِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ وَيَذْكُرُ عَلِيًّا ، وَقَدْ
سَبَقَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

(١) « سَلْهَبَةٌ » : طَوِيلَةٌ . وَ « السَّيِّدُ » : الذَّيْبُ .

(٢) « قَرْمَانٌ » : مَفْرَدَاهَا قَرْمٌ ، وَهُوَ مِنَ الْإِبِلِ : الْفَحْلُ ، وَمِنْ النَّاسِ : السَّيِّدُ فِي قَوْمِهِ .

(٣) « كُلُّ مُجَرَّبٍ قَضَابٌ » : كُلُّ سَيْفٍ مَعْرُوفٍ بِشِدَّةِ الْقَطْعِ .

(٤) « مُتَخَمِّطُونَ » : جَمْعُ مُتَخَمِّطٍ ، وَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ الشَّدِيدُ الْغَضَبِ . وَ « الْحُلْبَةُ » : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ تُعَدُّ لِلْسِّيَاقِ .

(٥) « بِأَيْدِهِمْ » : بِقُوَّتِهِمْ .

لعمري ما وليت ظهري محمداً
ولكنني قلبت أمراً فلم أجد
وقفت فلما لم أجد لي مقدماً
ثني عطفه عن قرنه حين لم يجد
فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً
ولا تبعدن يا عمرو حياً وهالكاً
فمن لطراد الخيل تُقدع بالقنا
هنالك لو كان ابن عبد لزارها
فعنك علي لا أرى مثل موقف
فما ظفرت كفاك فخراً بمثله

وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
لسيفي غناء إن ضربت ولا تبلى
شدت كضرغام هزير أبي شبل
مكراً ، وقدماً كان ذلك من فعلي
وحق بحسن المدح مثلك من مثل
فقد مت محمود الشا ، ماجد الأصل
وللفخر يوماً عند قرقرة البزل^(١)
وفرجها حقاً فتى غير ما وغل^(٢)
وقفت على نجد المقدّم كالفعّل^(٣)
أمنت به ما عشت من زلة النعل

● « الغيطة » : الشجر الملتف ، والغيطة : الحلبة ، والغيطة : التباس الظلام .

● و « ججج » كثير الصوت .

● و « المتخبط » : الشديد الغضب .

ذكر شهداء الخندق

من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سهل .
ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة .
ومن بني النجار : كعب بن زيد .

وذكر شيخنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن الدمياني في « نسب الأوس » له في بني ظفر : قيس بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر ، شهد أحداً وحضر الخندق ومات هناك

(١) « تُقدع » : تُكثف ، و « قرقرة » : الصوت . و « البزل » : جمع بازل ، وهو الجمل الذي بزل نابه ، وذلك حين يبلغ الثامنة أو التاسعة ، فيغدو قوياً ويصلب عوده .

(٢) « ابن عبد » : هو عمرو بن ود . و « وغل » : « الوغل » الفاسد الخسيس من الرجال .

(٣) « عنك علي » : اسم فعل أمر بمعنى : تباعد ، وعلي : منادى منون .

وَدُفِنَ . وَذَكَرَ فِي « نَسَبِ الْخَزَرَجِ » لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي خَالِدٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ دِينَارِ بْنِ النُّجَارِ ، قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ شَهِيداً ، ذَكَرَهُ ابْنُ
الْكَلْبِيِّ .

* * *

غزوة بني قريظة

روينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا عُبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا العمري^(١) ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما رجَعَ النبي ﷺ يومَ الخندق ، بينا هو عندي إذ دُقَّ البابُ ، فارتاعَ لذلك رسولُ الله ﷺ ، ووثب وثبة منكرة ، وخرج ، فخرجت في أثره ، فإذا رجل على دابة ، والنبي ﷺ متكئ على مَعْرِفَة^(٢) الدابة يكلمه ، فرجعت ، فلما دخل ، قلت : من ذلك الرجل الذي كنت تُكلمه ؟ قال : ورأيتَه ؟ قلت : نعم . قال : بمن تشبهينه ؟ قلت : بدحية بن خليفة الكلبي . قال : ذاك جبريل ، أمرني أن أمضيَ إلى بني قريظة^(٣) .

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ النبي ﷺ — كما حدثني الزهري — معتجراً^(٤) بعمامة من استبرق ، على بغلة عليها رَحَالَة^(٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعتَ السلاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم . فقال جبريلُ : ما وضعتَ الملائكةُ السِّلَاحَ بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم ، فمززلزل بهم . فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذناً

(١) « العُمريُّ » : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري الفقيه المدني ، أحد الأعلام ، مشهور . نور النبراس .

(٢) « مَعْرِفَة » : منبت شعر الرقبة .

(٣) قال في نور النبراس : الحديث — حديث عائشة رضي الله عنها — ليس في شيء من الكتب الستة بهذه الطريق .

وهو في البخاري عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة .. في المغازي (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) رقم /٤١١٧/ .

(٤) « مُعْتَجِراً » : من الاعتجار ، وهو لف العمامة على الرأس ، وردُّ طرفيها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه .

(٥) « رَحَالَة » : سرج من جلد ليس فيه خشب .

فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بِنِي قَرِيظَةَ (١) .

وروينا عن ابن عائذ : أَخْبَرَنِي الْوَلِيدُ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ السَّلَامِيِّ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ ، مَرَجَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْأَحْزَابِ ، إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : مَا أَسْرَعَ مَا حَلَلْتُمْ ! وَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا مِنْ لَأْمَتِنَا (٢) شَيْئًا مِنْذُ نَزَلَ الْعَدُوُّ بِكُمْ ، قُمْ فَشَدِّ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَوَاللَّهِ لَأَدْفَنَّهُمْ كَدَقِّ الْبَيْضِ عَلَى الصَّفَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ فَأَتْبَعْتُهُ بِصَرِي ، فَلَمَّا رَأَيْنَا ذَلِكَ نَهَضْنَا (٣) .

قال : وَأَخْبَرَنِي الْوَلِيدُ ، قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ مُنَادِيًا : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي » (٤) .

قال ابن سعد : ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَهَمَّ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَالْخَيْلُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لَسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (٥) ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ فِيمَا قَالَهُ ابْنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَأْيِهِ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحَصُونِ ، سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَافِ . قَالَ : لَمْ ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أَدْنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَصُونِهِمْ ، قَالَ : يَا إِخْوَانَ الْفِرْدَةِ هَلْ أَخْزَاكُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتَ جَهُولًا .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٢) « مِنْ لَأْمَتِنَا » : اللَّامَةُ : الدَّرَجُ .

(٣) قال في نور النبراس : هَذَا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ السِّتَةِ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ .

والوليد : هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ . وَمُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ السَّلَامِيُّ : قَالَ أَحْمَدُ : لَا بَأْسَ بِهِ : وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ وَدُحَيْمٌ : ثَقَّةٌ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : لَا يُحْتَجُّ بِهِ . وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : عَامَّةٌ مَا يَرْوِيهِ لَا يَتَّبَعُ عَلَيْهِ . وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي الْبَخَارِيِّ وَغَيْرِهِ .

(٤) قال في نور النبراس لوحة ٢ ب/٥٠ : هَذَا مُرْسَلٌ ، قَتَادَةُ تَابِعِيٌّ . وَسَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ : بَصْرِيٌّ ، نَزَلَ دِمَشْقَ ، قَالَ الْبَخَارِيُّ : يَتَكَلَّمُونَ فِي حِفْظِهِ وَهُوَ يَحْتَمِلُ ، وَقَالَ دُحَيْمٌ : ثَقَّةٌ . وَكَانَ مَشِيخَتَنَا يُوَثِّقُونَهُ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢/٧٤ ، وَالسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٤ .

ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله مرَّ بنا دحيةُ بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء ، عليها رَحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ : ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة ، يُزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحق به الناس ، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلُّوا العصر ؛ لقول رسول الله ﷺ : لا يُصلُّين أحدُ العصر إلا في بني قريظة . فشغلهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حربهم ، وأبوا أن يُصلُّوا لقول النبي ﷺ : حتى تأتوا بني قريظة . فصلُّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عَنَّفَهُم به رسولُ الله ﷺ ، حدثني بهذا الحديث : أبي إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جَهَدَهُم الحِصَارُ ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حييُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غيرُ منصرف عنهم ، حتى يناجزهم . قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خِلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شتم . قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدِّقه ، فوالله لقد تبينَ لكم أنه لنييٌّ مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتُم عليَّ هذه ، فهلمُّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلِّتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلًا^(١) ، حتى يحكم الله بيننا ، وبين محمد ، فإن نهلكُ نهلكُ ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه ، وإن نظرهُم فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم . قال : فإن أبيتُم عليَّ هذه فإن الليلة ليلةُ السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها . فانزلوا لعلنا

(١) « ثَقَلًا » : الثَّقَلُ : متاع المسافرين وأهله وأتباعه ، وكل شيء نفيس مصون .

نُصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةٌ . قَالُوا : نَفْسُ سَبْتِنَا وَنَحْدُثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مِنْ كَانَ قَبْلُنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخِ قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا .

ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ — وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ — نَسْتَشِيرُهُ فِي أَمْرِنَا . فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ ، قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَجَهَّشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ يَكُونُ فِي وَجْهِهِ ، فَرَقُّ لَهِمْ ، وَقَالُوا : يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزَلَ عَلَى حَكَمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ، إِنَّهُ الذِّخْرُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَبْرُحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ أَنْ لَا أَطْأُ بَنِي قَرِيطَةَ أَبَدًا ، وَلَا أَرَى فِي بَلَدِ خَنْتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ أَبَدًا .

فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَهُ ، وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ ، قَالَ : أَمَا لَوْ جِئَنِي لِاسْتِغْفَرْتُ لَكَ ، وَأَمَّا إِذَا فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِي أَطْلُقُهُ مِنْ مَكَانِهِ ، حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ : أَنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : قُلْتُ : مِمَّ تَضْحَكُ أَضْحَكَ اللَّهُ سِتْكَ ؟ قَالَ : تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ . قَالَتْ : قُلْتُ : أَفَلَا أَبَشَّرَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : بَلَى إِنْ شِئْتَ . قَالَ : فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حَجْرَتِهَا — وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَ الْحِجَابُ — فَقَالَتْ : يَا أَبَا لُبَابَةَ أَبَشِّرْ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَتْ : فَتَارَ النَّاسَ لِيُطْلِقُوهُ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يَطْلُقُنِي بِيَدِهِ . فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجِدْعِ سِتَّ لَيَالٍ ، تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ فَتَحُلُّهُ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُرْتَبِطُ بِالْجِدْعِ فَيَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ^(١) .

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو : رَوَى ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ؛ أَنَّ أَبَا لُبَابَةَ

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ٢/ ٢٣٤ — ٢٣٨ .

ارتبط بسلسلة رُبُوض — والربوض : الثقيلة — بضع عشرة ليلة ، حتى ذهب سمعه ، فما يكادُ يسمع ، وكادُ يذهبُ بصره ، وكانت ابنته تحمله إذا حضرت الصلاة ، أو أراد أن يذهب الحاجة ، فإذا فرغ أعادته إلى الرباط ، فقال رسول الله ﷺ : لو جاءني لاستغفرت له .

قال أبو عمر : اختلف في الحال الذي أوجب فعل أبي لبابة هذا بنفسه ، وأحسن ما قيل في ذلك : ما رواه معمر عن الزهري ، قال : كان أبو لبابة ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، وقال : والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى يتوب الله علي ، أو أموت . فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه . وذكر نحو ما تقدم في حل رسول الله ﷺ إياه (١) .

ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبْتُ فيها الذنب ، وأن أخْلَع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : يجزئك يا أبا لبابة الثلث .

وروي عن ابن عباس من وجوه في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُوا عَنْ دَارِهِمْ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٢] أنها نزلت في أبي لبابة ونفر معه سبعة أو ثمانية ، أو سبعة سواه تخلفوا عن غزوة تبوك ، ثم ندموا فتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري ، فكان عملهم الصالح توبتهم ، والسيء تخلفهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ (١) .

قال أبو عمر : وقد قيل إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة كان إشارته إلى حلفائه بني قريظة أنه الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ وإشارته إلى حلقه ، فنزلت فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسيد بن عبيد ، وهم نفر من هذيل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، وهم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه ، قال : من هذا ؟ أنا عمرو بن سعدى ، وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد

(١) الاستيعاب ١٦٩/٤ على هامش الإصابة .

أبدأ . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني ^(١) عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدر أين وجهه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذلك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة ^(٢) فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمته ملقاة ، ولا يُدرى أين ذهب . فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، فالله أعلم أي ذلك كان .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت . وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوهمهم له ، فلما كلمته الأوس . قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : ربيعة في مسجده وكانت تُداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة ربيعة ، حتى أعوده من قريب ، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار ، وقد وطؤوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولأك ذلك ، لتحسن فيهم . فلما أكثروا ، قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فتعفى إليهم رجلاً من بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : عم بها رسول الله ﷺ المسلمين ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو : إن رسول الله ﷺ قد

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة النبوية : لا تحرمني إقالة عثرات الكرام .

(٢) « برمة » : بقطعة من الحبل بالية .

وَلَاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ ، لَتَحْكَمَ فِيهِمْ . فَقَالَ سَعْدُ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ الْحَكَمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : وَعَلَى مَنْ هُنَا ؟ — فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالاً لَهُ — فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ . قَالَ سَعْدُ : فَإِنِّي أَحْكَمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقَسَمَ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ ^(١) .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : قَالَ حَمِيدٌ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَتَكُونُ الذِّبَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : إِخْوَانُنَا كُنَّا مَعَهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْتَغْنَوْا عَنْكُمْ ^(٢) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَعْدٍ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي مَنْ أَثَقُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَاحَ وَهُمْ مُحَاصِرُونَ بَنِي قَرْيِظَةَ بِكُتَيْبَةِ الْإِيمَانِ ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا ذَوْقَنُ مَا ذَاقَ حِمْرَةً ، أَوْ أَفْتَحَنُ حَصَنَهُمْ . فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ اسْتَمْتَرُوا ، فَحَبَسَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ — امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ — ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَوَاقِ الْمَدِينَةِ ، الَّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ، يَخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهَا أَرْسَالاً ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتْمَاةٌ أَوْ سَبْعَمَائَةٌ ، وَالْمَكْثَرُ يَقُولُ كَانُوا مَا بَيْنَ الثَّمَانِيَةِ وَالتَّسْعَمَائَةِ ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ — وَهُوَ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَالاً — : يَا كَعْبُ ! مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ ! أَمَّا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ، وَاللَّهُ الْقَتْلُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَتَى بِحَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ عَدُوَّ اللَّهِ ، بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِجَبَلٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا لَمْ تُنْفِسِي فِي عِدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يُخْذَلُ اللَّهُ يُخْذَلُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمِلْحَمَةٌ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَلَسَ فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٨ — ٢٤٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧٧ .

وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي وتضحكُ ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلتُ لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها . فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها : طيبَ نفسها ، وكثرةَ ضحكها ، وقد عرفتُ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : هي التي طرحت الرحي على خلّاد بن سويد فقتلته^(١) .

وقال ابن سعد : أمر بهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ، فكُفّفوا وجُعِلوا ناحيةً ، وأُخرجَ النساء والذرية فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام ، وجمع أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الخلفة والأثاث والثياب ، فوجد فيها ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع ، وألفي رمح وخمسمائة ثُرس وجحفة^(٢) ، وخمراً وجرار سكر ، فأهريق ذلك كله ، ولم يُخَمَسْ ، ووجدوا جمالاً نواضح ، وماشية كثيرة^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشّمس كما ذكر ابن شهاب الزهري ، أقرّ الزّبير^(٤) بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان الزّبير قد منّ على ثابت بن قيس في الجاهلية ، ذكر لي بعضُ ولد الزّبير أنه كان منّ عليه يوم بُعث ، أخذه فجزّ ناصيته ، ثم خلّى سبيله ، فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ قال : وهل يَجْهَلُ مثلي مثلك ؟ قال : إني قد أردتُ أن أجزيك بيدك عندي . قال : إن الكريم يَجزي الكريم . ثم أقرّ ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنه كان للزّبير عليّ منّة ، وقد أحببتُ أن أجزيه بها ، فهب لي دمه . فقال رسول الله ﷺ : هو لك . فأتاه ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دَمَكَ ، فهو لك . قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢/٢٤٠ — ٢٤٢ .

(٢) « جحفة » : ترس .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧٥ .

(٤) الزّبير : بفتح الزاي المشددة ، و« الزّبير » بضم الزاي إلا هذا . قال السهيلي : هو جد الزّبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح . انظر الموطأ (باب نكاح المحلل وما أشبهه ٢/٥٣١) .

يصنع بالحياة ؟ قال : فأقى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ، امرأته وولده . قال : هم لك ، قال : فأتاه ، فقال : قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلَكَ وولَدَكَ ، فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأقى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! ماله . قال : هو لك . فأتاه ثابت ، فقال : قد أعطاني رسول الله ﷺ مالَكَ ، فهو لك . قال — أي ثابت — : ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية ، تراءى فيه عذارى الحي ؟ كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ؟ عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادي ؟ حُي بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل المجلسان — يعني بني كعب بن قريظة ، وبني عمرو بن قريظة — ؟ قال : ذهبوا ، قُتلوا . قال : فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقنتي بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير . فما أنا بصابر لله قَبْلَةَ^(١) دلو ناضح ؛ حتى ألقى الأحبة ، فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً مُخلداً^(٢) .

وذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : لك ماله وأهله إن أسلم^(٣) .

قال ابن إسحاق : حدّثني شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بني قريظة كل من أنبت ، وكنت غلاماً ، فوجدني لم أنبت ، فخلّوا سبيلي . وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس^(٤) ، أخت سليط رسول الله ﷺ — وكانت إحدى خالاته — : رفاعة بن سموأل القرظي ، وكان قد بلغ . قالت :

(١) انظر فوائد المؤلف ص ١١٧ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٣) الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٦٣ .

(٤) سلمى بنت قيس : هي إحدى خالات جد رسول الله ﷺ (عبد المطلب) ؛ لأنها من بني عدي بن النجار ، وكانت فيمن بايع تحت الشجرة ، وصلى إلى القبلتين . لها رواية وأخرج لها الإمام أحمد في المسند . نور التبراس .

فإنه زعم أنه سيُصَلِّي ويأكل لحم^(١) الجمل ، فوهبه لها . ثم خُمِّست غنائمهم وقُسمت ، للفرس ثلاثة أسهم ؛ سهم له ، وسهمان لفرسه ، وللراجل سهم ، وهو أول فيء وقعت فيه السهمان وخُمِّس ، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه منهم ربحانة بنت عمرو بن خُثافة ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها ، وسيأتي ذكرها في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وأُنزل الله عز وجل في أمر الخندق وبني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ [الأحزاب : ٩] والجنود : قريش وغطفان وبني قريظة . وكانت الجنود التي أرسلها الله عليهم مع الريح : الملائكة ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ﴾ بنو قريظة ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ : قريش وغطفان إلى قوله : ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها — يعني خير — وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ [الأحزاب : ١٠ - ٢٧] .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر لسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه . وأتى جبريل^٢ النبي ﷺ من الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الذي فُتحت له أبواب السماء ، واهترأ له العرش ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ ، فوجده قد مات . ولما نُحْمِل على نعشه وجدوا له خِيفة . فقال رسول الله ﷺ : إن له حملة غيركم^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ فيما ذكر ابن عائذ : لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعداً ما وطئوا الأرض إلا يومهم هذا .

(١) لأن اليهود يحرمون أكل لحم الجمال ، أسوة بإسرائيل الذي حرّمه على نفسه ، قال الله تعالى : ﴿ كل الطعام

كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ﴾ [آل عمران : ٩٣] .

(٢) السيرة النبوية : لابن هشام ٢/٢٤٤ - ٢٥١ .

وقال ابن سعد : مرت عليه عتز وهو مضطجع ، فأصابته الجرح بظلفها ، فما رقاً حتى مات ، وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يعجبون من حسن الجبة ، فقال رسول الله ﷺ : « لناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن » يعني من هذا^(١) .

واستشهد يوم بني قريظة خلاد بن سويد الحارثي ، الذي طرحت المرأة عليه الرحا ، وقد تقدّم خبر قتلها ، وزاد ابن عائد : ومنذر بن محمد أخو بني جحجبا . ومات أبو سينان بن مخصن الأسدي ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة ، ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ : لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فكان كذلك .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٤٤ - ٢٥١ .

ذكر فوائد تتعلق بما سبق من ذكر

الخدق وبني قريظة

● أول من حفر الخنادق في الحروب : منوشهر بن إيرج ، وأول من كَمَّن الكمائن : بخت نصر ، ذكر ذلك عن الطبري .

● والنسبة إلى بني النضير نَصْرِيّ بفتحيتين ، كَثَفَقِي .

● وعُيُنة بن حصن : لقب لقائد الأحزاب ، واسمه حذيفة ، لقب بذلك لَشَتْر^(١) كان في عينه .

● وذكر حيي بن أخطب وما قال لكعب بن أسد ، وأنه لم يزل يَفْتِلُ في الذروة والغارب . قال السهيلي : هذا مثل ، وأصله في البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القِرَاد^(٢) من ذروته وغارب سنامه ، فيجد البعير لذة ، فيأنس عند ذلك ، وأنشد للحطيئة :
لعمرك ما قِرَاد بني كليب إذا نُزِعَ القِرَادُ بمسطاع
يريد أنهم لا يُخدعون ولا يُستدلون .

● واللحن : العدول بالكلام عن الوجه المعروف إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ، وقال الجاحظ في قول مالك بن أسماء :
منطق صائب وتلحن أحياء نأ ، وخير الكلام ما كان لحناً

يُريد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يُستملح ويُستطاب من الجارية الحديثة السن .
وخطيء الجاحظ في هذا التأويل ، وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لَحَنَتْ ، فأنكر عليها اللحن ، فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء * وخير الحديث ما كان لحناً * فقال لها الحجاج : لم يرذ أخوك هذا ، وإنما أراد الذي هو التورية

(١) « لَشَتْر » : الشَّتْر : انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله .

(٢) القِرَاد : دُوبية معروفة تلصق في جلد البعير .

والإلغاز ، فسكتت . فلما حُدِّثَ الجاحظُ بهذا الحديث ، قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أُؤلف كتاب البيان ما قلتُ في ذلك ما قلت . فقيل : أفلا تغيِّره ؟ قال : وكيف وقد سارت به البغال الشهبُ ، وأنجَدَ في البلاد وأغار . انتهى ما حكاه السهيلي ، وتأويلُ الجاحظِ أولى ، لما فيه من مقابلة الصواب بالخطأ ، ولعلَّ الشاعرَ لو أراد المعنى الآخر ، لقال : منطق ظاهر . ليقابلَ بذلك ما تقتضيه التورية واللغز من الخفاء ، وكما قال الجاحظ في تأويل : وتلحن أحياناً ، قاله ابن قتيبة .

● وجَبَّان بن العَرَقَة : هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن مَعِص بن عامر بن لُؤي ، والعَرَقَة أمه . وهي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم ، تكنى أم فاطمة ، سُمِّيت العَرَقَة لطيب ريحها . كذا ذكر السُّهيلي . وابن الكلبي يقول : هي أمُّ عبد مناف جدَّ أبيه ، وهو عنده : حبان بن أبي قيس بن علقمة بن عبد مناف . وموسى بن عقبة يقول فيه : جَبَّار بن قيس بالجيم والراء ، أحدُ بني العَرَقَة .

● وحديث اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ حديث^(١) صحيح . قال السهيلي : والعجب من رواية من روى عن مالك أن يُقال : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن مُعاذ . ولم ير التحديث بذلك مع صحة نقله وكثرة الرواة له ، ولا أدري ما وجه ذلك ، ولعلَّها غير صحيحة عنه ، فقد خرَّجه البخاري .

قلت : هذا يقتضي أن يكون إنكار مالك محمولاً عنده على أمر عنده يرجع إلى الإسناد

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب مناقب سعد بن معاذ) رقم / ٣٨٠٣ / ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل سعد بن معاذ) رقم / ٢٤٦٧ / ، والترمذي في المناقب (باب مناقب سعد بن معاذ) رقم / ٢٨٤٧ / . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » .. ١٣٤/٧ : والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدم روحه ، يقال لكل من فرح بقدم قادم عليه : اهتز له ، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت .. وبعد أن ذكر اختلاف العلماء ، وكرامية مالك لروايته قال : وقد جاء اهتزاز العرش لسعد بن معاذ عن عشرة من الصحابة أو أكثر ، وثبت في الصحيحين ، فلا معنى لإنكاره . وقال ابن الأثير في جامع الأصول ٦٢/٩ : « اهتزاز العرش » : كناية عن ارتياحه بروحه حين صعد بها ، لكرامته على ربه ، وكل من خف لأمر وارتاح له ، فقد اهتزَّ له ، والمعنى : فرح أهل العرش بقدمه على الله لما رأوا من منزلته وكرامته وفضله .

وليس كذلك ، بل قد اختلف العلماء في هذا الخبر ، فمنهم من يحمله على ظاهره ، ومنهم من يَجْنَح فيه إلى التأويل . وما كانت هذه سبيله من الأخبار المشككة ، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي ، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا الوجه ، والله أعلم .

● وأسيد بن سَعِيَة بفتح الهمزة وكسر السين ، كذا هو عند أكثر الرواة ، ونُقل عن بعضهم أُسيد ، بضم الهمزة وفتح السين .

● وجهشت إلى الشيء ، وأجهشت : أسرع متباكياً .

● ويعني بالأرقعة : السماوات . قال ابن دُرَيْد : كذا جاء في هذا الحديث « سبعة أرقعة » على لفظ التذكير ، على معنى السقف . قال الفسوي : ومثل تسميتهم إياها بالجرباء تسميتهم إياها بالرَّقِيع ، قال ابن الأعرابي : سَمَوْهَا بالرَّقِيع ، لأنها مرقوعة بالنجوم . قال أبو علي : والأجربُ : خلاف الأملس .

● والمرأة المقتولة من بني قريظة اسمها بُنانة ، امرأة الحكم القرظي . قال السُّهيلي : وفي قتلها دليل لمن قال تُقتل المرتدة من النساء أخذاً بعموم قوله عليه الصلاة والسلام : « من بدل دينه فاضربوا عنقه »^(١) وفيه مع العموم قوة أخرى ، وهي تعليق الحكم بالردة والتبديل ، ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن لا تقتل المرتدة لنهي عليه الصلاة والسلام عن قتل النساء والولدان .

قلت : هما عامان تعارضا ، وكل من الفريقين يخص أحد الحديثين بالآخر ، فالعراقيون يخصون حديث « من بدل دينه فاقتلوه » بحديث النهي عن قتل النساء والصبيان . وغيرهم يُخالفهم ، وتخصيص المخالف أولى لوجه ليس هذا موضع ذكره . وأما استدلاله بهذا الحديث

(١) رواه البخاري في استتابة المرتدين (باب حكم المرتد والمرتدة) رقم / ٦٩٢٢ / ، والترمذي في الحدود (باب ما جاء في المرتد) رقم / ١٤٥٨ / ، وأبو داود في الحدود (باب الحكم فيمن ارتد) رقم / ٤٣٥١ / ، والنسائي في تحريم الدم (باب الحكم في المرتد) رقم / ١٠٤٧ / و ١٠٥ ، وهو في المسند ٢٨٢/١ . كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، بلفظ « من بدل دينه فاقتلوه » . وفي الموطأ في الأقضية (باب القضاء فيمن ارتد) عن زيد بن أسلم ، بلفظ « من غير دينه فاضربوا عنقه » وهو مرسل .

على قتل المرتدة ، ولم تكن هذه مرتدة قط فعجيب ، بل هي قاتلة ، قتلَتْ خِلَادَ بنِ سُويد ، ومقاتلة بتعاطيها ذلك ، وناقضة للعهد ، فالعراقي موافق لغيره في قتل هذه ، وفي انفرادها بالقتل عن نساء بني قريظة ما يُشعر بأنه لما انفردت به عنهن من قتل خِلَادَ ، فليس هذا من حكم المرتدة في ورد ولا صَدَرَ .

● وقول الزَّيْبَرِ — وهو بفتح الزاي وكسر الباء — : لستُ صابراً قَبْلَةَ دَلُو ناضح . هو عند ابن إسحاق: بالفاء والتاء ثلاثة الحروف ، وقال ابن هشام : إنما هو بالقاف والباء الموحدة ، وقابل الدلو : الذي يأخذها من المُستقي . وذكرَ أبو عُبَيْد الحديثَ في « الأموال » إفراغةَ دلو .

* * *

سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء

روينا عن ابن عائد : عن الوليد بن مُسلم ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل ، بعثه إلى القرطاء من هوازن .

ورويانا عن ابن سعد : قال : ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، خرج لعشر ليالٍ خلون من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ ، بعثه في ثلاثين راكباً إلى القرطاء ، وهم بطن من بني أبي بكر بن كلاب ، وكانوا يزلون البكرات بناحية ضَرِيَّة^(١) ، وبين المدينة وضَرِيَّة سبع ليالٍ ، وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فصار الليل وكمن النهار ، وأغار عليهم ، فقتل نفراً منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نَعْماً وشاء ، ولم يعرض للظُّعْن ، وانحدروا إلى المدينة فخمّس رسول الله ﷺ ما جاء به ، وفضّ^(٢) على أصحابه ما بقي ، فعدّلوا الجزور بعشرة من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيراً ، والغنم ثلاثة آلاف شاة ، وغاب تسع عشرة ليلة وقدم لليلة بقيت من المحرم^(٣) .

وذكر أبو عبد الله الحاكم : أنها في المحرم سنة ست ، وأن ثُمَامَةَ بن أثال الحنفي أخذ فيها ، وذكر حديث إسلامه^(٤) .

ورويانا من طريق مسلم رحمه الله : حدثنا قُتَيْبَةُ بن سعيد ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، أنه سمع أبا هريرة يقول : بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِيلَ نَجْد ، فجاءت برجل من بني حَنِيْفَةَ ، يُقال له : ثُمَامَةُ بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال : « ماذا عندك يا ثُمَامَةُ ؟ » قال : عندي

(١) « ضَرِيَّة » : اسم بُر .

(٢) « فضّ » : فرّق .

(٣) الطبقات الكبرى ٧٨/٢ .

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٧٨/٤ - ٧٩ عن أبي عبد الله الحافظ ، المعروف بالحاكم ، ولم نجده في المستدرک .

يا محمد أخيراً ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المالَ فسَلْ تُعْطَ منه ما شئت .. الحديث . وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ » . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إليّ من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الدين كله إليّ .. الحديث^(١) .

والقُرطاء : قُرْط وقُرَيْط وقُرَيْط بنو عبد بن عبيد ، وهو أبو بكر بن كلاب من قيس عيلان ، ذكره الرُّشَاطِي قال : وذكر الطبري ، قال : قال أبو اليقظان : تزوج النبي ﷺ عَمْرَةَ ، وهي من القُرطاء ، من بني أبي بكر بن كلاب^(٢) .

ومن يُنسب هذه النسبة محمد بن القاسم بن شعبان القُرْطِي الفقيه ، له مصنف في الفقه على مذهب مالك رحمه الله وهو مصري ، وقد ذكره الأمير^(٣) .

* * *

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه) رقم ١٧٦٤ / ، ومعنى : « ماذا عندك يا ثُمَامَةُ ؟ » أي ماذا تظن بي أن أفعل بك ؟ ! .

(٢) الطبري ١٦٨/٣ .

(٣) الإكمال ؛ لابن ماكولا ١٤١/٧ .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق

واستأذن نفرٌ من الخزرج رسولَ الله ﷺ في قتله ، ذباً عن الله وعن رسوله ﷺ ، وتشبهاً بالأوس فيما فعلوه من قتل ابن الأشرف ، فأذن لهم ، وكذلك كانوا رضي الله عنهم يتنافسون فيما يُزْلَفُ إلى الله وإلى رسوله . وكان ابن أبي الحقيق بخيبر ، فخرج إليه من الخزرج من بني سَلِمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

وأمر رسولُ الله ﷺ عليهم ابنَ عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة . فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دارَ ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان في عُلَية ، له إليها عجلة^(١) . قال : فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : ناس من العرب ، نلتمسُ الميرة . قالت : ذا كم صاحبكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجر ، تخوفاً أن يكون دونه مَحُولَةٌ^(٢) تحول بيننا وبينه ، قال : وصاحبتُ المرأة فنوّهت بنا . قال : وابتدرناه وهو على فراشه بأسياقنا ، والله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبْطية ملقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكرُ نهي رسول الله ﷺ فيكفُّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسياقنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْطِي قَطْطِي ، أي حسي حسي . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر ، فوقع من الدرجة ، فوثقت^(٣) يده وثماً شديداً ، ويقال : رجله — فيما قال ابن هشام وغيره — . قال : وحملناه حتى نأتي منهراً^(٤) من عيونهم فندخل

(١) « عَجَلَةٌ » : درج من جنوع النخل ، منقور وغير منقور . « فأسندوا فيها » : صدقوا .

(٢) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/ ٢٧٥ : « أن تكون دونه مُجَاوِلَةٌ تحول بيننا وبينه » .

(٣) « وثقت يده » : ووثقت — بالتاء — : وجع عظمها وجعاً لم يبلغ الكسر ، أو حصل فيها انفكاك .

(٤) « منهراً » : خرق في الحصن يدخل منه الماء .

فيه . قال : فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبون ، حتى إذا يسعوا رجعوا إلى أصحابهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهبُ فأنظرُ لكم فانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدتها ورجالُ يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبتُ^(١) . قلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت تنظر في وجهه ، ثم قالت : فاضَ وإله يهود . فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألدَّ إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبرَ ، فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلُّنا يدعي . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسيافكم فجئناه بها ، فنظرَ إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثرَ الطعام^(٢) .

قال ابن سعد : هي في شهر رمضان سنة ست ، قال : وقالوا : كان أبو رافع قد أجلبَ في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعلَ لهم الجعلَ العظيم لحرب رسول الله ﷺ^(٣) . وذكر ابن عتبة فيمن قتلَ أبا رافع : أسعد بن حرام ولم يذكره غيره .

● والعجلة : درجة من نخل ، قاله القُتَيْبِيُّ^(٤) .

* * *

(١) « أكذبتُ » : كذبت نفسي .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٧٤/٢ — ٢٧٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٩١/٢ وفيها : أن تقديم عبد الله بن عتيك عليهم كان لمعرفة لغة يهود .

(٤) « القُتَيْبِيُّ أو القُتَيْبِيُّ » : نسبة إلى قُتَيْبَة ، بطن من باهلة ، وإلى قُتَيْبَة : جد أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب ، له « غريب الحديث » وغيره توفي سنة ٢٧٦ هـ . اللباب ؛ لابن الأثير ١٥/٣ .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

رضي الله عنهما

روينا عن ابن إسحاق قال : وحديثي يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد . مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله إنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيتُ أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيتُ ؟ قلت : رأيتُ أن نكونَ عند النجاشي ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيّا منهم إلا خيرٌ . قالوا : إن هذا لرأي . قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحبُّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : قلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري لو دخلتُ على النجاشي فسألته إياه ، فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ ذلك رأيتُ قريشَ أبي قد أجزأتُ عنها حين قتلُ رسول محمد . قال : فدخلتُ وسجدتُ له كما كنتُ أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، أهديتُ إلي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك . قد أهديتُ لك أدماً كثيراً . قال : ثم قربته إليه فأعجبته ذلك واشتراه . ثم قلت له : أيها الملك إنني قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك ، وهو رسولُ رجلٍ عدوٌّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب منا من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ، ثم مدَّ يده فضربَ بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقتُ لي الأرضُ لدخلتُ فيها فرقاً منه . ثم قلت له : أيها الملك والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكَ . قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي على موسى لئقتله ؟ قال : فقلت : أيها الملك ! أكذلك هو ؟ قال : وبحك يا عمرو ! أطعني وأتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال :

قلت : أفتبايعني على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسطَ يده فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنمتُ أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ والله لقد استقام الميِّسم^(١) ، وإن الرجلَ لَنِيّ ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى متى ، قال : قلت : وأنا والله ما جئتُ إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلمَ وبايعَ ، ثم دنوتُ ، فقلت يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفرَ لي ما تقدم من ذنبي — ولم أذكر ما تأخر — فقال رسولُ الله ﷺ : يا عمرو بايع فإن الإسلامَ يُجِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرةَ تجبُّ ما كان قبلها . قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما^(٢) .

قال أبو القاسم السهيلي : وذكر الزبير حديثَ عمرو هذا ، وقال : وقدم معهما عثمان بن طلحة صحبهما في تلك الطريق . قال عمرو : وكنْتُ أسنَّ منهما ، فأردتُ أن أكيدَهما فقدمتهما قبلي للمبايعة ، فبايعا رسولَ الله ﷺ على أن يُغفرَ لهما ما تقدَّم من ذنبيهما ، وأضمرتُ في نفسي أن أذكرَ ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، فلما بايعتُ قلتُ : على أن يُغفرَ لي ما تقدم من ذنبي . وأنسيت أن أقول ما تأخر^(٣) .

● قوله قد استقام الميِّسم : أي ظهرت العلامة ، ومن رواه المُنْسم بالنون ، أراد الطريق .

* * *

(١) « الميِّسم » : العلامة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٧٦/٢ — ٢٧٨ .

(٣) الروض الأنف ٣٠٤/٣ .

غزوة بني لحيان

هي عند ابن سعد لغرة هلال شهر ربيع الأول سنة ست (١).

وقال ابن إسحاق : وخرج — يعني النبي ﷺ — في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان ، يطلبُهم بأصحاب الرجيع ، خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يُريد الشام ؛ ليصيب من القوم غرة ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، حتى أتى منازل بني لحيان ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فلما نزلها رسولُ الله ﷺ ، وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهلُ مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (٢) ، ثم كرا .

وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً ، فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وَّجه : « آيئون تائبون إن شاء الله ، لربنا جامدون ، أعوذ بالله من وَعْثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال » .

والحديث عن غزوة بني لحيان : عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك (٣) .

وقال ابن سعد : فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيدعَهم ، فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً (٤) .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٧٨/٢ .

(٢) « كراع الغميم » : واد بعد عُسفان بثمانية أميال ، وقيل : بين عُسفان ومرَّ الظهران .

(٣) السيرة النبوية ٢٧٩/٢ — ٢٨٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ٧٩/٢ .

غزوة ذي قرد ويقال لها غزوة الغابة

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل ، حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفِزَارِي في خيل من غَطَفَان على لِقَاح^(١) رسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومَنْ لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كلُّ قد حَدَّث في غزوة ذي قرد بعضَ الحديث ، أنه كان أول من نَذِرَ بهم^(٢) سلمةُ بن عمرو بن الأكوع ، غدا يُريد الغابةَ مُتَوَشِّحاً قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، ومعه غلام لطلحةُ بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع ، نظرَ إلى بعض خيولهم ، فأشرف إلى ناحية سَلْع ، ثم صرَّخ واصباحاه ، ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السَّيْبِ ، حتى لحق القومَ ، فجعل يردُّهم بالنبل ، ويقول إذا رمى :

* خذها وأنا ابنُ الأكوع *

* واليومُ يومُ الرُّضْع^(٣) *

فإذا وُجِّهَت الخيل نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال :

* خذها وأنا ابنُ الأكوع *

* واليومُ يومُ الرُّضْع *

(١) « لِقَاح » : جمع لِقْحَة ، بكسر اللام وفتحها : هي الناقة ذات الدَّر ، لم يمس على ولادتها أكثر من ثلاثة أشهر .

(٢) « نَذِرَ » : علم .

(٣) « الرُّضْع » : جمع راضع ، وهو اللثيم ، والمعنى : اليوم يوم هلاك اللثام .

قال : فيقول قائلهم : «أوكيعنا»^(١) ! هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ في المدينة : الفرع الفرع ! فكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان : المقداد بن عمرو — وهو الذي يقال له : المقداد بن الأسود حليف بني زهرة — ثم عباد بن بشر ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير — يُشكُّ فيه — وعُكاشة بن محصن ، ومحرز بن نضلة ، وأبو قتادة ، وأبو عيَّاش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : اخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك بالناس .

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغني ، عن رجال من بني زريق ، لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فليحق بالقوم . فقال أبو عيَّاش : قلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيتك أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرساً أبي عيَّاش معاذ بن معاص — أو عائذ بن معاص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً — .

كذا وقع هنا — وبعض الناس يقول : إن معاذ بن معاص وأخاه عائذاً قتلوا يوم بدر معونة شهيدين ، وقد تقدم ذلك ، وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه ، فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمه ، وكان يُقال لمحرز : الأخرم ، ويُقال له : قمير ، وأن الفرع لما كان جال فرساً لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صنيعاً^(٢) جاماً ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل — حين رأين الفرس يجول في الحائط ، بجذع نخل هو مربوط

(١) «أوكيعنا» : الهمة الأولى للنداء ، وأكيع : تصغير أكوع ؛ سهلت همزته واواً بعد التصغير = وكييع .

(٢) «صنيعاً» : مُنشأ بعناية واهتمام ، و«جاماً» : مرتاحاً .

به — : يا قمير ! هل لك في أن تركب هذا الفرس فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم . فأعطينه إياه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل لجِمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يا معشر بني اللُكَيْعة^(١) ، حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقدر عليه ، حتى وقف على أُرْيَه^(٢) في بني عبد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : قُتل يومئذ من المسلمين مع محرز : وقاص بن محرز المدلجي ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم^(٣) .

قال ابن إسحاق : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن ، وغشاه برده ثم لحق بالناس . وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين — واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام — فإذا حبيب مُسَجَّى يبرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قُتل أبو قتادة . فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشَةُ بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانظمهما بالرمح فقتلتهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله لو سرحني في مائة رجل لاستنقذت بقیة السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله ﷺ فيما يلغي : إنهم الآن ليغيبون^(٤) في غطفان ، فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه ، في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة ، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ! إني قد نذرتُ لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها .

(١) « اللُكَيْعة » : اللثيمة .

(٢) « أُرْيَه » : مربطه .

(٣) السيرة النبوية ٢/٢٨١ — ٢٨٣ .

(٤) « ليغيبون » : يُسْقون الغبوقَ : وهو اللبن يُشرب في العشي .

قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، قال : « بئس ما جَزَيْتَهَا أَنْ حَمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَاكَ بِهَا ثُمَّ تَحْرِيئُهَا ، لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكِينَ ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي ، أَرْجِعْنِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » .

والحديث^(١) عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله ﷺ ، عن أبي الزبير المكي ، عن الحسن البصري .

وقال ابن عقبة : كان رئيس القوم — يعني المشركين — مسعدة الفزاري ، وهو عنده قتيل أبي قتادة ، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : « لتعرفوه ، فتخلوا عن قتيله وسلبه » . ثم إن فوارس النبي ﷺ أدركوا العدو والسرح ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، واستنقذوا السرح ، وهزم الله تعالى العدو . ويقال : قتل أبو قتادة قرفة ابن امرأة مسعدة .

وأما ابن سعد ، فقال : وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن ، وقرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر^(٢) .

قال ابن عقبة : وقتل يومئذ من المسلمين الأجدع محرز بن نضلة قتله أوبار — كذا قاله — وهو عند ابن سعد آثار ، وعند ابن عائد أبار . فشدد عُكَّاشَةُ بن محصن فقتل أوباراً وابنه .

وذكر ابن عائد عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة نحوه ما ذكرنا عن ابن عقبة .

وذكر ابن سعد أنها في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، وأن اللقاح عشرون ، فأغار عليها عيينة في ليلة الأربعاء في أربعين فارساً ، فاستاقوها ، وكان أبو ذر فيها ، وقتلوا ابن أبي ذر ، وجاء الصريح ، فنادى : الفرع الفرع ، فتودي : يا خيل الله اركبي . وكان أول ما نودي بها^(٣) .

قلت : قد تقدم عن قتادة من طريق ابن عائد النداء بـ : يا خيل الله اركبي في وقعة بني

(١) الحديث في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٠/٢ عن الحسن البصري ، ومعناه في صحيح مسلم عن عمران بن حصين في النذر (باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد) رقم ١٦٤١/ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨٠/٢ .

قريظة ، وهي قبل هذه عندهم .

وركب^(١) رسول الله ﷺ ، فخرج غداة الأربعاء في الحديد مقنعا فوقف ، وكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو ، وعليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه ، فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه وقال : امض حتى تلحقك الخيل ، وخلف سعد بن عباد في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة . قال : وذهب الصريح إلى بني عمرو بن عوف ، فجاءت الأمداد ، فلم تزل الخيل تأتي ، والرجال على أقدامهم وعلى الإبل ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذئ قرد ، فاستنقذوا عشر لقاح ، وأفلت القوم بما بقي ، وهو عشر . وصلى رسول الله ﷺ بذئ قرد صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتحسب^(٢) الخير ، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، ويقال سبعمائة ، ويعث إليه سعد بن عباد بأحمال تمر ، وبعشر جزائر ، فوافقت رسول الله ﷺ بذئ قرد . قال ابن سعد : والثبت عندنا أن سعد بن زيد أمير هذه السرية ، ولكن الناس نسبوها للمقداد ، لقول حسان :

(غداة فوارس المقداد) .

قلت : وأوله :

ولسراً أولاد اللقيطة أنسا سِلْمَ غداة فوارس المقداد
قال : فعاتبه سعد ، فقال : اضطرني الروي إلى المقداد . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الاثنين وكان قد غاب خمس ليال .

وفي رواية لابن سعد في هذا الخبر : عن هاشم بن القاسم ، عن عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : خرجت أنا ورباح ، غلام النبي ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله ، كنت أريد أن أنديه^(٣) مع الإبل ، فلما أن كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها ، وخرج يطردُها ، وذكر نحو

(١) رجع إلى ابن سعد .

(٢) « يتحسب » : يتعرف ويتوخي ويستخير . وفي الطبقات الكبرى : يتحسس .

(٣) « أنديه » : من التندية ، وهي أن تورد الإبل والخيل ساعة ، ثم ترد إلى المرعى ساعة ، ثم ترد إلى الماء مرة أخرى . وفي نسخة « هـ » : « أبديه » بالباء ، أي : أخرجه إلى البادية .

ما تقدم ، وفيه حتى ما خلق الله شيئاً من ظَهَرِ النَّبِيِّ ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، ثم لم أزل أرميهم ، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رحماً ، وأكثر من ثلاثين بردة ، يستخفونها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله ﷺ ، وفيه : أنه جلاهم عن ماء ذي قرد ، ويخلفون فرسين ، فجئتُ بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ ، وفيه : قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْهُمْ الْآنَ يُقْرُونَ بِأَرْضِ غُطْفَانَ » . قال : فجاء رجل من غطفان ، فقال مرؤا على فلان الغطفاني ، فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غيرةً ، فتركوها وخرجوا هرباً ، فلما أصبحنا ، قال رسول الله ﷺ : خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخيرُ رَجَالِنَا سلمة ، فأعطاني رسول الله ﷺ سهمَ الراجلِ والفارس جميعاً^(١) .

وفي رواية البخاري لهذا الخبر ، من طريق سلمة ، فقلت : يا نبي الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة ، فقال : « يا ابن الأكوع ملكك فأسجح »^(٢) .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الواقعة

- قَرَد : مفتوح القاف والراء ، وحكى السهيلي عن أبي علي الضمَّ فيهما .
- وقوله : اليومَ يومُ الرُّضْع : يُريد يومَ هلاك الرُّضْع ، والرُّضْع : اللثام ، من قولهم : لئيم راضع ، وهو الذي يرضع الغنم ولا يحلبها ، فَيَسْمَعُ صَوْتَ الحلب ، وقد قيل فيه غير ذلك .
- ومحرز بن نُضْلة : المعروف فيه سكون الضاد ، ورأيت عن الدارقطني فتحها ، وحكى البغوي عن ابن إسحاق : محرز بن عون بن نضلة ، وبعضهم يقول : ابن ناضلة .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٨٠/٢ — ٨٤ بتصرف واختصار .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة ذات القرد) رقم /٤١٩٤/ ، ومعنى « أسجح » : أحسن العفو .

سرية سعيد بن زيد إلى الغرنيين

وهي في شوال سنة ست عند ابن سعد^(١)

قال ابن عقبة : وكان قد قدم على رسول الله ﷺ نفر من غرينة ، وعرينة حبي من بجيلة ، وكانوا مجهودين مضرورين ، قد كادوا يهلكون ، فأنزلهم عنده ، وسألوه أن يُنجيهم من المدينة ، فأخرجهم رسول الله ﷺ إلى لقاح له بفيء الخبار^(٢) من وراء الحِمى ، فيها مولى لرسول الله ﷺ يدعى يساراً ، فقتلوه ، ثم مَثَلُوا به ، واستاقوا لقاح رسول الله ﷺ ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم ، فأدركوا فوق المُتَقَى^(٣) ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فَقُطِعَتْ أيديهم وأرجلهم ، وسَمِلَ أعينهم ، وأمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد . وتحدث بهذا الحديث كما زعموا أنس بن مالك ، وذكروا أن رسول الله ﷺ نهى بعد ذلك عن المَثَل بالآية التي في سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] هذه الآية والتي بعدها .

قرىء على أبي محمد عبد الرحيم بن يوسف المزني ، وأنا أسمع ، أخبرك أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج ؟ فأقر به . أخبرنا الرئيس أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، أخبرنا أبي ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أسلم ناسٌ من غرينة ، فاجتَوُوا المدينة ، فقال لهم رسول الله ﷺ لو خرجتم إلى ذَوْدٍ^(٤) لنا ، فشربتم من ألبانها . قال حميد : وقال قتادة عن أنس : وأبوالها . فلما صَحُّوا كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ﷺ مؤمناً أو

(١) الطبقات الكبرى ٩٣/٢ .

(٢) « فيء الخبار » : موضع قرب المدينة ، والفيء : الأرض الواسعة ، والخبار : الأرض السهلة . معجم

ما استعجم ١٠٣٦/٣ - ١٠٣٧ .

(٣) « المُتَقَى » : موضع على سيف البحر مما يلي المدينة .

(٤) « ذَوْدٌ » : المجموعة من النوق لا تقل عن ثلاث .

مسلماً ، وساقوا ذؤد رسول الله ﷺ وهربوا محاربين ، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ، فأخذوا ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّرَ أعينهم^(١) ، وتركهم في الحرة حتى ماتوا .

وقال ابن سعد : وبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فبعث في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري ، فأدركوهم ، فأحاطوا بهم ، فأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل ، حتى قدموا المدينة ، قال : وكانت اللقاح خمس عشرة غزيراً ، فردوها إلى المدينة ، ففقد رسول الله ﷺ منها لقحة تُدعى الحنَاء ، فسأل عنها فقبل نحوها .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

● قد تقدم أن نفرًا من عُرينة ، وروي من عُكل أو عرينة على الشك ، وروي من عُكل وعُرينة من غير شك ، وروي : أن نفرًا قدموا ولم يذكر من أي قبيلة هم . والكل في الصحيح^(١) من حديث أنس ، فأما عُرينة ففي بجيلة وقُضاعة ، فالذي في بجيلة عُرينة بن نذير بن قسر بن عبقر ، وعبقر أمة بجيلة ، قاله الرُّشاطي ، قال : ومنهم الرهط الذين أغاروا على إبل النبي ﷺ . قال : والعَرَن : حكة تصيب الفرس والبعر في قوائمهما . وأما عُكل ففي الرباب ، وعكل امرأة حصنت بني عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة من الرباب ، حكى ابن الكلبي ، قال : ولد عوف بن وائل الحارث وجشماً وسعداً وعلياً وقيساً ، وأمهم ابنة ذي اللُحَيَّة من حمير ، وحضنتهم عُكل أمة لهم ، فغلبت عليهم . قال ابن دُرَيْد : اشتقاق عكل من عكلت الشيء إذا جمعته ، وقال غيره : يكون من عُكل يُعْكَلُ : إذا قال برأيه ، مثل حَدَسَ ، ورجل عَكْلِي ، أي : أحمق . منهم من الصحابة : خزيمة بن عاصم بن

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٧/٣ . بهذا اللفظ والإسناد ، ورواه البخاري في الحدود (باب المحاربين) رقم ٦٨٠٢/ ، ومسلم في القسامة (باب حكم المحاربين والمتردين) رقم ١٦٧١/ ، وأبو داود في الحدود (باب ما جاء في المحاربة) رقم ٤٣٦٤/ ، والترمذي في الطهارة (باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه) رقم ١٨٤٦/ ، والنسائي في تحريم الدم (باب تأويل قول الله عز وجل : إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) ٩٣/٧ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ ، وابن ماجه في الحدود (باب من حارب وسعى في الأرض فساداً) رقم ٢٥٧٨/ . ومعنى : « سَمَّرَ أعينهم » : سملها ، فقامها بحديد أو شوك ، ونحو ذلك .

قطن بن عبد الله بن عبادة بن سعد بن عوف المذكور ، لم يذكره أبو عمر ، ولا نسبه ابن فتحون ، قاله الرشاطي .

● وقوله : فاجتووا المدينة : قال ابن سيده : وجوي الأرض جوى ، واجتواها : لم توافقه . وقد وقع في بعض الروايات أنهم شكوا أجوافهم .

● وأبوال الإبل وألبانها يدخل في شيء من علاج الاستسقاء (وهي ^(١)) ، إبل البادية التي ترعى الشيع والقيصوم .

● وقول ابن عقبة : وذكروا أن رسول الله ﷺ نهى بعد ذلك عن المثل ، فمن الناس من رأى ذلك ، وزعم أن هذا الخبر منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة : ٣٣] الآية ، وينهى عليه الصلاة والسلام عن المثلة ، وقد روي في ذلك شيء عن بعض السلف ، ومن الناس من أبى ذلك ، وقد يرجح هذا لأنه مختلف في سبب نزول هذه الآية ، فقد ذكر البغوي وغيره لنزولها قصة غير هذه ، وأيضاً فليس فيها أكثر مما تشعره لفظة « إنما » من الاختصار في حد الحُرابة على ما في الآية ، وأما من زاد على الحُرابة جُنَايَاتٍ أُخْرٍ كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ ، حيث زادوا بالردة ، وسمل أعين الرعاء وغير ذلك . فقد روينا في خبرهم عن ابن سعد أنهم قطعوا يد الراعي ورجله ، وغرسوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فليس في الآية ما يمنع من التغليظ عليهم ، والزيادة في عقوبتهم ، فهذا قصاص ليس بمثلة ، والمثلة إما كان ابتداء من غير جزاء . وقد روينا من طريق الترمذي والنسائي جميعاً : عن الفضل بن سهل ، عن يحيى بن غيلان — وثقهما النسائي — عن يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، قال : إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك العُرَنِيِّينَ ؛ لأنهم سملوا أعين الرعاء ، ولو أن شخصاً جنى على قوم جنَايَاتٍ في أعضاء متعددة ، فاقصص منه للمجني عليهم ، لما كان التشويه الذي حصل به ، من المثلة المنهي عنها . وإذا اختلفت في سبب نزول الآية الأقوال ، وتطرق إليها الاحتمال فلا نسخ . وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير وجه ، وروي أيضاً من حديث ابن عمر ^(٢) وعائشة وغيرهما ، ولو لا ما شرطناه من الاختصار لأوردنا طرفاً من طرقه ، ولبسطنَا الكلام عليه .

(١) زيادة للتوضيح .

(٢) حديث ابن عمر رواه أبو داود في الحدود (باب ما جاء في المحاربة) رقم /٤٣٦٩/ ، والنسائي في تحريم الدم

غزوة بني المصطلق

وهي غزوة المريسيع

وهي في شعبان سنة ست عند ابن إسحاق ، وفي سنة أربع عند موسى بن عقبة ، وفي شعبان سنة خمس يوم الاثنين لليلتين خلتا منه عند ابن سعد ، والخندق بعدها عنده في ذي القعدة من السنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم ، يُقال له : المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتراحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفأهم عليه^(١) .

وذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ بعث بُريدة بن الحَصِيب الأسلمي يعلم علم ذلك ، فأتاهم ، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ، ورجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره خبرهم . فندب رسول الله ﷺ الناس إليهم ، وأسرعوا الخروج ، وقادوا الخيل ، وهي ثلاثون فرساً ، في المهاجرين منها عشرة ، وفي الأنصار عشرون . واستخلف على المدينة زيد بن حارثة^(٢) .

وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري ويقال : ثُميلة بن عبد الله الليثي^(٣) .

رجع إلى خبر ابن سعد : وكان معه فرسان : لِرَاز ، والظرب ، وبلغ الحارث بن أبي

= (باب تأويل قول الله عز وجل : إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله) ١٠٠/٧ ، و٩٨/٧ عن سعيد بن المسيب مرسلًا ، و٩٩/٧ عن عائشة رضي الله عنها . كما رواه أبو داود والنسائي عن أبي الزناد وعبد الله بن ذكوان مرسلًا أيضاً ، ويشهد للمرسل من هذه الروايات ما تقدم مرفوعاً عن أنس وغيره في الكتب الستة .

(١) السيرة النبوية ٢٨٩/٢ — ٢٩٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٣/٢ .

ضِرَار ومن معه مسيرُ رسول الله ﷺ إليهم ، وأنه قد قَتَلَ عَيْنَهُ الذي كان قد وجَّهه لِيَأْتِيَهُ بخبر رسول الله ﷺ فسيء بذلك الحارث ومن معه ، وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرَّقَ عنهم من كان معهم من العرب ، وانتهى رسولُ الله ﷺ إلى المريسيع ، وهو الماء ، فضربَ عليه قُبَّتَهُ ، ومعه عائشة وأم سلمة ، فتهيَّؤوا للقتال ، وصَفَّ رسولُ الله ﷺ^(١) ، ودفعَ رايةَ المهاجرين إلى أبي بكر ، ورايةَ الأنصار إلى سعد بن عُبادة ، فتراموا بالنبل ساعةً ، ثم أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه فحملوا حملةَ رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ، وقُتِلَ عشرةٌ منهم ، وأسر سائرهم ، وسبى رسولُ الله ﷺ الرجال والنساء والذرية^(٢) .

وقد روينا من طريق مسلم خلافاً ذلك ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى التميمي ، حدثنا سُليم بن أنخضر ، عن ابن عون ، قال : كُتِبَتْ إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فكتب إليّ : إنما كان ذلك في أول الإسلام ، قد أغارَ رسولُ الله ﷺ على بني المُصْطَلِق وهم غارِزون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتلَ مقاتلتهم ، وسبى سيبهم ، وأصاب يومئذ — قال يحيى : أحسبه قال : جويرية أو البتة ابنة الحارث — وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش^(٣) .

وقد أشار ابن سعد إلى هذه الرواية ، وقال : الأول أثبت^(٤) . قال : وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكنَّفُوا ، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بالغنائم فجمعت ، واستعمل عليها شقران مولاها ، وجمع الذريةَ ناحية ، واستعمل على قسم الخمس وسُهَمان المسلمین مَحْمِيَّةَ بن جَزْء الزُّبَيْدِي . وكانت الإبل ألفي بعير ، والشاء خمسة آلاف شاة ، وكان السبي مائتي بيت ، وقال : غاب رسول الله ﷺ عن المدينة ثمانياً وعشرين ليلة ، وقدم المدينة لَهلال رمضان^(٥) .

رجع إلى ابن إسحاق : قال : وقد أُصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن

(١) في الطبقات : فصَّفَ رسول الله ﷺ أصحابه .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٣/٢ — ٦٤ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام ، من غير تقدم الإعلام بالإغارة) رقم /١٧٣٠/ .

(٤) الطبقات الكبرى ٦٤/٢ — ٦٥ .

عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن ضبابه ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يُقال له جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلامٌ حدثٌ ، فقال : أقد فعلوها ؟ أقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ؟ والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه ، إلا كما قال الأول : سَمْنٌ كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتُمهم بلادكم وقاسمتُمهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتُم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عبادة بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدت الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ائذن بالرحيل . — في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها — فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه ، فحلف بالله ما قلتُ ما قال ، ولا تكلمتُ به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلامُ أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل — حَدِّثْ علي ابن أبي ودفعاً عنه — فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن الحضير ، فحيَّاه بتحية النبوة وسلم عليه ، وقال : يا نبي الله والله لقد رحمت في ساعة منكراً ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أي صاحب يا رسول الله ؟ قال عبد الله بن أبي . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلُّ . قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فو الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الحرزَ ؛ لِيَتَوَجَّوه به ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً . ثم متن^(١) رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ،

(١) انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ١٤٤ .

وليلتهم حتى أصبح ، وصَدَرَ يومهم ذلك ، حتى آذته الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك لِيَشْغَلَ النَّاسَ عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك^(١) الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النَّقِيع ، يُقال له نَقْعاً^(٢) . فلما راح رسول الله ﷺ بالناس ، هبت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم ، وتخوفوها ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها فإنها هبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بني قينقاع ، وكان من عظماء اليهود ، وكهفياً للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكرَ الله فيها المنافقين في ابن أبي ، ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذَ رسولُ الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبدَ الله أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إنه قد بلغني أنك تُريد قتلَ عبدِ الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ فاعلاً ، فمرني فأنا أحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمتِ الخُرْجُ ما كان بها من رجلٍ أبرُّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري ، فيقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل نترقب به ونُحسن صحبته ما بقي معنا . وجعلَ بعد ذلك إذا أحدثَ الحديثَ ، كان قومُه هم الذين يُعاتبونهُ ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب — حين بلغه ذلك من شأنهم — : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله ، لأرعدت له أنفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، قال : قال عمر : قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بركة من أمري .

وقدم مقيس بن صُبابَة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ! جئتكَ مسلماً ، وجئتُ أطلبُ ذِيَةَ أَخِي ، قُتل خطأ ، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن

(١) « الحجاز » : المقصود به هنا المرتفع من الطريق ، وذلك أن مثل هذه الطريق بما فيها من منحدرات ومفاجآت ؛ تجعل المارَّ فيها على حذر دائم ، وذلك مما يُساعد على انشغالهم وانصراف أذهانهم عما كادوا أن يقعوا فيه من الاختلاف .

(٢) « نَقْعاً » : وفي معجم البكري : نَقْعَاءُ ؛ بفتح أوله وإسكان ثانية ، بعده عين مهملة ممدود : اسم بُر خلف المدينة .

صُبابَة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عذا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فقال في شعر يقوله :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَد بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا يُضَرِّجُ ثَوْبَهُ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ (١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلَمُّ فِيحْمِينِي وَطَاءُ الْمُضَاجِعِ (٢)
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكْتُ ثُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٣)
ثَارَتْ بِهِ فَهْرًا ، وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٤)

وقال مقيس بن صُبابَة أيضاً :

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ لَهَا وَشَلٌّ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يعلوه وَيَنْصَرُّ (٥)
فَقَلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَّتُهُ : لَا تَأْمَنْنِ بَنِي بَكْرِ إِذَا ظَلَمُوا (٦)

قال ابن هشام : وكان من شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور أمت أمت (٧) .
قال ابن إسحاق : وأصيب من بني المصطلق ناس يومئذ ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين ؛ مالكاً وابنه ، وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قسمة في المسلمين . وكان فيمن أُصيب يومئذ من السبايا جويوية بنت الحارث بن أبي ضيرار زوج رسول الله ﷺ . قال أبو عمر : كان اسمها برة ، فغيرة رسول الله ﷺ وسمها جويوية . فأرسل الناس ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق لذلك ، فكانت مائة بيت ، وأسلم بنو المصطلق ، ثم بعد ذلك بأزيد من عامين بعث إليهم الوليد بن عقبة مُصَدِّقاً ، فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففر راجعاً ، وأخبر رسول الله ﷺ بظنه ، فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم ،

(١) « بالقاع » : المنخفض من الأرض فيه انبساط .

(٢) « وطاء المضاجع » : المضاجع الوطيفة ؛ الفرش اللينة .

(٣) « وتري » : الوتر . طلب الثأر . « ثورتى » : الثورة : الثأر نفسه .

(٤) « عَقْلَهُ » : ديته . و« سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ » : خيارهم وسادتهم . و« فارع » : أحد حصونهم .

(٥) « بَاءَتْ » : أخذت بالثأر . و« الوشل » : النصر . و« نافع الجوف » : الدم .

(٦) « أَسْرَّتُهُ » : التجاعيد والانحناءات ، فيما يشبه الخطوط ، تكون في جلد الوجه والجهة . و« بنو بكر » : قومه .

(٧) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٩٠ - ٢٩٦ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الآية [الحجرات : ٦]
والتي بعدها^(١) .

حديث الإفك

وفي هذه الغزاة قال أهل الإفك في عائشة رضي الله تعالى عنها ما قالوا ، فبرأها الله مما
قالوا .

روينا من طريق البخاري ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن
شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك
ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . وكلُّ حدثني طائفةً من الحديث ، وبعض حديثهم يُصَدِّقُ
بعضاً ، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض . الذي حدثني عروة عن عائشة ؛ أن عائشة
زوج النبي ﷺ قالت : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرعَ بين أزواجه ، فأيتُهُنَّ خرج
سهمها خرجَ بها رسولُ الله ﷺ معه . قالت عائشة : فأقرعَ بيننا في غزوة غزاها ، فخرج
سهمي ، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزلَ الحجاب ، فأنا أُحملُ في هودجي ، وأنزل
فيه ، حتى إذا فرغَ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذن
ليلةً بالرحيل ، فمشيت ، حتى جاوزت الجيشَ ، فلما قضيت شأني ، أقبلتُ إلى رَحْلي ، فإذا
عقد لي من جَزَعِ أَظْفَارِ قَدْ انقطع ، فالتصت عقدي ، وحسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين
كانوا يَرَحْلُونُ بي ، فاحتملوا هودجي ، فَرَحَلُوهُ على بعيري الذي كنتُ ركبْتُ ، وهم
يحسبون أني فيه ، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً ، لم يُثْقِلَهُنَّ اللحم ، إنما يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ^(٢) من
الطعام ، فلم يستنكر القوم خِفةَ الهودج حين رفعوه ، وكنت جاريةً حديثةَ السنِّ ، فبعثوا
الجمالَ وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ
ولا مجيب ، فأمتُّ منزلي الذي كنتُ فيه ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا
جالسة في منزلي غلبتني عيني فنامتُ . وكان صفوان بن المُعَطَّلِ السُّلَمي ثم الذكواني من

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٩٠ - ٢٩٦ .

(٢) « العُلُقَة » : القليل ، وما يتَبَلَّغُ به .

وراء^(١) الجيش ، فاذلج^(٢) ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسانٍ نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رأيته ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فحمررت وجهي بجلبابي ، والله ما يكلمني ، ولا أكلّمه وما سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ، فوطيء على يدها ، فركبتها ، فانطلق بي يقودُ بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا ، مؤعرين في نحر الظهيرة^(٣) ، فهلك من هلك .

وكان الذي تولّى الإفك عبد الله بن أبي سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيته حين قدمتُ شهراً ، والناس يخوضون^(٤) في قول أصحاب الإفك ، ولا أشعرُ بشيء من ذلك ، وهو^(٥) يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين اشتكي ، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ، ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف ، فذاك الذي يريني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجتُ بعد ما نقهتُ ، فخرجتُ معي أم مسطح قبل المناصب^(٦) ، وهو متبرّزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف^(٧) قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقتُ أنا وأم مسطح — وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة —

(١) كان صفوان على ساقه الجيش ، يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتهم به ، ولذلك تخلف الروض الأنف .

(٢) « فاذلج » : بالتضعيف ، ومثلها : أدلج ، سار ليلاً .

(٣) « مؤعرين في نحر الظهيرة » : الظهيرة الوقت الذي تبلغ فيه الشمس نهايتها من الارتفاع . ونحرها : وسطها . والإيفار : السير فيها ، يُقال : أوغر الرجل : إذا سار في الوعر ، وهي شدة حرّ الظهيرة . ورؤي « مؤعرين » : من قوهم : أوغر الرجل : سار في الوعر ، ولعلهما فعلاً ذلك ليقاطعا على الجيش بسرعة .

(٤) كذا في « أ » و « ب » وفي بقية النسخ ونور التبراس : « يفيضون » .

(٥) لعلها : « وما يريني » .

(٦) « المناصب » : جمع منصع ، وهي فسح رملية منخفضة منتشرة هنا وهناك تستعمل لقضاء الحاجة ، وقد كانت أماكن معروفة ومخصوصة في المدينة .

(٧) « الكنف » : بضم الكاف والنون ، جمع كنيف ، وهو المرحاض .

فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي ، قَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا^(١) ، فَقَالَتْ : تَعَسَّ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : بَسْ مَا قُلْتَ ، أَتُسَبِّحِينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا . قَالَتْ : أَيْ هَتَّاهُ^(٢) . أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : وَمَا قَالَ ؟ قَالَتْ : فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ ، فَازْدَدْتُ مَرْضًا عَلَى مَرْضِي ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي ، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ — تَعْنِي^(٣) سَلَمٌ — ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَيْكُم ؟ فَقُلْتُ : أَتَأْذُنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبِي . قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا . قَالَتْ : فَأَذِنُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ أَبِي ، فَقُلْتُ لَأُمِّي : يَا أُمَّتَاهُ ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ قَالَتْ : يَا بَنِيَّةُ ! هُوَ نِي عَلَيْكَ ، فَوَاللَّهِ لَقُلُّ مَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطْ وَضِئَةً ، عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَائِرُ ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا . قَالَتْ : فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟ قَالَتْ : فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرُقُّ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبِثَ^(٤) الْوَحْيَ ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ . فَقَالَ : أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَمْ يَضِيقْ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ . قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ ، فَقَالَ : أَيْ بَرِيرَةُ ! هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيكَ ؟ قَالَتْ : بَرِيرَةُ . وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمَصُهُ^(٥) عَلَيْهَا ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنَ^(٦) فَتَأْكُلُهُ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ^(٧) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولٍ . قَالَتْ : فَقَالَ

(١) « مِرْطٌ » : كِسَاءٌ .

(٢) « أَيُّ هَتَّاهُ » : كَلِمَةٌ مِلَازِمَةٌ لِلنِّدَاءِ ، تَقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ ، تَدُلُّ فِي عُمُومِهَا عَلَى الْغَرَارَةِ وَالْغَفْلَةِ .

(٣) « هَذَا إِدْرَاجٌ قُصِدَ بِهِ تَفْسِيرُ قَوْلِهَا : « وَدَخَلَ عَلَيَّ » .

(٤) « اسْتَلْبِثَ الْوَحْيَ » : بِفَتْحِ الْبَاءِ ، اسْتَبْطَاهُ ، وَبِضْمِهَا : أَبْطَأَ . وَفِي الصَّحِيحِ : « وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي » .

(٥) « أَغْمَصُهُ » : أَغْيِيهِ .

(٦) « الدَّاجِنُ » : الشَّاةُ الَّتِي تَأْلَفُ الْبَيْتَ وَلَا تَخْرُجُ إِلَى الْمَرْعَى .

(٧) « فَاسْتَعْذَرَ » : طَلَبَ الْإِتِّصَافَ مِنْهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ يَعْذِرُنِي ... » .

رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يا معشر المسلمين مَنْ يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمتُ عن أهلي إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله أنا أعذرُك منه ، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرُك . قالت : فقام سعد بن عبادَةَ وهو سيّد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحميّة ، فقال لسعد : كذبتُ لعمرُ الله ، لا تقتله ولا تقدرُ على قتله . فقام أسيد بن حُضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادَةَ : كذبتُ لعمرُ الله لنقتلته ، فإنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين . فتناورَ الحَيَّان : الأوس والخزرج ، حتى همَّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكثوا وسكت .

قالت : فمكثتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحلُ بنوم ، فأصبح أبواي عندي ، وقد بكَّيتُ ليلتين ويوماً لا أكتحلُ بنوم ، ولا يرقأ لي دمع ، يظنان أنَّ البكاء فالقُ كيدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنتُ عليَّ امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها ، فجلستُ تبكي معي . قالت : فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسولُ الله ﷺ ، فسَلَّم ثم جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبَلها ، ولقد لبثَ شهراً لا يُوحى إليه في شأني . قالت : فتشهدَ رسولُ الله ﷺ حينَ جلس ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئةً فسيبرئكَ الله ، وإن كنتِ ألمتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبِي إليه ، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبه ، ثم تاب إلى الله ، تابَ الله عليه . قالت : فلما قضى رسولُ الله ﷺ مقالته ، قَلَصَ دمعِي ، حتى ما أحسُّ منه بقطرة ، فقلت لأبي : أجب رسولَ الله ﷺ فيما قال . قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمي : أجبني رسولُ الله ﷺ . فقالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . قالت — فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن — : والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلتُ لكم إني بريئة — والله يعلم أني بريئة — لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفْتُ لكم بآمر — والله يعلم أني منه بريئة — لتصدقوني ، والله ما أجِدُ لكم مثلاً إلا قولُ أبي يوسف : ﴿ فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون ﴾

[يوسف : ٨٣] قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله ميرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ . يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بامر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام^(١) رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء^(٢) ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، في يوم شات ، من ثقل القول الذي ينزل عليه . قالت : فلما سُري عن رسول الله ﷺ ، سُري عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ! أمأ الله فقد برأك . فقالت أُمي : قومي إليه . قالت : فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله . وأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [النور : ١١] العشر الآيات كلها ، فلما أنزل الله هذا في براءتي . قال أبو بكر الصديق — وكان يُنفق على مسطح بن أثانة ، لقربته منه وفقره — : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤَالِ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] قال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري ، قال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً . قالت : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تُحارب لها ، فهلكت فيمن هلك^(٣) من أصحاب الإفك .

قال البخاري : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سليمان ، عن حصين ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن أم رومان أم عائشة ؛ أنها قالت : لما رُميت عائشة خرت مغشياً عليها^(٤) .

(١) « ما رام » : ما ترك المكان ، مضارعها : يرم .

(٢) « البرحاء » : شدة الكرب من ثقل الوحي ، قاله ابن الأثير في النهاية .

(٣) روى البخاري حديث الإفك في المغازي (باب حديث الإفك) رقم /٤١٤١/ .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب حديث الإفك) رقم /٤١٤٣/ بأطول مما أورده المؤلف رحمه الله تعالى .

ذكرُ فوائدٍ تتعلقُ بخبرِ بني المُصْطَلِقِ وحديثِ الإفك

- المُصْطَلِقُ : هو جُذَيْعَةُ بن كعب ، من خزاعة .
- والمريسيع : ماء لهم ^(١) .
- وجهجاه بن مسعود ، وقال أبو عمر : وجهجاه بن سعد بن حَرَام ، هو صاحب حديث « المؤمن يأكلُ في مِعَى واحد » ^(٢) . وقيل إن ذلك قيل في غيره ، وقال الطبري : المحدثون يزيدون فيه الهاء ، والصواب : جهجا ، دون هاء . وجهجاه هذا هو الذي جاء وعثمان رضي الله عنه يخطب ، ويده عصا النبي ﷺ ، فأخذها وكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت فيها شظية منها ، فبقي الجرح ، وأصابته الأكلة ، وشُدَّت العصا ، وكانت مضحية . ذكره ابن مسلمة التَّجِيبِي في تاريخه .
- وسنان بن وَبَرٍ بإسكان الباء عند بعضهم ، وقال أبو عمر ^(٣) : سنان بن تيم ، ويقال : ابن وَبَرٍ ، وفي كتاب ابن شبة . سنان بن أثير . وحكى الأموي عن ابن إسحاق : سنان بن عمرو ، ويقال : ابن وَبَرَةٍ .
- ومتن بالناس : قال صاحب ^(٤) « العين » : ساروا سيرا ممتنا ، أي بعيداً .
- وفي حديث الإفك ذكر صفوان بن المعطل ، قال السهيلي : وكان يكون على ساقه العسكر ، يلتقط ما يسقط من المتاع ، ولذلك تخلف . في هذا ^(٥) الحديث ^(٦) .
- وقد روي أنه كان ثقیلاً النوم ، لا يستيقظ حتى یرتحل الناس ، ويشهد لذلك حديث أبي

(١) « المريسيع » : قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٣٠/٧ : بينه وبين الفرع مسيرة يوم .
 (٢) الاستيعاب ٢٥٢/١ — ٢٥٣ ، والحديث رواه مسلم في الأشربة (باب المؤمن يأكل في مِعَى واحد) رقم ٢٠٦٢/٢ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
 (٣) الاستيعاب ١٨٧/٢ بهامش الإصابة .
 (٤) صاحب العين : الحليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، والعين : هو أول معجم ألف في العربية .
 (٥) أي : كما جاء في الحديث عند البخاري .
 (٦) الروض الأنف ٢٠/٤ .

داود^(١) أن امرأة صفوان اشتكت به إلى رسول الله ﷺ ، فذكرت أشياء ، منها أنه لا يُصَلِّي الصبح . فقال صفوان : يا رسول الله إني امرؤ ثقيل الرأس ، لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبي ﷺ : « إذا استيقظت فصل » . وقتل صفوان شهيداً في خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل ، فطاعن بها وهي منكسرة حتى مات .

● وجرع ، ظفّار^(٢) : قال يعقوب : مدينة باليمن ، وقد وقع : جرّع ظفّاري ، وهو أيضاً صحيح .

● وأم رومان : زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سبيع بن ذهمان بن الحارث بن غنم ، كذا قال مصعب^(٣) ، وغيره يُخالفه ، وقد وقع في الصحيح : رواية مسروق عنها بصيغة العننة وغيرها ، ولم يُذكرها ، ومُلخص ما أجاب به أبو بكر الخطيب^(٤) : أن مسروقاً يمكن أن يكون قال : سئلت أم رومان ، فأثبت الكاتب صورة الهمزة ألفاً ، فتصحفت على من بعده بسألت ، ثم نقلت إلى صيغة الإخبار بالمعنى من طريق ، وبقيت على صورتها في آخر ، ومخرجها التصحيف المذكور .

● ومسطح : لقب ، واسمه عوف بن أثانة بن عبّاد بن المطلب بن عبد مناف . ذكر الأموي : عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، قال : أبو بكر لمسطح :

يا عوف ويحك هلا قلت عارفةً من الكلام ولم تتبع به طمعاً
وأدركنك حمياً معشيراً أنف ولم تكن قاطعاً يا عوف مُنقطِعاً

(١) رواه أبو داود في الصوم (باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها) رقم ٢٤٥٩ / عن أبي سعيد الخدري ، وصحّح الحافظ ابن حجر إسناده . الإصابة ١٩١ / ٢ .

(٢) « جرّع ظفّار » : أما الجزع ، فقالوا : إنه الخرز اليمني ، وقد سبق للمؤلف أن أوردها وفقاً لرواية البخاري « جرّع أظفار » .

والأظفار ، وظفار — منوناً وغير منون — نوع من الطيب أسود اللون ، يعجن ويشكل على هيئة الأظفار ، ثم يُثقب ليُنظّم عقداً تلبسه النساء . وعليه فإن عقد السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كان من هذا النوع ، ولا علاقة له بظفار اليمن إلا تشبيه طيبها المنظوم بالجزع . انظر القاموس المحيط ، والنهاية في غريب الحديث مادة « ظفر » وفتح الباري ٤٥٩ / ٨ .

(٣) مصعب الزيري في كتابه « نسب قريش » لم يُطبع منه إلا جزء واحد .

(٤) الروض الأنف ٢١ / ٤ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا فِي بَرَاءَتِهَا وَبَيْنَ عَوْفٍ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا صَنَعَا
فَإِنْ أَعَشَى أَجَزَ عَوْفًا عَنْ مَقَالَتِهِ شَرَّ الْجَزَاءِ إِذَا أَلْفَيْتُهُ تَبَعَا
قال أبو عمر : أمر النبي ﷺ بالذين رَمَوْا عَائِشَةَ بِالْإِفْكِ حين نزل القرآن ببراءتها ،
فَجُلِدُوا الْحَدَّ ثَمَانِينَ فِيمَا ذَكَرَ أَهْلُ السِّرِّ وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ .

● ووقع في هذا الحديث : فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال :
يا رسول الله ﷺ أنا أعذرُك منه . ووقع عند ابن إسحاق في هذا الخبر بدل سعد بن معاذ
أسيد بن حضير ، فمن الناس من يرى أن ذكر سعد في هذا الخبر وهم ، لأن سعداً مات
عند انقضاء أمر بني قريظة ، ويرى أن الصواب ما ذكره ابن إسحاق من ذكر أسيد بن
حضير . ولو اتفق أهل المغازي على أن وقعة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني
المصطلق لكان الوهم لازماً لمن رآه كذلك ، ولكن هم مختلفون في ترتيب هذه المغازي كما
سبق في هذه وغيرها .

ورأيت عن الحاكم أبي عبد الله ، أن سبب هذا الخلاف إنما هو لاختلاف في التاريخ ،
هل هو لمقدم النبي ﷺ في ربيع الأول كما هو عند قوم ، أو للعام الذي قدم فيه كما هو عند
آخرين ، وذلك لا يتم لأمرين :

أحدهما : أن تلك المدة التي وقع الاختلاف فيها إنما هي نحو ثلاثة أشهر ، وهي من أول
العام إلى ربيع الأول ، وزمن الخلاف أوسع من ذلك ، فهذه الغزوة عند ابن عتبة في سنة
أربع ، وعند غيره في شعبان سنة ست .

الثاني : أنها مختلفة الترتيب عندهم في تقديم بعضها على بعض ، فهذه عند ابن سعد
وجماعة قبل الخندق ، وعند ابن إسحاق وآخرين بعدها ، وذلك غير الأول ، وأما ابن سعد
فإنه يؤرخ هذه الوقائع بالأشهر لا بالسنين .

● وفي هذه الغزوة نهى النبي ﷺ عن العزل ، أخبرنا أبو عبد الله بن عبد المؤمن ،
بقراءة الحافظ أبي الحجاج المزي عليه وأنا أسمع بمرج دمشق ، قال : أخبركم المؤيد بن الأخوة
إجازة من أصبهان ؟ فأقر به ، قال : أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي ، أخبرنا أبو سعد
الكننجري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن

إسحاق بن خزيمة ، حدثنا علي — هو ابن حجر — حدثنا إسماعيل — هو ابن جعفر — حدثنا ربيعة — هو ابن أبي عبد الرحمن — عن محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ ، عن ابن محيريز ؛ أنه قال : دخلتُ أنا وأبو صيرمة على أبي سعيد الخدري ، فسأله أبو صيرمة ، فقال : يا أبا سعيد هل سمعت رسول الله ﷺ يذكرُ العزلَ ؟ فقال : نعم ، غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق ، فسينا كرائم العرب ، فطالت علينا العزبة ، ورغبنا في الفداء ، فأردنا أن نستمتع ونعزل ، فقلنا : نفعلُ ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله ، فسألنا رسولَ الله ﷺ ، فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ، ما كتب الله خلقَ نَسَمَةٍ هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون » (١) .

● قال ابن سعد : وفيها سقط عقدٌ لعائشة ، فاحتبسوا على طلبه ، فزلت آية التيمم . فقال أسيد بن الحضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر (٢) .

قرأت على أبي الفتح الشيباني بدمشق ، أخبركم الحضير بن كامل قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا أبو الدرِّ ياقوت بن عبد الله الرُّومي سماعاً « ح » قال الشيباني : وأخبرنا أبو اليُمْن الكِندي إجازةً إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا ابن البيضاوي ، قال : أخبرنا أبو محمد بن هِزَارْمَرْد أخبرنا المُخَلَّصُ حدثنا البغوي ، حدثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيري ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، حتى إذا كنَّا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، انقطع عقدي ، فأقام رسولُ الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ، ورسولُ الله ﷺ واضعُ رأسه على فخذي قد نام ، فقال : حبست رسول الله ﷺ ، والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . قالت عائشة : فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعنُ بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من

(١) حديث العزل رواه البخاري في النكاح (باب العزل) رقم ٥٢١٠/ ، ومسلم في النكاح (باب حكم العزل) رقم ١٤٣٨/ ، والموطأ في الطلاق (باب ما جاء في العزل) ٥٩٤/٢ ، وأبو داود في النكاح (باب ما جاء في العزل) رقم ٢١٧١/ ، والترمذي في النكاح (باب ما جاء في كراهية العزل) رقم ١١٣٨/ ، والنسائي في النكاح (باب العزل) ١٠٧/٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٥/٢ .

التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي ، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله تعالى آية التيمم . فقال أسيد بن حضير ، وهو أحد النقباء : ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر^(١) . قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه ، فوجدنا العقد تحته . قال البغوي : هذا معنى لفظ الحديث .

وروى الطبراني في معجمه من حديث محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لما كان من أمر عقدي ما كان ، قال أهل الإفك ما قالوا ، فخرجت مع النبي ﷺ في غزوة أخرى ، فسقط أيضاً عقدي ، حتى حبس التماسه الناس ، وطلع الفجر ، فلقيت من أبي بكر ما شاء الله ، وقال لي يا بنية في كل سفرة تكونين غناءً وبلاءً ، وليس مع الناس ماء ، فأنزل الله الرخصة بالتيمم ، فقال أبو بكر : والله يا بنية إنك لما علمت مباركة^(٢) .

فهذه الرواية تقتضي أن الواقعتين كانتا في غزوتين ، والله أعلم .

* * *

(١) حديث عائشة رواه البخاري في التيمم (باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً) رقم / ٣٣٦ ، ومسلم في الحيف (باب التيمم) رقم / ٣٦٧ ، والموطأ في الطهارة (باب هذا باب في التيمم) ٥٣/١ — ٥٤ ، وأبو داود في الطهارة (باب التيمم) رقم / ٣١٧ ، والنسائي في الطهارة (باب بدء التيمم) ١٦٣/١ — ١٦٤ . وسبب عدول المؤلف عن روايته من هذه الكتب طلباً لإسناد البذل ؛ كما في نور التراس ، لوحة ٢ ب/ ٩٨ .

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير ١٢١/٢٣ (١٥٩) .

سرية عُكَّاشَةُ بنِ مُحْصَنٍ إلى الغَمَرِ

قال ابن سعد بعد ذكر غزوة الغابة — وهي غزوة ذي قَرَد — :

ثم سرية عُكَّاشَةُ بنِ مُحْصَنٍ الأَسَدِي إلى الغَمَرِ ، غَمَرٌ مرزوق — مفتوح الغين المعجمة ساكن الميم بعدها راء مهملة — وهو ماء لبني أَسَد ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست . قالوا : وَجَّهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عُكَّاشَةَ بنِ مُحْصَنٍ إلى الغَمَرِ في أربعين رجلاً .

قال الواقدي فيما حكاه عنه الحاكم أبو عبد الله : فيهم ثابت بن أقرم ، وسبياع بن وهب .

فخرج^(١) سريعاً يُغْذِي السَّيْرَ ، وَتَذَرُ به القوم ، فهربوا ، فنزلوا عُليا بلادهم ، ووجدوا ديارَهم خُلُوفاً^(٢) ، فبعثَ شُجَاعَ بنَ وَهْبٍ طليعةً ، فرأى أثر النعم ، فتحملوا ، فأصابوا ربيعة^(٣) لهم ، فأمنوه فدلَّهم على نَعَمٍ لبني عَمٍّ له ، فأغاروا عليها ، فاستاقوا مئتي بعير ، فأرسلوا الرجل ، وحَدَرُوا^(٤) النَّعَمَ إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً^(٥) .

وقال ابن عائد : أميرُهم ثابت بن أقرم ، ومعه عُكَّاشَةُ بنِ مُحْصَنٍ الأَسَدِي ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، وَلَقِيطُ بنُ أعصم ، حليف بني عمرو بن عوف ، ثم من بني معاوية : ابن مالك من بِلَى ، فأصيب فيها ثابت .

كذا وجدتُ عن الحاكم : سبياع بن وَهْب ، ولعلَّهُ شُجَاعَ بنَ وَهْبٍ الذي يأتي ذكره بعد ذلك .

* * *

(١) رجع إلى ابن سعد .

(٢) « خُلُوفاً » : غائبين .

(٣) « ربيعة » : طليعة .

(٤) « حَدَرُوا النَّعَمَ » : استاقوا النَّعَمَ وأنزلوه .

(٥) الطبقات الكبرى ٨٤/٢ — ٨٥ .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

بفتح القاف والصناد المهملة .

قال ابن سعد : في ربيع الآخر ، سنة ست . قالوا : بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة وبني عوال ، وهم بذِي الْقَصَّة ، وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً ، طريق الرَبْذة ، في عشرة نفر ، فوردوا عليهم ليلاً ، فأحْدَقَ بهم القومُ وهم مائة رجل ، فتراموا ساعةً من الليل ، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح ، فقتلوه ، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً ، فضرب كعبه فلا يتحرك ، وجرّوهم من الثياب ، ومرّ بمحمد بن مسلمة رجلٌ من المسلمين ، فحمله حتى ورد به المدينة ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم ، فلم يجدوا أحداً ، ووجدوا نَعْماً وشاء ، فساقه ورجع ^(١) .

وذكر الحاكم عن الواقدي نحوه في كتاب « الإكليل » .

سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست . قالوا : أجديت بلاد بني ثعلبة وأنمار ، ووقعت سحابة بالمرّاض إلى ثَعْلَمِينَ . والمرّاض : على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة . فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفاء ، موضع على سبعة أميال من المدينة ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلّوا المغرب ، فمشّوا ليلتهم ، حتى وافوا ذا القصة مع عَمَاية الصبح ، فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم ، وتركه ، فأخذ نَعْماً من نَعْمهم فاستاقه ، ورثته ^(٢) من متاعهم ، وقدم بذلك المدينة فخمسّه رسول الله ﷺ ، وقسم ما بقي عليهم ^(٣) .

(١) المصدر السابق ٨٥/٢ .

(٢) « رثة » : السقط من متاع البيت .

(٣) الطبقات الكبرى ٨٦/٢ .

وقال ابن عائد : أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن هبة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : ثم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق^(١) . ورأيت مقيداً بالصاد المهملة والمعجمة معاً .

سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالحموم^(٢)

بفتح الجيم .

ذكر موسى بن عقيب : عن ابن شهاب ، قال : وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في غزوة الحموم ، فأصاب زيداً نعماً وشاء ، وأسر جماعة من المشركين .

وقال ابن سعد : هي في شهر ربيع الآخر سنة ست . قالوا : بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم ، فسار حتى ورد الحموم — ناحية بطن نخل ، عن يسارها . وبطن نخل من المدينة على أربعة برد — فأصابوا عليه امرأة من مزية يقال لها حليمة ، فدلّتهم على محلة من محال بني سليم ، فأصابوا في تلك المحلة نعماً وشاء ، وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المزنية . فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب ، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها ، فقال بلال بن الحارث المزني في ذلك :

لعمرك ما أخنى المسؤل ، ولا ونث حليمة ، حتى راح ركبهما معاً^(٣)

سرية زيد بن حارثة إلى العيص^(٤)

قال ابن سعد : ثم سرية زيد بن حارثة إلى العيص^(٤) — وبينها وبين المدينة أربع ليال ، وبينها وبين ذي المروة ليلة — في جمادى الأولى سنة ست ، قالوا : لما بلغ رسول الله ﷺ أن

(١) خير ابن عائد في إسناده ابن هبة : ضعيف ، وهو مرسل لأن عروة بن الزبير تابعي . نور الثبراس لوحة ٢ ب/٩٩ .

(٢) الحموم : أرض لبني سليم ، وبها كانت إحدى غزوات النبي ﷺ أرسل إليها زيد بن حارثة غازياً . وهي بلدة كبيرة عامرة اليوم تقع على طريق المدينة مكة المزفت ، وتبعد عن مكة حوالي ٤٠ كم .

(٣) الطبقات الكبرى ٨٥/٢ .

(٤) « العيص » : موضع في بلاد بني سليم به ماء يُقال له : دُهبان العيص ، وهو فوق السوارقية . معجم البلدان

١٧٣/٤ .

عيراً لقريش قد أقبلت من الشام ، بعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب معترضاً لها ، فأخذوها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسروا ناساً ممن كان في العير ، منهم أبو العاص بن الربيع ، وقدم بهم المدينة ، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر : إني قد أجزت أبا العاص . فقال رسول الله ﷺ : « ما علمت بشيء من هذا ، وقد أجزنا من أجزت » ورد عليه ما أخذ منه (١) .

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف

ثم سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف ، وهو ماء قريب من المراض دون النخيل ، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة . فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فأصاب نعماً وشاء ، وهربت الأعراب . وصبح زيد بالنعم المدينة ، وهي عشرون بعيراً ، ولم يلق كيداً ، وغاب أربع ليال ، وكان شعارهم : أُمْتُ أُمْتُ (٢) .

وقال الواقدي فيما ذكر عنه الحاكم : وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم .

سرية زيد بن حارثة إلى حِمْي

ثم سرية زيد بن حارثة إلى حِمْي ، وهي وراء وادي القرى في جمادى الآخرة سنة ست . قالوا : أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر ، وقد أجازته وكساه ، فلقبه الهنيد بن عارض ، وابنه عارض بن الهنيد — وعند ابن إسحاق : غوص فيهما ، بدل عارض — في ناس من جذام بحِمْي ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا عليه إلا سَمَل ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضُبَيْب ، فنفروا إليهم ، فاستنقذوا لدحية متاعه ، وقدم دحية على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية ، وكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ، ومعه دليل له من بني عُذرة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا

(١) الطبقات الكبرى ٨٦/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨٧/٢ .

عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف شاة ، ومن السبي مائة من النساء والصبيان ، فدخل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ ، فدفع إلى رسول الله ﷺ كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله لا تحرم علينا حلالاً ولا تُحِلَّ لنا حراماً . قال : فكيف أصنع بالقتل ؟ قال أبو يزيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قُتل فهو تحت قدمي هاتين . فقال رسول الله ﷺ : صدق أبو يزيد ، فبعث معهم علياً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يُخلِّي بينهم وبين حُرَمهم وأموالهم ، فتوجَّه علي ، ولقي رافع بن مكيث الجهني — بشير زيد بن حارثة — على ناقة من إبل القوم ، فردَّها علي على القوم . ولقي زيداً بالفحلتين ، وهي بين المدينة وذي المروة ، فأبلغه أمر رسول الله ﷺ ، فردَّ إلى الناس كل ما كان أخذَ لهم^(١) .

- وذكر غير ابن سعد أمر هذه السرية أطول من هذا .
- وجسّمي على مثال فعلى مكسور الأول ، قيّده أبو علي : موضع من أرض جذام ، وذكروا أن الماء في الطوفان أقام به بعد نُضوبه ثمانين سنة .
- وعند ابن إسحاق أبو زيد بن عمرو . وعنده رفاعة بن زيد الجذامي ، وهو الصحيح .
- وعُوص : قيّده بعض الناس : عُوص . وقال الثوري : ليس عوض إلا في حمير ، وعُوص بن إرم بن سام بن نوح ، وفي غيرهما عُوص .

سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى

ثم سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب سنة ست . قال ابن عائد : وأخبرني الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود عن عروة ، قال : ثم غزوة زيد بن حارثة إلى وادي القرى ، فأصيب يومئذ من المسلمين ورْد بن مرداس ، وارْتُثُ^(٢) زيد بن حارثة من بين وسط القتلى .

(١) الطبقات الكبرى ٨٨/٢ .

(٢) « وارْتُثُ » : حُمل من المعركة رثيئاً ، أي جريحاً وبه رمق .

وقال غيره : فلما قدم زيد آلى أن لا يمس رأسه غسلُ جنابةٍ حتى يغزو بني فزارة . فلما استبَلَّ من جراحه بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش ، فقتلهم بوادي القرى .

وعن ابن إسحاق : من طريق يونس بن بكير ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى وادي القرى ، فلقي به بني فزارة ، وأصيب بها ناسٌ من أصحابه ، وانفلت زيد من بين القتلى ، فأصيب فيها أحد بني سعد بن هذيم ، أصابه أحد بني بكر ، فلما قدم زيد بن حارثة نذر أن لا يمس رأسه غسلُ من جنابة ، حتى يغزو فزارة ، فلما استبَلَّ من جراحه ، بعثه رسول الله ﷺ في جيش إلى بني فزارة ، فلقبهم بوادي القرى ، وأصاب فيهم .

وقتل قيس بن^(١) المُسَخَّر بن النعمان مسعدة بن حَكَمَةَ بن مالك بن بَدْر ، وأسر أم قُرْفَةَ ، وهي فاطمة بنت زمعة بن بَدْر ، وكانت عند حذيفة بن بدر عجزواً كبيرة ، وبتاً لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قُرْفَةَ ، فقتلها قتلاً عنيفاً ، وربط برجليها حبلين ، ثم ربطا إلى بعيرين شتى ، حتى شَقَّاهَا^(٢) . ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابتة أم قُرْفَةَ ، وبعدد الله بن مسعدة ، فكانت بنت أم قُرْفَةَ لسلمة بن الأكوع ، وكان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها . كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قُرْفَةَ » . فسألها رسول الله ﷺ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد ؛ أن أميرَ هذه السرية زيد بن حارثة^(٣) .

وقد روينا في صحيح مسلم^(٤) أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى بني فزارة ، وسيأتي لهذا الخبر مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

(١) في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد : « انخر » وفي نور البراس أشار إلى ورودها بالوجهين .

(٢) كانت أم قُرْفَةَ تشدد في السب على رسول الله ﷺ والنيل من شخصه الكريم . الروض الأنف ٢٥٢/٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ٩٠/٢ ، والسيرة النبوية ٦١٧/٢ .

(٤) رواه مسلم في الجهاد (باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى رقم ١٧٥٥ / وأبو داود في الجهاد (باب الرخصة في المدركين يُفرَّق بينهم) رقم ٢٦٩٧ / وقال السهيلي ٢٥٣/٤ : وهذه الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

قال ابن سعد : ثم سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة^(١) الجندل في شعبان سنة ست . قالوا : دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، فأقعده بين يديه ، وعممه بيده . وقال : اغزُ بسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتل من كفرَ بالله ، ولا تَغُلْ ، ولا تَعُدُرْ ، ولا تقتل وليداً . وبعثه إلى كلب بدومة الجندل ، فقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم ، فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانياً ، وكان رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف ثماضير بنت الأصبغ ، وقدم بها إلى المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن^(٢) .

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح لدومة الجندل في سرية^(٣) .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

وذكر ابن إسحاق سرية لزيد بن حارثة إلى مدين ، قال : فأصاب سبياً من أهل مينا ، وهي السواحل ، وفيها جُمَاع من الناس ، فبيعوا ، ففُرِّقَ بينهم — يعني بين الأمهات والأولاد — فخرج رسول الله ﷺ وهم ييكون ، فقال : ما لهم ؟ فقل : يا رسول الله فُرِّقَ بينهم . قال : لا تبيعوهم إلا جميعاً . وكان مع زيد بن حارثة في هذه السرية ضُميرة مولى علي بن أبي طالب وأُخْ له^(٤) .

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك

قال ابن سعد عطفاً على سرية عبد الرحمن بن عوف : ثم سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك ، في شعبان سنة ست . قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعاً ، يُريدون أن يُمِدُّوا يهودَ خيبر ، فبعث إليهم علياً في مائة رجل ، فسار الليلَ وكمنَ النهار ، حتى

(١) الطبقات الكبرى ٨٩/٢ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٤/٢ — ٦٣٥ .

انتهى إلى العَمِج^(١) — وهو ماء بين خيبر وفدك ، وبين فدك والمدينة ست ليال — فوجدوا به رجلاً ، فسألوه عن القوم ، فقال أخبركم على أنكم تؤمنوني ، فأمنوه ، فدلّهم ، فأغاروا عليهم ، وأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة ، وهرب بنو سعد بالظعن ، ورأسهم ويز بن عليم ، فعزل عليّ صفّي رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى الحفدة ، ثم عزل الخمس ، وقسم سائر الغنائم على أصحابه^(٢) .

وذكر الحاكم بسنده في هذا الخير من طريق الواقدي ، وقال : فأصاب عينا ، فأقرّ لهم أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم ، على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة

بوادي القرى

ذكر ابن سعد أنها في شهر رمضان سنة ست . قال : قالوا : خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ، فلما كان دون وادي القرى ، لقيه ناس من فزارة من بني بدر ، فضربوه ، وضربوا أصحابه ، وأخذوا ما كان معهم . ثم استبّل زيد . وذكر ابن سعد نحو ما سبق عن ابن إسحاق من طريق ابن بكير في خير أم قرفة السابق ، وقال في آخره : وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي ﷺ فقام إليه غريباناً يجربونه حتى اعتنقه وقبله وساءله فأخبره بما ظفّره الله به .

كذا ثبت عند ابن سعد لزيد سريتان بوادي القرى ، إحداها في رجب ، والثانية في رمضان .

● وإنما قالوا : « أعز من أم قرفة » لأنها كانت يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً ، كلهم لها ذو محرم . والواقدي يذكر أنها قتلت يوم بُزّاحة^(٣) ، وإنما المقتول يوم بُزّاحة بنوها التسعة . وذكر الدولابي أن زيدا إنما قتلها كذلك لسببها رسول الله ﷺ . وعند مسلم أن

(١) « العَمِج » : لغة : الماء غير العذب .

(٢) الطبقات الكبرى ٨٩/٢ — ٩٠ .

(٣) « بُزّاحة » : ماء لبني أسد ، كانت به وقعة بين المسلمين والمرتين مع طليحة في خلافة الصديق رضي الله عنه .

رسول الله ﷺ فدا بابتها أسيراً كان في قريش من المسلمين ، وهو مخالف لما حكيناه عن ابن إسحاق من أنها صارت لحزن بن أبي وهب .

● وقيس بن المسحر بتقديم السين عند الطبري ، وبتقديم الحاء عند غيره وفتح السين ، ومن الناس من يكسرها .

● ووزد بن عمرو بن خدّاش . وفي الأصل عمرو بن مِرداس ، وكأنه تصحيف ، وهو أحد بني سعد بن هذيم ، وهو سعد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . حضنه عبدُ اسمه هذيم ، فغلب عليه . قاله ابن الكلبي .

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام

وغير ابن سعد يقول : اليسير بن رزام اليهودي بخير في شوال سنة ست .

قالوا : لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ، أمّرت يهودُ عليهم أسير بن رزام ، فسار في غطفان وغيرهم ، فجمعهم لحرب رسول الله ﷺ ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فوجّه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر ، في شهر رمضان سيراً ، فسأل عن خبره وغرته ، فأخبر بذلك . فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة ، فقدموا على أسير ، فقالوا : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ، قال : نعم ولي منكم مثلُ ذلك . فقالوا : نعم ، فقلنا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرجَ إليه فيستعملك على خيرٍ ويحسنَ إليك ، فطمع في ذلك ، فخرج ، وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديفٌ من المسلمين ، حتى إذا كنا بقرقرة نبار ندم أسير ، فقال عبد الله بن أنيس الجهني ، وكان في السرية : وأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنتُ له ، ودفعْتُ بعيري ، وقلت : غدرأ أي عدوّ الله . فعل ذلك مرتين ، فزلتُ ، فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير ، فضربته بالسيف فأندرتُ^(١) عامّةً فخذها

(١) « أندرت » : أسقطت .

وساقه ، وسقط عن بعيره ويده مخرش^(١) من شَوْحَط^(٢) ، فضر بني فشجني مأمومة^(٣) ، وملنا على أصحابه ، فقتلناهم كما هم ، غير رجل واحد أعجزنا شداً . ولم يُصَبَّ من المسلمين أحدٌ ، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ فحدثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين^(٤) .

وقال ابن عائد : أخبرنا الوليد ، عن عبد الله بن هبة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أنيس . وقال غير الوليد : بعث عبد الله بن رواحة . وفيما ذكره ابن عائد : وقدموا على رسول الله ﷺ فبصق في شجته فلم تَفَحَّ ولم تؤذه حتى مات .

وقال ابن إسحاق : إن ابن رواحة غزا خيبر مرتين ، إحداها التي أصاب فيها ابن رزام^(٥) .

سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن حريس

وعند ابن إسحاق : جَبَّار بن صخر ، بدل سلمة بن حريس .

قال ابن سعد : ثم سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس إلى أبي سفيان بن حرب بمكة ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب ، قال لنفر من قريش : ألا أحد يغتر^(٦) محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق ، فأتاه رجل من الأعراب ، فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلباً ، وأشدَّهم بطشاً ، وأسرعهم شداً ، فإن أنت قويتني خرجتُ إليه حتى أُغتاله .

(١) « مخرش » : المخرجن ، وهو عصا معقوفة الرأس .

(٢) « شَوْحَط » : شجر ينبت في الجبال ، تُتخذ منه قناة الرمح .

(٣) « مأمومة » : اسم مفعول ، من قولهم : أُم فلان فلاناً بعصاً ونحوها إذا جرحه بها في أم رأسه .

(٤) الطبقات الكبرى ٩٢/٢ — ٩٣ .

(٥) السيرة النبوية ٦١٨/٢ .

(٦) « يغتر » : يغتم منه غرة .

ومعني خنجر مثل خافية^(١) النسر ، فأسورة^(٢) ، ثم أخذ في غير^(٣) ، وأسبقُ القوم عذواً فأني هادٍ بالطريق خريت^(٤) . قال : أنت صاحبنا ، فأعطاه بعيراً ، ونفقة ، وقال : اطو أمرك ، فخرج ليلاً ، فسار على راحلته خمساً ، وصبحَ ظهرَ الحرّة صُبحَ سادسة . ثم أقبل يسألُ عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه ، فعقلَ راحلته ، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ ، وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ ، قال : إن هذا ليريد غدراً ، فذهب ليُجنىء^(٥) على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة^(٦) إزاره ، فإذا بالخنجر ، فأسقط في يديه ، وقال : دمي دمي . فأخذ أسيد بلبّته فدعته^(٧) . فقال رسول الله ﷺ : اصدقني ما أنت ؟ قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم . فأخبره بأمره ، وما جعل له أبو سفيان ، فخلّى عنه رسولُ الله ﷺ فأسلم ، وبعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب ، وقال : إن أصبنا منه غرة فاقتلاه ، فدخل مكة ، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً ، فراه معاوية بن أبي سفيان ، فعرفه ، فأخبر قريشاً بمكانه ، فخافوه وطلبوه ، وكان فاتكاً في الجاهلية ، وقالوا : لم يأت عمرو لخير ، فحشد له أهل مكة ، وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة ، فلقي عمرو عبدة الله بن مالك بن عبيد الله التيمي ، فقتله ، وقتل آخر من بني الدّيل سمعه يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمْتُ حياً ولست أدِينُ دينَ المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبرَ ، فقتل أحدهما وأسر الآخرَ ، فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبرُ رسولَ الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ يضحك^(٨) .

(١) « خافية » : واحدة الخوافي ، وهي مجموعة الريشات الخفية في جناح الطائر ، تقوي الريشات الظاهرة في مقدّمه ، وإضافتها للنسر هنا تُشعر بحدتها وقوتها .

(٢) « فأسوره » : لعل المقصود أنه يشب عليه بسرعة ويسوره بطعناته ويُحيطه بها .

(٣) « غير » : جبل بالمدينة معروف ، يحُدّ حرم المدينة من الجنوب ، ويأخذ فيه : يدخل في شعباه وهضابه .

(٤) « خريت » : ماهر .

(٥) « ليُجنىء » : يُجِيلُ ويُكَبِّئُ .

(٦) « بداخلة إزاره » : بأطرافه الداخلية .

(٧) « فدعته » : خنقه خنقاً شديداً .

(٨) الطبقات الكبرى ٩٤/٢ .

غزوة رسول الله ﷺ الحديبية

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة — يعني بعد غزوة بني المصطلق — رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً^(١) .

وعند ابن سعد : يوم الاثنين لهلal ذي القعدة^(٢) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ثُميلة بن عبد الله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق الهدى معه ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن مسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناسُ سبعمائة رجل ، فكانت كلُ بدنةٍ عن عشرة نفر^(٣) .

وقال ابن عقبة : عن جابر ، عن كل سبعة بدنة .

وذكر ابن عائد عن الوليد بن مسلم ، عن الزهري : كانوا أربع عشرة مائة^(٤) . وذكر ابن عقبة عن جابر : كانوا ستة عشر مائة .

وروي عن البراء من طريق ابن سعد وغيره : كانوا ألفاً وأربعمائة^(٥) .

(١) السيرة النبوية ٣٠٨/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .

(٣) في « ب » زيادة : وهو الأصح . وفيه صاحب نور التراس إلى أن هذا العدد — ألف وأربعمائة — هو أكثر الروايات وروداً . ويؤيده ما رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم ٤١٥٠/١ .

وروينا عن جابر كانوا خمس عشرة مائة ، أخبرنا الشيخ نظام الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين بن الخليلي قراءة عليه وأنا أسمع بمصر ، أخبرنا أبو نصر بن الدجاجي إجازة من بغداد ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن علوي الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علوان الخازن ، أخبرنا القاضي أبو عبد الله الجعفي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن رباح الأشجعي ، حدثنا أبو الحسن علي بن منذر الطريقي ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عطش النَّاسُ يومَ الحديبية ، ورسولُ الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ يتوضأُ منها ، فأقبل النَّاسُ نحوه ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : يا رسولَ الله ليس عندنا ماء نشربُ ولا نتوضأُ منه إلا ما في ركوتك . فوضع رسولُ الله ﷺ يده في الركوة^(١) ، فجعلَ الماءَ يفور من بين أصابعه أمثالَ العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . قال : فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة^(٢) .

وقال ابن سعد : ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً .

وأحرم معه ﷺ زوجه أم سلمة^(٣) . وروينا عن عبد الله بن أبي أوفى من طريق ابن سعد : كانوا ألفاً وثلاثمائة .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بعُسفان ، لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، وابن هشام يقول : بُسر . فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعتُ بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٤) ، قد لبسوا جلود الثمور ، وقد نزلوا بذى طوى^(٥) ، يعاهدون

(١) « الرُّكْوَة » : إناء صغير من جلد .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٥٢/ ، ومسلم في الإمامة (باب استحباب مبايعة الإمام بجيش عند إرادة القتال) رقم /١٨٥٦/ ، وإنما أثر المؤلف إخراجهم من غيرهما طلباً للعلو . نور

النبراس . ونُطق العدد على هذا النحو لا يزال شائعاً إلى اليوم في بعض القبائل العربية .

(٣) الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .

(٤) المصدر السابق ٩٨/٢ .

(٥) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٤ .

(٦) ذو طوى : واد بمكة .

الله أن لا تدخلها عليهم غنوة أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، وقد قدموها إلى كُرَاع الغميم .

وقال ابن سعد : قدّموا مائتي فارس ، عليها خالد بن الوليد ، ويقال : عكرمة بن أبي جهل . قال : ودنا خالد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر ، فتقدّم في خيله ، فقام بإزائه ، وصف أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف (١) .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ، أكلتم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٢) . ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم ، قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجراً (٣) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضّوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي . قال رسول الله ﷺ للناس قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها للخطئة (٤) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس ، فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض (٥) ، في طريق يخرج على ثنية المزار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك

(١) الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .

(٢) « السالفة » : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنتى بانفرادها عن الموت .

(٣) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٤ .

(٤) « للخطئة » : يريد ﷺ قول الله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة . ﴾ [البقرة : ٥٨] ومعناها : اللهم خطّ عنا ذنوبنا .

(٥) « الحمض » : ما كان ذا مرارة وملوحة من النبات كالرّمث والأثلر والطرفاء . والخلة من النبات ما فيه حلاوة ، تقول العرب : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . قاله في نور النبراس .

الجيش ذلك الطريق ، فلما رأَتْ قريش قُترة^(١) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش . وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المَرار بركت ناقته . فقال الناس : خلأت القصواء^(٢) فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قلب من تلك القُلب ، فغرز في جوفه ، فجاش بالروء^(٣) حتى ضرب الناسُ عنه بعطن^(٤) .

قال : فحدثني بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القلب ناجية بن جُندب ، سائق بُذِن رسول الله ﷺ . وقد زعم لي بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم .

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فكلموه ، وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومُعظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان . فرجعوا إلى قريش ، فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتهموهم وجبّوهم^(٥) ، وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا غنوة أبداً ، ولا تَحْدُثْ بذلك عنا العرب . وكانت خزاعة عيبة^(٦) رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : هذا الرجل غادر^(٧) . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له

(١) « قُترة الجيش » : غباره .

(٢) انظر الفوائد ص ١٧٤ .

(٣) « بَعَطَن » : مترك الإبل حول الماء .

(٤) « عيبة » : العيبة : الحقيبة ونحوها ، والمقصود أنهم خاصته وموضع سره .

(٥) كذا هنا ، وفي صحيح البخاري في المغازي رقم (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) : « فاجر » . وقال الحافظ : وفي رواية

ابن إسحاق « غادر » وهو أرجح .. وأورد قصة من مغازي الواقدي ثبت فيها غدره .

رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة بن رِيَّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش (١) ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ ، قال : إن هذا من قوم يتأهلون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيرُ إليه من عُرض (٢) الوادي بقلائده ، قد أكل أوبارَه من طول الحبس عن مَحَلِّه (٣) ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعراي لا علم لك . فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن الحليس غضبَ عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أنصُدُّ عن بيت الله من جاءه مُعْظِماً ، والذي نفس الحليس بيده لتُخْلُنَّ بين محمد وما جاء له ، أو لأفِرْنَ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا : مه ، كفَّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش إني قد رأيتُ ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ، — وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعتُ بالذي نابكم ، فجمعتُ من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد أجمعتُ أوشاب الناس ثم جئتُ بهم إلى يبيضتك (٤) لنقضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذُ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امْصُصْ بَطَرُ اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكأفأتك بها ،

-
- (١) «الأحابيش» : هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً ، والتحشُّب : التَّجَمُّع ، وقيل : حالفوا قريشاً تحت جبل يُسمَّى حشيباً فسمُّوا بذلك .
(٢) «عُرض الوادي» جانبه وناحيته ، ويُطلق أيضاً على الوسط .
(٣) «مَحَلِّه» : موضعه الذي يُنحَر فيه من الحرم .
(٤) «يبيضتك» : أهلك وعشيرتك .

ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحيّة رسول الله ﷺ وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحيّة رسول الله ﷺ ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك ، قال : فيقول عروة : ويحك ما أفظك ! وما أغلظك ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أي غدر وهل غسلت سواتك إلا بالأمس ؟ !

قلت : كذا وقع في هذا الخبر ؛ أن عروة عمّ المغيرة ، وإنما هو عمّ أبيه . هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود فعروة وأبو عامر أخوان .

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، فتهايج الحَيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاثة عشر دية ، وأصلح ذلك الأمر .

قال الزهري : فكلّمه رسول الله ﷺ نحواً مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يصبق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فقال : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصّر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، قرأوا رأيكم .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، دعا خِرَاشَ بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يُقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فكلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ . وحدثني بعض من لا أتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم ، أو خمسين رجلاً ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أحداً ، فأتي بهم رسول الله ﷺ ، ففعا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . ثم دعا

عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة فبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له . فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي بمكة ، وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، وأنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته^(١) . فخرج عثمان بن عفان إلى مكة ، فلقبه أبا نُسَيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فجعله بين يديه ، ثم أجاره ، حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به . فقال لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن يبايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجُد بن قيس ، أحد بني سلمة ، فكان جابر يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضياً^(٢) إليها ، يستر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ؛ أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعث قريش سهيل بن عمرو — أجا بني عامر بن لؤي — إلى رسول الله ﷺ . قالوا : اثبت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع

(١) كذا في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ، وفي الأصول « معظماً له لحرمته » .

(٢) « ضياً » : لجأ ، ومن معانيها : الاختفاء والاستتار .

عنا عامه هذا ، فوالله لا تَحَدَّثُ العربُ أنه دخلها علينا غنوة أبداً . فأتاه سهيلُ بن عمرو ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيلٌ إلى رسولِ الله ﷺ تكلمَ فأطالَ الكلامَ ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلحُ ، فلما التأم الأمرُ ، ولم يبق إلا الكتابُ ، وثبَ عمرُ بن الخطابُ ، فأقَى أبا بكر ، فقال له : يا أبا بكر أليس برسولِ الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامُ نُعطيَ الدينيةَ ^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه ^(٢) فيأني أشهدُ أنه رسولُ الله ﷺ . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله . ثم أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله أُلستَ برسولِ الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامُ نُعطيَ الدينيةَ ^(١) في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسولُهُ ، لن أخالفَ أمرَه ، ولن يُضَيِّعني . قال : فكان عمر يقول : ما زلتُ أصومُ وأتصدقُ وأصلي وأعتقُ من الذي صنعتُ يومئذٍ ، مخافةَ كلامي الذي تكلمتُ به حين رجوتُ أن يكون خيراً .

ثم دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ، فقال اكتب : بسمِ الله الرحمن الرحيم . قال : فقال سهيلُ بن عمرو : لا أعرفُ هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . فكتبها . ثم قال اكتب : هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله ﷺ سهيلُ بن عمرو . فقال سهيلُ بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلكَ ، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ اكتب : هذا ما صالحَ عليه محمد بن عبد الله سهيلُ بن عمرو ، واصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشرَ سنين ، يأمنُ فيهنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغيرِ إذنِ وليِّه ردَّه عليه ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة ^(٣) ، وأن لا إسلال ولا إغلال ^(٤) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتوالت

(١) « الدينية » : ويروى : الدينية أيضاً بالتسهيل ، ما فيه ذلة وحقارة ، والفعل منه : دنا ودنوا .

(٢) « الزم غَرْزَه » : الزم أمره ولا تُفارقه ، والغَرْزُ : ركاب الإبل خاصة ، وكان يُصنع عندهم من الجلد أو الخشب .

(٣) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٥ .

خُزَاعَة ، فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القُرب ، لا تدخلها بغيرها .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخل النَّاسَ من ذلك عليهم أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون . فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتليبيه^(١) ، ثم قال : يا محمد قد لَجَّت^(٢) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت . فجعل ينتره^(٣) بتليبيه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُرِدُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد النَّاسَ ذلك إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهداً الله ، وإنا لا نغدر بهم . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدكم دم كلب . قال : ويُدني قائمُ السيف منه ، قال : يقول عمر : وددتُ أن يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضية ، فلما فرغ الكتاب^(٣) ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن خفص وهو مشرك ، وعلي بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

(١) « لَجَّت » : تمت .

(٢) « ينتره بتليبيه » : ينتره : يجذبه جذباً شديداً . بتليبيه : التلييب : ما في موضع اللَّب من الثياب ، جمعه تلايب ، واللَّب واللَّبة : المنحر ، والأخذ بتلييب الرجل : أن يجمع ثيابه عند عنقه في الخصومة .

(٣) « فرغ الكتاب » : انتهت الكتابة .

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً^(١) في الحِلِّ ، وكان يُصلي^(٢) في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه فيما بلغني في ذلك اليوم خِرَاشُ بن أُمَيَّة بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى النَّاسُ رسولَ الله ﷺ قد نَحَرَ وحلَّقَ تَوَاتَبُوا ينحرون ويحلِّقون .

وذكر ابن إسحاق عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : دعا رسول الله ﷺ بالرحمة للمُحَلِّقِينَ ثلاثاً ، وللمَقْصُرِينَ مرة^(٣) .

وذكر ابن سعد بسنده ؛ أن عثمان وأبا قتادة الأنصاري ممن لم يحلق^(٤) .

وقال ابن^(٥) أبي نَجِيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه بُرة^(٦) من فضة ، ليغيظ بذلك المشركين .

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح : ١ — ٢] . ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ الآية [الفتح : ١٠] . ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فأبطؤوا عليه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ [الفتح : ١١] ثم القصة عن خيرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ﴾ [الفتح : ١٥] . ثم القصة عن خيرهم ، وما عرض عليهم من

(١) « مضطرباً في الحِلِّ » : ضارباً خيامه خارج حدود حرم مكة .

(٢) « وكان يُصلي في الحرم » : يُريد أنه لم يكن يصلي في خيمه ﷺ خارج حدود الحرم ، وإنما كان يُفارقة ليصلي في داخلها ، وذلك لقرب الحديبية منها .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٨/٢ — ٣١٩ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٠٤/٢ .

(٥) رجع إلى ابن إسحاق .

(٦) بُرة : حلقة معدنية تُجعل في أنف البعير .

جهاد القوم أولي البأس الشديد ، فذكر آيات من سورة الفتح ^(١) .

وذكر ابن عائذ : فيما رواه عن محمد بن شعيب ، عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ووعدته ربه أنه فاتحها ، وبين له فتحها ، ولم يجعل لمن تخلف عنه بالمدينة من غير معذرة نصيباً في مغنم خيبر ، فقال : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغْنَمٍ لِتَأْخُذُوا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

وقال ابن عقبة في تفسير قوله ﴿ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] رجوعهم من العام المقبل إلى مكة معتمرين ، وقيل خيبر .

وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخوها عمارة والوليد في ردها بالعهد ، فلم يفعل النبي ﷺ ذلك . ونزلت : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ [المتحنة : ١٠] والآيات . وكان ممن طَلَّقَ عند نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ﴾ [المتحنة : ١٠] عمر بن الخطاب ، طَلَّقَ امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما ، وأم كلثوم بنت جبرول ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من ^(٢) قومه ، وهما على شركهما .

وزوي أن بعض من كان مع النبي ﷺ قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من عامي هذا ؟ قالوا : لا . قال : فهو كما قال جبريل ^(٣) .

وذكر ابن عقبة : عن ابن شهاب ؛ أن رسول الله ﷺ استشار الناس حين بلغه أن قريشاً تجمع له ، فقال : أترون أن نغير على ما جمعوا لنا ، وعلى جُلِّ أموالهم ، فنصيبيهم ، فإن قعدوا قعدوا مغيظين مؤتورين ، وإن تبق منهم عنق نقطعها ؟ أم ترون أن نؤم البيت الحرام ،

(١) السيرة النبوية ٣١٩/٢ — ٣٢٢ .

(٢) في السيرة النبوية : « وأم كلثوم بنت جبرول ؛ أم عبيد الله بن عمر الخزاعية .. » فهي وزوجها وابنها عبيد الله من خزاعة .

(٣) السيرة النبوية ٣٢٥/٢ — ٣٢٧ .

فمن صدّنا عنه قاتلناه ؟ قال أبو بكر الصديق : الله ورسوله أعلم ، جئنا لأمر ، فزى أن نؤمّه ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال رسول الله ﷺ : فنعّم . ويُقال : سار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بَعْسَفَان ، لقيه بشرُّ بن سفيان الكعبي ، فقال : إن قريشاً قد نزلت بذي طوى ، وذكر نحو ما تقدم . وفيه : بعد كتابة الصحيفة بالصلح ، فهم ينتظرون نفاذ ذلك وإمضاءه ، رمى رجلٌ من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر ، فكان بينهم شيء من قتال ، يترامون بالنبل والحجارة ، فصاح الفريقان كلاهما ، وارثن كل واحد من الفريقين مَنْ كان عنده من الآخرين ، فارتبى المشركون عثمان بن عفان ومن كان معه ، وارثن المسلمون سُهيل بن عمرو ومن كان معه من المشركين ، يقولون : فعند ذلك دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى البيعة ، وأراد القتال ، فبايعوه على الموت . وقال جابر : على أن لا يفروا ، وعمر أخذ بيده . والشجرة : سمره . والخيل مائة فرس ، فبايعناه ، غير الجدّ بن قيس ، فلما رأت قريش ذلك رعبهم^(١) الله ، وأرسلوا من كان في أيديهم من المسلمين ، فدعوا إلى المودعة والصلح ، والمسلمون لهم عالون ، وصالحهم رسول الله ﷺ ، وكره عمرُ الصلح ، ثم رجع عن ذلك . ولما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية ، كلّمه بعضُ أصحابه ، فقالوا : جهدنا وفي الناس ظهر^(٢) فانخره لنا كل من لحمه ، ولتذهبن من شحومه ، ولتحتذي^(٣) من جلوده . فقال عمر بن الخطاب : لا تفعل يا رسول الله ، فإن الناس إن يكن فيهم بقيةُ ظهر أمثل ، فقال رسول الله ﷺ : ابسطوا أنظاعكم^(٤) وعباءكم ، ففعلوا ، ثم قال : من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ، ودعا لهم ، فقال : قربوا أوعيتكم ، فأخذوا ما شاء الله .

وقد روينا نحوه : من حديث إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه من طريق مسلم ، وفي آخره : فقال النبي ﷺ : « فهل من وضوء ؟ » فجاء رجلٌ بإداوة^(٥) ، فيها نطفة من ماء ، فأفرغها في قدح ، فوضأنا كلنا .. الحديث^(٦) .

(١) « رَعِبَهُمُ اللَّهُ » : بتخفيف العين : أفرعهم ، ولا يُقال : أُرعبه ، انظر الصحاح للجوهري .

(٢) « وفي الناس ظَهْرٌ » : إبل مركوبة .

(٣) « وَلِتَحْتَذِيَ مِنْ جُلُودِهِ » : تتخذ منها أحذية .

(٤) « أَنْظَاعَكُمْ » : جمع نطع ، وهو البساط من الجلد .

(٥) « بِإِدَاوَةٍ » : إناء صغير من جلد ، والنطفة : الماء القليل .

(٦) رواه مسلم في كتاب اللقطة (باب استحباب خلط الأزواد إذا قُلْتُ ..) رقم /١٧٢٩/ .

قال ابن عقبة : وأقبل رسول الله ﷺ من الحديبية راجعاً ، فقال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ : ما هذا بفتح ، لقد صدُّونا عن البيت ، وصدَّ هَدْيُنَا ، وردَّ رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين ، كانا خرجا إليه . فبلغ رسول الله ﷺ قول أولئك (١) ، فقال : بئس الكلام بل هو أعظم الفتح ، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ، ويرغبون إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا ، وأظفركم الله عليهم ، وردكم الله سالين مأجورين ، فهو أعظم الفتح . وفيه : أنسيتم يوم أحد إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد ، وأنا أدعوكم في آخركم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟ فقال المسلمون : صدق الله ورسوله ، فهو أعظم الفتح ، والله يا نبي الله ما فكَّرنا فيما فكَّرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وذكر ابن عائد : أن رسول الله ﷺ أقام في غزوته هذه شهراً ونصفاً .

وقال ابن سعد : أقام بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ويقال : عشرين ليلة ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فلما كانوا بضجنان (٢) نزلت عليه : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فقال جبريل : نهتلك يا رسول الله . وهناه المسلمون (٣) .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ، عن مُجمّع بن يعقوب ، عن أبيه ، أنه قال : لما صدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه ، وحلقوا بالحديبية ، ونحروا ، بعث الله ريحاً عاصفاً ، فاحتملت أشعارهم فألقته في الحرم (٤) .

وعن طارق بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن المسيّب ، فتذاكروا الشجرة ،

(١) كذا في الأصول ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ١٦٠/٤ : « فبلغ رسول الله ﷺ قول رجلٍ من أصحابه ،

فقال .. » وهو الأنسب . والخبر عن عروة بن الزبير ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف .

(٢) « ضجنان » : جبل على بريد من مكة .

(٣) الطبقات الكبرى ٩٤/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ١٠٤/٢ ، والخبر مرسل ، لأن يعقوب بن مجمع بن يزيد بن حارثة الأنصاري ، تابعي ،

ذكره ابن حبان في الثقات ، كذا في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٢٣ .

فضحك ، ثم قال : حدثني أبي ، أنه كان ذلك العام معهم ، وأنه قد شهدها فتنسوها من العام المقبل^(١) .

ورويانا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، أخبرنا عبد الله بن عوف ، عن نافع ، قال : كان الناس يأتون الشجرة التي يُقال لها شجرة الرضوان ، فيُصلُّون عندها ، قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها ففُطعت^(٢) .
ورويانا عن ابن عمر ، قال : كانت رحمة من الله^(٣) .

ورويانا عن ابن سعد ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، قال : أخبرني أبو المليح ، عن أبيه ، قال : أصابنا يوم الحديبية مطرٌ لم يُئل أسافلُ نعالنا ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : أن صَلُّوا في رحالكُم^(٤) .

ذكر فوائد تتعلق بخمر الحديبية

● الحديبية : بئر سُمي المكان بها ، والأعرف فيها التخفيف ، ورأيت بخط جدي : قال الأستاذ نقلاً عن أبي على الشلوين : هي بتخفيف الياء لا غير ، وكأنه تصغير حدي

(١) حديث طارق رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٦٥/ ومسلم في المغازي (باب استحباب مبايعة الأمير الجيش) رقم /١٨٥٩/ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٠٤/٢ ، وقال في نور النبراس : ونافع لم يدرك عمر بن الخطاب فاعلمه ، فروايته عنه مرسله .

(٣) لم يذكر سبط ابن العجمي من أخرجه وإنما قال : حديث ابن عمر أخرجه ... وترك له بياضاً ، وهذا في النسختين المخطوطتين من نور النبراس .

وقال الصالحى : الحكمة في قطع عمر الشجرة وفي إخفاء مكانها أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن من تعظيم الجهال لها ... وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله : كانت رحمة من الله ... سبل الهدى والرشاد ١٢٢/٥ .

(٤) الطبقات الكبرى ١٠٥/٢ وقال في نور النبراس : الحديث الذي ذكره المؤلف أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه ..

وفي سنن أبي داود رقم /١٠٥٩/ عن خالد الحذاء عن أبي قلابة ، عن أبي المليح .. وفي سنن ابن ماجه رقم /٩٣٦/ عن خالد الحذاء عن أبي المليح .. وخالد سمع منهما كما في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٢٤ ، أو أن اسم أبي قلابة سقط من السيرة ، والله أعلم .

مقصورة . قال ابن السراج : والجعرانة بإسكان العين قاله الأصمعي ، وأتى بالتشديد^(١) ، وذكر أنه سمعه من فصحاء العرب .

وإحرامه عليه الصلاة والسلام كان من ذي الحليفة .

● والأجرل : الكثير الحجارة ، والجرول والجَرَل : الحجارة .

● والعوذ المطافيل : النساء اللاتي معهن أطفالهن ، وقال السهيلي : جمع عائد ، وهي الناقة التي معها ولدها ، يُريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزوّدوا باللبانها ، ولا يرجعوا حتى يُناجزوا محمداً ﷺ وأصحابه .

● وغلّأت القصباء : حُرنت ، والخلأ في الإبل ، كالحران في غيرها من الدواب .

● وماء رَوَاء : وروى^(٢) ، وقوم رواء من الماء ، عن ثعلب .

● وناجية : كان اسمه ذكوان ، فسماه رسول الله ﷺ حين نجا من كفار قريش ناجية .

● وجبّهت الرجل : استقبلته بما يكره .

● ويتألّهون : يعظمون أمر الإله ، وقال الحشني : التألّه التعبّد .

● ورأيتُ عن ابن الكلبي في نسب الحُليس بن ريان : أنه الحليس بن عمرو بن

الحارث بن المُقفل ، وهو الريان بن عبد ياليل ، ويقال الحليس بن يزيد بن الريان .

● والأوباش : والأوشاب ، الأخلاط من الناس .

● وأبو سنان الأسدي : اسمه وهب بن محصن ، أخو عكاشة بن محصن .

روينا عن أبي غروبة ، حدثنا علي بن المنذر ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن عاصم ، عن عامر ، قال : كان أوّل من بايع بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي ، قال : يا رسول الله ! بايعني . قال : على ماذا ؟ قال : على ما في نفسك . قال : ما في نفسي ؟ قال : الفتح أو الشهادة . فبايعه رسول الله ﷺ ، وجاء الناس ، فجعلوا يقولون ثُبّاعك على بيعة أبي سنان ،

(١) المقصود تشديد الباء من كلمة « الحديبية » ، وفي صحيح البخاري عن البراء « الحديبية » : بئر . قال

الحافظ بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل .

(٢) وماء رواء وروى — ويقال : روي أيضاً — : كثير مُرو . وقوم رواء : مرتوون .

كذا روي هذا عن الشعبي من غير وجه^(١) .

والصَّواب سنان بن أبي سنان . قال الواقدي فيما حكى عنه أبو عمر : وسنان أوَّل من بايع بيعة الرضوان ، وتوفي سنان سنة اثنتين وثلاثين ، وأما أبوه أبو سنان فمات في حصار بني قريظة ، ذكر ذلك أبو جعفر الطبري وغيره ، وقال : كان أسنَّ من أخيه عُكاشة بستين ، قال : ودفن بمقبرة بني قريظة اليوم . وقد تقدم ذلك . وقد ذَكَرَ أن أوَّل المبايعين يومئذ عبد الله بن عمر . قال أبو عمر : ولا يصح^(٢) .

وقد روينا من طريق البخاري ، قال : حدثني شجاع بن الوليد ، قال : سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر ، عن نافع ، قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسلَ عبدَ الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار ليقاتل عليه ، ورسولُ الله ﷺ يُبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبدُ الله ، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلئم للقتال ، فأخبره أن رسولَ الله ﷺ يُبايع تحت الشجرة . قال : فانطلق عمر فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر^(٣) .

روينا من طريق مسلم : عن سلمة بن الأكوع ، ثم إن رسول الله ﷺ دعا للبيعة في أصل الشجرة ، قال : فبايعته أوَّل الناس ، ثم بايع وبايع .. الحديث^(٤) .

● قال السهيلي : وفي هذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضعف ، وقد تقدم مصالحتهم على مال يُعطونه في غزوة الخندق . قال : واختلف هل يجوز صلُّحهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجة من منع ، أن حظر الصلح هو الأصل ، بدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بالعشر في حديث ابن

(١) رواه أبو عروبة في كتابه التاريخ كما في نور التمراس ، وقال الصالحى : رواه الطبراني وغيره كما في القصة عن الشعبي ، ورواه ابن منده . سبل الهدى والرشاد ١٢٠/٥ ، وانظر مجمع الزوائد ١٤٩/٦ ، والإصابة ٩٤/٤ .

(٢) الاستيعاب ٨٠/٢ و ٣٤٢/٢ على هامش الإصابة .

(٣) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم ٤١٨٦/٤ . و« يستلئم » : يلبس اللأمة ، وهي السلاح .

(٤) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب غزوة ذي قرد وغيرها) رقم ١٨٠٧/١ .

إسحاق ، فحصلت الإباحة في هذا المقدار متحققة ، وبقيت الزيادة على الأصل .

قلت : ليس في مطلق الأمر بالقتال ما يمنع من الصلح ، وإن كان المراد ما في سورة براءة من ذلك ، مما نزل بعد هذه الواقعة ، ففي التخصيص بذلك اختلاف بين العلماء . وأما تحديد هذه المدة بال عشر ، فأهل النقل يختلفون في ذلك ؛ فروينا عن ابن سعد ، كما روينا عن ابن إسحاق ، وروينا عن موسى بن عقبة ، قال : وكان الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش سنتين يأمن بعضهم بعضاً . وكذلك روينا عن ابن عائذ عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن مدة الصلح كانت إلى سنتين والله أعلم .

● وأما كتابة الصلح : فقرئ على عبد الرحيم بن يوسف المزني وأنا أسمع ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله ، أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المذهب ، أخبرنا القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية ، كتب علي رضي الله عنه كتاباً بينهم . قال : فكتب : محمد رسول الله . فقال المشركون : لا تكتب : محمد رسول الله ، ولو كنت رسول الله لم نقاتلك . قال : فقال لعلي : امحه . فقال : ما أنا بالذي أمحاه^(١) ، فمحاه رسول الله ﷺ بيده .. الحديث^(٢) .

وقد روى البخاري : أن النبي ﷺ كتب ذلك بيده^(٣) ، وعد ذلك من وقف عنده

(١) « أمحاه » : هو مضارع محي اليائي ، تقول : أمحاه وأمحيه محياً أي أذهبت أثره . وتقول : أمحوه محواً — بالواو أيضاً — وهو بمعناه .

(٢) رواه البخاري في الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان .. رقم ٢٦٩٨/٢ ، والترمذي في الحج والبر (باب ما جاء في بر الحالة) رقم ١٩٠٥/١ والمناقب ، والمسنند ٢٩١/٤ .
والحديث رواه مسلم أيضاً في الجهاد والسير (باب صلح الحديبية) رقم ١٧٨٣/١ ، وعدل المؤلف إلى إخراجها من المسند ؛ لأنه وقع له أعلى ، كما في نور النيراس لوحة ٢ ب/١٢٥ .

(٣) رواه البخاري في الصلح (باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان ..) رقم ٢٦٩٩/٢ وفي عمرة القضاء من المغازي رقم ٤٢٥١/١ وقال الحافظ ابن كثير في كتابه « الفصول » بتحقيقنا ص ٢٩٦ : وقد علم أن المقيد يقضي على المطلق ؛ ففي الرواية الأخرى — في البخاري — فأمر علياً فكتب .. وانظر هذا الموضوع مبسوطاً في فتح الباري ٥٠٣/٧ — ٥٠٤ .

معجزة له عليه الصلاة والسلام ، وما شهد به القرآن من أنه النبي الأمي الذي لا يُحسن الكتابة ، مع ما كان يأتي به من أفاصيص الأولين وأخبار الأمم الماضين هو المعجزة العظمى ، لما تضمن من تكذيب من نسب ذلك إلى علم تلقاه من أساطير الأولين ، ممن كان اكتسبها فهي تُملى عليه . وهذا علّم عظيم من أعلام نبوته ، وأصل كبير من دلائل صدقه في أنه عليه الصلاة والسلام إنما كان يتلقى ذلك من الوحي . وسلامة هذا الأصل من شبهة قد تركت للملحد حجة في معارضته ، وإن بعدت أولى . وذكر الإمام أبو الوليد الباجي أنه كتب ، فأنكر ذلك علماء الأندلس ، فبعث إلى الآفاق يستفتي بمصر والشام والعراق وغير ذلك ، فجعلهم قال : لم يكتب النبي ﷺ بيده قط ، ورأوا ذلك محمولاً على المجاز ، وأن معنى كتب : أمر بالكتابة . وقالت طائفة يسيرة منهم : كتب . وجرت هذه المسألة يوماً بحضرة شيخنا الإمام أبي الفتح القشيري رحمه الله ، فلم يعبأ بقول من قال : كتب . وقال عن الباجي : هو قولٌ أحوجّه إلى أن يستجد بالعلماء من الآفاق .

● وأبو جندل : اسمه العاصي ، وهو أخو عبد الله بن سُهَيْل ، شهد عبد الله بدرأ مع النبي ﷺ ، وكان إسلامه قبل ذلك ، وأوّل مشاهد أبي جندل الفتح ، وإنما ذكرنا ذلك لنعلم الفرق بينهما ، فقد ذكر أن بعض من ألف في الصحابة سَمَّى أبا جندل عبد الله ، وليس كذلك . ورجع أبو جندل إلى مكة يوم الحديبية في جوار مكرز بن حفص فيما حكى ابن عائد .

● قال أبو القاسم السهيلي — وذكر قول الله سبحانه : ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] — وهذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أن تُستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزاً ، ولا هاجرت إلا لله ولرسوله ، فإذا حلفت لم تُردّ ، ورُدّ صدّاقها إلى بعلها ، وإن كانت من غير أهل العهد لم تُستحلف ولم يُردّ صداقها^(١) .

● وعِبة مكفوفة : أي صدور منطوية على ما فيها لا تُبدي عداوة .

● والإغلال : الخيانة .

● والإسلال : السرقة .

(١) الروض الأنف ٣٦/٤ .

ذكر الخبر عن أبي بصير وأبي جندل

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير ؛ غيبة بن أسيد بن جارية الثقفي ، وكان ممن حُسن بمكة ، فلما قدم على رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مول لهم ، فقدموا على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير ! إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق إلى قومك . قال : يا رسول الله ! أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ! انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أبا بني عامر ؟ فقال : نعم ، انظر إليه إن شئت . فاستلّه أبو بصير ثم علاه حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فرجاً ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك ما لك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي ، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! وفّت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم ، وقد امتنعتُ بديني أن أفتن فيه ، أو يُعبث بي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « ويل امه^(١) مَحْشٌ حرب ، لو كان معه رجال ! » . ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين

(١) « ويل امه مَحْشٌ حرب » : الويل : الهلاك ، ويجوز في لاهه هنا : الضم والفتح والكسر ، والمَحْشٌ : ما يُحرك

به النار من حديد ونحوه ، وهي منصوبة على التمييز ، على تقدير : « من مَحْشٌ حرب » .

ولم يُرد النبي ﷺ الدعاء عليه بالهلاك ، وإنما هي عبارة جرت على ألسنة العرب ؛ كثرت يدك ونحوه . أراد

بها التعجب من إقدامه في الحرب وإيقاده لنارها ، وامتنادح شجاعته .

كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير : « ويل امه مَحْشُ حرب ، لو كان معه رجال ! » فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً ، فكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرُّ بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة^(١) .

وذكر ابن عقبة هذا الخبر أطول من هذا ، وسمى الرجل الذي بعثته قريش في طلب أبي بصير : جُحيش بن جابر من بني منقر . قال : وكان ذا جلد ورأي في أنفُس المشركين ، وجعل لهما الأخنس في طلب أبي بصير جُعلاً ، فقدموا على رسول الله ﷺ ، فدفع أبا بصير إليهما ، فخرجا به ، حتى إذا كان بذي الحليفة ، سلَّ جُحيش سيفه ثم هزَّه ، فقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل . وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : فجاء أبو بصير بسلبه إلى رسول الله ﷺ ، فقال خَمْسُهُ يا رسول الله . قال : إني إذا خَمَسْتُه لم أف بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك ، واذهب حيث شئت . فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين من مكة ، حتى إذا كانوا بين العيص وذوي المروة من أرض جُهينة ، وانفلت أبو جندل بن سُهيل في سبعين راكباً أسلموا وهاجروا ، فلاحقوا بأبي بصير ، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في هدنة المشركين ، وكرهوا الثَّوَاء بين ظهري قومهم ، فنزلوا مع أبي بصير في منزل كربه إلى قريش ، فقطعوا به مآذتهم من طريق الشام ، وأبو بصير يُصَلِّي لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمُّهم ، واجتمع إلى أبي جندل ناس من غِفَار وأسلم وجُهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون ، لا يمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها . وذكروا مرور أبي العاص بن الربيع وقصته . قلت : وقد تقدَّم أن أبا العاص أخذ في سرية زيد بن حارثة إلى العيص . قال : وكتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدمَا عليه ، ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهلهم ، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرأه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجداً ، وقدم أبو

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٢٣ — ٣٢٤ .

جندل على رسول الله ﷺ معه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهلهم . وقال أبو جندل فيما حكاه الزبير :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل	أنّا بذى المروة فالسّاحل
في معشر تخفق أيمانهم	بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة	من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً	والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه	أو يقتل المرء ولم يأكل

● وأبو بصير : سماه ابن إسحاق عتبة ، ومن الناس من يسميه عبداً ، وهو ابن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غبرة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوزان ، حليف بني زُهرة .

* * *

غزوة خيبر

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وخرج في بقية منه غازياً إلى خيبر ، ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام . واستخلف على المدينة ثُميلة بن عبد الله الليثي فيما قاله ابن هشام .

وقال موسى بن عقبة : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، منصرفه من الحديبية ، مكث عشرين يوماً أو قريباً منها ، ثم خرج غازياً إلى خيبر ، وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر الأسلمي ؛ أن أباه حدثه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع — وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ وكان اسم الأكوع سناناً — : « انزل يا بن الأكوع فخذ لنا من هَنَاتِكَ ^(١) » . قال : فنزل يرتجز :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أيينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغني ، أن سيفه رجع عليه ، وهو يقاتل ، فكلمه كلماً شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا : ما قتله إلا سلاخه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك ، وأخبره يقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه لشهيد ، وصلى عليه المسلمون .

وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُغيث بن

(١) من هَنَاتِكَ : من أخبارك وأشعارك ، جمع هَنَة ، وهي كلمة يُكنى بها عما تعرف وما لا تعرف ، وأراد هنا حذائه وارتجازه .

عمرو^(١) ، أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خير ، قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك من خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولها لكل قرية دخلها .

وحدثني من لا أتهم : عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى يُصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خير ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدمي تمتس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خير غادين ، وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه ، فادبروا هرباً . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . حدثنا هارون عن حميد عن أنس بمثله^(٢) .

وروي عن أبي علي بن الصواف بالسند المتقدم إليه ، حدثنا الحسين بن علي بن مصعب ، حدثنا محمد بن السري ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، قال : لما أشرف رسول الله ﷺ على خير ، وجد اليهود وهم في عملهم ، معهم مساحيهم ، فقالوا : محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(٣) .

(١) في الأصول « عن أبي معتب » والتصحيح من نور النيراس ، وقال : هل هو صحابي أم لا فيه قولان . لوحة ١٢٩ ب/٢ .

(٢) السيرة النبوية ٣٢٨/٢ — ٣٣٠ ، وحدث أنس عن أبي طلحة صحيح رواه البخاري في الصلاة (باب ما يذكر في الفخذ) رقم /٣٧١/ ، ومسلم في الجهاد (باب غزوة خير) رقم /١٣٦٥/ ، وأبو داود في الخراج (باب ما جاء في سهم الصفي) رقم /٢٩٩٦/ ، والترمذي في السير (باب في البيات والغارات) رقم /١٥٥٠/ ، والنسائي في الصلاة (باب التغليس في السفر) رقم /٢٧١/ — ٢٧٢ .

(٣) في الأصول حدثنا الحسين بن علي بن مصعب ، حدثنا بن حسان ، عن محمد بن أبي السري ، حدثنا عبد الرزاق ، والتصحيح من نور النيراس ، وقال : حديث أبي طلحة هذا ليس في شيء من الكتب الستة . ويشهد له الحديث السابق .

رجع إلى الأول : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عَصْر^(١) فَبَنِي لَهُ فِيهَا مَسْجِدًا ، ثُمَّ عَلَى الصَّبَاءِ^(٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَيْشِهِ إِلَى خَيْبَرَ ، حَتَّى نَزَلَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ^(٣) ، فَتَزَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غُطَفَانَ لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَمْدُوا أَهْلَ خَيْبَرَ ، وَكَانُوا لَهُمْ مَظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَلَغَنِي أَنَّ غُطَفَانَ لَمَّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ ، جَمَعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ؛ لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا سَارُوا مَنَقَلَةً^(٤) سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حَسًّا ، ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ ، فَارْجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ ، وَتَذَنَّى^(٥) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَمْوَالَ ، يَأْخُذُهَا مَالًا مَالًا ، وَيَفْتَحُهَا حِصْنًا حِصْنًا ، فَكَانَ أَوَّلَ حُصُونِهِمْ افْتِتْحَ حِصْنٍ نَاعِمٍ ، وَعِنْدَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ بَرَحِيِّ أَلْقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ^(٦) .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْحَاجَّورِ الشَّيْبَانِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِالشَّامِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيُمْنِ الْكِنْدِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْحَرِيرِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْفَتْحِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمُطْبِيرِيِّ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ الْحَسَنِ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ هَشِيمٍ ، عَنْ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا أَخِي ، فَقَالَ : لِأَدْفَعَنَّ الرَّايَةَ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ، فَيُمْكِنَهُ اللَّهُ مِنْ قَاتِلِ أَخِيكَ . فَبَعَثَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَاضِي اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ ، فَعَقَدَ لَهُ الْوَلَاءَ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرْمَدُ كَمَا تَرَى . قَالَ : وَكَانَ يَوْمَئِذٍ أُرْمَدُ ، فَتَفَلَّ فِي عَيْنَيْهِ . قَالَ

(١) « عَصْر » : جَبَلٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَوَادِي الْفُرْعِ ، كَذَا فِي الْقَامُوسِ وَنُورِ النَّبَرِاسِ ، وَلَعَلَّ الْفُرْعَ تَصْحِيفٌ ، فَهُوَ وَادِي الْقَرْيَةِ كَمَا جَاءَ فِي هَامِشِ النُّسخَةِ « أ » .

(٢) « الصَّبَاء » : مَوْضِعٌ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ خَيْبَرَ (٤٥ كم) وَتَسْمَى الْمَرَحَلَةُ أَيْضًا « رُوحَة » .

(٣) الرَّجِيعُ : هُوَ غَيْرُ وَادِي الرَّجِيعِ السَّابِقِ ، وَالَّذِي يَقَعُ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ . وَانْظُرْ نُورَ النَّبَرِاسِ ، لَوْحَةُ ١٣٠ / ٢ .

(٤) « مَنَقَلَة » : مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِحِ السَّيْرِ .

(٥) « تَذَنَّى الْأَمْوَالَ » : اقْتَرَبَ مِنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا .

(٦) السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ؛ لِابْنِ هَشَامٍ ٣٣٠ / ٢ .

علي رضي الله عنه : فما رَمِذْتُ بعدَ يومئذ . قال العوام : فحدثني جبلة بن سُحيم أو حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر ، قال : فمضى بذلك الوجه ، فما تنامَ آخرُنا ، حتى فتح الله على أولياء الله ، فأخذَ علي رضي الله عنه قاتلَ الأنصاري ، فدفعه إلى أخيه فقتله^(١) .
الرجل الأنصاري : هو محمد بن مسلمة .

وروي في المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني ، حدثنا محمد بن الفضل بن جابر السَّقَطِي ببغداد ، حدثنا فضيل بن عبد الوهاب ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الخليل بن مرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما كان يومُ خيبر بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجَبَّ ، فجاء محمد بن مسلمة ، فقال : يا رسول الله لم أرَ كالיום قط ، قُتلَ محمود بن مسلمة . فقال رسول الله ﷺ : « لَا تَمُتُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا تُبْتَلُونَ بِهِ مِنْهُمْ ، فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِبُهُمْ بِيَدِكَ ، وَإِنَّمَا تَقْتُلُهُمْ أَنْتَ ، ثُمَّ الزَمُوا الْأَرْضَ جُلُوساً ، فَإِذَا غَشَوْكُمْ فَانْهَضُوا ، وَكَبِّرُوا » . ثم قال رسول الله ﷺ : « لَا بُعْثَنَّ غَدَاً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبَّانَهُ ، لَا يُؤَلِّي الذُّبْرَ » . فلما كان من الغد بعثَ علياً وهو أرمَدُ شديدُ الرمد ، فقال : « سر » . فقال : يا رسول الله ما أبصر موضع قدمي . فَتَقَلَّ في عينيه ، وعقدَ له اللواء ، ودفع إليه الراية . فقال علي : علام أقاتلهم يا رسول الله ؟ قال : « على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأني رسولُ الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله تعالى »^(٢) .

رجع إلى الأول : ثم القَمُوصُ حصن بني أبي الحَقِيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُجَيِّ بن أخطب — وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق — وبنتا عمِّ لها ، فاصطفَى رسولُ الله ﷺ صفيةً لنفسه^(٣) .

- (١) قال في نور التبراس : الحديث من هذه الطريق ليس في شيء من الكتب الستة ، وهذا الرجل الظاهر أنه محمد بن مسلمة . لوحة ٢/ب ١٣١ .
(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١٠/٢ وقال في نور التبراس لوحة ٢/ب ١٣١ : هذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٣١/٢ .

وجعلها عند أم سليم ، حتى اغتذت وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها . واختلف الفقهاء في هذه المسألة ، فمنهم من جعل ذلك خصوصاً له عليه الصلاة والسلام كما خص بالموهوبة وبالتسع ، ومنهم من جعل ذلك سنة لمن شاء من أمته .
 وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها^(١) .

وقيل : كان رسول الله ﷺ وهبها له ، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس .

وفشت^(٢) السبايا من خير في المسلمين ، وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية ، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن إتيان الحبالى من النساء ، وأكل الحمار الأهلي ، وأكل كل ذي ناب من السباع ، وبيع المغانم حتى تقسم ، وأن لا يُصيب أحد امرأة من السبي ، حتى يستترئها ، ولا يركب دابة من فيء المسلمين ، حتى إذا أعجفها ردها فيه ، ولا يلبس ثوباً من فيء المسلمين ، حتى إذا أخلقه رده فيه ، وأن يبيع أو يتاع تبر^(٣) الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين . وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق وتبر الفضة بالذهب العين^(٤) .
 وفيه : نهى رسول الله ﷺ عن أكل الثوم ، وعن متعة النساء ، ورخص في لحوم الخيل ، وقسم للفارس سهماً وللفرس سهمين .

فسره نافع ، فقال : إذا كان مع الفارس فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن فله سهم .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم ، أن بني سهم من أسلم ، أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله والله لقد جهدنا ، وما بأيدينا من شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنائاً ، وأكثرها طعاماً ووداً . ففدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصعْب بن معاذ ، وما بخير حصن كان

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٣١/٢ .

(٢) رجع إلى ابن إسحاق .

(٣) « تبر » : تبر كل معدن ، هو المستخرج قبل أن يُصاغ ، فإذا أُطلق انصرف إلى الذهب خاصة .

(٤) السيرة النبوية ٣٣٢/٢ .

أكثر طعاماً وَوَدَّكَأ منه ، فلما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحازَ من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم : الوطيح والسَّلام ، وكانا آخر حُصون أهل خير افتتاحاً ، فحاصَرهم رسولُ الله ﷺ بضْعَ عشرة ليلة . قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم خير : أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : فخرج مرحبُ اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه يرتجزُ ، وهو يقول :

قد علمتُ خيرُ أني مَرَحِبُ شاكي السَّلاح بطلٌ مُجَرَّبُ

في أبيات ، وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعبُ بن مالك :

قد علمتُ خيرُ أني كعبُ مُفَرَّجُ الغمى جريءٌ ضَلْبُ^(١)

في أبيات ، فقال رسولُ الله ﷺ : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . أنا والله الموتور الثائر ، قُتل أخِي بالأمس . قال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله ، ثم خرج بعد مَرَحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟ فرغم هشامُ بن عروة أن الزبير بن العوام خرجَ إلى ياسر ، فقالت له أمُّه صفية بنت عبد المطلب : يَقْتُل ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير^(٢) .

هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب ، وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع ، أن عليَّ بن أبي طالب^(٣) قتله .

وبعث رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ برأيته إلى بعض حُصون خير ، فقاتل ورجَعَ ولم يكن فتح ، وقد جَهِد . ثم بعث للغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ورجع ، ولم يكن فتح ، وقد جَهِد ، فقال عليه الصلاة والسلام : لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحب الله ورسوله ، يفتح الله

(١) « الغمى » : مقصور الغماء ، الكرب .

(٢) السيرة النبوية ٢/٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد (باب غزوة ذي قرد وغيرها) رقم ١٨٠٦ / .

على يديه ، ليس بفرار . فدعا علياً وهو أرمَد ، فتفلَّ في عينيه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها ، حتى يفتحَ الله عليك . فخرج بها يُهرول ، حتى ركزها في رَضمٍ^(١) من حجارة تحت الحصن ، فاطَّلَعَ إليه يهوديٌّ من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ فقال : عليُّ بن أبي طالب . فقال : يقول اليهودي علَّوتم وما أنزل الله على موسى ، أو كما قال . فما رجع حتى فتح الله عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن حسن^(٢) ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع عليٍّ حين بعثه رسول الله ﷺ برايته ، فلما دنا من الحصن ، خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من يهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول عليٌّ باباً كان عند الحصن قترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجَّه على أن تقلب ذلك الباب فما نقله .

وحاصر رسول الله ﷺ أهلَ خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوهُ أن يُسيِّرهم ، وأن يحقنَ لهم دماءهم ، ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حازَ الأموالَ كُلَّها الشَّقَ ونِطَاقَ والكتيبةَ وجميعَ حصونهم ، إلا ما كان من ذِينِكَ الحِصْنين ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوهُ رسول الله ﷺ أن يُعاملَهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم وأعمُرُ لها ، فصالحَهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجَكم أخرجناكم^(٣) .

وقد اختلف الناس في فتحها كيف كان ، فروينا من طريق أبي داود ، قال : حدثنا داود بن مُعَاذ ، حدثنا عبدُ الوارث ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم وزياد بن أيوب ؛ أن

(١) « رَضم » : الحجارة المتجمعة بعضها فوق بعض ، مبنية وغير مبنية .

(٢) قال في نور النبراس لوحة ٢/ب ١٣٥ : الظاهر أنه عبد الله بن الحسن (السبط) ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد الهاشمي المتوفى سنة ١٤٨ هـ .

(٣) السيرة النبوية ٢/٣٣٥ - ٣٣٧ . وحديث أبي رافع رواه الإمام أحمد في المسند ٨/٦ .

إسماعيل بن إبراهيم حدثهم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فأصبناها غنوة ، فجمع النبي ﷺ (١) .

وروينا عن ابن إسحاق ، قال : سألت ابن شهاب ، فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر غنوة بعد القتال (٢) .

وروينا من طريق السجستاني . حدثنا ابن السرح ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر غنوة بعد القتال ؛ ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال (٣) .

قال أبو عمر : هذا هو الصحيح في أرض خيبر ، أنها كانت غنوة كلها ، مغلوباً عليها ، بخلاف فذك ، فإن رسول الله ﷺ قسم جميع أرضها على الغامين لها ، الموجهين عليها بالخيول والركاب ، وهم أهل الحديبية . ولم يختلف العلماء أن أرض خيبر مقسومة ، وإنما اختلفوا هل تُقسم الأرض إذا غنمت البلاد أو تُوقف ؟ فقال الكوفيون : الإمام مُخَيَّر بين قسمتها كما فعل رسول الله ﷺ بأرض خيبر ، وبين إيقافها كما فعل عمرُ بسود العراق . وقال الشافعي : تُقسم الأرض كلها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ؛ لأن الأرض غنيمة كسائر أموال الكفار . وذهب مالك إلى إيقافها اتباعاً لعمر ، لأن الأرض مخصوصة من سائر الغنيمة ، بما فعل عمر في جماعة من الصحابة من إيقافها لمن يأتي بعده من المسلمين . وروى مالك : عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : سمعتُ عمر يقول : لولا أن يُترك آخرُ الناس لا شيء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتها سُهماناً ، كما قسم رسول الله ﷺ خيبر سُهماناً . وهذا يدل على أن أرض خيبر قُسمت كلها سُهماناً ، كما قال ابن إسحاق ، وأما من قال : خيبر كان بعضها صلحاً وبعضها غنوة ، فقد وهم وغلط ، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلها في حقن دمائهم ، فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية

(١) رواه أبو داود في الحراج والإمارة (باب ما جاء في أرض خيبر) رقم / ٣٠٠٩/ ، ورواه البخاري بأطول من هذا في الصلاة (باب ما يذكر في الفخذ / ٣٧١/ ومسلم في الجهاد (باب غزوة خيبر) رقم / ١٣٦٥/ والنسائي في النكاح (باب البناء في السفر) ١٣٢/٦ - ١٣٣ .

(٢) السيرة النبوية ٣٥٥/٢ .

(٣) رواه أبو داود في الحراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم / ٣٠١٨/ وإسناده معضل .

مغنومين ، ظنَّ أن ذلك صلح ، ولعمري إنه في الرجال والنساء والذرية لضرب من الصلح ، ولكنهم لم يتركوا أرضهم إلا بالحصار والقتال ، فكان حكم أرضهما كحكم سائر أرض خير ، كلها عنوة ، غنيمة مقسومة بين أهلها . وربما شبه على من قال : إن نصف خير صلح ونصفها عنوة ، بحديث يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قسم خير نصفين ، نصفاً له ونصفاً للمسلمين . فقال أبو عمر : وهذا لو صحَّ لكان معناه أن النصف له مع سائر من وقع في ذلك النصف معه ، لأنها قُسمت على ستة وثلاثين سهماً ، فوقع سهم النبي ﷺ وطائفة معه في ثمانية عشر سهماً ، ووقع سائر الناس في باقيها ، وكلهم ممن شهد الحديبية ثم خير . وليست الحصون التي أسلمها أهلها بعد الحصار والقتال صلحاً ، ولو كانت صلحاً لملكها أهلها كما يملك أهل الصلح أرضهم وسائر أموالهم ، فالحق في هذا ما قاله ابن إسحاق دون ما قاله موسى بن عقبة وغيره عن ابن شهاب . انتهى ما ذكره أبو عمر (١) .

فأما قوله : قسم جميع أرضها ، فإن الحصنين المفتحين أخيراً ، وهما الوطيح والسلام ، لم يجر لهما ذكر في القسمة ، وسيأتي بيان ذلك عند ذكر القسمة . وأما تأويله لحديث بشير بن يسار ، فقد كان ذلك التفسير ممكناً لو كان في الحديث إجمالاً يقبل التفسير بذلك ، ولكنه ليس كذلك ، وسيأتي في الكلام على القسمة . وأما قوله : كلهم ممن شهد الحديبية ثم شهد خير . فالمعروف أن غنائم خير كانت لأهل الحديبية ، ممن حضر الوقعة بخير ومن لم يحضرها وهو جابر بن عبد الله الأنصاري ، ذكره ابن إسحاق . وذلك لأن الله أعطاهم ذلك في سفر الحديبية . وعن الحكم ، عن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [الفتح : ١٨] قال : خير . ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ [الفتح : ٢١] : فارس والروم ، وأن أهل السفينتين لم يشهدوا الحديبية ولا خير ، وكانوا ممن قسم له من غنائم خير ، وكذلك الدوسيون ، وكذلك الأشعريون ، قدموا ورسول الله ﷺ بخير ، فكلَّم رسول الله ﷺ أصحابه أن يشركوهم في الغنيمة ، ففعلوا .

وذهب آخرون إلى أن بعضها فتح صلحاً والبعض عنوة ، كما ذكرناه عن موسى بن عقبة ، وكما رويناه عن مالك ، عن الزهري ، من طريق أبي داود ، قال : قرئ على الحارث بن

(١) الدرر ص ٢٠١ — ٢٠٣ .

مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، قال : حدثني مالك ، عن ابن شهاب : أن خير كان بعضُها غنوة وبعضُها صلحاً ، والكتيبة أكثرها غنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خير ، وهي أربعون ألف عذق^(١) ، ورويناه عن سعيد بن المسيب أيضاً . قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا عبد الله بن محمد ، عن جويرية ، عن مالك ، عن الزهري ، أن سعيد بن المسيب أخبره : أن رسول الله ﷺ افتتح بعض خير غنوة^(٢) . وروينا عن أبي داود حدثنا حسين بن علي العجلي ، حدثنا يحيى — يعني ابن آدم — حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، وعبد الله بن أبي بكر ، وبعض ولد محمد بن مسلمة ، قالوا : بقيت بقية من أهل خير ، تحصنوا ، فسألو رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويُسيرهم ، ففعل ، فسمع بذلك أهل فذك ، ففزّلوا على مثل ذلك^(٣) .. الحديث .

قلت : وقد يعضد هذا القول ما يأتي في أخبار القسمة ، وقد روينا من طريق أبي داود : حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : أحسبه عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبي ﷺ قاتل أهل خير ، فغلب على النخل والأرض ، وألجأهم إلى قصرهم ، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ، ولهم ما حملت ركائبهم ، على أن لا يكتموا ، ولا يُغيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكاً لحبي بن أخطب ، فيه حلبيهم . وفي الخير . قال : قال النبي ﷺ لسعيّة : « أين مسك حبي بن أخطب ؟ » قال : أذهبته الحروب والنفقات . فوجدوا المسك ، فقتل ابن أبي الحقيق ، وسبى نساءهم وذرائعهم وأراد أن يُجلبهم . فقالوا : يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ، ولنا الشطر ما بدا لك ، ولكم الشطر^(٤) .

(١) « عذق » : نخلة .

(٢) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خير) رقم / ٣٠١٧/ ، وإسناده صحيح إلا أنه مرسل عن سعيد بن المسيب .

(٣) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خير) رقم / ٣٠١٦/ وهو مرسل أيضاً .

(٤) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خير) رقم / ٣٠٠٦/ . « والمسك » : الخلد ، والمقصود هنا : ما اتخذ منه وعاء خازناً .

وزاد أبو بكر البلاذري في هذا الخبر ، قال : فدفع رسول الله ﷺ سعيّة بن عمرو إلى الزبير ، فمسه بعذاب ، فقال : رأيت حياً يطوف في خربة هاهنا ، فذهبوا إلى الخربة ، ففتشوها ، فوجدوا المسك . فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ، فأخذهما^(١) زوج صفية بنت حُي بن أخطب ، وسبى نساءهم وذريتهم ، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا .
ففي هذا أنها فتحت صلحاً ، وأن الصلح انتقض ، فصارت عنوة ، ثم خُمسها رسول الله ﷺ وقسمها .

ذكر القسمة

قال ابن إسحاق : وكان المتولي للقسمة بنخير جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة ، وزيد بن ثابت من بني النجار ، وكانا حاسبين قاسمين^(٢) .

قال ابن سعد : وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت ، واستعمل عليها فروة بن عمرو البياضي ، ثم أمر بذلك فجزى خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، وكان أول ما خرج سهم النبي ﷺ ، لم يُتخير في الأخماس ، فأمر ببيع الأربعة الأخماس في من يزيد ، فباعها فروة ، وقسم ذلك بين أصحابه ، وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة ، والخيّل مائتي فرس ، وكانت السهمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وللخيّل أربعمائة سهم ، وكان الخمس الذي صار لرسول الله ﷺ يُعطي منه على ما أراه الله من السلاح والكسوة ، وأعطى منه أهل بيته ، ورجالاً من بني عبد المطلب ونساءً ، واليتيم ، والسائل ، وأطعم من الكتيبة نساءه وبني عبد المطلب وغيرهم^(٣) .

ثم ذكر قدوم الدوسيين والأشعرين ، وأصحاب السفيتين ، وأخذهم من غنائم خير ، ولم يُبين كيف أخذوا . وإذا كانت القسمة على ألف وثمانمائة سهم ، وأهل الحديدية ألفاً وأربعمائة ، والخيّل مائتي فرس بأربعمائة سهم ، فما الذي أخذه هؤلاء المذكورون .

(١) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وجاء اسمه صريحاً كما نقله ابن هشام في السيرة النبوية ٣٥٦/٢ .

(٢) السيرة النبوية ٣٥٧/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٠٧/٢ - ١٠٨ .

وقال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خير على الشق ونطاة والكتيبة ، فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة لحُسن الله ، ثم قال : وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهماً ، وقُسمت الشق ونطاة على ألف وثمانمائة سهم ، وكانت عدة الذين قُسمت عليهم خير ألفاً وثمانمائة ، رجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مائة ، والخيل مائتان لكل فرس سهمان^(١) .

وهذا أشبه مما تقدم ، فإن هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عُتوة من غير صلح . وأما الوطيح والسلام فقد يكون ذلك هو الذي اصطفاه رسول الله ﷺ ، لما ينوب المسلمين ، ويترجح حينئذ قول موسى بن عقبة ومن قال بقوله : أن بعض خير كانت صلحاً ، ويكون أخذ الأشعرين ومن ذكر معهم من ذلك ، وتكون مشاورة النبي ﷺ أهل الحديدية في إعطائهم ليست استنزالاً لهم عن شيء من حقهم ، وإنما هي المشورة العامة ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وروى البلاذري : حدثنا الحسين بن الأسود ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : قُسمت خير على ألف وخمسمائة سهم وثمانين سهماً ، وكانوا ألفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً ، الذين شهدوا الحديدية منهم ألف وخمسمائة وأربعون ، والذين كانوا مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة أربعون رجلاً^(٢) .

ليس في هذا الخبر مع ضعفه ذكر للخيل ، وفيه أن أصحاب السفيتين كانوا أربعين ، وقد ذكر ذلك ، غير أن المشهور الذي ذكره ابن إسحاق أن أصحاب السفيتين كانوا ستة عشر رجلاً ، وأن قوماً منهم قدموا قبل ذلك بنحو سنتين من الحبشة ، وليس لهم مدخل في هذا ، ومجموعهم نحو من ثمانية وثلاثين رجلاً . وإن كان المراد أصحاب السفيتين ومن أخذ معهم من الدوسيين والأشعرين فقد يحتمل .

وأما قول أبي عمر : قسم جميع أرضها بين الغافين^(٣) . فقد حكينا عن ابن إسحاق

(١) السورة النبوية ٣٤٩/٢ - ٣٥٠ .

(٢) البلاذري ، وإسناده ضعيف جداً كما أشار المؤلف رحمه الله إلى ذلك .

(٣) الدرر ص ٢٠١ .

ما قسم منها . وقد روينا عن أبي داود : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا سليمان بن داود المَهْرِي ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عبد العزيز بن محمد « ح » وحدثنا نصر بن علي ، أخبرنا صفوان بن عيسى ، وهذا لفظ حديثه ، كُلُّهُمْ عن أسامة بن زيد ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان ، قال : كان فيما احتَجَّ به عمر رضي الله عنه ، أنه قال : كانت لرسول الله ﷺ ثلاثُ صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفدك . فأما بنو النضير فكانت حُجْساً لنوائبه ، وأما فدك فكانت حُجْساً لأبناء السبيل ، وأما خيبرَ فجزأها رسولُ الله ﷺ ثلاثة أجزاء ، جزءين بين المسلمين ، وجزءاً نفقة لأهله ، وما فضلَ عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين^(١) .

وأما حديث بُشير بن يسار ، فبُشير بن يسار تابعي ثقة ، يروي عن أنس بن مالك وغيره ، ويروي عنه هذا الخبر يحيى بن سعيد ، ويختلف عليه فيه ، فبعض أصحاب يحيى يقول فيه : عن بُشير ، عن سهل بن أبي حثمة . وبعضهم يقول إنه سمع نقرأ من أصحاب النبي ﷺ ، وبعضهم يقول : عن رجال من أصحاب النبي ﷺ ، ومنهم مَنْ يُرسله . وروينا من طريق أبي داود : حدثنا حسين بن علي الأسود ، أن يحيى بن آدم حدثهم ، عن أبي شهاب ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ؛ أنه سمع نقرأ من أصحاب النبي ﷺ قالوا . فذكر الحديث^(٢) . قال : فكان النصف سهام المسلمين وسهم رسول الله ﷺ ، وعزل النصف للمسلمين لما ينوبه من الأمور والنوائب^(٣) . ورواية محمد بن فضيل : عن يحيى ، عنه ، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ ، أن رسولَ الله ﷺ لما ظهر على خيبرَ وقسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلَّ سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الباقي لمن ينزلُ به من الوفود والأمور ونوائب الناس^(٤) . فهذه الرواية والتي قبلها مصرحة بأن النصف للنبي ﷺ وللمسلمين المقسوم عليهم ، والنصف

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (باب في صفايا رسول الله ﷺ) رقم /٢٩٦٧/ ، ومالك بن أوس ابن الحَدَثَان مختلف في صحبته ، والأصح عند أبي عمر أنه تابعي . نور النيراس ٢ ب/ ١٤٥ .

(٢) في سنن أبي داود « فذكر هذا الحديث » .

(٣) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١١/ .

(٤) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٢/ .

الباقى هو المدخر لنوائب المسلمين . وأصرحُ منهما رواية سُليمان بن بلال ، عن يحيى ، عن بُشير ، الرسالة ؛ أنه عليه الصلاة والسلام قسمها ستة وثلاثين سهماً ، فعزل للمسلمين الشطر ثمانية عشر سهماً ، يجمع كل سهم مائة سهم ، النبي ﷺ معهم ، له سهم كسهم أحدهم ، وعزل رسولُ الله ﷺ ثمانية عشر سهماً ، وهو الشطر لنوائبه وما ينزل به من أمور المسلمين ، فكان ذلك الوطيح والكتيبة والسلام وتوابعها .. الحديث (١) . فقد تضمن هذا أن المدخر للنوائب الذي لم يُقسم بين الغائمين هو الوطيح والسلام الذي لم يجر لهما في العنوة ذكر صريح ، والكتيبة هي التي كان بعضها صلحاً وبعضها عنوة ، وقد يكون غلب حكم الصلح فلذلك لم يُقسم فيما قسم . فلم يبق لتأويل أبي عمر رحمه الله وجه ، ونص الخبر يُعارضه ، والله أعلم .

ودفعها رسولُ الله ﷺ لأهلها بشطر ما يخرج منها فلم تزل كذلك إلى أثناء خلافة عمر .

قرأتُ على غازي بن أبي الفضل ، أخبركم حنبل بن عبد الله ، أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا ابن المذهب ، أخبرنا القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي ، حدثنا يحيى ، عن عُبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسولَ الله ﷺ عاملُ أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع (٢) .

وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً فيما ذكر ابن سعد ، وزاد غيره عليه ، وسيأتي ذكرهم ، ومنهم الأسود الراعي ، وكان من خيره أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو محاصرٌ لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسولَ الله اعرض عليّ الإسلام . فعرّضه عليه ، فأسلم . وكان رسولُ الله ﷺ لا يحقرُ أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ، فلما أسلم ، قال : يا رسولَ الله إني كنتُ أجيراً لصاحب هذا الغنم ، وهي أمانةٌ عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضربْ في

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم / ٣٠١٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١٧/٢ و ٢٢ و ٣٧ ، وقال في نور البيراس ٢ : ب / ١٤٥ : الحديث أخرجه بهذه الطريق البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وإنما عدل المؤلف عن تحريجه من هذه الكتب أو أحدها ، وذلك لأنه وقع له هذا الحديث أعلى منها برجل ...

وجهها فإنها سترجعُ إلى ربِّها ، أو كما قال . فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء ، فرمى بها في وجوهها ، وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك ، وخرجت مجتمعةً ، كأن سائقاً يسوقُها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ، فقاتل مع المسلمين ، فأصابه حَجَرٌ فقتله ، فَأُتِيَ به إلى رسول الله ﷺ ، فوضع خلفه ، وسُجِّي بِشِمْلَةٍ كانت عليه ، فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرضَ عنه ، فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال إن معه الآن زوجته من الحور العين ينفضان التراب عن وجهه ، ويقولان : تَرَبَّ الله وجهه من تَرَبَّ وجهك وقتل من قتلك^(١) .

وروينا من طريق البخاري : حدثنا المكيُّ بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عُبَيْد ، قال : رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساق سلمة . فقلت : يا أبا مُسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربةٌ أصابتنِي يومَ خيبرَ ، فقال الناسُ أُصيب سلمة ، فَأَتَيْتُ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فنفتَ فيه ثلاثَ نَفَثَاتٍ ، فما اشتكىتهَا حتى الساعة^(٢) .

ذكر من استشهد بخيبر

من قريش : من بني أمية بن عبد شمس ، من حلفائهم : ربيعة بن أكم ، وثقف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح = ثلاثة .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهُبَيْب . وقيل : أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد بن ليث حليفهم ، وابن أختهم = رجل .

ومن الأنصار : ثم من بني سَلَمَةَ : بشر بن البراء ، وفضيل بن النعمان . قال محمد بن سعد : كذا وجدناه في غزوة خيبر ، وطلبناه في نسب بني سَلَمَةَ فلم نجده ، قال : ولا نحسبه إلا وهماً في الكتاب ، وإنما أرادَ الطفيل بن خنساء بن النعمان بن سِنَان ، والله أعلم . حكاها أبو عمر ، ونسبُ الطفيلُ في ترجمته من كتابه : الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء ، شهد العقبة وبدراً وأحدًا وجُرح بها ثلاثة عشر جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق ، وقُتِلَ

(١) السيرة النبوية ٣٤٤/٢ - ٣٤٥ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة خيبر) رقم (٤٢٠٦) .

بالخندق شهيداً ، قتله وحشي بن حرب^(١) . وذكر موسى بن عُقبة في البدرين الطفيل بن النعمان بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء = رجلين .

ومن بني زريق : مسعود بن سعد .

ومن الأوس : من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، خليف لهم من بني حارثة ، أدلى عليه مَرَحِبٌ رُحَى فَأَصَابَتْ رَأْسَهُ ، فهشمت البيضة رأسه ، وسقطت جلدة جبينه على وجهه ، فَأَنَّى به رسول الله ﷺ فردَّ الجلد ، فعادَتْ كما كانت وعصَّبها رسول الله ﷺ بثوبه ، فمكث ثلاثة أيام ومات رحمه الله . ذكره أبو عمر .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضِيَّاح بن ثابت ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن برة بن سراقَة . وعند أبي عمر عروة بن مرة ، وأوس بن الفائد — وعند أبي عمر : ابن الفاكه ، وأئيف بن حبيب ، وثابت بن وائلة . وعند ابن إسحاق ابن أثلة . وطلحة ، ولم نقف على نسبه ، وأوس بن قتادة .

ومن بني غفار : عمارة بن عقبة ، رُمي بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، عُمُ سلمة بن عمرو بن الأكوع . والأكوع : هو سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمَة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى .

والأسود الراعي ، واسمه أسلم ، وقد تقدم خبره .

ومن حلفاء بني زهرة : مسعود بن ربيعة القاري^(٢) .

وقال أبو معشر والواقدي : مات سنة ثلاثين ، وقد زاد على الستين .

وعند أبي عمر فيهم : أوس بن عائذ^(٣) .

* * *

(١) الاستيعاب ٢/٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٢) نسبة إلى القارة .

(٣) الدرر ص ٢٠٦ .

أمر وادي القرى

وكان في جمادى الآخرة سنة سبع . ذكر أبو بكر البلاذري بأسانيده ، قال : قالوا : أتى رسول الله ﷺ منصرفه من خير وادي القرى ، فدعا أهلها إلى الإسلام ، فامتنعوا من ذلك وقتلوا ، ففتحها رسول الله ﷺ عنوة ، وغنمه الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منها أثاثاً ومتاعاً ، فخمّس رسول الله ﷺ ذلك ، وترك الأرض والنخل في أيدي يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خير ، فقليل : إن عمر أجلى يهودها ، وقسمها بين من قاتل عليها . وقيل : إنه لم يجلبهم ، لأنها خارجة من الحجاز ، وهي اليوم مضافة إلى عمل المدينة . وولّاه رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد بن العاص ، وأقطع رسول الله ﷺ جَمْرَةَ بن النعمان ابن هُوذة العُذري رَمِيَة سوطه^(١) من وادي القرى ، وكان سيد بني عُذْرَة ، وأول أهل الحجاز قدم على النبي ﷺ بصدقة بني عُذْرَة^(٢) . وكذلك قال أبو عمر : إنه افتتحها عنوة وقسمها^(٣) . وأما ابن إسحاق فذكر أن رسول الله ﷺ حاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة^(٤) .

وفيهما أُصيب غلام للنبي ﷺ يُقال له مدعم أصابه سهم غَرْب^(٥) فقتله .

أخبرنا القاضي الصدر الرئيس نظام الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليلي قراءة عليه وأنا أسمع بمصر ، قال : أخبرنا أبو محمد المبارك بن إبراهيم بن مختار بن تغلب بن السَّيْبِي^(٦) في كتابه إليّ من مدينة السلام ، ومولده سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وتوفي

(١) في الإصابة ٢٤٤/١ : حُضِرَ فرسه ورمية سوطه . والحُضْرُ : العدو . فكانه عليه الصلاة والسلام أقطعه مقدار عدوة فرسه مع مقدار رمية السوط في تلك الحالة .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ — ٣٩ .

(٣) الدرر ص ٢٠٧ .

(٤) السيرة النبوية ٢/٣٣٨ .

(٥) « غَرْب » : سهم لا يُعرف راميّه .

(٦) السَّيْبِي : نسبة إلى « السَّيْب » وهي بلدة على الفرات بغرب الحلة .

سنة ستائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم بن الحصين إملاء من لفظه سنة ثلاث وعشرين ، أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي ، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن إسحاق المتوئي ، حدثنا البغوي ، حدثنا مصعب بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن ثور بن زيد الدبلي ، عن أبي الغيث مولى ابن مطيع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً إلا الثياب والمتاع والأموال . فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى ، وقد أهدي لرسول الله ﷺ عبد أسود يقال له مدعم ، فبينما هو يحيط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عابر فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغام ، لم تُصَبَّها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » . فلما سمعوا بذلك جاء رجلٌ بشراك^(١) — أو شراكين — إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « شراك من نار أو شراكان من نار »^(٢) .

قال البلاذري : حدثني علي بن محمد بن عبد الله مولى قريش ، عن العباس بن عامر ، قال : أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية ، فقال : إن أمير المؤمنين معاوية كان اتباع من بعض اليهود^(٣) أرضاً بوادي القرى ، وأحيا إليها أرضاً ، وليست لك بذلك المال عناية ، فقد ضاعَ وَقَلَّتْ غَلَّتُهُ ، فأقِطْغَنِيه فإنه لا خطرَ له ، فقال يزيد : إنا لا نبيخلُ بكثير ، ولا نُخدع عن صغير . فقال : يا أمير المؤمنين غَلَّتُهُ كذا . قال : هو لك . فلما وُلِّي ، قال يزيد : هذا الذي يُقال إنه يلي بعدنا ، فإن يكُ ذلك حقاً فقد صانعناه ، وإن يكُ باطلاً فقد وصلناه^(٤) .

* * *

(١) « بشراك » : الشراك أحدُ سُيُور النعل .

(٢) قال في نور النبراس : حديث أبي هريرة هذا أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ، وإنما عدل المؤلف عن أن يُخرجه من هذه الكتب أو أحدها ؛ لأنه من الطريق التي أخرجها أعلى من الكتب .

وقول أبي هريرة فيه : خرجنا .. على الهجاز ؛ أي خرج الصحابة ؛ لأنه قدم بعد أن فتح الله على رسوله ﷺ خيبر .. لوحة ٢/ب ١٤٨ .

(٣) في بعض النسخ « من رجل يهودي » كذا قال في نور النبراس ، وكذلك هو في المطبوع . وأثبتنا ما في أصولنا الخمسة .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٩ . وفي الكلام صنعة وتكلف لما فيه من التنبؤ بالغيب .

خير تيماء

قال أبو بكر البلاذري : قالوا : ولما بلغ أهل تيماء ما وطىء به رسول الله ﷺ أهل وادي القرى صالحوه على الجزية ، فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم ، ولأها رسول الله ﷺ يزيد بن أبي سفيان ، وكان إسلامه يوم فتحها^(١) ، وروى عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب أجلى فذك وتيماء وخيبر .

سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة

قال ابن سعد . عطفاً على وقعة خيبر : ثم سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجَز^(٢) هوازن بثرية ، وهي بناحية العَبَاء على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء وبحران^(٣) ، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن فهربوا ، وجاء عمر بن الخطاب محالهم ، فلم يلقَ منهم أحداً ، فانصرف راجعاً إلى المدينة^(٤) .

● ثربة : بضم التاء وفتح الراء ، على وزن عُرنَة ، ذكره الحازمي ، وقال : بقرب مكة ، على مسافة يومين منها . وذكره ابن سيده في أمثال له وقال : أسماء مواضع . وذكر ابن سيده ثربة ، وليس عند الحازمي . ثربة ساكنة الراء : موضع من بلاد بني عامر بن مالك .

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٨ ، وفيه : إن إسلامه كان يوم فتح تيماء . وفي الإصابة : إن إسلام يزيد بن أبي سفيان كان يوم فتح مكة .

(٢) « عَجَز هوازن » : آخر منازلهم جنوباً .

(٣) كذا في الأصول ، وكذا ضبطها صاحب نور النبراس ، وقال : إنها موضع بناحية القرع ، ومن المعلوم أن ثربة ليست في اتجاهها ، فلعلها مصحفة من « نجران » .

(٤) الطبقات الكبرى ١١٧/٢ .

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

ثم سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد ، بناحية ضَرِيَّة في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ .

روينا عن ابن سعد ، أخبرنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة — يعني ابن عمار — حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : غزوتُ مع أبي بكر ، إذ بعثه النبي ﷺ علينا ، فسبى ناساً من المشركين ، فقتلناهم ، وكان شعارنا : أمت أمت . قال : فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وقال : أخبرنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة ، وخرجتُ معه ، حتى إذا ما صليتنا الصبحُ أمرنا فشنينا الغارة ، فوردنا الماء ، فقتل أبو بكر من قتل ونحن معه ، قال سلمة : فرأيتُ عُتْقاً^(١) من الناس ، فمنهم الذراري ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فأدرُكُهم ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم قاموا ، فإذا امرأة من فزارة فيهم عليها قَشْعٌ^(٢) من آدم ، معها ابنتها من أحسن العرب ، فجئت أسوقهم إلى أبي بكر ، فنفلني أبو بكر ابنتها ، فلم أكشف لها ثوباً ، حتى قدمت المدينة ، ثم باتت عندي ، فلم أكشف لها ثوباً ، حتى لقيني رسول الله ﷺ في السوق ، فقال : يا سلمة هب لي المرأة . فقلت : يا نبي الله والله لقد أعجبتني وما كشفْتُ لها ثوباً . فسكت حتى كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق ولم أكشف لها ثوباً . فقال : يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك . قال : فقلت : هي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله ﷺ إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين^(٣) .

سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك في شعبان سنة سبع .

(١) «عُتْقاً» : جماعة .

(٢) «قَشْعٌ» : بفتح القاف وكسرهما ، وسكون الشين : الفرو البالي .

(٣) الطبقات الكبرى ١١٨/٢ .

قالوا : بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك ، فخرج ، فلقي رعاء الشاء ، فسأل عن الناس ، ف قيل : في بواديهم . فاستاق النعم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريح ، فأخبرهم ، فأدركه الدهم^(١) منهم ، عند الليل ، فباتوا يرامونهم بالنبل حتى فنيث نبل أصحاب بشير . وقاتل بشير حتى ارتث^(٢) ، وضرب كعبه ، وقيل : قد مات . ورجعوا بنعمهم وشائهم ، وقدم علبه بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ ، ثم قدم من بعده بشير بن سعد^(٣) .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة

قال : ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة في شهر رمضان ، سنة سبع . قالوا : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله إلى بني عوال — بضم العين — وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالميعة ، وهي وراء بطن نخل إلى الثقرة قليلاً بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد ، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً ، ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ ، فهاجموا عليهم جميعاً ، ووقعوا في وسط محالهم ، فقتلوا من أشرافهم ، واستاقوا نعاماً وشاء ، فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحداً . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ : « ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ » . فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله^(٤) .

وبؤب البخاري على هذه السرية : باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة . قال : حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، أخبرنا أبو ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد ، يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقه ، بطن من جهينة ، فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، ولحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري ، فطعنته برمح حتى قتلت . فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ ، فقال : « يا أسامة أقتلت بعدما قال لا إله إلا الله ؟ » . قلت : إنما كان متعوذاً ، فما زال

(١) « الدهم » : العدد الكثير .

(٢) « ارتث » : حُمل من المعركة جريحاً منقطع القوى .

(٣) الطبقات الكبرى ١١٨/٢ — ١١٩ .

(٤) المصدر السابق ١١٩/٢ .

يكررها ، حتى تمتيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١) .

سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يَمَن وجَبَّار

قال : ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يَمَن وجَبَّار في شوال سنة سبع . قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجَنَاب ، قد واعدهم عُيينة بن حصن الفزاري ، ليكون معهم ، ليرحفوا إلى رسول الله ﷺ . فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد ، ففقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، حتى أتوا إلى يَمَن وجَبَّار ، وهي نحو الجَنَاب ، والجَنَاب معارض سلاح وخيبر ووادي القرى ، فزولوا بسلاح ، ثم دنوا من القوم ، فأصابوا لهم نِعْماً كثيراً ، وتفرق الرعاء ، فحذروا الجمع ، فتفرقوا ولحقوا بعلينا بلادهم ، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالَّهم ، فيجدها وليس فيها أحد ، فرجع بالنعم وأصاب منهم رجلين فأسرهما وقدم بهما إلى رسول الله ﷺ فأسلما ، فأرسلهما^(٢) .

● ويمَن : بفتح الياء آخر الحروف ، وقيل بضمها ، وقيل بالهمزة مفتوحة ساكنة الميم .

● وجَبَّار بفتح الجيم وباء معجمة ثانية الحروف مخففة ، وبعدها ألف وراء .

● والجَنَاب : بكسر الجيم ، من أرض غطفان ، وذكره أيضاً الحازمي ، وقال : من بلاد

فزارة .

● وعارضتُ فلاناً في السير ، أي : سرت جِيَّاله .

● وسلاح : بكسر السين المهملة وبالحاء المهملة ، موضع قريب من خيبر .

(١) رواه البخاري في المغازي (باب بعث النبي ﷺ أسامة ..) رقم /٤٢٦٩/ ومسلم في الإيمان (باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله) رقم /٩٦/ ، وأبو داود في الجهاد (باب على ما يقاتل المشركون) رقم /٢٦٤٣/ .

ولم يُرد أسامة أنه يمتنى أنه لم يكن مسلماً قبل ذلك ، وإنما هو استعظام لما صدر منه بعد شدة إنكار الرسول ﷺ عليه ، فهو يمتنى أن لو كان ما صدر منه ضمن أخطاء جاهلية تُجَبُّ بالإسلام . وذكر البيهقي : أن رسول الله ﷺ استغفر بعدُ لأسامة ثلاث مرات ، وقال له : اعتق رقبة . انظر شرح السنة .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ .

عمرة القضاء

ويُقال لها عمرة القصاص

وكان من خبرها أن رسول الله ﷺ خرج في ذي القعدة من السنة السابعة قاصداً مكة للعمرة ، على ما عاقد عليه قريشاً في الحديبية . فلما اتصل ذلك بقريش ، خرج أكابرٌ منهم عن مكة ، عداوةً لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولم يقدروا على الصبر في رؤيته يطوف بالبيت هو وأصحابه ، فدخل رسول الله ﷺ مكة ، وأتمَّ الله له عمرته ، وقعد بعضُ المشركين بقُيعَعا^(١) ، ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت ، فأمرهم رسول الله ﷺ بالرَّمَل لِيُروا المشركين أن بهم قوة ، وكان المشركون قالوا في المهاجرين : قد وهنتهم حُمى يثرب .

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ في عمرته تلك ميمونة بنت الحارث الهلالية ، قيل : تزوجها قبل أن يُحرم بعمرته ، وقيل : بعد أن حلَّ من عمرته ، وقيل : تزوجها وهو محرم . فلما تمت الثلاثة الأيام التي هي أمد الصلح ، جاء حُويطب بن عبد العزى ومعه سُهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ عن المشركين بأن يخرج عن مكة ، ولم يُمهلوه حتى يني على ميمونة ، فخرج رسولُ الله ﷺ وبنى بها بِسَرَف^(٢) .

وذكر ابن سعد أن المعتمرين بها كانوا ألفين ، هم أهل الحديبية ومن انضاف إليهم ، إلا من مات منهم أو استشهد بخير . واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهم الغفاري ، وقيل : غيره ، وساقَ ستين بدنة ، وجعل عليها ناجيةً بن جندب ، ومائة فرس ، قدَّم عليها محمد بن مسلمة أمامه . وجعل على السلاح أوس بن خولي في مائتي رجل يبطن يَأَجج ، ثم خَلَفهم غيرُهم حتى قضى الكلُّ مناسكَ عمرتهم رضي الله عنهم^(٣) .

أخبرنا أحمد بن يوسف السَّاوي بقراءة والدي عليه رحمهما الله تعالى سنة ست وسبعين وستائة ، أخبرنا أبو رَوْح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاً عليه سنة خمس وستائة ، أخبرنا

(١) « قُيعَعا » : جبل مشهور بمكة .

(٢) « سَرَف » : موضع على ستة أميال من مكة .

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ - ١٢١ .

الإمام أبو بكر محمد بن علي الطوسي ، أخبرنا أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الحشنامي ،
 أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري ، أخبرنا أبو علي الميداني ، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي ،
 حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ؛ عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ دخل مكة
 في عمرة القضاء ، وعبد الله بن رواحة أخذ بغرر النبي ﷺ ، وهو يقول :
 خَلُّوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
 بأن خير القتل في سبيله^(١)

وكان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة قبيل عمرة القضاء ،
 وقيل بعدها .

سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم

قال ابن سعد : ثم سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع . قالوا :
 بعث رسول الله ﷺ ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم ، فخرج إليهم ،
 وتقدمه عين لهم كان معهم فحذروهم ، فجمعوا ، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له ،
 فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دَعَوْتنا إليه ، فتراموا بالنبل ساعة ،
 وجعلت الأمداد تأتي ، حتى أحذقوا بهم من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قُتل
 عامتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتل ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ ،
 فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان^(٢) .

* * *

(١) رواه النسائي في الحج (باب إنشاد الشعر في الحرم ..) ٢٠٢/٥ .
 ورواه الترمذي في الأدب (باب ما جاء في إنشاد الشعر) رقم / ٢٨٥١ ، وقال : هذا حديث حسن
 صحيح غريب من هذا الوجه .

وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهري عن أنس نحو هذا ، وروي في غير هذا
 الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه ، وهذا أصح عند بعض أهل
 الحديث ، لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة ، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٣/٢ .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوّح بالكديد

قال ابن سعد : ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوّح بالكديد^(١) في صفر سنة ثمان . قال : أخبرنا عبد الله بن عمرو أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهني ، عن جندب بن مكيث الجهني ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي ، ثم أحد بني كلاب بن عوف في سرية كنتُ فيهم ، وأمرهم أن يَشْنُو الغارة على بني الملوّح بالكديد ، وهم من بني ليث . قال : فخرجنا ، حتى إذا كنا بالكديد لقينا الحارث بن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إنما جئتُ أريد الإسلام ، وإنما خرجتُ إلى رسول الله ﷺ . قلنا : إن تكن مسلماً لم يَضُرَّكَ رباطنا يوماً وليلة ، وإن تكن على غير ذلك نستوثق منك . قال : فشددناه وثاقاً ، وخلّفنا عليه رُوَيْجلاً منا أسود ، فقلنا : إن نازَعَكَ فاحترَّ رأسه ، فسرنا حتى أتينا الكديد عن غروب الشمس ، فكمنّا في ناحية الوادي . وبعثني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجتُ حتى آتَيْ تلاً مشرفاً على الحاضر يُطلِعني عليهم ، حتى إذا أسندتُ فيه ، علوتُ على رأسه ، ثم اضطجعتُ عليه . قال : فأني لأنظرُ إذ خرجَ رجلٌ منهم من خِباء له ، فقال : لامرأته : إني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أولَ من يومي هذا . فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلابُ جَرَّتْ منها شيئاً . قال : فنظرتُ ، فقالت : والله ما أفقدُ من أوعيتي شيئاً . قال : فناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسه وسهمين معها ، فأرسلَ سهماً ، فوالله ما أخطأ بين عيني ، قال : فانترعته فوضعتُه ، وثبْتُ مكاني ، ثم أرسلَ آخر فوضعه في منكمي ، فانترعته فوضعتُه ، وثبْتُ مكاني . قال : فقال لامرأته : والله لو كانت ربيعة لقد تحركت بعدُ ، والله لقد خالطها سهمان لا أبا لك ، فإذا أصبحتِ فانظريهما لا تمضغُهما الكلاب . قال : ثم دخلَ ، وراحَتِ الماشية من إبلهم وأغنامهم ، فلما احتلبوا واطمأنوا ، فناموا ، شننا عليهم الغارة ؛ واستقنا النعم . قال : فخرجَ صرِيحُ القوم في قومهم ، فجاء ما لا قبل لنا به ، فخرجنا بها نخدرُها ، حتى مررنا بابن البرصاء ، فاحتملناه واحتملنا صاحبنا ، فأدركنا القومُ ، حتى نظروا إلينا ، ما بيننا وبينهم إلا الوادي ، ونحن مُوجّهون في ناحية الوادي ، إذ جاء الله بالوادي

(١) « الكديد » : موضع بين قُديد وغُسفان ، بينه وبين مكة ٤٢ ميلاً .

من حيث شاء يملأ جنبه ماء ، والله ما رأينا يومئذ سحاباً ولا مطراً ، فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجوزه ، فلقد رايتهم وقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندناها في المسيل . وقال الواقدي : في المُشَلَّل^(١) — بدل المسيل — نخدرها وقتناهم فوتاً ، لا يقدون فيه على طلبنا ، قال : وكانوا بضعة عشر رجلاً^(٢) .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بَدَكَ

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بَدَكَ في صفر سنة ثمان . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه ، قال : هيا رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، وقال له : سر حتى تنتهي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد ، فإن أظفرك الله بهم فلا تُبق منهم . وهياً معه مائتي رجل ، وعقد له لواء ، فقدم غالب من الكديد من سرية قد ظفّر الله عليهم ، فقال رسول الله ﷺ للزبير : اجلس ، وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل ، وخرج أسامة بن زيد فيها ، حتى انتهى إلى مُصاب أصحاب بشير ، وخرج معه عُلبة بن زيد فيها ، فأصابوا منهم نَعْماً ، وقتلوا منهم قتلى . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أفلح بن سعيد ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : خرج مع غالب في هذه السرية عتبة بن عمر وأبو مسعود ، وكعب بن عجرة ، وأسامة بن زيد ، وعُلبة بن زيد الحارثي . أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني شبل بن العلاء بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم بن حويصة ، عن أبيه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ في سرية مع غالب بن عبد الله إلى بني مرة ، فأغرنا عليهم من الصبح ، وقد أوعز إلينا أميرنا أن لا نفرق ، ووأخى بيننا ، فقال : لا تعصوني ، فإن رسول الله ﷺ ، قال : « من أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني » وإنكم متى ما تعصوني

(١) « المُشَلَّل » : هو بُقْدِيد من ناحية البحر ، وهو الجبل الذي يهبط منه إلى قُديد ، والله أعلم .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ — ١٢١ . والحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٦٧/٣ عن يعقوب ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به بزيادة يسيرة في آخره ، وأبو داود في الجهاد رقم /٢٦٧٨ بسند ابن سعد سواء ، عن أبي معمر عبد الله بن عمرو به غير أن فيه : بعث عبد الله بن غالب والصواب العكس .

فإنكم تعصون نبيكم . قال : فأخى بيني وبين أبي سعيد الخدري ، قال : فأصبنا القوم^(١) .

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبيء

ثم سرية عامر بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبيء ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان .

قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسبيء ناحية رُكبة ، من وراء المعدن ، وهي من المدينة على خمس ليال ، وأمره أن يُغيرَ عليهم ، فكانَ يسيرُ الليل ويكمن النهار ، حتى صَبَّحهم وهم غَارُون ، فأصابوا نَعَمًا كثيرًا وشاء ، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة ، واقتسموا الغنيمة ، وكانت سُهْمَانهم خمسة عشر بعيراً ، وعدلوا البعيرَ بعشر من الغنم ، وغابت السرية خمس عشرة ليلة^(٢) .

سرية كعب بن عُمر الغفاري إلى ذات أطلاق

وهي من وراء وادي القرى

ثم سرية كعب بن عُمر الغفاري إلى ذات أطلاق ، وهي من وراء وادي القرى ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، قال : بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمر الغفاري في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهوا إلى ذات أطلاق من أرض الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، فدعَوْهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل . فلما رأى ذلك أصحابُ رسول الله ﷺ ، قاتلوهم أشدَّ القتال ، حتى قُتلوا ، وأُفلت منهم رجلٌ جريحٌ في القتلى ، فلما برد عليه الليل تحاملَ حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فسقَّ ذلك عليه ، وهم بالبعثة إليهم ، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى ١٥٢/٢ ، وعبد الله بن الحارث وثقة ابن حبان ويحيى بن معين . وأبوه الحارث بن فضيل ثقة أيضاً أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وهو تابعي ، فحديثه مرسل . نور النبراس لوحة

ب/٢ ١٥٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٧/٢ وعمر بن الحكم تابعي ، فالحديث مرسل أيضاً .

(٣) المصدر السابق ١٢٧/٢ وابن شهاب الزهري تابعي ثقة ، فالحديث مرسل .

غزوة مؤتة

وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان

وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزدي ، أحد بني لهب بكتابه إلى الشام ، إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بصرى ، فعرض له شرجيل بن عمرو الغساني ، فأوثقه رباطاً ثم قدّم فضرب عنقه صبراً ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، فتجهّز الناس ، ثم تهيّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ، ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم . فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى ، فقليل : ما يُبكيك ؟ فقال : أما والله ما بي حبٌ للدنيا ولا صباية بكم ، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] . فلست أدري كيف لي بالصّدر بعد الورود . فقال المسلمون : صحّبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأَلُ الرحمن مغفرةً وضربةً ذاتَ فرغٍ تقدفُ الرّبْدَ^(١)
أو طعنةً بيدي حرّانٍ مُجهزةً بحربة تُنفذُ الأحشاء والكبدَ^(٢)
حتى يُقالَ إذا مروا على جدثي أرشده الله من غايزٍ وقد رشداً

ثم مضوا ، حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ النَّاسُ أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمَّ إليهم من لَحْمٍ وجُذامٍ والقَيْنَ وبَهْرَاءٍ وبَنِي مائة ألف

(١) « ذات فرغ » : ذات سعة ، و « الرّبْد » : هنا رغبة الدم .

(٢) « حرّان » : محترق الجوف ألماً . و « مُجهزة » : سريعة القتل .

منهم ، عليهم رجل من بني يقال له مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعَانِ ليلتين ، ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتلُ بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلُهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين إما ظهورٌ وإما شهادة^(١) .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُذِثَ عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ يتيمًا لعبد الله بن رواحة ، فخرج في سفره ذلك مُردفي على حقيبة^(٢) رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشد ، ويقول :

إذا أدنيتني وحمَلتِ رَحْلِي مسيرة أربع بعد الحِساءِ
فشأنك فأنعمي وخَلَاكِ دَمٍّ ولا أرجعُ إلى أهلي ورأيي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مُنتهي الثَّواءِ

في أبيات ، فلما سمعتن بكَيْثُ ، فخففتي بالدُّرَّة ، وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقي الله شهادةً ، وترجع بين شُعْبتي الرحل . قال : ثم قال عبد الله بن رواحة في سفره ذلك ، وهو يرتجز ، ويقول :

يا زيدُ زيدَ اليَعَمَلاتِ الدُّبَلِ تطاولَ الليلُ هُديتَ فانزلِ

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جُمُوعُ هِرَقْلٍ من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارَف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مَوْتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعباً لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجالاً من بني عُذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى يسرتهم رجل من الأنصار يُقال له : عُبابة بن مالك ، ويقال عُبادة . ثم التقى الناس فاقْتَتَلُوا ، فقاتل زيدُ بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاطَفَ في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه^(٣) القتال ، اقتحم عن فرسٍ له

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٧٣/٢ — ٣٧٥ والخبر عن عروة بن الزبير مرسل .

(٢) حقيبة رحله ؛ مؤخرته .

(٣) ألحمه القتال ؛ : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .

شقرها ، ففقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل ، فكان جعفرُ أوَّلَ مَنْ عرِقبَ فرساً في الإسلام^(١) وقاتل . وروي أنه أخذ اللواء بيمينه ، فقاتل به حتى قُطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الراية وقاتل حتى قُتل رحمه الله ، وسبَّه ثلاثٌ وثلاثون ، أو أربعٌ وثلاثون سنة . ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابنُ عم له بَعْرَقِي^(٢) من لحم ، فقال : شُدَّ بها صلبك . فإنك قد لقيت أياملك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ، فانتَهَشَ منه نهشةً ، ثم سمع الحطمة^(٣) في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ؟ ثم ألْقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين اضطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاضطلع الناسُ على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس^(٤) .

وقد حكى ابن سعد وغيره أن الهزيمة كانت على المسلمين ، وحكى أيضاً أن الهزيمة كانت على الروم . وكذا ورد في صحيح البخاري ، والمختار من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة ، وقد وقع ذلك في شعر لقيس بن المسبحر اليعمري كذلك .

وأطلع الله رسوله ﷺ على ذلك من يومه فأخبر به عليه الصلاة والسلام أصحابه رضي الله عنهم بالمدينة قبل ورود الخبر بأيام . وقال : « لقد رُفِعُوا إلي في الجنة فيما يرى النائم على سُرر من ذهب ، فرأيتُ في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبي ، فقلت : عمٌ هذا ؟! فقيل لي : مضياً ، وتردد عبدُ الله بعضَ التردد ثم مضى » .

(١) كذا في الأصل « أ » و « ب » و « ج » ، وفي « د » والمطبوع : فكان جعفر أول من عرِقبَ فرساً في سبيل الله .

و « قاتل » أي بعد عرقه فرسه ، وكان بعضُ الفرسان يفعلونها وسيلةً لتثبيت من معهم وحملهم على القتال .

(٢) « بَعْرَقِي من لحم » : العظم عليه بعض لحم .

(٣) « الحطمة » : واحدة الحطيم ، وهو الكسر ، والمقصود الهجمة ، مع ما يُصاحبها من أصوات السلاح والمقاتلين .

(٤) السيرة النبوية ٢/٣٧٧ — ٣٨٠ .

قال أبو عمر : وذكر عبدُ الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن جُدعان ، عن ابن المسيب ، قال : قال رسول الله ﷺ : مُثِّل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در ، كلُّ واحد منهم على سريره ، فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدود ، ورأيتُ جعفرأ مستقيماً ليس فيه صدود . قال : فسألتُ — أو قيل لي — إنهما حين غشيهما الموتُ أعرضاً ، أو كأنَّهما صدأً بوجههما ، وأما جعفر فإنه لم يفعل . وقال رسول الله ﷺ في جعفر : إن الله أبدله بيديه جناحين يطيرُ بهما في الجنة حيث شاء^(١) . قال أبو عمر : وروينا عن ابن عمر ، أنه قال : وجدنا ما بين صدر جعفر ومَنكبيه وما أقبلَ منه تسعين جراحة ، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح . وقد روي : أربع وخمسون ، والأول أثبت^(٢) .

وقال موسى بن عقبة : قدم يعلَى بن مُنيّة على رسول الله ﷺ بخير أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتُك . قال : فأخبرني يا رسول الله . فأخبره ﷺ خبرهم كلّهُ ، ووصفَهُ له . فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره ، وإنَّ أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَعْرَكَهُمْ »^(٣) .

ذكر تسمية من استشهد يوم مؤتة

ذكر ابن إسحاق منهم : من بني هاشم : جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة .
ومن بني عدّي بن كعب : مسعود بن الأوس بن حارثة بن نضلة .
ومن بني مالك بن حِسل : وهب بن سعد بن أبي سرح .
ومن الأنصار : من بني الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعَبَاد بن قيس .

(١) الاستيعاب ٢١٢/١ ، وابن جُدعان : علي بن زيد ، ضعيف ، والخبر مرسل .

(٢) الاستيعاب ٢١١/١ ، وهو في البخاري في المغازي (باب غزوة مؤتة) رقم /٤٢٦٠/ .

(٣) روى الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » أن عبد الرحمن بن سمرة هو الذي جاء بخير أهل مؤتة . وقال موسى بن عقبة : إنه يعلَى بن مُنيّة . وذكر ابن عبد البر أن كلاً منهما أسلم يوم الفتح ؛ ففي الخبرين نظر ، والله أعلم ، نور التبراس لوحة ٢/١٦٥ .

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بني مازن بن النجار : سُرَاقَة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

وزاد ابن هشام عن الزهري فيهم : أبا كليب وجابراً ابني عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول ، وهما لأب وأم . وفي بني مالك بن أفضى : عمراً وعامراً ابني سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى^(١) .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● مؤتة : بضم الميم وبالهَمْز .

● ولَهَب : بكسر اللام وسكون الهاء .

● وقوله في شعر ابن رواحة « وضربة ذات فَرَّغ » : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة ، وبعدها غين معجمة ، قال ابن سيده : وطعنة فرغاء وذات فرغ : واسعة يسيل دمهـا .

● ومعان : بضم الميم ، وقال الوقشي : الصواب فتحها ، وفي الغريب المصنف : المَبَاة المنزل . والمعان مثله .

● والحِساء : جمع حَسِي ، وهو موضع رمل تحته صلابة ، فإذا قطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء ، فمنعته الصلابة أن يفيض ، ومنع الرملُ السَّهائم^(٢) أن تنشفه ، فإذا بُحِث ذلك الرملُ وُجد الماء ، والحِساء هاهنا : اسم منزلة معروفة .

● وقوله : « فشأنك فانعمي » : استحسنه المبرِّد ، وكان قد أنشد قبله قول السَّمَّاح يمدح عَرَابَة بن أوس :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَة ، فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

قال : وقد أحسن كلَّ الإحسان ، كأنه يقول : لست أحتاج أن أرحل إلى غيره . قال :

(١) السيرة النبوية ٣٨٨/٢ — ٣٨٩ .

(٢) « السَّهائم » : رياح السموم ، المعروفة بشدة لفحها وحرارتها .

وقد عاب بعض الرواة قوله : « فاشرقي بدم الوتين » قال : وكان ينبغي أن ينظر لها بعد استغنائه عنها . وذكر قصة الأنصارية التي نجت على الناقة ، وقالت : إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها . فقال رسول الله ﷺ : « بشس ما جزيتها^(١) .. » الحديث . قلت : وقد سلم بيت ابن رواحة من هذا .

● وقوله : ولا أرجع : دعاء ، وهو مجزوم بالدعاء ، ومعناه : اللهم لا أرجع ، وهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي .

● وقال الوقشي الصواب : مُشْتَهَى الثَّوَاء ، ولما وقع في الأصل^(٢) وجه .

● وقوله : « يا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذَّبَلِ » قال ابن إسحاق : يقوله لزيد بن أرقم ، وكان يتيمة . قال أبو عمر : قيل : بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة .

● وتحوم البلقاء : في مختصر العين : تحوم الأرض — يعني بفتح التاء — اسم على مثال فَعُول ، وبعضهم يقول : تحوم — بالضم — كأنه جمع ، وهو فصل ما بين الأرضين .

● وشاط : هلك ، قال : « وقد يشيطُ على أرماحنا البطلُ » .

● وقوله : وخاشى بهم : بالخاء المعجمة ، قال ابن قتيبة : هو من الخشية ، كأنه خاف عليهم . وقال ابن هشام : ويُقال : فحاشى بهم^(٣) .

* * *

(١) الحديث رواه مسلم في النذر (باب لاوفاء لنذر في معصية الله) رقم ١٦٤١ / ، وأبو داود في الأيمان والنذور (باب في النذر فيما لا يملك) رقم ٣٣١٦ / .

(٢) يعني « مُشْتَهَى الثَّوَاء » : أي نهايته ومثواه بالاستشهاد في أرض الشام . أما « مُشْتَهَى الثَّوَاء » : فمعناها : راعباً في أن تكون مثواه .

(٣) « فحاشى بهم » : لحأ بهم إلى حاشية المكان ، أي ابتعد بهم ناحية . أما « فحاشى بهم » : فهي تعني أنه حجزهم عن العدو خشية عليهم من الهلاك ، وذلك لقلة عددهم .

سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

وهي من وراء وادي القرى .

سميت بماء بأرض جذام ، يُقال له السلسل ، وقال السهيلي : ذات السلاسل ، بضم السين الأولى وكسر السين الثانية ؛ ماء بأرض جذام ، به سميت الغزاة^(١) .

ثم سرية^(٢) عمرو إلى ذات السلاسل ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان . قال ابن سعد : قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وعقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً وأمره أن يستعين بمن مر به من بليّ وعُدرة وبلقين ، فسار الليل وكمن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً ، فبعث رافع بن مكث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح ، في مائتين ، وعقد له لواءً ، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمره أن يلحق بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ، ولا يختلفا ، فلحق بعمرو ، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو : إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، فكان عمرو يُصلي بالناس . وسار حتى وطىء بلاد بليّ ودوْحها^(٣) ، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُدرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا . وبعث عوف بن مالك الأشجعي يريد إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم^(٤) .

وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماء بجذام يقال له السلسل ، قال : وبذلك سُميت ذات السلاسل .

(١) الروض الأنف ٢٥٢/٤ .

(٢) من هنا يبدأ كلام ابن سعد ؛ كما في الطبقات الكبرى ١٣١/٢ .

(٣) « دوْحها » : يُقال : داخ الجيش البلاد يدوْحها ، ودوْحها يدوْحها ، بالشديد : قهرها واستولى عليها .

(٤) الطبقات الكبرى ١٣١/٢ .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المزري بقراءة والدي عليه — رحمهما الله — قال : أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي ، قال : أخبرنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : بعث رسول الله ﷺ جيشَ ذات السلاسل ، فاستعملَ أبا عبيدة على المهاجرين ، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب ، وقال لهما : تطاوعا . قال : فكانوا^(١) يُؤمرون أن يُغيروا على بكر ، فانطلقَ عمرو وأغارَ على قُضاة ، لأن بكرًا أخواله ، قال : فانطلقَ المغيرةُ بن شعبة إلى أبي عبيدة ، فقال : إن رسولَ الله ﷺ قد استعملك علينا ، وإن ابن فلان قد اتَّبَعَ أميرَ القوم ، فليس لك معه أمر ، فقال أبو عبيدة : إن رسولَ الله ﷺ أمرنا أن نتطاول ، فأنا أطيع رسولَ الله ﷺ وإن عصاه عمرو^(٢) .

* * *

(١) « فكانوا » : الضمير يعود على من كانوا تحت إمرة أبي عبيدة من المهاجرين .
(٢) هذا الحديث مرسل ، وليس في أحد الكتب . انظر نور النبراس لوحة ٢/ب ١٦٩ .

سرية الحَبَط

ثم سرية الحَبَط^(١) أميرها أبو عبيدة بن الجراح ، وكانت في رجب سنة ثمان .

قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ، وفيهم عمر بن الخطاب إلى حيٍّ من جُهينة بالقَبْلِيَّةِ مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال ، فأصابهم في الطريق جوعٌ شديد ، فأكلوا الحَبَط . وابتاع قيسُ بن سعد جُزْراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحرُ حوتاً عظيماً ، فأكلوا منه وانصرفوا ولم يلقوا كيداً^(٢) .

قرأتُ على أبي الهيثم غازي بن أبي الفضل الدمشقي ، أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرُّ به . أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيَّلان البزاز ، أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سهل ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدثني جعفر بن ربيعة وعمرو بن الحارث أن بكر بن سودة حدثهما ، أن أبا حمزة الحميري حدثه ، سمع جابر بن عبد الله ، يقول : إن رسول الله ﷺ بعثهم بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عباد ، فجهدوا ، فنحر لهم قيس تسع ركائب . قال عمرو في حديثه : فقال رسول الله ﷺ : إن الجودَ لمن شيمة أهل ذلك البيت . قال إبراهيم : لم يكن قيسُ بن سعد أميرَ هذا الجيش ، إنما كان أبو عبيدة ، وقيسٌ معه ، كذا أخبرني محمد بن صالح عن محمد بن عمر . قال : وحدثني داود بن قيس وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في سرية ، فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر ، إلى حيٍّ من جُهينة ، فأصابهم جوعٌ شديد ، فقال قيسُ بن سعد : من يشتري مني تمرًا بجُزُر ، يُوفيني الجزُرَ هاهنا ، وأوفيه التمرُ بالمدينة ، فجعل عمر يقول : واعجابه لهذا الغلام ، لا مال له ،

(١) « الحَبَط » : بفتح الحاء والباء ؛ أي المخبوط ، وهو الورق الذي يتساقط من الأشجار بعد خبطها بالعصا ونحوها ؛ لتأكله الإبل . قالوا : وهو فَعْل بمعنى مفعول .

(٢) الطبقات الكبرى ١٣٢/٢ .

يُدَيِّنُ في مال غيره . فوجد رجلاً من جُهيّنة . فقال قيس : بعني جزوراً أوفيك وسقه من تمر المدينة . فقال الجهني : والله ما أعرفك . فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم ، قال الجهني : ما أعرفني بنسبك وذكر كلاماً ، فابتاع منه خمسَ جزائر ، كلُّ جزورٍ بوسق من تمر ، يشترط عليه البدويُّ من تمر آل دُليم ، يقول قيس : نعم . قال : فأشهد لي . فأشهد له نفرًا من الأنصار ، ومعهم نفرٌ من المهاجرين . قال قيس : أشهد مَنْ تحب . قال : وكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب . فقال عمر : ما أشهد ، هذا يُدَيِّنُ ولا مال له ، وإنما المال لأبيه . قال الجهني : والله ما كان سعد ليُخني^(١) بابنه في وسقة من تمر ، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً . فكان من عمر وقيس كلامٌ ، حتى أغلظَ لقيس . وأخذ الجزرَ فنحرها لهم في مواطن ثلاثة ، كلُّ يوم جزوراً . فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره ، فقال : أتريد أن تُخفّرَ ذمتك ولا مال لك ؟ قال محمد : فحدثني محمد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه ، عن رافع بن خديج ، قال : أقبل أبو عبيدة ومعه عمر ، فقال : عزمت عليك أن لا تنحر ، أتريد أن تُخفّرَ ذمتك ؟ قال قيس : يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ، ويحملُ الكلَّ ، ويُطعم في المجاعة ، لا يقضي عني وسقةً من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله ؟ فكاد أبو عبيدة أن يلين له ، وجعل عمر يقول : اعزم . فعزم عليه وأبى أن ينحر ، وبقيت جزوران ، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً ، يتعاقبون عليهما ، وبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة ، فقال : إن يك قيس كما أعرف فسينحر للقوم . فلما قدم قيسٌ لقيه سعد ، فقال : ما صنعتَ في مجاعة القوم ؟ قال : نحرْتُ . قال أصبت ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرْتُ . قال : أصبت . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نُهِيت . قال : مَنْ نهاك ؟ قال : أبو عبيدة أميرِي . قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لا مال لي ، وإنما المال لأبيك . فقلت : أبي يقضي عن الأبعاد ، ويحملُ الكلَّ ، ويُطعم في المجاعة ، ولا يصنعُ هذا بي ، قال : فلك أربع حوائط ، أدناها حائطٌ تجذُّ منه خمسين وسقاً . قال : وقدم البدويُّ مع قيس ، فأوفاه أوُسقه ، وحمله وكساه ، فبلغ النبيَّ ﷺ فعل قيس ، فقال : « إنه في قلب جود^(٢) » .

(١) « ليُخني بابنه » : يتخلى عنه ، ويُخفّرَ ذمته .

(٢) هذا الخبر معضل أو مرسل وهو في الغيلانيات ، وفيه أبو حمزة الحميري لا يُعرف حاله ، وفيه الواقدي ، والاختلاف على اسم الأمير ، وهو أبو عبيدة بلا خلاف ، وقيس بن سعد كان في السرية ، ونحرَ ثلاثة

خبر العنبر

ورويننا من طريق البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال : الذي حفظناه من عمرو بن دينار ، قال : سمعتُ جابرَ بن عبد الله ، يقول : بعثنا رسولُ الله ﷺ في ثلثمائة راكب ، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيرَ قريش ، فأقمنا بالساحل نصفَ شهر ، فأصابنا جوعٌ شديد ، حتى أكلنا الخَبْط ، فسُمي ذلك الجيشُ جيشَ الخَبْط ، فألقى لنا البحرُ دابةً يُقالُ لها : العنبر ، فأكلنا منها نصفَ شهر ، وأدَّهنا من ودَّكه ، حتى ثابت إلينا أجسامنا ، فأخذَ أبو عبيدة ضِلْعاً من أعضائه فنصبه ، فَعَمَدَ إلى أطول رجل معه — قال سفيان مرة : ضِلْعاً من أضلاعه فنصبه وأخذ رجلاً وبِعيراً فمرَّ تحته — قال جابر : وكان رجلاً من القوم نحرَ ثلاث جزائر . وذكر تمام الحديث (١) .

* * *

= جُزُر ، ثم نهاه أميره أبو عبيدة عن نحر الرابع ، فانتهى ... كما في البخاري عن عمرو بن دينار ، عن أبي صالح .. وانظر نور النبراس لوحة ٢/ب ١٧٠ . وفتح الباري ٨١/٨ وفيه عن ابن خزيمة : أن النبي ﷺ قال : « إن الجودَ من شيمة أهل ذلك البيت » .

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة سيف البحر) رقم /٤٣٦٠/ .

ورواه مسلم في الصيد رقم /١٩٣٥/ والنسائي في الصيد رقم ٢٠٧/٧ و ٢٠٩ ، وأبو داود في الأُطعمة رقم /٣٨٤٠/ والموطأ ٢/٩٣٠ في صفة النبي ﷺ ، والترمذي في صفة القيامة رقم /٢٤٧٧/ .

سرية أبي قتادة بن ربيعة إلى خُضرة وهي أرض مُحارب

ثم سرية أبي قتادة بن ربيعة الأنصاري إلى خُضرة^(١) ، وهي أرض مُحارب بنجد في شعبان سنة ثمان . قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة ، ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان ، وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليل وكمن النهار ، فهجم على حاضري منهم عظيم ، فأحاط به ، فصرخ رجل منهم : يا خُضرة ! وقاتل منهم رجال ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا النعم فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة ، وسبوا سبياً كثيراً ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخمس فعزلوه ، فأصاب كل رجل اثني عشر بعيراً ، فعدّل البعير بعشرين من الغنم ، وصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيعة ، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ ، فوهبها له ، فوهبها رسول الله ﷺ لمحمية بن جَزء . وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة^(٢) .

قرأت على أبي الهيثم غازي بن أبي الفضل الدمشقي بقرافة^(٣) سارية ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله المُكَبَّر ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، أخبرنا عبد الله ، حدثني أبي : حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى نجد فبلغت سهمائهم اثني عشر بعيراً ، ونفلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً^(٤) .

* * *

(١) كذا ضبطها صاحب نور النبراس لوحة ٢/ ١٧١ ، وضبطها الشامي في سيرته ٢٩١/ ٦ : بفتح الحاء وكسر الضاد ، وكذا في النسخة « د » من عيون الأثر .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٣٢/ ٢ — ١٣٣ .

(٣) « قَرَأَة سَارِيَة » : مقبرة أهل القاهرة .

(٤) المسند ١٠/ ٢ و ٦٢ ، ورواه البخاري في المغازي (باب السرية التي قبل نجد) رقم ٤٣٣٨ / ومسلم في الجهاد والسير (باب الأنفال) رقم ١٧٤٩ / ، وإنما رواه من المسند لأنه من طريقه أعلى برجل .

سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم

وهي في أول شهر رمضان سنة ثمان

قالوا : لما هم رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة ، بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر ، سرية إلى بطن إضم — وهي فيما بين ذي خُشب وذو المروة ، وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرد — ليظنَّ ظانُّ أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهب بذلك الأخبار . وكان في السرية مُحَلِّم بن جَثَّامة اللثي ، فمرَّ عامر بن الأضيظ الأشجعي ، فسَلَّم بتحية الإسلام ، فأمسك عنه القوم ، وحمل عليه مُحَلِّم بن جَثَّامة فقتله وسلبه متاعه وبغيره ووطب^(١) لبنر كان معه ، فلما لحقوا بالنبي ﷺ نزل فيهم القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾ إلى آخر الآية [النساء : ٩٤] . فمضوا ؛ فلم يلقوا جمعاً ؛ فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشب ، فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد توجه إلى مكة ، فأخذوا على يَن^(٢) حتى لقوا النبي ﷺ بالسّقى^(٣) (٤) .

وهي عند ابن إسحاق منسوبة لابن أبي حدرد . وذكر ابن إسحاق في خبر مُحَلِّم بن جَثَّامة بعد ذلك يوم حنين ، أن النبي ﷺ صَلَّى الظهر بُحْنين ، ثم عمد إلى ظلِّ شجرة ، فجلس تحتها ، فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن ، يختصمان في عامر بن الأضيظ ، عُيينة يطلبُ بدمه وهو يومئذٍ سيّد غطفان ، والأقرع يدفع عن مُحَلِّم لمكانه من خندف ، فتداولوا الخصومة ، ثم قبلوا الدية ، ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفرُ له رسول الله ﷺ ، فقام رجل آدم ضَرَبَ^(٥) طويل ، هو مُحَلِّم ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم

(١) « وطبَّ لبن » : وعاء كبير من جلد ، يُشبه القربة .

(٢) « يَن » كذا ضبطها في نور الثبراس لوحة ٢/ب ١٧٣ وسيل الهدى ٢٩٧/٦ ومعجم البلدان ٥٣٣/٨ :

قالوا : وإد به عين ، من أعراض المدينة .

(٣) « السّقى » قرية من قرى وادي القرع .

(٤) الطبقات الكبرى ١٣٣/٢ .

(٥) « ضَرَبَ » : خفيف اللحم ، ممشوق مستندق .

لا تغفر لمُحَلِّم بن جَثَّامة « ثلاثاً ، فقام يتلقى دمه بفضل رذائه . الحديث ^(١) . وفي حديث عن الحسن : ما مكث إلا سبعة حتى مات ، فلفظته الأرض مرات ، فعمدوا به إلى صُدَّين ^(٢) فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه ^(٣) .

سرية ابن أبي حذرد الأسلمي إلى الغابة

قال ابن أبي حذرد فيما حكاه ابن إسحاق : تزوجت امرأة من قومي ، فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم . فقال : سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدت ، والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبت أياماً ، وأقبل رجل من بني جُشم بن معاوية ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، في بطن عظيم من بني جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم في جُشم وشرف ، فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين ، فقال اخرجوا إلى هذا الرجل ، حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفاً عجفاء ^(٤) ، فحملَ عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت ^(٥) وما كادت ، ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها . قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر ، غُمِشِيَّة مع غروب الشمس ، كمنُت في ناحية ، وأمرت صاحبي فكمنَّا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعناي قد كبرت وشددت في ناحية العسكر فكبراً وشدداً معي ، فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم ، أو أن تُصيب منهم شيئاً ، وقد غُمِشينا الليل ، حتى ذهب فحمة العشاء ، وكان لهم راع سرح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٨/٢ وفيها : أن قومه قالوا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له .

(٢) « صُدَّين » : ثنية صُدَّ ، بضم الصاد وفتحها ، وهو الجبل .

(٣) السيرة النبوية ٦٢٨/٢ ، وفيها : فبلغ رسول الله ﷺ شأنه فقال : « والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْمِ ما بينكم بما أراكم منه » . وهو خير مرسل عن الحسن البصري .

(٤) « شارفاً عجفاء » : الشارف : الناقة المستة ، والعجفاء : المهزولة .

(٥) « استقلت » : نهضت .

تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم ذلك ، وأخذ سيفه فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرٌ . فقال نفر من معه : والله لا تذهب أنت ، نحن نكفيك . قال : والله لا يذهب إلا أنا . قالوا : فنحن معك . قال : والله لا يتبعني أحد منكم . وخرج حتى مرّ بي ، فلما أمكنتني نفحته^(١) بسهم فوضعتُه في فؤاده ، فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتزّزْتُ رأسه ، وشدّدتُ في ناحية العسكر ، وكبرتُ ، وشدّ أصحابي وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه : عندك ، عندك^(٢) ! بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفّ معهم من أموالهم ، واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئتُ برأسه أحمله معي ، فأعاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بغيراً في صدّاقٍ فجمعتُ إليّ أهلي^(٣) .

* * *

(١) « نفحته بسهم » : رميته به .

(٢) « عندك ، عندك » بمعنى الإغراء . تقول : عندك زيد ؛ أي خذه .

(٣) السيرة النبوية ٢/٦٢٩ — ٦٣٠ .

فتح مكة شرّفها الله تعالى

وكانت في شهر رمضان سنة ثمان . وكان السبب فيها فيما ذكر ابن إسحاق : أن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَّتْ على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوثير . وكان الذي هاج ما بين بكر وخُزاعة ؛ أن رجلاً من بني الحَضْرَمِيّ يقال له : مالك بن عَبَّاد — وحلف الحَضْرَمِيّ يومئذٍ إلى الأسود بن رَزَن — خرج تاجراً ، فلما توسط أرضَ خُزاعة عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعَدَّتْ بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدَّتْ خُزاعة قَبْلَ الإسلام على بني الأسود بن رَزَن الدَّيْلِي ، وهم مِنْكَر^(١) بني كنانة وأشرافهم : سَلْمَى وكَلْثوم وذُؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم ، فبينما هم كذلك حجز بينهم الإسلام . وتشاغلَ الناسُ به ، فلما كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله ﷺ وبينَ قريش ، كان فيما شرطوا ؛ أنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخلَ في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلتْ بنو بكر في عهد قريش ، ودخلتْ خُزاعةُ في عقد رسول الله ﷺ ، فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الدَّيْلِي بن بكر ؛ وأرادوا أن يُصَيِّبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم في الأسود بن رَزَن ، فخرج نوفلُ بن مُعاوية الدَّيْلِي في بني الدَّيْلِي بن بكر من كِنانة ، حتى بَيَّتْ خُزاعةَ وهم على الوثير — ماء لهم — فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدتْ بني بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتلَ معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مُستخفياً^(٢) .

ذكر ابن سعد منهم : صفوان بن أمية ، وحُوَيْطِب بن عبد العزى ، ومِكْرَز بن حفص بن الأخيف^(٣) .

(١) « مَنْكَرُ بني كِنانة » : المنكر : الأنف ، وهو الأبرز من أعضاء الوجه ، والمقدم فيها ، والمقصود أنهم سادتهم والمقدّمون فيهم .

(٢) السيرة النبوية ٣٨٩/٢ — ٣٩٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٤/٢ .

حتى حاوزوا^(١) خزاعة إلى الحرم . فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إهلك إهلك^(٢) . فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يا بني بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تُصييون ثأركم فيه ؟ .

وقد أصابوا منهم ليلة يبتوهم بالوتير رجلاً : يُقال له مُنَبَّهٌ ، فلما دخلت خزاعة مكة لجؤوا إلى دار بُدِيل بن ورقاء الخزاعي ، ودار مولى لهم يُقال له رافع . ولما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي — قال ابن سعد : في أربعين راكباً^(٣) — حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك ما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهرائي الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
حَلَفَ أَيْنَا وَأَيُّهُ الْأَتْلَدُ^(٤)
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا
ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزَعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا
وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا^(٥)
فَهِم رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
إِنْ سِجَمَ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا^(٦)
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكَّدَا

(١) « حاوزوا خزاعة » : ساقوهم ، وفي الأصول « جاوزوهم » والتصحيح من السيرة النبوية .

(٢) « إهلك إهلك » : منصوبان على التحذير بفعل محذوف تقديره : اتق أو احذر ، ونحو ذلك .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٤/٢ .

(٤) « ناشد » : طالب ، و« الأتلد » : القديم .

(٥) « نصرأ أعتدأ » : نصرأ عتيذاً ، أي حاضراً .

(٦) « تجردا » : تهبأ للحرب ، و« ترَبَّدَا » : تغير غضباً ، ورفضاً للخسف والذل .

وجعلوا لي كَدَاءَ رُصْدَا
وزعموا أَن لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وهَمُّ أَذْلُ وَأَقْلُ عَدَدَا
هَمُّ يَتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
وَقَتْلُونَا رُكْعَاءَ وَسُجْدَا

يقول : قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا . فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ . ثم عرض
لرسول الله ﷺ عَتَانٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فقال : « إِنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ » .
ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي خَزَاعَةَ ، حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَمِعْظَاهِرَةَ قَرِيشٍ بِبُكَرٍ عَلَيْهِمُ (١) .

قلت : لعل الأربعة ركباً الذين ذكر ابن سعد قدومهم من خزاعة مع عمرو بن سالم
هم هؤلاء .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس :
كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سَفِيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ . ومضى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي
أَصْحَابِهِ ، حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ ، وَقَدْ بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ
الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا ، فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفِيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ ، قَالَ :
مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : سَرْتُ فِي خَزَاعَةَ فِي هَذَا
السَّاحِلِ ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي . قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا . فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلُ إِلَى
مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سَفِيَانَ : لَئِنْ كَانَ جَاءَ الْمَدِينَةَ ، لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى ، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ ،
فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَقَّهَ ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلُ مُحَمَّدًا . ثُمَّ خَرَجَ
أَبُو سَفِيَانَ حَتَّى قَدَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَّهَ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّةُ مَا أَدْرِي أَرُغِبُ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رُغِبْتُ بِهِ
عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ نَجَسٌ . قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ
بَعْدِي شَرٌّ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى

(١) السيرة النبوية ٢/ ٣٩٤ — ٣٩٥ .

أبي بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلّمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به . ثم جاء فدخل على عليّ بن أبي طالب ، وعنده فاطمة وحسن غلام يدبّ بين يديها ، فقال : يا عليّ إنك أمسّ القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، اشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا بنت محمد ! هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما يبلغ بُنيّ ذاك ، أن يجبر بين الناس ، وما يُجبر أحدٌ على رسول الله ﷺ . قال : يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحي . قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيّد بني كنانة ، فقم وأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكي لا أجدلك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيّها الناس إني قد أجزت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلّمته ، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو . ثم جئت عليّاً ، فوجدته ألين القوم ، وقد أشار عليّ بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عني شيئاً أم لا . قالوا : وم أملك ؟ قال : أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك والله إن زاد الرجل على أن لعب بك . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وأمر أهله أن يُجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تُحرّك بعض جهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بنية أملك رسول الله ﷺ بتجهيزه ؟ قالت : نعم فتجهّز . قال : فأين ثريته يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدري . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتجهّز ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبعثها في بلادها . فتجهز الناس .

فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتاباً يُخبرهم بذلك ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جُعلاً على أن تُبلّغه قريشاً ، فجعلته في قرون رأسها ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ

الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علياً والزبير — وغير ابن إسحاق يقول : بعث علياً والمقداد — فقال : أدركا امرأة ، قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش ، يُحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها ، فاستنزلاها ، واتمسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذِبنا ، ولتُخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا حاطباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : وما يُدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، فاستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري — وقال ابن سعد : عبد الله بن أم مكتوم — فخرج لعشر مضي من شهر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكديد أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف . وعميت الأخبار عن قريش ، فهم على وجل وارتقاب ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً مهاجراً ، فلقي رسول الله ﷺ ، قيل : بالجحفة ، وقيل : بذي الحليفة . وكان فيمن خرج ولقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق أبو سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بالأبواء ، وقيل بين السقيا والعرج ، فأعرض عنهما ، فقالت له أم سلمة : لا يكن ابن عمك وابن عمك أخي ؛ أشقى الناس بك . وقال علي لأبي سفيان — فيما حكاه أبو عمر — ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف عليه السلام ليوسف : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ [يوسف : ٩١] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه . ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ [يوسف : ٩٢] وقبل منهما إسلامهما ، فأنشده أبو سفيان معذراً أبياتاً ، منها :

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدٍ
لكالمدلجِ الحيرانِ أظلمَ ليله فهذا أواني حين أهدى فأهتدي
هدائي هادٍ غيرُ نفسي ودلِّي على الله من طردُّه كلَّ مطردٍ
فضربَ رسولُ الله ﷺ صدره ، وقال : أنت طردتني كلَّ مطردٍ^(١) .

وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامه ، فيقال : إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياء منه ، وكان رسولُ الله ﷺ يُحبه ويشهدُ له بالجنة ، ويقول : أرجو أن يكون خَلْفاً من حمزة . ويروى أنه لما حضرته الوفاة ، قال : لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطف^(٢) بخليفة منذ أسلمت .

فلما نزلَ رسولُ الله ﷺ مرَّ الظهران — وقال ابن سعد : نزلَه عشاءً ، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب^(٣) — رَقَّتْ نفس العباس لأهل مكة ، قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلِّي أجِدُ بعضَ الخطابة ، أو صاحبَ لبنٍ ، أو ذا حاجة ، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة ، فوالله إني لأسير عليها ، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقولُ : ما رأيْتُ كالليلة نيراناً قطُ ولا عسكراً . قال : يقولُ بديل : هذه والله خُزاعة ، حَمَشَتْهَا^(٤) الحرب ، فيقول أبو سفيان : خُزاعةُ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون نيرانها وعسكرها . قال : فعرفت صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلت : والله هذا رسولُ الله في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظَفِرَ بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب في عَجَزِ هذه البغلة ، حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فاستأمنه لك . فركب خلفي ، ورجع أصحابه . قال : فجئتُ به ، كلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين ، قالوا :

(١) السيرة النبوية ٣٩٧/٢ — ٤٠١ .

(٢) « لم أتنطف » : لم أتلطخ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٥/٢ .

(٤) « حمشتها الحرب » : أحرقتها .

مَنْ هَذَا ؟ وَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا : عُمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ ،
 حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سَفْيَانَ عَلَى
 عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سَفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بَغِيرَ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ . ثُمَّ
 خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَكَضَتْ الْبَغْلَةُ ، فَسَبَقْتُ ، فَاقْتَحَمْتُ عَنْ الْبَغْلَةِ ،
 فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سَفْيَانَ
 فَدَعْنِي فَلَأُضْرِبَ عُنُقَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرُ
 فِي شَأْنِهِ ، قُلْتُ : مَهْلًا يَا عَمْرُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيٍّ بَنَ كَعْبٍ مَا قُلْتُ مِثْلَ
 هَذَا . قَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسُ فَوَاللَّهِ لَا سَلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ
 لَوْ أَسْلَمَ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ
 الْخَطَّابِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتْنِي بِهِ .
 فَذَهَبْتُ بِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ :
 وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : يَا بَأْيَ أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ
 وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى شَيْئًا بَعْدُ . قَالَ : وَيْحَكَ
 يَا أَبَا سَفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَا بَأْيَ أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ
 وَأَوْصَلَكَ أُمًّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنْ فِي النَّفْسِ حَتَّى الْآنَ مِنْهَا شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : وَيْحَكَ أَسْلَمَ ،
 وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عَنْقُكَ . قَالَ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ
 فَأَسْلَمَ . قَالَ الْعَبَّاسُ . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ ، فَاجْعَلْ لَهُ
 شَيْئًا . قَالَ : نَعَمْ ، مِنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ
 دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ . ثُمَّ أَمَرَ الْعَبَّاسُ أَنْ يُحْبَسَ أَبَا سَفْيَانَ بِمَضْمِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ^(١)
 حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا ، ففَعَلَ ، فَامْرَتْ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ ، قَالَ :
 يَا عَبَّاسُ مِنْ هَذِهِ ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمٌ . قَالَ : يَقُولُ : مَا لِي وَلِسُلَيْمٍ ؟ ثُمَّ تَمُرُّ بِهِ الْقَبِيلَةُ ، فَيَقُولُ :
 يَا عَبَّاسُ مِنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : مُزَيْنَةٌ . فَيَقُولُ : مَا لِي وَلِمُزَيْنَةٍ ؟ حَتَّى نَفَدَتِ الْقَبَائِلُ ، مَا تَمُرُّ بِهِ
 قَبِيلَةٌ إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهَا ، فَإِذَا أَخْبَرْتَهُ بِهَمْ ، قَالَ : مَا لِي وَلِبَنِي فَلَانٍ ؟ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) « خَطْمُ الْجَبَلِ » : أَنْفُهُ ، وَهُوَ طَرَفٌ مِنْهُ بَارِزٌ تَضَيِّقُ بِهِ الطَّرِيقَ .

في كتيبه الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد . قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة ^(١) .

وفي صحيح البخاري : أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عباد ، ومعه الراية ، قال : ولم ير مثلها ، قال : ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير ^(٢) .

كذا وقع عند جميع الرواة ، ورواه الحميدي في كتابه : هي أجل الكتائب ، وهو الأظهر ^(٣) .

رجع إلى الأول : فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة . قال : فنعم إذن . قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاره ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسيم الأحمس ^(٤) ، فُبِح من طليعة ^(٥) قوم . قال : ويلكم لا تغرئكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تُغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ^(٦) .

وذكر الطبري أن النبي ﷺ وجّه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد إسلامهما إلى

(١) السيرة النبوية ٤٠٢/٢ — ٤٠٤ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب أين ركب النبي ﷺ الراية يوم الفتح) رقم /٤٢٨٠/ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/٨ : « .. وهي أقل الكتائب » : أي أقلها عدداً . قال عياض : وقع للجميع باللقاف ، ووقع في الجمع للحميدي « أجل » بالجم ، وهي أظهر ، ولا يبعد صحة الأولى ؛ لأن عدد المهاجرين كان أقل من عدد غيرهم من القبائل .

(٤) « الدسيم » : الكثير الودك ، وسيشرح المؤلف غيرها في الفوائد .

(٥) « طليعة قوم » : طليعة الجيش ، من بُعث ليطلع على مقدم العدو ، ويستطلع أخباره .

(٦) السيرة النبوية ٤٠٤/٢ — ٤٠٥ .

مكة ، وقال : من دخلَ دارَ حَكِيم فهو آمن — وهي بأَسفل مكة — ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن — وهي بأعلى مكة — فكان هذا أماناً منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة^(١).

ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم الشافعي رحمه الله : إن مكة مُؤمَّنة وليست عنوة ، والأمان كالصلح . ورأى أن أهلها مالكون رباعهم ، فلذلك كان يُجيز كراءها لأربابها ، وبيعها وشراءها ، لأن من أُمِّن فقد حُرِّم ماله ودمه وذريته وعياله . فمكة مُؤمَّنة عند من قال بهذا القول ، إلا الذين استثناهم رسول الله ﷺ وأمر بقتلهم وإن وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة .

وأكثر أهل العلم يرون أن فتح مكة عنوة ، لأنها إنما أخذت بالخیل والركاب . والخلاف بين العلماء في جواز أخذ أجْر المساكن بمكة أو المنع منه مشهور معروف ، وقد جاء في حديث عن عائشة من طريق إبراهيم بن مهاجر في مكة ؛ أنها مُناخ من سَبَق^(٢) .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق ، أخبرنا أسعد بن سعيد بن روح وعائشة بنت مَعْمَر بن الفاخر إجازة من أصبهان ، قالوا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة الجوزدانية سماعاً ، قالت : أخبرنا أبو بكر بن رِيْدَةَ الضُّبي ، قال : أخبرنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن العباداني ، حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن علي بن عبد الله بن العباس ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، قد شدَّ لهم إبليس أقدامها برصاص ، فجاء ومعه قضيبٌ ، فجعل يهوي به إلى كل صنم منها ، فيخترُ لوجهه ، فيقول : ﴿ جاء الحقُ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١] حتى

(١) تاريخ الطبري ٥٥/٣ .

(٢) رواه أبو داود في المناسك (باب تحريم حرم مكة) رقم /٢٠١٩/ والترمذي في الحج (باب منى مُناخ من سبق) رقم /٨٨١/ وابن ماجه في المناسك رقم /٣٠٠٦/ وأحمد في المسند ١٨٧/٦ و٢٠٧ ولفظ أبي داود : عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ألا نبني لك منى بيتاً ، أو بناء يُظَلِّك من الشمس ؟ فقال : لا ، إنما هو مُناخ من سبق إليه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

مرَّ عليها كُلُّها ^(١).

ولا خلاف أنه لم يجر فيها قسم ولا غنيمة ، ولا سُبي من أهلها أحد ، لما عَظَّم الله من حرمتها ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : « مكة حرام مُحَرَّم لم تحلَّ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحد بعدي ، وإنما أُجِلَّت لي ساعة من نهار ، ثم هي حرام إلى يوم القيامة » ^(٢).

قال أبو عمر : والأصحَّ — والله أعلم — أنها بلدة مُؤمَّنة ، أَمِن أهلها على أنفسهم ، وكانت أموالهم تبعاً لهم ^(٣).

وقال الأموي : كانت راية رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عباد ، فلما مرَّ بها على أبي سفيان ، وكان قد أسلم أبو سفيان ، فقال سعد إذ نظر إليه : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحلُّ الحُرمة ، اليوم أذلَّ الله قريشاً . فأقبل رسول الله ﷺ في كتيبة من الأنصار ، حتى إذا حاذى أبا سفيان ، ناداه : يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا أنه قاتلنا ، أنشدك الله في قومك ، فأنت أبرُّ الناس وأرحمهم وأوصلهم . فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله والله ما نأمنُ سعداً أن تكون منه في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان اليوم يوم الرحمة ، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً .

وقال ضرار بن الخطاب القهري يومئذ :

يا نبي الهدى إليك لجا حيُّ	ي قريش ، ولات حين لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأر	ض ، وعاداهم إله السماء
والتقت حلقنا البطان على القو	م وتودوا بالصِّلِم الصِّلعا ^(١)
إن سعداً يُريد قاصمة الظهر	ر بأهل الحجون والبطحاء

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤/٧ وقال : رواه الطبراني في المعجم الصغير وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) رواه أبو عبيد في كتابه الأموال ص ٩٥ ، وهو في المسند ٢٥٣/١ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الدرر ص ٢١٤ .

(٤) « حَلَقْنَا الْبِطَانَ » : الْبِطَان : هنا الحزام للقتب يُجعل تحت بطن البعير ، يُقال : التقتا حَلَقْنَا الْبِطَانَ : كناية عن اشتداد الأمر وضيقه ، وسيشرح المؤلف غيرها في الفوائد .

خزرجي لو يستطيع من الغيـ
وَعَرَّ الصَّدْرَ لَا يُهْمُ بَشْيْءٍ
قَدْ تَلَطَّى عَلَى الْبَطَاحِ وَجَاءَتْ
إِذْ يَنَادِي بِذُلِّ حَيِّ قَرِيشٍ
فَلَمَّا أَقْحَمَ اللِّوَاءَ وَنَادَى
ثُمَّ ثَابِتٌ إِلَيْهِ مِنْ بُهْمٍ الْخَزْ
لَتَكُونَنَّ بِالْبَطَاحِ قَرِيشٌ
فَانْهَيْتُهُ فَإِنَّهُ أَسَدُ الْأَسـ
إِنَّهُ مُطَرَّقٌ يُدِيرُ لَنَا الْأَمـ

عَظَ رَمَانَا بِالنَّسْرِ وَالْعَوَاءِ^(١)
غَيْرِ سَفْلِكَ الدِّمَا وَسَبْيِ النِّسَاءِ
عَنْهُ هَنْدٌ بِالسَّوَةِ السُّوَاءِ
وَابْنُ حَرْبٍ بِذَا مِنَ الشَّهْدَاءِ
يَا حُمَاةَ اللِّوَاءِ أَهْلَ اللِّوَاءِ
رَجِ وَالْأَوْسَ أَنْجِمُ الْهِجَاءِ^(٢)
فَقَعَةُ الْقَاعِ فِي أَكْفِ الْإِمَاءِ^(٣)
سِدِّ لَدَى الْغَابِ وَالْعُ فِي الدِّمَا
سَرَ سَكُوتًا كَالْحَيَّةِ الصَّمَاءِ^(٤)

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَتَزَعَ اللِّوَاءَ مِنْ يَدِهِ ، وَجَعَلَهُ بِيَدِ قَيْسِ ابْنِهِ ،
وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ إِنْ صَارَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسَ . قَالَ أَبُو عَمْرٍ : وَقَدْ رُوِيَ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى الرَّايَةَ لِلزَّيْزِرِ إِذْ نَزَعَهَا مِنْ سَعْدِ .

رَجَعَ إِلَى خَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَدَخَلَ مِنَ اللَّيْلِ
أَسْفَلَ مَكَّةَ فِي بَعْضِ النَّاسِ ، فَكَانَ خَالِدٌ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيَمْنَى ، وَفِيهَا أَسْلَمٌ وَسُلَيْمٌ وَغِفَارٌ وَمُزَيْنَةُ
وَجُهَيْنَةُ وَقَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ . وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالْصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصُبُ
لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٥) .

وَرَوَيْنَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ كَانَ عَلَى الْبَيَازَةِ — يَعْنِي الرِّجَالَةَ^(٦) — .

(١) « بِالنَّسْرِ » : النَّسْرُ : أَحَدُ النَّسْرَيْنِ ، هُمَا نَجْمَانِ مَعْرُوفَانِ ، وَالْعَوَاءُ : بِالْمَدِّ ، وَقَدْ تُقْصَرُ : أَحَدُ مَنَازِلِ
الْقَمَرِ .

(٢) « بُهْمٌ » : جَمْعُ بُهْمَةٍ : وَهُوَ الشَّجَاعُ الَّذِي لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى مِنْ شِدَّةِ بَأْسِهِ .

(٣) « الْقَاعُ » : الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ فِيهَا اتِّسَاعٌ . وَ« الْفَقْعَةُ » : الْكِمَاءُ ، وَحِينَ تَكُونُ فِي الْقَاعِ تَأْتِي رِخْوَةً
سَطْحِيَّةً ، تَنَالُهَا الدُّوَابُّ بِأَرْجُلِهَا ، يَشْبَهُونَ بِهَا الرَّجُلَ الذَّلِيلَ يُهَانُ وَيُحْتَنَنُ .

(٤) « الْحَيَّةُ الصَّمَاءُ » : الَّتِي لَا تَسْمَعُ .

(٥) السُّورَةُ النَّبِيَّةُ : لِابْنِ هِشَامٍ ٤٠٧/٢ .

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْجِهَادِ وَالسَّرِّ (بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ) رَقْمُ ١٧٨٠ / وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ : كَمَا فِي نَوْرِ النَّبَرِ لَوْحَةُ
١٨٥ ب / ٢ .

قال ابن إسحاق : ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ، قد جمعوا أناساً بالخدمة ليقاتلوا . وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يُعدُّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أن أُخديمك بعضهم ، ثم قال :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ (١)
وذو غرارين سريع السَّله (٢)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد وناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر الفهري ، وحنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم الخزاعي ، وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشذا عنه ، فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً . وأصيب من جُهينة سلمة بن الميلاء ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا .

وقال ابن سعد : قُتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش وأربعة من هذيل — قال (٣) : فخرج حماس منهزماً ، حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليّ بابي ، قالت : وأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إِنَّكَ لَوْ شِهدْتَ يَوْمَ الْخندمة إِذْ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وَاسْتقبلتنا بالسيف المسلمه يقطعن كل ساعد وجمعه
ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه لهم نهيت حولنا وهممه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

(١) « أله » : الآلة : الحرب لها سنان طويل .

(٢) « ذو غرارين » : السيف له حَدَّان .

(٣) قال : أي ابن إسحاق ، كما في السيرة ٤٠٨/٢ .

أخبرنا أبو الفضل الموصلي بقراءة والدي عليه رحمهما الله ، قال : أخبرنا الشيخ أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرصافي المكبر سماعاً عليه بسفح قاسيون سنة اثنتين وستائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا بهز وهاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، قال هاشم : حدثني ثابت ، حدثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدت وفوداً إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، فذكر حديثاً . وفيه : قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة : قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة ، قال : فبعث الزبير على إحدى المجنبتين^(١) ، وبعث خالداً على الجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسْرِ^(٢) ، فأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله ﷺ في كتيبة ، قال : قد وبَّشْتُ^(٣) قريش أوباشاً لها ، قال : فقالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أُصيبوا أعطينا الذي سُئِلنا . وفيه : فقال : يا أبا هريرة ؟ فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : فقال اهتف لي يا للأنصار . وفيه : ولا يأتي إلا أنصاري . فهتف بهم فجاءوا ، فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء . فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد يُوجَّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله أبيع خضراء قريش^(٤) ، لا قريش بعد اليوم . قال فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَعْلَقَ بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قال : فَعَلَقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ . قال : فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ . قال : وفي يده قوس ، آخِذاً بِسِيَةِ الْقَوْسِ^(٥) ، فَأَتَى فِي

(١) « المجنبتين » : هما الميمنة والميسرة .

(٢) « الحُسْر » : جمع حاسر ، وهو المقاتل لا درع له .

(٣) « أَوْبَاشاً لَهَا » : جموعاً من قبائل شتى ، ووُشْتَمَ : جمعَتهم .

(٤) « خضراء قريش » : جهمرتهم وعامتهم ، كنى بالخضرة عن السواد الذي يعني هنا الجماعة الكثيرة ، والعرب

تكني بالخضرة عن السواد ، وبالسواد عن الخضرة ، ومنه سواد العراق .

(٥) « سِيَةِ الْقَوْسِ » : ما عُطِفَ مِنْ طَرَفِهَا ، وَلِلْقَوْسِ سَيْتَانِ .

طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه ، قال : فجعل يطعن بها في عينه ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١] ﴿ جاء الحق وما يُبدىء الباطل وما يُعيد ﴾ [سبأ : ٤٩] ، قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، ورفع يديه فجعل يذكر الله تعالى بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال : والأنصار تحته . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته . قال : وجاء الوحي — وكان إذا جاء الوحي لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى — قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : يا معشر الأنصار قلم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : فما اسمي إذن ؟ إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله واليكم ، فالحيا حياكم والممات ممائكم . قال : فأقبلوا إليه يبيكون ، ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : فإن الله ورسوله يعذيرانكم ويصدقانكم . رواه أبو داود عن (١) الإمام أحمد بن حنبل .

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم بقتلهم ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وعبد العزى بن خططل ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن ثقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ، ومقيس بن ضبابية ، وهبار بن الأسود ، وقتينا بن خططل ، كانتا ثغنيان ابن خططل بهجو رسول الله ﷺ ، وسارة مولاة لبني عبد المطلب .

فأما ابن أبي سرح فكان ممن أسلم قبل ذلك وهاجر ، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، ثم ارتد مشركاً ، وصار إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان — وكان أخاه من الرضاة ، أرضعت أمه عثمان — فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد ما اطمأن الناس ، فاستأمنه له ، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : نعم . فلما

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب فتح مكة) رقم / ١٧٨٠ / والنسائي في التفسير ، وأبو داود في الحراج والإمارة (باب ما جاء في خير مكة) رقم / ٣٠٢٤ / والإمام أحمد في المسند ٥٣٨ / ٢ . وانظر نور النبراس لوجه ٢ / ١٨٨ لتعرف سبب عدول المؤلف إلى إخراجها من المسند .

انصرف عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله : ما صممتُ إلا ليقومَ إليهِ بعضُكم فيضربَ عنقه . فقال رجلٌ من الأنصار : فهلا أومأتُ إليّ يا رسول الله ؟ فقال : إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة أعين .

قلت : وكان بعد ذلك من حسن إسلامه ، ولم يظهر منه شيء يُنكر عليه ، وهو آخر النجباء العقلاء الكرماء من قريش ، وكان فارسَ بني عامر بن لؤي ، المقدمُ فيهم ، وولاه عمر بن الخطاب ثم عثمان رضي الله عنهم .

وأما ابن خَطَلٍ فإنما أمر بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسولُ الله ﷺ ^(١) مُصَدِّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ابن خطل ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً . وكانت له قينتان : فَرْتَنًا وقَرْيَةً ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر بقتلهما معه ، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي .

ورويانا عن ابن جُميع ، حدثنا محمد بن أحمد الخولاني بمكة ، حدثنا أحمد بن رشدين ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن لهيعة ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ؛ أنه دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاءه رجلٌ فقال : ابنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأُستار الكعبة . فقال : اقتلوه ^(٢) . قال ابن شهاب : ولم يكن رسولُ الله ﷺ يومئذٍ مُحَرَّمًا ^(٣) .

وأما عكرمة بن أبي جهل ^(٤) ، ففرَّ إلى اليمن ، فاتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فردته ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يُعَدُّ من فضلاء الصحابة .

(١) « مصدقاً » : جامعاً للصدقة .

(٢) حديث أنس رواه البخاري في المغازي (باب أين ركز النبي ﷺ الربعة يوم الفتح) رقم ٤٢٨٦ / ، ومسلم في الحج (باب جواز دخوله مكة بغير إحرام) رقم ١٣٥٧ / ، والموطأ في الحج ٤٢٣ / ١ ، وأبو داود في الجهاد رقم ٢٦٨٥ / ، والترمذي في الجهاد رقم ١٦٩٣ / ، والنسائي في الحج ٢٠١ / ٥ .

(٣) هذا تعليل للأمر بالقتل . وفي الموطأ : ولم يكن فيما نرى يومئذٍ — والله أعلم — مُحَرَّمًا .

(٤) كان السبب في إهدار دمه — والله أعلم — هو أنه كان شديداً كآبِه في إيذاء رسول الله ﷺ .

وأما الحويرث بن ثقيذ^(١) فكان يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ، فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح .

وأما مقيس بن ضبابة فكان قد أتى النبي ﷺ قبل ذلك مسلماً ، ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله بأخيه هشام بن ضبابة بعد أن أخذ الدية ، وكان الأنصاري قتل أخاه مسلماً خطأ في غزوة ذي قرد^(٢) وهو يرى أنه من العدو . وقد تقدم ذلك في غزوة ذي قرد وأبيات مقيس في ذلك ، ثم لحق بمكة مرتداً ، فقتله يوم الفتح نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي وهو ابن عمه . قال أبو عمر : ومن سنته ﷺ أنه قال : « لا أعفي أحداً قتل بعد أخذ الدية » . هذا من المسلمين^(٣) . وأما مقيس فارتد^(٤) أيضاً .

وأما هبار بن الأسود: فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ في سفهاء قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة ، فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها ، فسقطت على صخرة ، فألقت ذا بطنها ، وأهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن وجدتم هباراً فأحرقوه بالنار ، ثم قال : اقتلوه فإنه لا يُعذب بالنار إلا ربُّ النار . فلم يوجد يوم الفتح ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ .

وذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجراً جعلوا يسبونهُ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : سُبَّ من سَبَّكَ . فانتهاوا عنه .

وأما قينتا ابن حَظَل فرَتْنَا وقريية فقتلت إحداهما واستؤمن رسول الله ﷺ للأخرى ، فأمنها ، فعاشت مدة ، ثم ماتت في حياة النبي ﷺ .

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة الشامية ٥/ ٣٤٠ : الحويرث بن ثقيذ ؛ بضم النون وفتح القاف وسكون التحتية فذال مهملة ، فراء مهملة .

(٢) سبق للمؤلف أن ذكر هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق ، ويبدو أنه تابع هنا ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة هشام بن ضبابة .

(٣) الدرر ص ٢٢٠ .

(٤) عبارة أبو عمر بن عبد البر في المصدر السابق : وأما مقيس بن ضبابة فارتد وقتل بعد أخذ الدية .

وأما سارة فاستؤمن لها أيضاً فأمنها عليه الصلاة والسلام فعاشت إلى أن أوطأها^(١) رجل فرساً بالأبطح في زمن عمر فماتت .

واستجار بأُم هانئ بنت أبي طالب رجلاً ، قيل : هما : الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية ، وقيل : أحدهما جعدة بن هبيرة . فأجارتها ، فأراد عليّ قتلها ، فدخلت إلى رسول الله ﷺ وهو يُصلي الضحى ، فذكرت ذلك له ، فأمضى جوارها ، وقال : قد أجرنا من أجرت وأمنّا من آمنّت . وأسلمت أُم هانئ يوم الفتح ، وهي شقيقة علي بن أبي طالب وعقيل وجعفر وطالب ، أمّهم فاطمة بنت أسد ، قيل : اسمها فاختة ، وقيل : هند . ومن حجة من قال إن اسمها هند قول زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي حين فر يوم الفتح ولم يسلم ولحق بنجران ومات على شركه من آيات أولها :

كذلك النوى أسابها وانفتالها ^(٢)	أشأقتك هند أم جفاك سؤلها
بنجران يسري بعد نوم خيالها	وقد أرقّت في رأس حصن ممرّد
وتعذّلي بالليل ، ضلّ ضلالها ^(٣)	وعاذلة هبّت عليّ تلومني
وعظّفت الأرحام منك جبالها	لئن كنت قد تابعت دين محمد
منّعة لا يُستطاع قلالها ^(٤)	فكوني على أعلى سحيق بهضبة
على أيّ حال أصبح اليوم حالها	فإني من قوم إذا جدّ جدّهم
إذا كثرت تحت العوالي مجالها ^(٥)	وإني لأحمي من وراء عشيّرتي
مخاريق ولدان يطيش ظلالها ^(٦)	وطارت بأيدي القوم بيض كائنها
لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها	وإنّ كلام المرء في غير كنهه

(١) « أوطأها » : حملها عليه فوطئها ، أي داسها . وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة . انظر الإصابة ٣٢٣/٤ .

(٢) « انفتالها » : تقلبها من حال إلى حال .

(٣) « ضلّ ضلالها » : هذا دعاء عليها بالضلال .

(٤) « سحيق » : بعيد . « قلالها » : جميع قلّة ، وهي القمة .

(٥) « العوالي » : الرماح الطويلة . « مجالها » : اسم مكان من الجَوْلان .

(٦) في السيرة النبوية ٤٢١/٢ : « وصارت » . و « مخاريق » : مناديل ، يعقد الأطفال طرف كل واحد منها ، يضرب بها بعضهم بعضاً في لعبهم .

بقية الخبر عن فتح مكة

ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن^(١) في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد بها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة ، فقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة^(٢) أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سيادة البيت وسقاية الحاج . ألا وقيل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلفة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ! إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ الآية [الحجرات : ١٣] ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا خيراً ، أتح كريم وابن أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس في المسجد ، فقام إليه علي ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم .

فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

وروينا عن عثمان بن طلحة ، من طريق ابن سعد ، قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل — يعني النبي ﷺ — يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فعُلِظْ عليه وثُلُث منه ، وحُلِم عني ، ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلكك قريش يومئذ وذُلَّت . فقال : بل عُمِرْتَ وعَزَّت يومئذ . ودخل الكعبة ، فوقع كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصيرُ إلى ما قال .

(١) «مِحْجَن» : بعضاً معقوفة الرأس .

(٢) «مَأْتِرَةٌ» : مكرمة ومفخرة معروفة موروثية .

وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال له يوم الفتح : يا عثمان أن اتني بالمفتاح فأتيت به ، فأخذه مني ، ثم دفعه إلي ، وقال : خذوها تالدة خالدة لا يزعها منك إلا ظالم ، يا عثمان إن الله تعالى استأمنك على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

قال عثمان : فلما وَلَّيْتُ ناداني فرجعت إليه ، فقال : ألم يكن الذي قلت لك ؟ قال : فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله^(١) .

وروينا عن سعيد بن المسيب أن العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم ، فدفعه رسول الله ﷺ لعثمان^(٢) .

ودخل النبي ﷺ يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعُتَابُ بن أُسيد والحارث بن هشام جلوسٌ بفناء الكعبة ، فقال عُتَابُ : لقد أكرم الله أُسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصابة . فخرج عليهم النبي ﷺ ، فقال لهم : لقد علمتُ الذي قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعُتَابُ : نشهد أنك رسولُ الله ، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .

وروينا عن ابن إسحاق من طريق زياد البكائي ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شُرَيْح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته ، فقلت له : يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَّتْ خُزَاعَةُ على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً ، فقال : يا أيُّها الناس إن الله تعالى حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لأمريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمأ ، ولا يعصِد فيها شجراً . الحديث . وفيه : فقال عمرو لأبي شُرَيْح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بمحرماتها منكس ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية .. الحديث^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى ، وهذا الخبر ليس في شيء من الكتب الستة .

(٢) الخبر عن سعيد بن المسيب مرسل ، وليس في شيء من الكتب الستة ، وانظر نور النبراس ٢ ب/١٩٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤١٥ — ٤١٦ .

قلت : الذي وقع في الصحيح^(١) أن هذا الخبر لعمر بن سعيد بن العاص مع أبي شريح لا لعمر بن الزبير وهو الصواب . والوهم فيه عن من دون ابن إسحاق . وقد رواه يونس بن بكير عنه على الصواب .

وحين افتتح رسول الله ﷺ مكة وقف على الصفا يدعو وقد أهدت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه ، قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم . ذكره ابن هشام ، وذكر أن فضالة بن عмир بن الملوّح أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله ﷺ : فضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تُحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . فضحك النبي ﷺ ، ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه . قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلي فمررتُ بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلُم إلى الحديث . فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلُم إلى الحديث فقلت لا يأتي عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تُكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى يئناً والشرك يغشى وجهه الإظلام

وفر يومئذ صفوان بن أمية فاستأمن له عُمير بن وهب الجمحي رسول الله ﷺ ، فأمنه وأعطاه عِمامته التي دخل بها مكة ، فلحقه عُمير وهو يُريد أن يركب البحر ، فردّه ، فقال : يا رسول الله اجعلني بالخيار شهرين . فقال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل ، فأسلمت واستأمنت له رسول الله ﷺ ، فأمنه ، فلحقته باليمن ، فردته ، وأقرهما رسول الله ﷺ هو وصفوان على نكاحهما الأول .

(١) رواه البخاري في العلم والحج والمغازي (باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح رقم /٤٢٩٥/ ومسلم في الحج (باب تحريم مكة ..) رقم /١٣٥٤/ ، والترمذي في الحج (باب ما جاء في حرمة مكة) رقم /٨٠٩/ والنسائي في المناسك (باب تحريم القتال في الحرم) ٢٠٥/٥ - ٢٠٦ .

قال ابن سعد : ثم بعث رسول الله ﷺ تميم بن أسد الخزاعي فجذد أنصاب^(١) الحرم ، وحانت الظاهر فأذن بلال فوق ظهر الكعبة ، وقال رسول الله ﷺ : لا تُغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة— يعني على الكفر — ووقف رسول الله ﷺ بالحزورة^(٢) ، فقال : إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إليّ ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت . وبث رسول الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسرها ، منها العزى ومناة وسواع وبؤانة وذو الكفنين ، فنادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره^(٣) .

* * *

(١) « أنصاب الحرم » : حدوده .

(٢) « الحزورة » : سوق مكة آنذاك ، ومن معانيها : الراية الصغيرة . قال في نور النيراس : وقد دخلت الحزورة

في المسجد لما زيد فيه . لوحة ٢/ب ١٩٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٧/٢ .

وما قيل من الشعر يوم الفتح

قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الأصابع فالجواء
ديار من بني الحشاحاس قفر
وكانت لا يزال بها أنيس
فدع هذا ، ولكن من لطيف
لشعنا التي قد تيمنته
كان خبيئة من بيت رأس
إذا ما الأشريات ذكرن يوماً
توليها السلامة إن أئنا
ونشربها فتركنا ملوكاً
عدنا خيلنا إن لم نروها
ينازعن الأعنة مصفيات
تظلل جسادنا متمطرات
فإما تعرضوا عنا اعتمرتنا
والأفاضل جلاذ يوم

إلى عذراء منزلها خلأ^(١)
تغفيها الروامس والسما^(٢)
خلال مروجها نغم وشاء
يورقني إذا هب العشاء
فليس لقلبي منها شفاء^(٣)
يكون مزاجها عسل وماء^(٤)
فهن لطيب الراح الفداء^(٥)
إذا ما كان معث أو لحاء^(٦)
وأشد لا ينهنهننا اللقاء
تثير النقع موعدها كداء^(٧)
على أكافها الأسئل الظماء^(٨)
تلطمهن بالخمير النساء^(٩)
فكان الفتح وانكشف الغطاء
يعين الله فيه من يشاء

(١) سيأتي شرح الغريب في فوائذ المؤلف ص ٢٤٦ .

(٢) « خبيئة » كذا في الأصل ، وفي « د » : سبيبة : وما بمعنى : الخمرة مصونة أو منقولة . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمير .

(٣) « الأشريات » : جمع أشربة ، فهي جمع الجمع .

(٤) « أئنا » : يقال : آلام الرجل ، إذا فعل ما يستحق عليه اللوم ، فهو ملوم .

(٥) « كداء » : موضع بأعلى مكة .

(٦) « مصفيات » : ماثلات منحرفات للطعن ، والأسئل : الرماح .

(٧) « متمطرات » : مسرعات . و« الخمير » : جمع خمار ، وهو ما تغطي المرأة به رأسها ووجهها .

وجبريل رسول الله فينا
وقال الله قد أرسلت عبداً
شهدت به فقوموا صدقوه
وقال الله قد يسرت جنداً
لنا في كل يومٍ من معدٍ
فنحكم بالقواي من هجانا
ألا أبلغ أبا سفيان عني
بأن سيوفنا تركتكم عبداً
هجوت محمداً فأجبت عنه
أتهجوه ولست له بكفاء
هجوت مباركاً براً خيفاً
فمن يهجو رسول الله منكم
فإن أبي ووالده وعرضي
لساني صارم لا عيب فيه

وقال أنس بن زُنيم يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما قال فيهم عمرو بن سالم من أبيات :
وما حملت من ناقةٍ فوق رجليها
أحت على خير وأسبغ نائلاً
وأكسى لبريد الخال قبل ابتذاله
تعلم رسول الله أنك مدركي
تعلم رسول الله أنك قادر
أبر وأوفى ذمة من محمد
إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأعطى لرأس السابق المتجرد^(١)
وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
على كل صيرم ، متهمين ومنجد^(٢)

(١) « غرضتها اللقاء » : عادتها أن تتعرض له ، فهي قوية عليه .

(٢) أبا سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ﷺ ، وكان هجا النبي ﷺ قبل أن يسلم . « مغلة » : رسالة تُرسل من بلد إلى آخر .

(٣) « السابق المتجرد » : الفرس السابق .

(٤) « صيرم » : بيوت مجتمعة .

تَعْلَمُ أَنَّ الرِّكْبَ رَكْبُ عُوَيْرٍ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلَفُونَ كُلُّ مُوَعِدٍ
وَيُبْنَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّى هَجَوْتُهُ فَلَا حَمْلَتَ سَوَاطِي إِلَيَّ إِذَا يَدِي

ذكر فوائد تتعلق بخبر الفتح

سوى ما تقدم

- الوتر : ماء الخزاعة ، وهي في كلام العرب : الورد الأبيض . والعنّان : السحاب .
- وقوله * قد كنتُم ولداً وكُنّا والدأ * يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والولّد : الولد .
- وقوله « ثمت أسلمت » : من السلم ؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد . وفيه * هم قتلونا ركعاً وسجداً * يدل على أن فيهم من كان أسلم وصلى . قاله السهيلي .
- وحاطب بن أبي بلتعة مولى عبيد الله بن حُميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، واسم أبي بلتعة عمرو . من ولده زياد بن عبد الرحمن شبطون . روى الموطأ عن مالك ، أن دلسي ، ولي قضاء طليطلة . قال السهيلي : وقد قيل إنه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب بن أبي بلتعة : إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو صار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنه منجز له ما وعده . قيل : وفي الخبر دليل على قتل الجاسوس ، لتعليقه عليه الصلاة والسلام المنع من قتله بشهوده بداراً .
- وحمشهم الحرب : يقال حمشت الرجل إذا أغضبته ، ويقال حمشت النار : إذا أوقدتها ، ويقال : حمست بالسين .
- وأبو سفيان بن الحارث : كان رضيع رسول الله ﷺ أرضعتهما حليلة ، وكان ألف الناس له قبل النبوة ، ثم كان أبعدهم عنه بعد ذلك ، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، ولم يُنقم عليه شيء بعد ذلك ، وهو الذي أشار إليه حسان بقوله :
ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلفة فقد برح الخفاء
فإنه هو الذي كان يهجو رسول الله قبل إسلامه .
- والحميت : الرُّقُ . والأحمس : الشديد ، والأحمس الذي لا خير عنده .

- ودخل عليه الصلاة والسلام مكة من ثنية كداء — بفتح الكاف والمد — من أعلاها ، حيث وقف إبراهيم عليه السلام ، فدعا لذريته وهو قوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] فاستجيب له تبركاً بذلك .
- والصَّيْلُم الصلعاء : الداهية .
- وخُنَيْس بن خالد : كذا هو عند ابن إسحاق ، وقد قُيِّد بالخاء المهملة المضمومة والباء الموحدة مفتوحةً والشين المعجمة .
- والنهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يُوصف به الأسد .
- وابن خَطَل : اسمه عبد الله ، وقيل : هلال ، وقيل بل هلال أخوه ، وكان يقال لهما الخطلان من بني تيم بن غالب .
- وصلاته عليه الصلاة والسلام في بيت أم هانئ ، قال السهيلي : هي صلاةالفتح تُعرف بذلك ، وكان الأمراء إذا افتتحوا بلداً يُصلُّونها ، وحكي عن الطبري قال : صلاها سعدُ بن أبي وقَّاص حين افتتح المدائن ، ودخل إيوانَ كسرى ، ثمان ركعات ، لا يفصلُ بينها ، ولا تُصلَّى بإمام ، ولا يُجهر فيها بالقراءة .
- وذات الأصابع والجِوَاء : منزلان بالشام .
- وعذراء : قرية بقرب دمشق معروفة .
- وبنو الحَسْحَاس : من بني أسد .
- والروامس : الرياح . والسماء : يعني المطر .
- وشعناء : بنت سلام بن مشكم اليهودي .
- وخير (كأن خبيثة) : محذوف ، تقديره كأن في فيها خبيثة ، نحو قوله : إِنَّ محلاً وَإِنَّ مرتحلاً ، أي : إِنَّ لنا محلاً .
- وألنا : أتينا بما يُلَام فاعله ، أي نصرُف اللوم إلى الخمر ، ونعتذرُ بالسُّكر .
- والمغث : الضرب باليد . واللَّحَاء : الملاحاة باللسان .

- وشُرُّ كما لخيرُ كما الفداء : أنصف بيت قالته العرب ، وهو من باب قوله عليه الصلاة والسلام : « شرُّ صفوف الرجال آخرُها » يُريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول . قال سيبويه : ولا يجوز أن يُريد التفضيل في الشر . حكاه أبو القاسم السبيلي .
- قال ابن إسحاق : وبلغني عن الزهري : أنه لما رأى رسولُ الله ﷺ النساءَ يُلطَّمنَ الخيلَ بالخُمُرِ تبسَّم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- وتُحكَم بالقوافي : أي نردُّ ، من حَكَمَة^(١) الدابة .
- وفي شعر أنس بن زُئيم : « وأعطي لبرد الخالِ » الخال : من بُرود اليمن ، وهو من رفيع الثياب .

* * *

(١) « حَكَمَة الدابة » : لجامها ، وبه تُرد وتُمنع . وسمي الحاكم حاكماً ؛ لأنه يردُّ الناسَ عن التعدي ، ويمنعهم عن الفساد .

سرية خالد بن الوليد

قال ابن سعد : ثم سرية خالد بن الوليد إلى العزى ، لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، ليهدمها ، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها ، فهدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره . فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فإنك لم تهدمها ، فارجع إليها فاهدمها ، فرجع خالد وهو متغيظ ، فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس ، فجعل السادن يصيح بها ، فضربها خالد فجزلها^(١) باثنتين ، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره . فقال : نعم ، تلك العزى ، وقد أيسست أن تُعبد ببلادكم أبداً ، وكانت بنخلة^(٢) ، وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت أعظم أصنامهم ، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم^(٣) .

سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع

ثم سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع في شهر رمضان سنة ثمان ، وهو صنم لهديل ليهدمه . قال عمرو : فانتفيت إليه وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ فقلت : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه . قال : لا تقدر على ذلك . قلت : لم ؟ قال : تُمنع . قلت : حتى الآن وأنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يُبصر . قال : فدنوت منه فكسرته ، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيها شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال أسلمت لله تعالى^(٤) .

سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مَنَاة

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مَنَاة في شهر رمضان سنة ثمان ، وكانت بالْمُشَلَّل^(٥) ،

(١) « فجزلها باثنتين » : الباء زائدة ، وجزله بالسيف يَجْزِلُه : قطعه جزلتين ؛ أي قطعتين .

(٢) « نخلة » : موضع بين مكة والطائف .

(٣) الطبقات الكبرى ١٤٥/٢ — ١٤٦ .

(٤) الطبقات الكبرى ١٤٦/٢ .

(٥) « المُشَلَّل » : من ناحية البحر ، وهو الجبل الذي يُهبط منه إلى قديد .

للأوس والخزرج وغسان .

فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن ، فقال السادن : ما تريد ؟ قال : هدم مناة . قال : أنت وذاك . فأقبل سعد يمشي إليها ، وتخرج إليه امرأة سوداء غريانة نائرة الرأس ، تدعو بالويل ، وتضرب صدرها ، فقال السادن : مناة دونك بعض عَصَاتِك ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ، ويُقبل^(١) إلى الصنم معه أصحابه فهدموه ، ولم يجدوا في خزانها شيئاً ، وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ لست بقين من شهر رمضان .

سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة

ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة ، وكانوا بأسفل مكة على ليلة بناحية يَلْمَلَم في شوال سنة ثمان وهو يوم العَمِيصَاء .

وهي عند ابن إسحاق قبل سريته لهدم العزى . وسياق ما أذكره لابن سعد : قال : قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه مُقاتلاً ، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سُليم ، فأنهى إليهم . قال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنّا فيها ، قال : فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة ، فحِضْنَا أَنْ تَكُونُوا هُمْ فَأَخَذْنَا السِّلَاحَ . قال : فضعوا السِّلَاحَ . فوضعوه . فقال لهم : استأسروا ، فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكثف بعضاً ، وفرّقهم في أصحابه ، فلما كان في السَّحَر نادى منادي خالد : مَنْ كَانَ مَعَهُ أُسِيرٌ فَلْيُذَافَهِ^(٢) ، والمُدَافَةُ : الإجهاز عليه بالسيف . فأما بنو سُليم فقتلوا من كان في أيديهم . وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسارهم . فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد . فقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » . وبعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره^(٣) .

(١) كذا في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ، وفي الأصول : « فأقبل » .

(٢) « فليُدَافَهِ » : تروى بالذال المهملة وبالذال المعجمة ، والمعنى واحد .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٤٧/٢ .

وعند ابن إسحاق في هذا الخبر أن خالداً قال لهم ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فلما وضعوه ، أمر بهم عند ذلك فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام . فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت . قد قتل قاتل أبي ، وإنما تأرت بعلمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أخذ ذهباً ، ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت عذوة رجل منهم ولا روحته .

وكان بنو جذيمة قتلوا الفاكه بن المغيرة وعوف بن عبد عوف قبل ذلك ، وقتل عبد الرحمن خالد بن هشام قاتل أبيه منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حنبل الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة هو في سني ، وقد جُمعت يده إلى عنقه برمة^(١) ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ! قلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعد فتصنعوا لي ما بدا لكم ؟ قال : قلت والله ليسير ما طلبت ، فأخذته برمته فقدمته بها ، حتى وقفته عليهن ، فقال : اسلمي حبيش على نفد^(٢) العيش :

أُرَيْتُكَ إِذْ طَالِبْتُكُمْ فوجدتكم	بِحَلِيَّةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بالخوانق ^(٣)
أَلَمْ أَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عاشقٌ	تَكَلَّفَ إدلاج السُرى والودائق
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا	أُتِي بَوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ ^(٤)
أُتِي بَوْدٌ قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ النوى	وَيُنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ ^{(٥) (٦)}

(١) « برمة » : الرمة : قطعة من الحبل .

(٢) سيأتي شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٥٢ .

(٣) سيأتي الشرح للغريب في فوائد المؤلف ص ٢٥٢ .

(٤) « أتي » : أنعمي ، و « الصفايق » : جمع صفيقة ، وهي الخطوب والحوادث .

(٥) « يشحط » : يبعد .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ، ٤٣١/٢ - ٤٣٤ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الصوري بقراءتي عليه بظاهر دمشق ، قلت : أخبركم الشيخان أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر في كتابهما إليك من أصبهان ؟ فأقر به ، قالوا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية ، قالت : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريدة ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا أحمد بن شعيب ؛ أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن حرب المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبي ﷺ بعث سرية فغنموا ، وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، عشقت امرأة ، فلحققتها ، فدعوني أنظر إليها ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، فإذا امرأة طويلة أدماء ، فقال لها : اسلمي حبيش قبل نفاذ العيش :

أَرَيْتُكَ^(١) لو تابعتكم فلهقتكم بحليّة أو أدركتكم بالخوانق
أما كان حقاً أن يُسَوَّلَ عاشقٌ تكلف إدلاج السرى والودائق

قالت : نعم فديتُك . قال فقدّموه فضربوا عنقه . فجاءت المرأة فوقعت عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم مات . فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « أما كان فيكم رجلٌ رحيم »^(٢) .

- الغميصاء : ماء لبني جذيمة .
- والنقد : مصدر نفد الشيء ؛ إذا فني .
- وحبيش : مرخم من حبيشة .
- وحليّة والخوانق : موضعان .
- والودائق : جمع وديقة ، وهي شدة الحر .

* * *

(١) في الأصول « أَرَيْتُ لَو تَبَعْتُمْ » والوزن يقتضي ما أثبتناه .

(٢) رواه النسائي ومنه ذكره السهيلي ، وأخرجه المؤلف من المعجم الأوسط للطبراني ؛ لأنه وقع له من المعجم أعلى برجل ، لكن في طريقه إجازة ، والله أعلم . نور التبراس لوحة ٨٣/٣ .

غزوة حُنين

وهي غزوة هوازن .

قال ابن إسحاق : ولما سمعتُ هوازن برسول الله ﷺ ، وما فتحَ الله عليه من مكة جمعها مالكُ بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، غابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدا منهم أحد له اسم ، وفي جشم دُرَيْد بن الصَّمَّة ، شيخٌ كبير ليس فيه شيء إلا التَّمَنُّ برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعاً مُحَرِّباً^(١) ، وفي ثقيف سيدان لهم ، وفي الأحلاف قَارِب بن الأسود بن مُعْتَب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحرر بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي ، فلما أجمعَ السيرَ إلى رسول الله ﷺ حَطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصَّمَّة ، فلما نزل قال : بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس . قال : نعم محلُّ^(٢) الخيل ، لا حَزَنٌ ضِرْسٌ^(٣) ولا سهلٌ دَهْسٌ^(٤) ، ما لي أسمع رُغاء البعير ونُهاق الحمير وبُكاء الصغير ويُعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف النَّصْرِي مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك . ودُعِيَ له . فقال : يا مالك ! إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خلف كل رجل أهله وماله ، ليقاتل عنهم . قال : فأنقض^(٥) به ، ثم قال : راعي ضأن والله . وهل يردُّ

(١) « مُحَرِّباً » : اسم فاعل من قولهم : أحربَ الرجل : إذا كان صاحبَ حروب .

(٢) في السيرة النبوية ، وفي زاد المعاد : « نعم مجال الخيل » .

(٣) « حَزَنٌ ضِرْسٌ » : مرتفع من الأرض ذو حجارة حادة .

(٤) « سهل دَهْسٌ » : لين كثير التراب .

(٥) « فأنقضَ به » : من الإنقاض ؛ وهو الزجر . وسيأتي شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

المنهزم شيء ، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد . قال : غاب الحدّ والحدّ^(١) ، لو كان يوم علاء ورفعة لم يغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم كما فعلت كعب وكلاب . فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذاك الحدّعان^(٢) من عامر ، لا ينفعان ولا يضران . يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٣) بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى مُتَمَتِّع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألقِ الصَّبِي^(٤) على متون الخيل ، وإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألقاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيعنني يا معشر هوازن ، أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون لدريد فيها ذكرٌ أو رأي . قالوا : أطعناك . فقال دريد بن الصِّمَّة : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني :

بِالْيَتَنِ فِيهَا جَذَعُ
أَحْبُ فِيهَا وَأَضَعُ^(٥)
أَقْسُودَ وَطَفَاءِ الزَّمْعِ^(٦)
كَأَنَّهُ شَاةٌ صَدَعُ^(٧)

- (١) « الحدّ والحدّ » : الحدّ : الحدة والشجاعة ، والحدّ بكسر الجيم ، ضد الهزل ، وبالفتح : الحفظ .
- (٢) « الحدّعان » : تثنية الجذع ، من الضَّان ، يُشير إلى ضعف خبرتهما بالحرب .
- (٣) « البيضة » : الجماعة .
- (٤) « الصَّبِي » : بالقصر ، كما في جميع النسخ ، جمع صَابٌ ، كغَارٍ وغَزَيٌّ ، اسم فاعل من قولهم : صَبَا يَصْبُو . والمقصود : الذين يشتهون من قومه ويميلون إليها ، ويُحبون التقدم فيها والبراز قال في النهاية : وقيل : إنما هو صَبَاءٌ ، جمع صَابِيء بالهمز . كشاهد وشهاد .
- (٥) « أَحْبُ » : من الحب ، وهو ضرب من السير ذو خطو فسيح . و« أضع » : من الوَضْع : وهو ضرب من السير أسرع من الحب .
- (٦) « وطفاء الزمع » : الزمع : الشعر الذي يكون فوق مربوط قيد الدابة ، والوطف : طول الشعر وطول الزمع : محمود في الخيل .
- (٧) « شاةٌ صدع » : المقصود بالشاة هنا : الوَعْل ، وهو تيس الجبل المعروف ، والصدع : المتوسط الحجم منه .

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفون^(١) سيوفكم ، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد . وبعث عُيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت^(٢) أوصلهم . قال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلاً بيضاً على خيل بلق ، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يُريد .

ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبي حذرد ، فدخل فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ . وسمع من مالك ، وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقَ فيه عدونا غداً . فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ، وهي مضمونة حتى نؤديها إليك . قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح . فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل . ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعمل عتَّاب بن أسيد على مكة أميراً ، ثم مضى يُريد لقاء هوازن^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حُنين انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوف حطوط^(٤) ، إنما تنحدر فيه انحداراً . قال : وفي عَمَاية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وأحناؤه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهبؤوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنحطون إلا الكنايبُ قد شُدُّوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناسُ راجعين لا يُلوي أحدٌ على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ، ثم قال : يا أيها الناس هلم إلي أنا

(١) « جفون سيوفكم » : أغمادها .

(٢) تفرقت أوصلهم : ارتعدت خوفاً .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٧/٢ — ٤٤٠ .

(٤) « أجوف حطوط » : متسع شديد الانحدار .

رسولُ الله ﷺ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلاشيء^(١) . حملت الإبلُ بعضَها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين وأهل بيته .

وفيمَن ثبت^(٢) معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر . ومن أهل بيته علي بن أبي طالب ، والعباس ، وأبو سفيان بن الحارث وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم أيمن — وقتل يومئذ — .

قال : ورجلٌ من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدركَ طعنَ برمح ، وإذا فاته الناس رفعَ رمحَه لمن وراءه فأتبعوه ، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب ورجلٌ من الأنصار يُريدانه . قال : فيأتي علي من خلفه فيضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثبَ الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه ، فانجحف^(٣) عن رحله . قال : واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعتُ راجعةً الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ^(٤) .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس — يعني المسلمين — ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضُّعْف ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر . وإن الأرقام لمعه في كِنانته .

(١) « فلا شيء » : أي فلم يستطع الأكثرون الإسراع لإجابته : فهل المباغتة .

(٢) نقل سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى عن بعض مشايخ مشايخه ؛ أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ عند الصدمة الأولى عشرة ، وعند ذكر المؤلف لأعمام وعمات رسول الله ﷺ ، مع من ذكرَ أسماءهم هنا يصل العدد إلى ثلاثة عشر رجلاً ، وذكر ابن الملقن عن الحارث بن النعمان : أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ مائة رجل . وفي الترمذي أنه ثبت معه مائة . وهذا الباب قابل للزيادة ، فمن وقف على أحدٍ ممن ثبت معه في حنين فليلاحظه ؛ نظراً للكثرة ، فقد خرج من المدينة عشرة آلاف ، وانضم من الطلقاء ألفان . والخلاصة أن من ثبت أولاً كان قليلاً ثم ازداد من المهاجرين والأنصار ، إذ عادوا مباشرة للذب عن رسول الله ﷺ ، وسيأتي هذا التوضيح ظاهراً فيما نقله المؤلف عن العباس بن عبد المطلب ؛ حينما دعا الأنصار إلى العودة والثبات . وانظر نور التبراس لوحة ٨٦/٣ .

(٣) « انجحف » : انقلع .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٤٢/٢ — ٤٤٣ .

وصرَّحَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ — وَصَوَّبَهُ ابْنُ هِشَامٍ : كَلْدَةً — : أَلَا بَطَلَ السِّحْرَ الْيَوْمَ . فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ — وَكَانَ بَعْدُ مُشْرِكاً — اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فَاكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ^(١) .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا عمر^(٢) بن عثمان الخزومي ، عن عبد الملك بن عُبيد ، قال محمد بن عمر : حدثنا خالد بن إلياس ، عن منصور بن عبد الرحمن الحَجَّجِي^(٣) ، عن أمه^(٤) وغيرها ، قالوا : كان شبيبة بن عثمان رجلاً صالحاً له فضل ، وكان يُحدِّث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ، ويقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات . ثم يقول : لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة غنوة ، قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بُحَيْنَ ، فمسي إن اختلطوا أن أُصيب من محمد غرة ، فأنارَ منه ، فأكون أنا الذي قمت بشار قريش كلها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحدٌ إلا اتبع محمداً ما تبعته أبداً ، وكنت مُرْصِداً لما خرجت له ، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة ، فلما اختلط الناس ، اقتحم رسول الله ﷺ ، عن بغلته وأصلت السيف ، فدنوت منه أريد ما أريد ، ورفعت سيفي حتى كدتُ أسوره^(٥) ، فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحُشني^(٦) ، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه ، والتفتُ إلى رسول الله ﷺ ، فناداني : يا شيبُ اذن . فدنوتُ ، فمسحَ صدري ، ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان . قال : فوالله لو كان ساعتئذٍ أحبُّ إلي من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهب

(١) المصدر السابق ٤٤٣/٢ — ٤٤٤ . ومعنى « يرُبني » : يملكني ويسوسني .

(٢) عمر بن عثمان الخزومي : اختلف في اسمه ، هل هو عُمر أو عمرو ، وذكره المزني في عمرو ؛ بفتح العين

وزيادة واو . ذكره ابن حبان في الثقات ، وأخرج له أبو داود . نور النبراس لوحة ٨٧/٣ .

(٣) منصور بن عبد الرحمن : منسوب إلى حجابة الكعبة ، روى عن أمه صفية ، قال أبو حاتم : صالح الحديث ،

وقال ابن سعد وغيره : ثقة ، مات سنة ١٣٧ هـ . ميزان الاعتدال ١٨٦/٤ .

(٤) في الأصول « عن أبيه » ، عن أمه وغيرها .. « والتصحيح من نور النبراس ، فإن زيادة « عن أبيه » من أخطاء

النساخ في هذا السند . وأمّه : هي صفية بنت شيبه الحاجب بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، العبدرية ،

يقال لها : رويه ، وحديثها عن النبي ﷺ في أبي داود والنسائي وابن ماجه .

(٥) « أسوره » : أعلوه .

(٦) « يمحشني » : يحرقني .

الله تعالى ما كان في ، ثم قال : ادنُ فقاتل . فتقدمت أمامه أضرب بسيفي ، الله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيت تلك الساعة أني لو كان حياً لأوقعت به السيف . فجعلت ألزمه فيمن لزمه ، حتى تراجع المسلمون ، وكروا كرة رجل واحد ، وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها ، فخرج في أثرهم ، حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره ، فدخل خيابه ، فدخلت عليه ، ما دخل عليه غيري حباً لرؤية وجهه ، وسروراً به ، فقال : يا شيبُ الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك . ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي ، مما لم أكن أذكره لأحد قط . قال : فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ثم قلت : استغفر لي . فقال : غفر الله لك .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لمع رسول الله ﷺ آخذٌ بحكمة بغلته البيضاء ، وقد شجرتها^(١) بها . قال : وكنت امرأً جسيماً شديداً الصوت . قال : ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس : إلى أين أيها الناس ؟ قال : فلم أرَ الناسَ يلوون على شيء ، فقال : يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السَّمة^(٢) ، فأجابوا : لبيك لبيك . قال : فيذهب الرجل ليشني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ، ويؤمُّ الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار ، ثم خلصت أخيراً يا للخزرج ، وكانوا ضبُراً عند الحرب . فأشرف رسولُ الله ﷺ في ركائبه ، فنظر إلى مُجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس^(٣) . وزاد غيره :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفي صحيح مسلم : ثم أخذ رسولُ الله ﷺ حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال :

(١) « شجرتها بها » : ضربتها بالحكمة (اللجام) .

(٢) « السمة » : شجرة كبيرة ذات شوك ، والمقصود : من بايعوا رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان .

(٣) « السيرة النبوية » : لابن هشام ٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥ ، « الوطيس » : التنور .

« انهزموا ورب محمد » ثم قال : فما هو إلا أن رماهم ، فما زلت أرى حَدَّهم قليلاً وأمرهم مُدبراً^(١) . ومن رواية أخرى أن النبي ﷺ نزل عن البغلة ثم قبضَ قبضةً من تراب الأرض ، ثم استقبلَ بها وجوههم ، فقال : « شَاهَتِ الوجوه » فما خلقَ الله تعالى منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ، فولَّوْا مدبرين^(٢) .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، أنه حَدَّثَ عن جُبَيْر بن مُطْعَم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم — والناسُ يقتلون — مثل الجِباد^(٣) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقطَ بيننا وبين القوم ، فنظرتُ فإذا غُملٌ أسود مَبْثُوثٌ قد ملأ الوادي ، لم أَشكُ أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم^(٤) .

قال ابن إسحاق : ولما انهزمت هوازنُ استحرَّ القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً . ولما انهزم المشركون أثوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ، وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال فرُمي بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري — وهو ابن عمه — فقاتلهم ، ففتحَ الله عليه وهزمهم الله ، فيزعمون أن سلمةَ بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر فقتله .

وقال ابن سعد : قتل أبو عامر منهم تسعةٌ مُبَارَزَةً ، ثم برز العاشر مُعَلِّماً بعمامة صفراء فضرب أبا عامر فقتله ، واستخلفَ أبو عامر أبا موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتحَ الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اغفرْ لأبي عامر ، واجعله من أعلى أمتي في الجنة . ودعا لأبي موسى أيضاً .

وقُتِل من المسلمين أيضاً أئمن بن عُبيد^(٥) ، وهو ابن أم أئمن ، وسراقة بن الحارث ، ورقم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان — وعند ابن إسحاق : يزيد بن زمعة بن الأسود بن

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب في غزوة حنين) رقم ١٧٧٥/ .

(٢) انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٤٩/٢ .

(٤) في طبقات ابن سعد : أئمن بن عُبيد بن زيد الخزرجي ، وهو ابن أم أئمن ، أخو أسامة بن زيد لأمه .

المطلب بن أسد ، جمع به فرسٌ يقال له الجَنَاحُ ^(١) قُتِلَ — واستحرَّ القتلُ في بني نصر بن معاوية ، ثم في بني رثاب ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : اللهم اجزِ مصيبتهم .

ووقف مالك بن عوف على ثنية من الشايأ حتى مضى ضعفاء أصحابه وتناّم آخرهم ، ثم هرب فتحصّن في قصر يليه ، ويقال : دخل حصن ثقيف .

وأمر رسولُ الله ﷺ بالسبي والغنائم تُجمَع ، فجمع ذلك كله ، وحذروه إلى الجِعْرانة ، فوقف بها إلى أن انصرف رسولُ الله ﷺ من الطائف ، وهم في حظائر لهم يستظلون بها من الشمس . وكان السبي ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرون ألفاً ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، فاستأنى رسولُ الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدُهم ، وبدأ بالأموال فقسّمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أولَ الناس ، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : ابني يريد ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : ابني معاوية ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل . وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه . وأعطى النضر بن الحارث بن كلفة مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي خمسين بغيراً ، وأعطى مخزومة بن نوفل خمسين بغيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حُوَيْطَب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو الغامري خمسين من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل ، وأعطى عُيينة بن حصن مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل . فقال في ذلك شعراً ، فأعطاه مائة من الإبل . ويُقال خمسين .

وأعطى ذلك كله من الخمس وهو أثبتُّ الأقاويل عندنا .

ثم أمرَ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم فضّها على الناس ، فكانت سهمانهم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ، فإن كان فارساً أخذ ثنتي عشرة من الإبل وعشرين

(١) في جميع النسخ « الجَمَاح » ، والتصحيح من السيرة النبوية ، ونور النيراس لوحة ٩٠/٣ .

ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يُسهم له^(١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وَجِدَ هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه . فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يا رسول الله إن هذا الحيُّ من الأنصار قد وَجِدُوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قَسَمْتُ في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحيُّ من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ فقال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . قال : فجاء رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ؛ وجاء آخرون فردُّهم ، فلما اجتمعوا له ، أتى سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم ، وجة وجدعوها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلَّالاً فهذا كم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُ وأفضلُ . ثم قال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ، الله ورسوله المَنُ والفضلُ . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتُم ولصدقتُم : أتيتنا مُكذِّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لغاة^(٢) من الدنيا تألفتُ بها قوماً يُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنْتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلكَ النَّاسُ شِعْباً وسلكَتِ الأنصار شِعْباً لسلكْتُ شِعْبَ الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قَسْماً وحظاً . ثم انصرف

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٢/٢ — ١٥٣ .

(٢) « لغاة » : بمعجمتين ، وفي السيرة النبوية ، وبعض النسخ « لعاعة » بالمهملتين ، واللغاة : الكلال الحفيف ، والمعنى : أغضبتُم لأجل شيء يسير من الدنيا ؟!

رسول الله ﷺ وتفرقوا^(١) .

وقدمت الشفاء بنت الحارث بن عبد العزى ، أخت رسول الله ﷺ من الرضاة ، فقالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضه عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك . قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعني إلى قومك فعلت . قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ففعل . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية^(٢) .

وقال أبو عمر : فأسلمت ، فأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعماً وشاء . وسماها : حدافة ، وقال : الشفاء لقب .

وقدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ ، وهم أربعة عشر رجلاً ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسي . فقال أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً . فقال : أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأسل لكم الناس . فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عبيدة بن جحصن . أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال العباس بن مرداس : وهنتموني . وقال رسول الله ﷺ : إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بنبيهم ، وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه بأن يرده فسيبيل ذلك ، ومن أتى فليرد عليهم وليكن ذلك قرضاً علينا ؛ ست فرائض^(٣) من أول

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٩٨/٢ — ٥٠٠ .

(٢) المصدر السابق ٤٨٥/٢ .

(٣) عبارة السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « أما من تمسك منكم بحقه من هذا السي ؛ فله بكل إنسان ست فرائض من أول سي أصيبه » .

و « الفرائض » : جمع فريضة ، وهي البعير ، وأصلها البعير المأخوذ في الزكاة ، سمي بذلك لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم سمي به البعير مطلقاً .

ما يُفيء الله علينا . قالوا : رضيْنَا وسلَّمنا . فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ غيرُ عَيينة بن حصن ، فإنه أُنِي أن يردَّ عجوزاً صارت في يديه منهم ، ثم رَدَّها بعد ذلك . وكان رسولُ الله ﷺ قد كَسَا السيِّ قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً^(١) .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح المقدسي سماعاً بالرُّعَيْزِيَّة^(٢) بمرج دمشق ، أنبأنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن رَوْح الصالحاني وأم حبيبة عائشة بنت الحافظ أبي أحمد معمر بن الفاخر الأصهبانيان إجازةً منهما ، قالَا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم بن عقيل الجوزدانية ، قال الأول سماعاً ، وقالت الثانية حضوراً ، قالت : أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيْذَة ، أنبأنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا عبيد الله بن رُمَاحس القيسي برمادة^(٣) الرملة سنة أربع وسبعين ومائتين ، حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق — وكان قد أتت عليه مائة وعشرون سنة — قال : سمعتُ أبا جروول زهير بن صُرد الجُشَمي يقول : لما أَسَرْنَا رسولُ الله ﷺ يوم حُنين يوم هوازن ، وذهب يفرق السيِّ والشاء ، أتيتهُ فَأَنشَأْتُ أقول هذا الشعر :

فإنك المرء نرجوه ونتنظر	امنن علينا رسول الله في كرم
مُشَّتْ شملُها في دهرها غير ^(٤)	امنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ
على قلوبهم الغمَاء والعَمَرُ	أبقت لنا الدهرَ هَتَافاً على حَزَنٍ
يا أرجحَ النَّاسِ حِلْماً حين يُختبر	إن لم تداركهمُ نعماء تنشرُها
إذ فوك تملؤهُ من مَحْضِها الدَّرَرُ ^(٥)	امنن على نسوةٍ قد كنت تَرْضَعُها
وإذ يَزِينُكَ ما تَأْتِي وما تَذَرُ	إذ أنت طفل صغير كنت تَرْضَعُها

(١) « قُبْطِيَّة » : ضمت قافُها على غير قياس ، والتزموا كسرُها في نسبة الإنسان ، جمعها قباطي ، نسبة إلى

القبط ، وهي ثوب رقيق أبيض مصنوع في مصر .

(٢) « الرُّعَيْزِيَّة » : قرية بمرج دمشق ، من غوطتها الشرقية .

(٣) « رمادة الرملة » : وهي رمادة فلسطين ؛ كما في معجم البلدان ٦٦/٣ .

(٤) « على بيضة » : البيضة هنا الأصل والعشيرة .

(٥) « محضها » : حليبها الخالص . و « الدرر » : ما يدره ثديها من الحليب .

لا تجعللنا كمن شالت نعامته
 إنا لنشكرُ للنعماء إذ كُفرتُ
 فألبس العفو من قد كنت ترضعه
 ياخير من مَرَحَتْ كُنتُ الجياد به
 إنا نُؤمِّل عفواً منك ثلبسه
 فاعفُ عفا الله عما أنت راهبه
 واستبق منا فإننا معشر زهُرُ^(١)
 وعندنا بعد هذا اليوم مَذْخَرُ
 من أمهاتك إن العفو مُشْتَهَرُ
 عند الهياج إذا ما استوقد الشرُّ^(٢)
 هذي البرية إذ تعفو وتتنصرُ
 يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفرُ

قال : فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر قال : « ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم » . وقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله . وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله .

قال الظيراني : لا يروى عن زهير بن صرد بهذا التمام إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عبيد الله بن رباحس .

ومما قيل من الشعر في يوم حنين : قول العباس بن مرداس السلمي :

عفى مَجْدَلٌ من أهله فَمُتَالِغٌ فَمِطْلَى أُرَيْكٍ قد خلا فالمصانعُ^(٣)
 ديار لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عِشْنِيا رخيَّ وصَرْفُ الدهر للحَيِّ جامعُ^(٤)
 حُبِيَّةٌ أُلُوْتُ بها غُرْبَةُ النَّوَى لبني، فهل ماضٍ من العيش راجعُ؟^(٥)
 فإن تتبع الكفار غير ملومة فلا بني وزيرٍ للنبيِّ وتابعُ
 دعانا إليه خيرٌ وفدٍ عَلِمْتُهُمْ خُزَيْمَةُ والمَرَارُ منهم وواسعُ^(٦)

(١) « شالت نعامته » : النعمة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت . ومن هلك ارتفعت رجلاه فبانت نعامته ، فالتركيب كناية عن الهلاك .

(٢) « كُنتُ » : جميع كميته ، وهو ما كان لونه أحمر ضارب إلى السواد ، و« مَرَحَتْ » : نشطت .

(٣) « مُتَالِغٌ » : جبل بنجد . و« أُرَيْكٍ » : موضع في ديار ذبيان . و« المصانع » : مستودعات تُصنع للماء مثل الصهاريج . وانظر شرح غيرها من الألفاظ الغريبة في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

(٤) « جُمْلُ » : اسم امرأة . و« صَرْفُ الدهر » : في الأصول : « صَرْفُ الدار » والتصحيح من السيرة الشامية ٥٠٤/٥ . وصَرْفه : تغيره .

(٥) « حُبِيَّةٌ » : تصغير حبيبة ، وفي السيرة الشامية « حُبِيَّة » وقال : نسبة إلى بني حبيب . و« أُلُوْتُ بها » غيرتها .

(٦) « خُزَيْمَةُ والمَرَارُ وواسع » : ثلاثهم ممن وفد على رسول الله ﷺ من بني سليم .

فجئنا بألفٍ من سُليمٍ عليهم
نبايعُه بالأخشبين وإنما
فجئنا مع المهديّ مكة عنوةً
علانيةً والخيْلُ يغشى مُتوتها
ويومَ حنينٍ حين سارث هوازن
صبرنا مع الضحّاك لا يستفزنا
أمامَ رسولِ الله يخفي فوقنا
عشيّةَ ضحّاك بن سفيان مُعتصِر
نذود أخانا عن أحنينا ولو نرى
ولكنّ دينَ الله دينَ محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا

وقوله :

ما بالُ عينك فيها عائرٌ سَهْرُ
عينٍ تأوَّبها من شجوها أرقُ
كانه نظمٌ دُرٌّ عند ناظمه
يا بعدَ منزلٍ من ترجو مودّته
دع ما تقدّم من عهد الشباب فقد

لبوسٌ لهم من نسجِ داودَ رائِع
يدُ الله بين الأخشبين بُبايعُ
بأسيفنا والنقْعُ كابٍ وساطعُ^(١)
حميمٌ وأنّ من دمِ الجوفِ نافعُ^(٢)
إلينا وضّاقت بالنفوس الأضالعُ
قراعُ الأعادي منهم والوقائعُ^(٣)
لواء كخُذروف السحابة لايمعُ^(٤)
بسيف رسول اللّٰه والموت كانعُ^(٥)
مصالاً لكنّا الأقربين تُتابعُ^(٦)
رضينا به ، فيه الهدى والشرائعُ
وليس لأمرٍ حمّه اللّٰه دافعُ^(٧)

مِثْلُ الحماطة أغضى فوقها الشُّفْرُ^(٨)
فالماء يغمرها طَوْرًا وينحدرُ^(٩)
تَقَطَّعَ السِّلْكُ منه فهو منتشر
ومَنْ أتى دُونَهُ الصُّمَّانُ فَالْحَفْرُ
ولّى الشباب وزار الشيبُ والدُّعْرُ^(١٠)

(١) « كابٍ » : مرتفع ، و« ساطع » : متفرق .

(٢) « حميم » : غَرَقَ ، و« أن » : دم حار ، و« نافع » : كثير .

(٣) « الضحّاك » : انظر نسبه في فوائده المُولف ص ٢٦٧ .

(٤) « خذروف السحابة » : انظر الشرح في فوائده المُولف ص ٢٦٧ .

(٥) « مُعتص » : اسم فاعل ، من قوهم : اعتصى القوم بالسيف ؛ إذا ضاربوا بها .

(٦) انظر شرح الألفاظ ومعنى البيت في فوائده المُولف ص ٢٦٧ .

(٧) « حمّه الله » : قضاه وقدره .

(٨) « الشُّفْر » : وأصلها بسكون الفاء ، وحُرّكت بالضم إبتاعاً ، وهو أصل منبت شعر الجفن .

(٩) « تأوَّبها » : جاءها مع الليل .

(١٠) « الدُّعْر » : الخوف ، وتروى « الزُّعْر » : وهو قلة الشعر .

واذكر بلاء سليم في مواطنها
 قوم هم نصروا الرحمن وأبغضوا
 لا يغرسون فسيل النخل وسطهم
 إلا سواج كالعقبان مقرنة
 يدعى خفاف وعوف في جوانبها
 الضاربون جنود الشرك ضاحية
 حتى رفعنا وقتلاهم كأنهم
 ونحن يوم حنين كان مشهدنا
 إذ نركب الموت مخضراً بطائنه
 تحت اللوامع والضحاك يقدمنا
 في مأزق من مكر الحرب كلكلها
 وقد صبرنا بأوطاس أسبنا
 حتى تأوب أقوام منازلهم
 فما ترى معشراً قتلوا ولا كثرُوا

وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
 دين الرسول وأمر الناس مُشْتَجِرُ
 ولا تخاور في مشتاهم البقر^(١)
 في دارة حولها الأخطار والعكر^(٢)
 وحي ذكوان لا ميل ولا ضجر^(٣)
 يطن مكة والأرواح تبتدر
 نخل بظاهرة البطحاء مُنْفَعِرُ
 للدين عزاً وعند الله مُدْخِرُ
 والخيْلُ ينجاب عنها ساطع كدير
 كما مشى الليث في غاباته الحدير^(٤)
 تكاد تأفل منه الشمس والقمر
 لله نصر من شئنا وننصر
 لولا المليك ولولا نحن ما صدرُوا
 إلا وأصبح منا فيهم أثر

وقد تركت من شعر العباس ما يبدو فضله ويُستحسن مثله ، إشاراً للاختصار ،
 والله تعالى أعلم .

* * *

- (١) يُريد أنهم ليسوا أهل زرع ، ولا أهل تربية نَعَم ، وإنما أهل حرب وانتقال .
- (٢) انظر الشرح في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .
- (٣) « خفاف » : هو ابن عُمير بن الحارث ، من شعرائهم المعبودين ، المعروف بابن ندية ، ممن شهد حُنيناً ، وثبت على إسلامه في الردة . نور النبراس لوحة ٩٨/٣ .
- وه « عوف » : هو ابن أبي عوف الأشجعي ، أول مشاهده خبير ، وشهد الفتح ، وكانت معه راية أشجع رضي الله عنه ، عمر دهرًا ، وسكن الشام ، وتوفي في إمرة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ . نور النبراس لوحة ٩٨/٣ .
- (٤) « الحدير » : الداخل في خدره ؛ أي في عرينه .

ذكر فوائد تتعلق بغزوة حُنين

وما اتصلَ بها

- حنين بن قانية بن مهلائيل هو الذي يُنسب إليه الموضع . وهي غزوة حُنين وهوَازن وأوطاس ، سميت بأوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة أخيراً حيث اجتمع فلألهم ، وتوجّه إليهم أبو عامر الأشعري كما سبق .
- والوطيس : التنور ، وفي هذه الغزوة قال عليه الصلاة والسلام : « الآن حمي الوطيسُ » حين استعرت الحرب ، وهي من الكلم التي لم يُسبق إليها ﷺ ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير هذه الوقعة : « يا خيلَ الله اركبي » .
- وقوله : « فأنقضَ به » أي صوّتَ بلسانه في فيه ، من النقيض وهو الصوت .
- وقوله : « راعي ضأن » يجهّله بذلك .
- وفرازُ من كان معه عليه الصلاة والسلام يوم حُنين ، قد أعقبه رُجوعهم إليه سَرَعَةً^(١) ، وقتالهم معه حتى كان الفتح ، ففي ذلك نزلت : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٥ — ٢٧] كما قال فيمن تولّى يوم أحد ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] وإن اختلف الحال في الواقعتين .
- ويوم حُنين قال عليه الصلاة والسلام : « من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » فصار حكماً مستمراً ، وقتل أبو طلحة يومئذ عشرين وأخذ أسلابهم ، وفي هذه المسألة خلاف بين العلماء ليس هذا موضع ذكره .
- وفي خير جُبَيْر بن مطعم عن رؤيته الملائكة : رأيت مثل البَجَاد من الثمل — والبجاد : الكساء — وقد قال غيره يومئذ : رأيتُ رجالاً بيضاً على خيل بلقٍ ، فكانت الملائكة .

(١) « سَرَعَةٌ » : مُسرِعين ، والمفرد منها : سارع ، والفعل : سَرَعَ ، مثل كاتب وكتبة ، وبار وبررة .

● والبغلة التي كان عليها النبي ﷺ يومئذ : هي المسماة « فضة » التي أهداها له فروة بن نفاثة .

● والمجدل : القصر ، وهو في هذا البيت اسم علم لمكان .

● ومِطْلَاء : يُمدُّ ويُقصر ، وهي أرض تعقلُ الرجلَ عن المشي .

● وتُخدروف السحاب : أراد به البرق الذي في السحاب .

● وكانع : حاضر نازل .

● والضحاك بن سفيان : كانت بيده رايةٌ سُليم يوم حُنين . قال البرقي : ليس هو

الضحاك بن سفيان الكلابي ، إنما هو الضحاك بن سفيان السلمي . وفي رواية غير البكائي عن ابن إسحاق رفع نسبه إلى بهته بن سُليم ، لم يذكر أبو عمر السلمي .

● وقوله : ندود أخانا .. البيت : يُريد أنه من سُليم ، وسُليم من قيس ، كما أن هوازن من

قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس . ومعناه : نقاتل إخواننا وندودهم عن إخواننا من سُليم ، ولو نرى في حُكم الدِّين مَصالاً : مَفْعَلاً ، من الصولة لكننا مع الأقربين يريد هوازن .

● والحماطة : من ورق الشجر ما فيه خشونة .

● والعائر : كالشيء يَنْخَسُ في العين لأنه يُعَوِّرها .

● والسَّهْرُ : الرجل ، لأنه لَمَّا لم يُفتر عنه ، فكأنه سَهَرَ ولم ينم .

● والصَّمان والحَفْرُ : موضعان .

● وقوله لا يغرسون فَسِيلَ النخل : يعني أهل المدينة ، يُعِيرُهُم بذلك .

● والمَقْرَبَةُ : الخيل التي قُرِّبَتْ مرابطها .

● والأخطار : جمع خطر ، وهو القطيع الضخم من الإبل .

● والعَمَكِر : ما فوق خمسمائة من الإبل .

● وضاحية كل شيء : نواحيه البارزة . والظاهرة من الأرض : ما غُلِظَ منها .

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

إلى ذي الكفين في شوال سنة ثمان

قال ابن سعد : لما أراد رسولُ الله ﷺ المسير إلى الطائف ، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين — صنم عمرو بن حُمة الدوسي — يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين ، وجعل يحشُّ^(١) النار في وجهه ويحرقه ، ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبَادِكَ ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكَ
أنا حششتُ النَّارَ في فؤادِكَ

قال : وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعاً ، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام ، وقدم بدبابة^(٢) ومنجنيق ، وقال : يا معشر الأزد من يحملُ رايَكم ، فقال الطفيل : من كان يحملُها في الجاهلية ؟ قالوا : النعمان بن الرازية اللُهي . قال : أصبتم^(٣) .

* * *

(١) « يحشُّ النار » : يُوقدها .

(٢) « بدبابة » : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال ، فيدنون بها إلى الأسوار ؛ لينقبوها .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٧/٢ .

غزوة الطائف

في شوال سنة ثمان

قال ابن سعد : قالوا : خرج رسول الله ﷺ من حنين يُريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ، وقد كانت ثقيف رَمَوْا^(١) حصنهم ، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم ، وتهيؤوا للقتال ، وسار رسول الله ﷺ فنزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرمَوْا المسلمين بالنبل رَمْياً شديداً كأنه رِجْل^(٢) جراد ، حتى أصيب من المسلمين ناس بجراحة ، وقُتل منهم اثنا عشر رجلاً ، فارتفع رسول الله ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين ، وكان يُصلِّي بين القبتين حصار الطائف كله ، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ، ويُقال خمسة عشر يوماً^(٣) .

وقال ابن إسحاق : بضعاً وعشرين ليلة . وقال ابن هشام : سبعة عشر يوماً ، ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول ما رمى به في الإسلام فيما ذكر ابن هشام^(٤) .

وروي عن ابن سعد قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة ، أخبرنا سفيان الثوري ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ؛ أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً^(٥) .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشُّذْحَةِ عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجلاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون^(٦) .

(١) « رَمَوْا حصنهم » : أصلوه ورَمَوْه .

(٢) « رِجْلُ جراد » : بكسر الراء ، الكثير منه .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٨/٢ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٢/٢ — ٤٨٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ١٥٩/٢ .

قال ابن سعد : ثم سأله أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله ﷺ : فإني أدعها لله وللرحم . ونادى منادي رسول الله ﷺ أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر . فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بكر ، نزل في بكره^(١) ، فقيل : أبو بكر . فتعقهم رسول الله ﷺ ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يؤمنه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف .

واستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : ما ترى ؟ فقال : ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل ، فضج الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله ﷺ : فاعدوا على القتال . فعدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال رسول الله ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله ، فسروا بذلك ، وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك ، وقال لهم رسول الله ﷺ : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحلوا واستقلوا ، قال : قولوا : آييون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون . وقيل : يا رسول الله ادع الله على ثقيف . قال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين^(٢) . والله تعالى أعلم .

تسمية من استشهد بالطائف مع رسول الله ﷺ

عن ابن إسحاق : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وعرفطة بن جناب حليف لهم من الأزدي بن الغوث ، قال ابن هشام : ويقال : ابن حباب . وعبد الله بن أبي بكر الصديق ، رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي ؛ حليف لهم ، والسائب بن الحارث السهمي ، وأخوه عبد الله^(٣) .

ومن بني سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

(١) « بكره » : خشبة مستديرة في وسطها مخز يجري فيه الحبل ، والبكره : يُستقى عليها .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٢٠٢ .

(٣) هؤلاء كلهم من قريش .

ومن الأنصار : ثابت بن الجَدَّع السَّلَمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني النجاري ، والمنذر بن عبد الله الساعدي^(١) . ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة^(٢) .

ثم خرج رسول الله ﷺ عن الطائف إلى الجعرانة ، وبها قسم غنائم حنين كما تقدم .

قال ابن سعد : ثم بعث رسول الله ﷺ المصدقين^(٣) ، قالوا : لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين ، يُصدقون العرب ، فبعث عُيينة بن حصن إلى بني تميم ، وبعث بُريدة بن الحُصيب إلى أسلم وغفار ، ويقال : بعث كعب بن مالك ، وبعث عبَّاد بن بشر الأشجلي إلى سليم ومُزينة ، وبعث رافع بن مكيث إلى جُهينة ، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة ، وبعث الضحَّاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب ، وبعث بُسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب ، وبعث ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان ، وبعث رجلاً من بني سعد هُذيم على صدقاتهم . وأمر رسول الله ﷺ مصدقيه أن يأخذوا العفو منهم ، ويتوقَّوا كرائم أموالهم^(٤) .

قال ابن إسحاق : وبعث المهاجرين أبي أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد إلى حضرموت ، وبعث عدي بن حاتم على طيء وبني أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وفرَّق صدقات بني سعد على رجلين : الزُّبيرقان بن بدر على ناحية ، وقيس بن عاصم على ناحية ، والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث علياً إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم^(٥) .

* * *

(١) هؤلاء الثلاثة من الخزرج .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٦/٢ — ٤٨٧ .

(٣) « المصدقين » : جباة الزكاة .

(٤) الطبقات الكبرى ١٦٠/٢ .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٠/٢ .

سرية عُيْنَةَ بنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ

وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم وذلك في المحرم سنة تسع

قالوا : بعث رسولُ الله ﷺ عُيْنَةَ بنَ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي خَمْسِينَ فَارِساً مِنْ الْعَرَبِ ، لَيْسَ فِيهِمْ مَهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ ، فَدَخَلُوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَّوْا ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَشَرَ رَجُلًا ، وَوَجَدُوا فِي الْمَحَلَّةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا ، فَجَلَبَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحُجِسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ (١) مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، عَطَارْدُ بْنُ حَاجِبٍ ، وَالزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، وَقَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَنَعِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ ، وَرَبَاحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَجَاشِعٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَكَى إِلَيْهِمُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ ، فَعَجَّلُوا فَجَاؤُوا إِلَى بَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَادَوْا : يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَقَامَ بِلَالُ الصَّلَاةَ ، وَتَعَلَّقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُونَهُ ، فَوَقَّفَ مَعَهُمْ ، ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ جَلَسَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ ، فَقَدَّمُوا عَطَارْدُ بْنُ حَاجِبٍ فَتَكَلَّمَ وَخَطَبَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ فَأُجَابَهُمْ ، وَنَزَلَ فِيهِمْ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الْحُجُرَاتِ : ٤] فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَسْرَى وَالسِّيَّ (٢) .

وذكر ابن إسحاق ما وقع بينهما من المفاخرة ، وما وقع بين الشعارين الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْمَفَاخِرَةِ نِظْمًا ، فَأَنشَدَ الزُّبَيْرُ قَانُ :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِمَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تَنْصَبُ الْبَيْعُ (٣)
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ عِنْدَ الثَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

(١) فِي « ب » : زِيَادَةٌ : قَبْلَ : كَانُوا سَبْعِينَ .

(٢) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ١٦٠/٢ - ١٦١ .

(٣) « الْبَيْعُ » : جَمْعُ بَيْعَةٍ ، بِكَسْرِ الْبَاءِ ، مَوَاضِعُ الصَّلَوَاتِ وَالْعِبَادَاتِ .

وَنَحْنُ يُطْعَمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمُنَا
أَمَّا تَرَى النَّاسَ يَأْتِينَا سَرَائِهِمْ
فَنَنْحَرُ الْكُومَ غُبْطاً فِي أُرُومَتِنَا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْنِي لَنَا أَحَدٌ
وَأَنْشِدْ لِحَسَانٍ مُجِيباً لَهُ :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارِبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةً تَلِكْ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ
أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْنُهُمْ
لَا يَخْلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا لَحْيً لَمْ تَدِبْ لَهُ
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبُهَا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتُ مَكْتَنَعٌ

مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ^(١)
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيّاً ثُمَّ نَصْطَنَعُ^(٢)
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبَعُوا^(٣)
إِلَّا اسْتَقَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَبَّعُ
تَقْوَى الْإِلَهِ ، وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ
أَوْ حَافِلُوا النِّفْعِ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ — فَاعْلَمْ — شَرُّهَا الْبَدْعُ
فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
عِنْدَ الدِّفَاعِ ، وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْتَدَى مَتَعُوا^(٤)
لَا يَطْطَعُونَ ، وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(٥)
كَأَيِّدُ إِلَى الْوَحْشِيَةِ الدَّرْعُ^(٦)
إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا حَشَعُوا
وَإِنْ أَصَابُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ
أُسْدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَاقِهَا فَدَعُ^(٧)

(١) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٧٥ .

(٢) « هَوِيّاً » : سراعاً .

(٣) « طَبَعُ » : الطبع : الدنس ، وهو من باب فَرَح ، وفي جميع النسخ والمطبوع اضطراب في اليتين ، والتصحيح من السيرة النبوية : لا بين هشام .

(٤) « مَكْتَنَعٌ » : دان ، و« حَلِيَّةٌ » : مأسدة بالين ، و« الْفَدَعُ » : اعوجاج الرسغ من اليد والرجل ، وهو في الأسود محمود ؛ لأنه يدل على قوتها وتمكنها في مشيها .

خذ منهم ما أتي عفواً إذا غضبوا
فإن في حربهم - فاترك عدائهم -
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره
فإنهم أفضل الأحياء كلهم
ولا يكن هتك الأمر الذي منعوا
شراً يُخاض عليه السم والسلع^(١)
إذا تفاوتت الأهواء والشيع
فما أجب لسان حائك صنع
إن جد بالناس جد القول أو سمعوا^(٢)

فلما فرغ حسان ، قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤث له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم^(٣) .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

والكلام على شيء من غريب شعره

- الأقرع بن حابس لقب ، واسمه فراس وكان في رأسه قرع فلُقب بذلك . ذكر ذلك عن ابن دريد .
- واسم عيينة بن حصن : حذيفة ، وكانت عينه جَحَظَتْ فلُقب بذلك .
- والزُّبرقان : القمر ، قال الشاعر :
تضيء به المنابرُ حين يرق
عليها مثل ضوء الزُّبرقان
والزُّبرقان : الخفيف العارضين ، واسمه الحصين .
- وقوله : إذا لم يؤنس القزع : يُريد إذا كان الجذب ، ولم يكن في السماء سحب ينقزع . والنقزع : تفرق السحاب .
- والكُوم : جمع كوما ، وهي العظيمة السنام .

(١) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٧٦ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٦٣/٢ - ٥٦٧ .

● والاعتباط : الموت في الحادثة . قال : من لم يمت عِبْطَةً يمت هَرماً .

● وَمَتَعُوا : ارتفعوا ، متع النهار إذا ارتفع .

● وَالذَّرْع : ولد البقر ، وجمعه ذُرْعان ، وبقرة مذرع : إذا كانت ذات ذُرْعان .

● وَالسَّلْع : شجر مر .

● وَشَمَعُوا : أي ضحكوا ، وفي الحديث « مَنْ تَتَبَعَ الْمَشْمَعَةَ شَمَعَ اللَّهُ بِهِ » يُرِيدُ مِنْ ضَحْكٍ مِنَ النَّاسِ وَأَفْرَطَ فِي الْمَزْح ، وَشَمَعَتِ الْجَارِيَةُ وَالْدَّابَّةُ شُمُوعاً : لعبت ، ومعناه في البيت هزلوا ، ومنه امرأة شموع ، إذا كانت مَزَاحَةً . وذكروا أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ كَانَ يُغَضُّ عَمْرُو بْنَ الْأَهْتَمِّ ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ أَبَاهُ فَهَتَمَ فَاهُ^(١) ، فَشَهَرَ بِالْأَهْتَمِّ ، وَاسْمُهُ سَيْنَانُ^(٢) بْنُ سُمَيٍّ ، فَغَضُّ مِنْهُ بَعْضُ الْغَضِّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَعْطَى الْقَوْمَ .

● وَلَمَّا دَارَ بَيْنَ عَمْرُو وَالزُّبْرِقَانِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ : إِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا . وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا قَالَ فِي الزُّبْرِقَانِ : إِنَّهُ لِمَطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، سَيِّدٌ فِي عَشِيرَتِهِ . فَقَالَ الزُّبْرِقَانُ : لَقَدْ حَسَدَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَشَرَفِي ، وَلَقَدْ عَلِمَ أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ . فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّهُ لَذَمِيرُ^(٣) الْمَرْوَةِ ، ضَيْقُ الْعَطَنِ^(٤) ، لَسِيمُ الْخَالِ . فَعُفِرَ الْإِنْكَارُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! رَضِيتُ ، فَقُلْتَ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتَ ، وَسَخَطْتُ فَقُلْتَ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتَ ، وَلَقَدْ صَدَقْتَ فِي الْأَوَّلَى وَمَا كَذَبْتَ فِي الثَّانِيَةِ . وَيُقَالُ كَانَتْ أُمُّ الزُّبْرِقَانِ بَاهِلِيَّةً ، فَذَلِكَ أَرَادَ عَمْرُو .

* * *

(١) « هَتَمَ فَاهُ » : كسر ثنائيته .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَهُوَ الصَّحِيحُ ؛ كَمَا أوردته الحفَظَاتُ ؛ كَأَنِّي عَمْرُو بْنُ الْحَوْزِيِّ ، وَانْظُرْ نُورَ النَّيرِاسِ لَوْحَةٍ ١٠٤/٣ .

(٣) « لَذَمِيرُ الْمَرْوَةِ » : القليل المرءة .

(٤) « الْعَطَنُ » : ميرك الإبل ، يُشِيرُ إِلَى بَحْلِهِ .

سرية قطبة بن عامر بن حديدة

إلى خعثم بناحية بيشة قريباً من تربة في صفر سنة تسع

قال ابن سعد : قالوا : بعث رسول الله ﷺ قطبة في عشرين رجلاً إلى حي من خنعم ، بناحية تبالة ، وأمره أن يشن الغارة ، فخرجوا على عشرة أبعة يعتقبونها ، فأخذوا رجلاً فسألوه ، فاستعجم^(١) عليهم ، فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم ، فضربوا عنقه ، ثم أقاموا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعاً ، وقتل قطبة بن عامر من قتل ، وساقوا التعم والشاء والنساء إلى المدينة ، وجاء سيلٌ أني فحال بينهم وبينه ، فما يجدون إليه سبيلاً ، وكانت سهمانهم أربعة أبعة ، والبعير يُعدّل بعشر من الغنم ، بعد أن أفرد الخمس^(٢) .

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

في شهر ربيع الأول سنة تسع

قالوا : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء ، عليهم الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر الكلابي ، ومعه الأضيء بن سلمة بن قرط ، فلقوهم بالزخ رُخ لآوة ، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا ، فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأضيء أباه سلمة ، وسلمة على فرس له في غدير الزخ ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبّه وسبّ دينه ، فضرب الأضيء عرقوبي فرس أبيه ، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء ، ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ، ولم يقتله ابنه^(٣) .

● الزخ : بالزاي والحاء المعجمتين^(٤) .

(١) « استعجم » : الاستعجام : السكوت ، والمقصود : امتناعه عن إجابته .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٠٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٢٠٧ .

(٤) « زج لآوه » بالميم ، قالوا : وهي موضع بضريّة من ناحية نجد ، وقال في نور النبراس : إنها تصحفت على المؤلف ، ولم أر أحداً ذكرها بالحاء . نور النبراس لوحة ٣/١٠٧ .

سرية علقمة بن مُجَزَّر المدلحي إلى الحبشة

في شهر ربيع الآخر سنة تسع

قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراهم أهلُ جُدة ، فبعث إليهم علقمة بن مُجَزَّر في ثلثائة ، فانتهى إلى جزيرة في البحر ، وقد خاض إليهم البحرَ فهربوا منه . فلما رجع تعجّل بعضُ القوم إلى أهلهم فأذن لهم ، فتعجل عبدُ الله بن حُذافة السهمي فيهم ، فأمره على من تعجّل ، وكانت فيه دُعابة ، فنزلوا ببعض الطريق ، وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون ، فقال : عزمت عليكم إلا توابتم في هذه النار . فقام بعضُ القوم فتحجّزوا حتى ظنّ أنهم واثبون فيها ، فقال : اجلسوا إنما كنتُ أضحك معكم . فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : من أمركم بمعصية فلا تُطيعوه^(١) .

سرية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

إلى الفُلس صنم طيء ، ليهدمه في التاريخ^(٢)

قالوا : بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، إلى الفُلس ليهدمه ، فشنوا الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر . فهدموا الفُلس وحرقوه ، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء . وفي السبي أخت عدي بن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام ، ووُجد في خزانة الفُلس ثلاثة أسياف : رُسوب ، والمُخَدَم ، وسيف يُقال له : اليماني . وثلاثة أذراع . واستعمل رسول الله ﷺ على السبي أبا قتادة ، واستعمل على الماشية ، والرّقة^(٣) عبد الله بن عتيك . فلما نزلوا رَكَك^(٤) . وعزل للنبي ﷺ صفيّاً : رُسوباً والمُخَدَم ، ثم صار له بعدُ السيف الآخر . وعزل الخمس ، وعزل آل حاتم ، فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة .

● والفُلس : بضم الفاء وسكون اللام .

(١) الطبقات الكبرى ٢٠٧/٢ .

(٢) « في التاريخ » أي في نفس تاريخ السرية السابقة ، وهو شهر ربيع الآخر سنة تسع .

(٣) « والرّقة » : جمعها رِقَات ؛ كصِفة وصفات ، وعدّة وعدّات ، الورق ، وهو الفضة والدراهم .

(٤) « ركك » : اسم موضع يقع شرق جبل سلمى من بلاد طيء .

سرية عُكَّاشة بن مُحَصَّن

إلى الجِباب أرض عُذرةَ وبليّ ، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة .

* * *

خبر كعب بن زهير مع النبي ﷺ وقصيدته وكان فيما بين رجوعه ﷺ من الطائف وغزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف ، كتب بُجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانح إلى نجائك^(١) ، وكان كعب قد قال :

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً	فهل لك فيما قلت - ويحك - هل لكأ ؟
فبين لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ	على أي شيء غير ذلك دلكنا ؟
على خلقٍ لم ألف أمأً ولا أبأً	عليه ، ولا تُلفي عليه أحأً لكأ
فإن أنتَ لم تفعل فليستَ بأسف	ولا قائل إما عثرت لعأ لكأ ^(٢)
سقاك بها المأمون كأساً رؤيئةً	فأنهلك المأمون منها وعلكأ ^(٢)

قال : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ : سقاك بها المأمون ؟ صدق ، وإنه لكذوب ، وأنا المأمون . ولما سمع : « على خلقٍ لم ألف أمأً ولا أبأً عليه » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه . ثم قال بُجير لكعب :

من مبلغ كعباً فهل لك في التي	تلوم عليها باطلاً وهي أحزم
إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده	فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يومٍ لا ينجو وليس بمفلتٍ	من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه	ودين أبي سلمى علي محرّم

(١) « إلى نجائك » : إلى محل يُنجيك منه .

(٢) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٨٧ .

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينة كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلّى مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ﷺ فقم إليه ، واستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً نازعاً^(١) . قال : فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته^(٢) التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بانت سعادُ فقلبي مَتَبُولٌ	مَتَيِّمٌ إثرها لم يُفَدَ ، مَكْبُولٌ ^(٣)
وما سعادُ غداةَ السَّينِ إذ رحلوا	إلا أغنُّ ، غُضِيضُ الطرف ، مَكْحُولٌ ^(٤)
تجلو عوارضُ ذي ظَلَمٍ إذا ابتسمتْ	كأنَّه مُنْهَلٌّ بالراح ، مَعْلُولٌ ^(٥)
شُجَّتْ بذِي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ ،	صافٍ ، بأبطَح أضحى ، وهو مَشْمُولٌ ^(٦)

(١) « نازعاً » تاركاً ما كان عليه .

(٢) سنقوم بشرح الألفاظ الغريبة في قصيدة كعب بن زهير ، التي لم تشملها فوائد المؤلف رحمه الله تعالى .

(٣) « متبول » ذاهب العقل ، و« متيم » : مذلل ، و« مكبول » مقيد .

(٤) في « ب » و« د » : إذ برزت . و« أغنُّ » : في صوته غنة ويكون الصوت كذلك إذا خرج من الحياشيم ، وهو معروف في الأطباء .

(٥) « عوارض » : العوارض : الأسنان كلها أو الضواحك منها . و« ذي ظَلَمٍ » : ذات ماء وبريق .

(٦) « مَحْنِيَةٍ » : المَحْنِيَةُ : منعطف الوادي ، وهو معروف عندهم بصفاء الماء وبرودته . « بأبطح » : الأبطح : المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى ، يُريد صفاءه أيضاً . « مشمول » : ضربته ريح الشمال فبرَد .

تنفي الرياح القذى عنه ، وأفرطه
ويل أمها حُلَّة لو أنها صدقت
لكنها حُلَّة قد سيط من دمها
فما تدوم على حال تقوم بها
وما تمسك بالوصل الذي زعمت
كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً
أرجو وأمل أن يعجلن في أمد
فلا يُغرُثك ما مئت وما وعدت
أمت سعاد بأرض لا يبلغها
ولا يبلغها إلا عذافرة
من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت
ترمي النجاد بعيني مفرد لهق

من صوب غادية ييض يعاليل^(١)
بوعدها ، أو لو أن النضح مقبول^(٢)
فجّع وولع ، وإخلاف وتبديل
كما تلوّن في أثوابها الغول^(٣)
إلا كما يمسك الماء الغرايل
وما مواعيدها إلا الأباطيل
وما هنّ - إخال - الدهر تعجيل^(٤)
إن الأماني والأحلام تضليل
إلا العتاق النجيات المراسيل
فيها على الأين إرقال وتبغيل^(٥)
غرّضتها طامس الأعلام مجهول^(٦)
إذا توقّدت الحزان والميل^(٧)

- (١) « صوب غادية » : الصوب : المطر ، والغادية : السحابة تُمطر في الغداة .
(٢) في « ج » و « هـ » أكرم بها حُلَّة . وفي السيرة النبوية : فيألفها حُلَّة . و « حُلَّة » : الحلة : الصديق الصافي الود ، وهي في الأصل مصدر بمعنى الصداقة ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] . يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث .
(٣) في « د » و « هـ » : فما تقوم على حال تكون بها . و « الغول » : يزعمون أن الغول تُرى في الفلاة بالوان شتى ، قيل : وهي ساحرة الجن .
(٤) السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام ص ١٦٢ :
أرجو وأمل أن تدنو موَدَّتُها وما إخال لَدَيْتَا منك تسويل
(٥) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ١٨٥ : لم يبلغها و « الأين » الإعياء والتعب .
(٦) « نضاجة » : كثيرة زشح العرق ، و « الذفرى » : النقرة التي خلف أذن الناقة أو البعير ، وهي أول ما يعرق منها ، مأخوذ من الذفر : وهو الرائحة الظاهرة ، و « طامس الأعلام » : دارس العلامات ، و « غرّضتها » : همتها .
(٧) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ١٩٧ : « ترمي الغيوب .. » والغيوب : آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون .

ضَخَمَ مُقْلَدُهَا ، فَعَمَّ مُقَيَّدُهَا
 حَرْفٌ ، أَخُوها أَبُوها ، مِنْ مُهَجَّنَةٍ
 يَمْشِي الْقِرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ
 عَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضِ
 قَنَوَاءٍ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
 كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَهَا وَمَذْبَحَهَا
 ثِمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا حُصْلٍ
 تَهْوِي عَلَى بَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
 سُمِرَ الْعُجَايَاتِ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زِيْمًا
 يَوْمًا يَظْلُ بِهَ الْجَرَبَاءُ مُرْتَبَأًا

فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلٌ^(١)
 وَعُمُّهَا خَالَهَا ، قَوْدَاءٌ ، شِمْلِيلُ
 مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ^(٢)
 مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ^(٣)
 عِتْقٌ مُبِينٌ ، وَفِي الْحَدَّيْنِ تَسْهِيلُ^(٤)
 مِنْ خَطْمِهَا ، وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ ، بِرِطِيلُ^(٥)
 فِي غَارِزٍ ، لَمْ تَخَوْنَهُ الْأَحَالِيلُ^(٦)
 ذَوَابِلُ وَقَعُهَا الْأَرْضَ تَحْلِيلُ^(٧)
 لَمْ يَقْهِنَنَّ سَوَادُ الْأَنْهَمِ تَنْعِيلُ^(٨)
 كَأَنَّ ضَاحِيَةَ فِي النَّارِ مَمْلُولُ^(٩)

(١) « مُقْلَدُهَا » : موضع القِلادة من العُنق ، و« فَعَمَّ مُقَيَّدُهَا » : ممتلئ موضع القيد منها ، و« بنات الفحل » :

الإناث من الإبل النسوية للفحل المعد للضراب . وفي السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام

ص ٢٠٦ — ٢٠٩ هذان البيتان :

غَلِبَاءٌ وَجَنَاءٌ عَلَّكُومَ مُذَكَّرَةٌ
 فِي دَفْعِهَا سَعَةً ، قَدَامُهَا مِيلُ
 وَجَلْدُهَا مِنْ أَطْوَمِ مَا يُؤَيِّسُهُ
 طَلَحَ بِضَاحِيَةِ اثْنَيْنِ مَهْزُولُ

(٢) « يُزْلِقُهُ » : يُسْقِطُهُ .

(٣) « عَيْرَانَةٌ » : العيرانة : الناقة المشبهة بعير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته ، و« النَّحْضُ » : اللحم ،

و« عُرْضُ » : جانب ، و« الزَّوْرُ » : الصدر .

(٤) « قَنَوَاءٌ » : محدودة الأنف ، و« حُرَّتَيْهَا » : أذنيها ، و« عِتْقٌ مُبِينٌ » : كرم ظاهر ، و« تَسْهِيلُ » : سهولة

ولين .

(٥) « خَطْمُهَا » : أنفها .

(٦) « غَارِزٌ » : ضرع ، و« الْأَحَالِيلُ » : مخارج اللبن .

(٧) « تَهْوِي » : تُسْرِعُ ، « ذَوَابِلُ » : شديدة صلابة ، وأصلها الرماح ، شبه قوائمها بها . وفي السيرة النبوية ،

وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام ص ٢٢٩ :

تَحْدِي عَلَى بَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ ذَوَابِلُ مَسْهُنٌ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

(٨) « تَنْعِيلٌ » : شد النعل على الخف أو الحافر ؛ لوقايته من الحجارة ، يُرِيدُ أَنْ خَفَاقَهَا صَلْبَةً لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْعِيلٍ .

(٩) « مُرْتَبَأٌ » : مرتفعاً ، وفي السيرة النبوية وشرح قصيدة كعب : مُصْطَخِداً : أي محترقاً بحر الشمس ،

و« ضَاحِيَةٌ » : ما برز للشمس منه ، و« مَمْلُولُ » : موضوع في الملة : وهي الرماد الحار .

وقال للقوم حاديههم وقد جعلت
 كأن أوب ذراعينها وقد عرقت
 أوب يدي فاقد شمطاء مغولة
 نواحية رخوة الضيعين ليس لها
 تفري اللبان بكفيها ، ومذرعها
 تمشي الغواة بجبيها وقولهم
 وقال كل صديق كنت أمله
 فقلت خلوا طريقي لا أبا لكم
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
 نبئت أن رسول الله أوعدني
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 لظل ثرعُد من وجد بوادره

بُفَعُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا^(١)
 وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٢)
 قَامَتْ فَجَاوَبَهَا تُكْدُ مَشَاكِيلُ^(٣)
 لَمَّا نَعَى بِكَرْهَاءِ النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٤)
 مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيصِهَا زَعَايِلُ^(٥)
 إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سَلَمَى لَمَقْتُولُ^(٦)
 لَا أَهْلَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
 فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
 يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءُ مَحْمُولُ
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
 سَفَرَانِ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ^(٧)
 أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ
 يُرَى وَيُسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعَ الْفِيلُ^(٨)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبْوِيلُ^(٩)

(١) « بُفَعُ » : جمع أبقع ، وهو ما فيه بياض وسواد ، و« قِيلُوا » أمر من القيلولة ، أي انزلوا واستريحوا .

(٢) « أوب ذراعها » : سرعة تقلبها ورجوعها .

(٣) « أوب » : خبر كان في البيت السابق ، و« تُكْدُ » : جمع نكداء ، وهي التي فقدت ولدها ، و« المَشَاكِيلُ » :

جمع مثكل ، وهي الكثيرة الثكل . وفي السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب :

« شَدَّ النَّهَارَ ذِرَاعًا غَيْظًا نَصَفَ ... » .

(٤) « رَخْوَةُ الضَّيْعَيْنِ » : مسترخية العضدين ، و« مَعْقُولُ » : بمعنى العقل .

(٥) « تَفْرِي » : تقطع ، و« مَذْرَعُهَا » : قميصها ، و« زَعَايِلُ » : قطع متفرقة ، مفردة : رعيول .

(٦) في السيرة النبوية : « تَسْعَى الْغَوَاةُ جَنَائِبَهَا ... » .

وفي شرح قصيدة كعب ص ٢٥٧ : « يَسْعَى الْوَشَاءُ جَنَائِبَهَا ... » .

(٧) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ٢٧٢ : « نَافِلَةُ الْقُرْآنِ .. » .

(٨) في السيرة النبوية :

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع القيل

(٩) « بوادره » : جمع بادرة ، وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق . وفي السيرة النبوية :

حتى وضعتُ يميناً ما أنازعُها
فلهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمَهُ
مِنْ ضَيْغِمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخَذَّرُهُ
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَأً لَا يَجِلُّ لَهُ
مِنْهُ تَظَلُّ سَبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثَقِيَّةٍ
إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
رَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشِفَ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعْصِمُهُمْ
شُمُّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالُ لَبَوسُهُمْ
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
لَيْسُوا مَفَارِجَ إِنْ نَالَتْ رِمَاخُهُمْ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِرِهِمْ

فِي كَفِّ ذِي تَقِمَاتٍ قِيلَهُ الْقَيْلُ
وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
فِي بَطْنِ عَثْرَ غَيْلٌ دُونُهُ غَيْلٌ^(١)
لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَغْفُورٌ خِرَادِيلُ^(٢)
أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولُ^(٣)
وَلَا تَمَشِّي بِوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ
مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالذَّرْسَانِ ، مَأْكُولُ^(٤)
مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
بِطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَارِيلُ^(٥)
ضَرَبْتُ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ^(٦)
مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَايِلُ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ ، مَجْدُولُ^(٧)
قَوْمًا ، وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نَيْلُوا
وَمَا لَهُمْ عَنْ جِيَاظِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

- = لَظْلَلٌ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
(١) « ضَرَاءُ الْأَرْضِ » : الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا شَجَرٌ ، وَ« مُخَذَّرَةٌ » : الْمَخْدَرُ : غَايَةُ الْأَسَدِ ، وَ« عَثْرٌ » : اسْمُ مَكَانٍ مشهور بكثرة السباع ، وَ« الْغَيْلُ » : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفِ .
(٢) « يُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ » : يُطْعِمُ شَيْئَهُ اللَّحْمَ ، وَ« مَغْفُورٌ » : مَلْقَى فِي الْقَفَرِ ، وَهُوَ التَّرَابُ ، وَذَلِكَ لِكَثْرَتِهِ وَشِبَعِهِ مِنْهُ .
(٣) « يُسَاوِرُ » : يُؤَاتِبُ .
(٤) « الْبَزُّ » : السِّلَاحُ .
(٥) « أَنْكَاسٌ » : جَمْعُ نَكَسٍ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَ« الْكُشْفُ » : جَمْعُ أَكْشَفَ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَسَ مَعَهُ ، وَ« مَيْلٌ » : جَمْعُ أَمِيلٍ ، وَهُوَ الَّذِي لَا سَيْفَ لَهُ ، وَ« الْمَعَارِيلُ » : جَمْعُ مِعْزَالٍ ، وَهُوَ مِنْ لَا سِلَاحَ مَعَهُ .
(٦) « الزُّهْرُ » : الْبَيْضُ ، وَ« عَرَّدَ » : فَرَّ وَأَعْرَضَ .
(٧) « الْقَفْعَاءُ » : شَجَرٌ لَهُ ثَمَرٌ كَأَنَّهُ حَلَقٌ ، وَ« مَجْدُولُ » : مُحْكَمُ السَّرْدِ .

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على النبي ﷺ المدينة ، وبيته :
« حرف أخوها أبوها » . وبيته : « ويمشي القراد » . وبيته : « عيرانة قذفت » . وبيته : « تمر
مثل عسيب النخل » . وبيته : « تفري اللبان » . وبيته : « إذا يساور قرناً » . وبيته :
« ولا يزال بواده » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب :

* إذا عَرَّدَ السُّودَ التَّنَائِيلُ * .

— وإنما يُريد معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريش
من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته — غضبَ عليه الأنصارُ ، فقال بعد أن أسلم يمدح
الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضعهم من اليمن :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ	فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ ^(١)
وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ	إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْبَازِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ	يَوْمَ الْهِجَابِ وَفَتَاةِ الْأَحْبَارِ ^(٢)
وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ	بِالْمَشْرِقِ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ
الْمَكْرَهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَدْرَعِ	كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ مُحَمَّرَةٍ	كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ	لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانِقُ وَكَرَارِ
يَتَطَهَّرُونَ — يَرُونَهُ نُسْكَأَ لَهُمْ —	بِدِمَاءٍ مِنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بَيْطُنَ خَفِيفَةٍ	غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِ
وَإِذَا حَلَلْتَ لِمَنْعُوكَ إِلَيْهِمْ	أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَعْفَارِ ^(٣)
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً	دَانَتْ لَوَقَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ ^(٤)

(١) « مِقْنَب » : جماعة الخيل .

(٢) هذا البيت لا وجود له في السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

(٣) « الأعفار » : جمع غُفْر وهو ولد الوَعْل ، ويُضرب به المثل في الامتناع في قمم الجبال .

(٤) « ضربوا علياً .. » : هو علي بن مسعود بن مازن الغساني ، وإليه يُنسب بنو كنانة ؛ لأنه كفل ولد أخيه لأمه

عبد مَنَاة بن كنانة بعد وفاة أخيه فَنَسَبُوا إليه ، رمز به إلى بني كنانة ، وربما إلى قريش كلها .

لو يعلمُ الأقوامُ عِلْمِي كُلَّهُ فهمُ لصدَّقني الذين أُمَارِي
قومٌ إذا خوتِ النُّجومُ فإنهم للطارقينَ النازلينَ مَقَارِي
في العزِّ من غَسَّانٍ في جرثومةٍ أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا على النِّقَارِ^(١)

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

- أبو سُلمي : ربيعة بن رِيَّاح أحد بني مزينة .
- والمأمون : يعني النبي ﷺ ، وكانت قريش تسميه أيضاً الأمين .
- « وَلَعَا » : كلمة تقال للعائر ، دعاء له بالإقالة .
- تَبَلَّتْ المرأةُ فَوَادَ الرجل : رمته بهجرها فقطعت قلبه .
- ومعلول : من العَلَل ، وهو الشرب الثاني ، والأول النَّهْلُ ، ومنه قوله : مُنْهَلٌ ، ويُستعمل معلول أيضاً من الاعتلال ؛ كما يقوله الخليل في العَرُوض ، حكاه ابن القوطية ولم يعرفه ابن سيده .
- وَشَجَّتْ بذِي شَبَمٍ : يعني الخمر ، وَشَجَّتْ : كُسِرَتْ من أعلاها لأن الشَّجَّة لا تكون إلا في الرأس ، والشَّيْمُ : البرد ، والشَّيْمُ البارد . قاله الأصمعي ، وقال: شَجَّ الشيء إذا علاه ، ومن هذا شَجَّ الشراب ، وهو أن يعلوه بالماء فيمزجه به .
- ومشمولٌ : ضربُه الشمالُ .
- وأفرطه : أي ملأه ، عن السهيلي . وعن غيره : سبقه وتقدمه .
- واليعاليل : السحاب ، وقيل : جبال ينحدر الماء من أعلاها . واليعاليل أيضاً : الغدران ، واحدها يعلول ، لأنه يعلُّ الأرض بمائه . وقال ابن سيده : اليعلول : الحَبَابَةُ من الماء ، وهو أيضاً السحاب المطرد . وقيل : القطعة البيضاء من السحاب . واليعلول : المطر بعد المطر . وبعد هذا البيت في القصيدة ، وليس من الرواية :

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠١/٢ — ٥١٥ .

من اللواتي إذا ما خُلِّتْ صدقتْ يشفي مضاجعها شَمٌ وتقييلُ
بيضاءُ مقبلةٌ عجزاءُ مدبرةٌ لا يُشتكى قَصْرٌ منها ولا طولُ

● قال الحشني : ساطٌ مثل شاط ، يقال : شاط دُمُه إذا سال ، وشاطت القدرُ إذا غلت . والصواب^(١) فيه : سيط ، أي خلط ومزج . وكذلك فسرهُ السهيلي ، أي : خلط بلحمها ودمها .

وهذه الأخلاق التي وصفها بها : من الوَلَع ، وهو عندهم الكذب والخلف . والفَجْع : قاله ابن سيده : الفجيجة الرزية بما يكره ، فجعه يَفْجَعُهُ فَجْعاً .

● والغول : التي تترأى بالليل ، والسَّعْلَةُ : التي تترأى بالنهار من الجن .

● وعرقوب بن صخر من العماليق . وقيل : بل هو من الأوس أو الخزرج ، وقصته في إخلاف الوعد مشهورة حين وعد أخاه جَنَى نخلة له وعداً بعد وعد ، ثم جَذَّها ليلاً ولم يعطه شيئاً . قاله السهيلي وغيره ، وقال : كان يسكن المدينة يثرب . والبيت المشهور :

* مواعيدَ عرقوبٍ أخاه يثرب * .

ومن الناس من يقول إنما هو يثرب ، يعني أرضاً للعماليق ، ولم تكن يثرب سكنى العماليق ، فإن كان من ساكني المدينة كما ذكره السهيلي فالبيت مستقيم على الرواية المشهورة .

● النجيات : السلسلة السير ، والنجيات السريعة .

● والمراسيل : السهلة السير التي تعطيك ما عندها عفواً .

● عُدَّافِرَةٌ : صُلْبَةٌ .

● وإِرْقَال : إِسْرَاعٌ .

● والتبغيل : قال السهيلي : ضربٌ من السير سريع . وقال غيره : سير البغال .

● عُرْضَتُهَا : جهة سوقها .

● والنَّجَادُ : الأرض الصُّلْبَةُ .

(١) المؤلف رحمه الله تعالى يُصَوِّبُ رواية « سيط » بالسين ، وذلك له ، غير أنها بالشين أيضاً تعني نفس المعنى

● واللَّهُقُ : الحمار الوحشي ، وقال : مفرد ؛ لأنه يرمي بصره نحو الأثن ولا يمشي إلا كدأً معهن .

● والحِزَّانُ : ما غُلِظَ من الأرض .

● والمَيْلُ : الأعلام ، وقال السهيلي : ما اتسع من الأرض .

● القوداء : الطويلة العنق .

● والشمليل : السريعة السير .

● والحرف : الناقة الضامرة .

● من مُهَجَّنة : من إبل مستكرمة هِجَان .

● قال أبو القاسم^(١) وقوله : أبوها أخوها ، أي إنها من جنس واحد في الكرم ، وقيل : إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها ، وكانت للناقة التي هي أم هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فعمُّها خالُّها على هذا ، وهو عندهم من أكرم التاج .

● واللَّبَّانُ : الصدر .

● وأقرب زهايل : خواصر ملس .

● وبنات الزَّوْر : يعني اللحامات النابتة في الصدر .

● والبِرْطِيل : حجر مستطيل ، وهو أيضاً المِعول .

● والعسيب : عظم الذئب ، وجمعه عَسَبَان .

● والحُصْلُ : شعر الذئب .

● والتَّخَوْنُ : قال الأصمعي : التنقص ، والتخَوْنُ أيضاً : التعهد . لم تخَوْنَه الأحاليل : يُريد رَويت من اللين . والأحاليل : الذكور .

= الذي أورده ، وهو المزج كما في القاموس ، وقال ابن هشام : ويجوز أن يُقرأ « قد شيط » بالشين المعجمة ؛ لأنه يُقال : شاطه ؛ بمعنى ساطه .

(١) هو السهيلي ، انظر الروض الأنف ١٧١/٤ .

● واليسر : اللين والانقياد . واليسر : السهل . قال ابن سيده : وإن قوائمه ليسرات : أي سهلة ، واحدها يسرة ويسرة .

● وتحليل : أي قليل .

● والعجايات : عصب يكون في اليدين والرجلين ، الواحدة عجاية .

● والزيم : المتفرقة .

● والقور : الحجارة السود .

● والعساquil : هنا السراب ، قال أبو القاسم^(١) الخثعمي : وهذا من المقلوب ، أراد وقد تلفعت القور بالعساquil .

● وقوله : شمطاء مُعولة : جعلها شمطاء ؛ لأنها يائس من الولد فهي أشد حزنًا .

والخراديل : القطع من اللحم ، وفي الحديث « ومنهم المخردل » في قصة المارين على الصراط ، أي تُخردل لحمه الكلايب التي حول الصراط .

● والأراجيل : جمع جمع ، وهو جمع أرجل ، وأرجل جمع رجل .

● والدريس : الثوب الخلق .

● زولوا : أي هاجروا .

● والتنايل : القصار .

● والقفعاء : نبت ، قاله أبو حنيفة .

● والتهيل : الفزع والجبن .

وكعب بن زهير من فحول الشعراء ، هو وأبوه ، وكذلك ابنه عقبة بن كعب ، وابن عقبة أيضاً العوام ، وهو القائل :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ملاحه عني أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدّة ألا حبذا أخلاقها وجديدها

(١) هو السهيلي ، انظر الروض الأنف ١٧١/٤ .

ومما يُستحسنُ لكعب قوله :
لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني
يسعى الفتى لأمرٍ ليس يُدرُكها
والمرء ما عاشَ ممدودٌ له أملٌ
ويُستحسنُ له أيضاً قوله في النبي ﷺ :
تخذي به الناقةَ الأدماءَ مُعْتَجِراً
ففي عِطافيه أو أثْناءِ بُردته
سعى الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ مُنتشرٌ
لا تنتهي العيشَ حتى ينتهي الأثرُ
بالبُردِ كالبدرِ جَلَى ليلةِ الظلمِ
ما يعلمُ اللهُ من دينٍ ومن كرمِ

* * *

غزة تبوك

في شهر رجب سنة تسع توجه رسول الله ﷺ لغزو الروم

قال ابن إسحاق : وكان ذلك في زمن عُسرة من الناس وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كثر عنها ورى غيرها ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، لبعث الشقة وشدة الزمان . فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجند بن قيس — أحد بني سلمة — يا جند هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وقال : قد أذنت لك . ففيه نزلت : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ [التوبة : ٤٩] وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر . فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالوا : لا تنفروا في الحر .. ﴾ الآية^(١) [التوبة : ٨١] .

ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره ، وأمر الناس بالجهاز ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفق أحد مثلاً^(٢) .

وذكر ابن سعد : قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ؛ وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه لحم وجذام وعاملة وغسان وقدّموا مقدّماتهم إلى اللقاء . وجاء البكاؤون وهم سبعة ، يستحملون رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿ لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعنيهم نفيس من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ [التوبة : ٩٢] وهم : سالم بن عمير ، وعُلبه بن زيد ، وأبو ليلى المازني ، وعمرو بن عتمة ، وسلمة بن

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٦/٢ — ٥١٨ .

صخر ، والعرباض بن سارية . وفي بعض الروايات : وعبد الله بن مُعْقِل ، ومُعقل بن يسار^(١) .

وعند ابن عائد فيهم : مهدي بن عبد الرحمن .

وبعضهم يقول : البكاؤون بنو مُقَرَّن السبعة ، وهم من مُزينة^(٢) .

وابن إسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام بن الجموح ، وقال : وبعضُ الناس يقول : عبد الله بن عمرو المزني بدل ابن المُعقل ، وهَرَمِي بن عبد الله الواقفي . وفيما ذكر ابن إسحاق أنه بلغه أن ابن يامين بن عُمر بن كعب النَّضري لقي أبا ليلى وابن مُعْقِل ، وهما كذلك ، فأعطاهما ناضحاً^(٣) له ، وزوَّدهما شيئاً من تمر^(٤) .

وجاء المُعَذِّرون من الأعراب ليؤذَنَ لهم فلم يَعْذِرْهم . قال ابن سعد : وهم اثنان وثمانون رجلاً ، وكان عبدُ الله بن أبي بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين ، فكان يُقال ليس عسكره بأقلَّ العسكرين^(٥) . وكان رسولُ الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق يُصَلِّي بالناس ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري^(٥) .

وقيل : سباع بن عُرفطة — ذكره ابن هشام — والأول أثبت^(٥) .

فلما سار رسولُ الله ﷺ تحلَّفَ عبدُ الله بن أبي ومن كان معه ، وتحلَّفَ نفرٌ من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة السلمي ، وأبو ذر الغفاري .

وشهدها رسولُ الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس ، والخيـل عشرة آلاف فرس ، وأقام بها عشرين ليلة يُصَلِّي ركعتين ، ولحقه بها أبو خيثمة السلمي وأبو ذر ، وهرقل يومئذ بمحمص^(٥) .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٦٥/٢ .

(٢) « ناضحاً » : الناضح : الحمل الذي يُستقى عليه .

(٣) السيرة النبوية ٥١٨/٢ .

(٤) هذا الزعم ظاهر البطلان من وجهين ؛ أحدهما : أنه لا وجود لليهود في المدينة بعد إجلالهم عنها . وثانيهما : أن المنافقين فئة قليلة في المجتمع المدني لا تُكوِّن عسكراً كثيراً ؛ يمكن مقارنته بجيش رسول الله ﷺ الذي بلغ عدده أربعين ألفاً من المقاتلة .

(٥) الطبقات الكبرى ١٦٥/٢ — ١٦٦ .

وفيما ذكر ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ عندما أراد الخروج ، خَلَفَ علي بن أبي طالب على أهله ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِقْلاً وَتَخَفُفاً مِنْهُ ، فَأَخَذَ عَلِي سِلَاحَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ . فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ خَلَفْتَنِي أَنَّكَ اسْتَقَلْتَنِي وَتَخَفَفْتَ مِنِّي . فَقَالَ : كَذَبُوا ، وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لَمَّا تَرَكْتُ وَرَائِي ، فَارْجِعْ فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ ، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . فَرَجَعَ عَلِي إِلَى الْمَدِينَةِ .

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا ، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهَا مَاءً ، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَاماً . فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصُّحِّ (١) وَالرَّيْحُ وَالْحَرُّ وَأَبُو خَيْثِمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٌ مُهَيَّأٌ وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءُ ؟ مَا هَذَا بِالنِّصْفِ . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهَيَّأْ لِي زَاداً ، فَفَعَلْنَا ، ثُمَّ قَدَّمْ نَاصِحَةَ فَارْتَحِلْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثِمَةَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ فِي الطَّرِيقِ ، يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَتَرَفَقَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ ، قَالَ أَبُو خَيْثِمَةَ لِعَمِيرَ : إِنْ لِي ذَنْبٌ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلَفَ عَنِّي حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَفَعَلَ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ ، قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ أَبَا خَيْثِمَةَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْثِمَةَ . فَلَمَّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُولَى (٢) لَكَ يَا أَبَا خَيْثِمَةَ » . ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْراً وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجْرِ فقال : لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً وَلَا يَتَوَضَّأُ مِنْهُ لِلصَّلَاةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينَ عَجَنْتُمُوهُ فَأَغْلِقُوهُ الْإِبِلَ ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهَا شَيْئاً ، وَلَا تَخْرُجُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ . فَفَعَلَ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ

(١) « الصُّحُّ » : ضوء الشمس .

(٢) « أُولَى لَكَ » : كلمة تهديد ووعيد ، معناها : اقتربت مما يهلكك .

أحدهم لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره ، فأما الذي خرج لحاجته^(١) فإنه خُتق على مذهبه^(٢) ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ، ثم دعا للذي خُتق على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

قال ابن إسحاق : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجد ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه فأمطرت ، حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء . ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فقال زيد بن اللصيت — وكان منافقاً — أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خير السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن رجلاً يقول : وذكر مقالته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها وهي في الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فأنطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا فجاءوه بها .

ثم مضى رسول الله ﷺ فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : تخلف عنا فلان . فيقول : دعوه فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم^(٣) أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازل ، فنظر ناظر من المسلمين ، فقال : يا رسول الله إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذر » . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله ﷺ :

(١) « لحاجته » : لقضاء حاجته .

(٢) « على مذهبه » : المذهب هنا مكان قضاء الحاجة (التقوط) .

(٣) « تلوّم » : تمكّت وتمهل .

« رحم الله أبا ذر ؛ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده »^(١) .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الريدة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلأمه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق ؛ فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عُمار^(٢) فلم يرغبهم إلا بالجنّازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطأها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلَّ عبدُ الله ييكى ، ويقول : صدق رسولُ الله ﷺ : « تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبعث وحدك » . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه . ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

وقد كان رهطٌ من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم : رجل من أشجع حليف لبني سَلِمة يُقال له : مُحْشَن^(٣) بن حُمَيْر ، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتَحْسِبون جلاد بني الأَصْفَر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأنكم غداً مُقَرَّنين في الجبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مُحْشَن بن حُمَيْر . والله لوددتُ أني أقاضى على أن يُضرب كلُّ منا مائة جلدة ، وأنا لنفلتُ أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه .

وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر : أدركِ القومَ فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل بلى قلتُم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسولَ الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال ودیعة بن ثابت : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] وقال مُحْشَن بن حُمَيْر : والله يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي ، فكان الذي عُفي عنه في هذه الآية ،

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٩/٢ - ٥٢٤ .

(٢) « عُمار » : معتمرين .

(٣) قال ابن هشام : ويُقال : مخشي .

فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر^(١) .

وذكر ابن عائد أن رسول الله ﷺ نزل تبوك في زمان قل ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده من ماء ، فمضمض بها فاه ، ثم بصفه فيها ، فقارت عينها حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة^(٢) .

ولما انتهى^(٣) رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُوَبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم . وكتب يُحَنَّةُ بالمصالحة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ﷺ لِيُحَنَّةَ بن رُوَبة ، وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم دمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمتنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر^(٤) .

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته ، فأتت البقرة تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل ، فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أتح

(١) السورة النبوية ٥١٩/٢ - ٥٢٥ .

(٢) خبر ابن عائد معضل ؛ كما ذكر في نور النبراس لوحة ١٢٣/٣ .

(٣) رجع إلى كلام ابن إسحاق .

(٤) السيرة النبوية ٥٢٥/٢ - ٥٢٦ .

له يقال له حسان ، فركب وخرجوا معه بمطاردهم^(١) ، فلما خرجوا تلقّتهم خيلُ رسول الله ﷺ فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مُخَوَّص^(٢) بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . وفيه قال عليه الصلاة والسلام : « لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا^(٣) » . ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحَقَّنَ له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خَلَّى سبِيلَهُ فَرَجَعَ إِلَى قَرِيْبَتِهِ^(٤) .

قال ابن سعد : بعث رسول الله ﷺ خالدًا في أربعمئة وعشرين فارساً سريةً إلى أكيدر في رجب سنة تسع بدومة الجندل ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة . وذكر نحو ما تقدم ، وقال : وأجار خالدُ أكيدرَ من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل ففعل ، وصالحه على ألفي بعير وثمانمئة رأس ، وأربعمئة درع ، وأربعمئة ربح ، فعزل النبي ﷺ صَفِيًّا خَالِصًا ، ثم قسم الغنيمة ، فأخرج الخمس ، وكان للنبي ﷺ ، ثم قسم ما بقي في أصحابه ، فصارَ لكل واحد منهم خمس فرائض^(٥) ^(٦) .

وذكر ابن عائد في هذا الخبر أن أكيدر قال عن البقر : والله ما رأيته قط جاءتنا إلا البارحة ، ولقد كنتُ أَضْمُرُ لها اليومين والثلاثة ، ولكن قدر الله .

وذكر موسى بن عقبة : اجتمع أكيدر ويُحْنَنَةُ عند رسول الله ﷺ ، فدعاهما إلى الإسلام فأبيا ، وأقرا بالجزية ، فقاضاهما رسول الله ﷺ على قضية دومة ، وعلى تبوك ، وعلى أيلة ، وعلى تيماء ، وكتب لهما كتاباً .

رجع إلى خير تبوك : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة لم

(١) « بمطاردهم » : جمع مطرد ، وهو آلة الطرد ، رخ قصير يُطْعَن به الوحش في الطراد .

(٢) « مُخَوَّص » : منسوج بالذهب .

(٣) رواه البخاري في اللباس (باب من مس الحرير من غير لبس) رقم / ٣٨٠٢ / ومسلم في فضائل الصحابة

(باب فضائل سعد بن معاذ) رقم / ٢٤٦٨ / والترمذي في المناقب (باب مناقب سعد بن معاذ)

رقم / ٣٨٤٦ / .

(٤) السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

(٥) « خمس فرائض » : خمس من الإبل ، مفردة فريضة .

(٦) الطبقات الكبرى ١٦٦/٢ .

يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ^(١) ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادي الْمَشَقَّق . فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوا ما فيه . فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ، فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان وفلان . فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتىأتيه ، ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه^(٢) به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حبساً كحس الصواعق ، فشرّب الناس واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لمن بقيتم — أو من بقي منكم — ليسمعن بهذا الوادي وهو أنصب ما بين يديه وما خلفه^(٣) .

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نار في ناحية العسكر ، فأتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنّي قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرة وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إليّ أخاكما ، فدليّاه إليه ، فلما هياهُ لَشَقُهُ ، قال : اللهم إني قد أمسيْتُ راضياً عنه فارضَ عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة تبوك : « إن بالمدينة لأقواماً ما سيرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : « نعم ، حبسهم العذر^(٥) » .

(١) « وشل » : الوشل : الماء القليل ، أو الحجر ونحوه ، كالجليل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

(٢) « نضحه ، رشه » .

(٣) روى مسلم بعضه في الفضائل (باب معجزات النبي ﷺ) رقم ٧٠٦ / عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) السيرة النبوية ٥٢٧/٢ — ٥٢٨ ، ورواية محمد بن إبراهيم عن ابن مسعود مرسلّة كما في نور التبراس لوحة ١١٥/٣ .

(٥) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة تبوك) رقم ٤٤٢٣ / .

أمر مسجد الصُّرَّار

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل في أوَّان^(١) ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الصُّرَّار أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ! إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا لتصلي لنا فيه . فقال : إني على جناح سفر وحال شغل — أو كما قال ﷺ — ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما نزل بذي أوَّان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي أخا بني العجلان . فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه ، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم ، فقال مالك لمعن : أنظِرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل إلى أهله فأخذ سَعْفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه . ونزل فيه من القرآن : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مسجداً ضراباً وكُفراً وتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٧] إلى آخر القصة . وكان الذين بنَّوه اثني عشر رجلاً : خِذام بن خالد من بني عُبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق . وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضُبَيْعة بن زيد ، وعَبَّاد بن حُنيف ، وجارية بن عامر وابناه مُجَمِّع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، وَبَحْرَج وَبِجَاد بن عثمان من بني ضُبَيْعة ، ووديعه بن ثابت من بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر^(٢) .

* * *

(١) « أوَّان » : موضع قريب من المدينة ، وفي السيرة النبوية « بذي أوَّان » بفتح الهمزة ، وأبو ذر الحشني يرويه

بضم الهمزة حيث وقع . نور التبراس لوحة ١١٦/٣ .

(٢) السيرة النبوية ٥٢٩/٢ — ٥٣٠ .

(أمر الثلاثة الذين خَلَفُوا) وأمر المعذرين في غزوة تبوك^(١)

وقد كان قد تخلف عنه رهط من المنافقين وتَخَلَّفَ الثلاثة الذين ذكرناهم : كعب ومراره وهلال ، فأما المنافقون فجعلوا يخلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ، ولم يَعْذِرْهم الله ولا رسوله .

وأما الثلاثة الآخرون فروينا من طريق البخاري : حدثني يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب — وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِيَ — قال : سمعتُ كعب بن مالك يُحَدِّثُ حين تَخَلَّفَ عن غزوة تبوك ، قال كعب : لم أَتَخَلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنتُ تَخَلَّفْتُ في غزوة بدر ، ولم يُعائِبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يُريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تَوَاقَعْنَا على الإسلام ، وما أُحِبُّ أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تَخَلَّفْتُ في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعتُ عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يُريد غزوة إلا ورئى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد ، واستقبلَ سفرًا بعيداً ومَقَارَاً وعدوًّا كثيرًا ، فجَلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يُريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ — يُريد الديوان — قال كعب : فما رجلٌ يُريد أن يتغيبَ إلا ظَنَّ أن سيخفى ما لم يَنْزِلْ فيه وحي من الله .

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أَقْضِ شيئاً ، فأقول في نفسي أنا قادر عليه ، فلم يزلْ يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجِدُّ ، فأصبح رسول الله ﷺ

(١) هذا العنوان لم يرد في الأصول ، وأثبتناه من السيرة النبوية ٥٣١/٢ .

والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت أتجهز بعده يوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدرتهم وليتني فعلت ، فلم يُقدِّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضري هني ، وطفقت أذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه بشيء أبداً فيه كذب ، فأجمعت صدقه . وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون ، فطَفِقُوا يعتذرون إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبإيعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله . فحشته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب . ثم قال : تعال . فحشيت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلّفتك ؟ ألم تكن قد ابعت ظهرك ؟ فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليؤشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أمّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك . فقمْتُ .

وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك . فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن

أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ؛ فقبل لهما مثل ما قيل لك . فقلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العُمري ، وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرأ فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا — أيها الثلاثة — من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أو لا ؟ ثم أصلي قريباً منه فأسأله النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليّ ذلك ، من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد عليّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة : يقول : من يدلني على كعب بن مالك ، فطفيق الناس يُشِيرُونَ له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه : أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسيك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرت بها .

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقرئها . وأرسل إلي صاحبي مثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن

أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقرّبك . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يسكني منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ؟ فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ .

فلبث بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا . فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، بينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى ، قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج . وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حتى صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يمشرون ، وذهب قبل صاحبي مشرون ، وركض إلي رجل فرساً . وسعى ساع من أسلم ، فأوفى على ذروة الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يشرني ، نزعته له ثوبي فكسوته إياهما ببشره ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حولته الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني ، وهنأني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ ، وهو يترق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله ، وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أتخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير . فقلت : يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما

أبلائي ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت .

وأُنزل الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ لقد تابَّ الله على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصارِ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٧ — ١١٩] فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذِبُهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحيَّ شرًّا ما قال لأحدٍ ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٩٥ — ٩٦] .

قال كعب : وكنا تخلفنا — أيها الثلاثة — عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسولُ الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفرَ لهم ، وأرجأ رسولُ الله ﷺ أمرنا ، حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِفُوا ﴾ [التوبة : ١١٨] وليس الذي ذكر الله مما خُلِفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن خلف له واعتذر إليه فقبل منه^(١) .

* * *

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة تبوك) رقم /٤٤١٨/ .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ^(١) اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يقبل إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ — كما يتحدث قومه — : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله ﷺ ، فيهم نخوة ؛ للامتناع الذي كان منهم . فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم — قال ابن هشام : من أبصارهم — وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عليّة ^(٢) له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فیزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك ، ویزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب بن مالك يقال له وهب بن جابر ، فقتل لعروة ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : إن مثله في قومه كمثل ^(٣) صاحب يس في قومه ^(٤) .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم اتسمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما

(١) « انصرف عنهم » أي عن ثقيف في حصاره للطائف .

(٢) « عليّة » : بكسر العين وضمها ، الغرفة ، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت فوق .

(٣) في « ب » والسيرة النبوية : « كمثل » .

(٤) أي كمثل صاحب سورة يس . قال السهيلي : يريد به المذكور في سورة يس الذي قال لقومه : (اتبعوا

المرسلين) فقتله قومه .. نور التبراس لوحة ١٣٠/٣ .

أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل بن عروة بن عُمر وكان في سنٍّ (١) عروة بن مسعود ، وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل ، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِعَ بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك ، فيكونون ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب ، وشرحبيل بن غَيْلان بن سلمة بن معتب . ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهمان أخا بني يسار ، وأوس بن عوف أخا بني سالم ، وُثَيم بن خَرَشَة بن ربيعة أخا بني الحارث . فخرج بهم ، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة . ألقوا بها المغيرة بن شعبة ، فاشتدَّ لبشر رسول الله ﷺ بقدمهم عليه ، فلقبه أبو بكر ، فقال له : أقسمتُ عليك لا تُسبِّقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكونَ أنا أحدثه ففعل ، فدخلَ أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدمهم عليه .

ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّحَ الظهر معهم ، وعلمهم كيف يُحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضربَ عليهم قُبَّة في ناحية مسجده كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد الذي كتبه ، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكلَ منه خالد ، حتى أسلموا : وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدعَ لهم الطاغية وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سأله شهراً واحداً بعد قدومهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مُسمًى ، وإنما يريدون بذلك — فيما يُظهرون — أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون أن يُروِّعوا قومهم بهدمها ، حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدمها ، وقد كانوا سأله مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أمّا كسرُ أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأمّا الصلاة فإنه لا خيرَ في دين لا صلاة فيه .

(١) « سِنَّ عروة » : يُزبه ونديده .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أَمَرَ عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن ، فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يُقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان . بماله بذى الهرم^(١) ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها ليضربها بالمعول ، وقام دونه بنو معتب خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً يكيّن عليها . ويقول أبو سفيان — والمغيرة يضربها بالفأس — : واهأ لك واهأ لك . فلما هدّمها المغيرة وأخذ ماله وحليها ، أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع ، وماله من الذهب والفضة والجُزء .

وقد كان أبو مليح بن عروة ، وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قُتل عروة ، يُريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ : تَوَلَّيَا مِنْ شَيْئِنَا . فقالا : نتولى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالنا أبا سفيان ، فلما أسلم أهل الطائف ووجه أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم . فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مُشركاً . فقال قارب : يا رسول الله ! لكنّ تصل مسلماً ذا قرابة — يعني نفسه — وإنما الدّين عليّ ، وإنما أنا الذي^(٢) أُطلب به ، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية ، ففضى .

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لهم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي

(١) « بذى الهرم » : هو بفتح الهاء وسكون الراء ، مال لعبد المطلب بالطائف ، وقيل لأبي سفيان بن صرمة . نور

النبراس لوحة ١٣١/٣ .

(٢) زيادة من السيرة النبوية .

رسول الله إلى المؤمنين إن عَصَاهُ وَجَّ^(١) وصيده لا يُعْصَدُ^(٢) ، من وَجَدَ يفعلُ شيئاً من ذلك ، فإنه يُجْلَدُ وتَنْزَعُ ثيابه ، فإن تَعَدَّى ذلك فإنه يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ به النبي محمدًا ﷺ ، وأن هذا أمر النبي محمد رسول الله ﷺ . وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيُظْلَمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣) .

* * *

(١) « عَصَاهُ » : يَكْسِرُ الْعَيْنَ ، كُلُّ شَجَرٍ ذِي شَوْكٍ . مَفْرَدُهَا عِصَّةٌ .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَنَاسِكِ (بَابُ ٩٧) رَقْمُ ٢٠٣٢ / ٢ وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ١٦٥ / ١ . وَقَالَ الشَّيْخُ النَّوَوِيُّ : وَتَحْرِيمُ صَيْدِ وَجٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ ، مِنْ رِوَايَةِ الزَّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ . نَوْرُ النَّبَرِاسِ لَوْحَةُ ١٣١ / ٣ . وَ « وَجَّ » : وَادٌ مَعْرُوفٌ بِالطَّائِفِ .

(٣) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ ٥٣٧ / ٢ — ٥٤٣ .

حجُّ أبي بكر بالنَّاس

في سنة تسع

قال ابن سعد : قالوا : استعمل رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الحج ، فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، قلدها وأشعرها بيده ، عليها ناجية بن جندب الأسلمي ، وساق أبو بكر خمس بدنان ، فلما كان بالعُرج — وابن عائد يقول : بضجنان — لقيه علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله ﷺ القصواء ، فقال له أبو بكر : استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس ، وأنبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده . فمضى أبو بكر فحجَّ بالناس ، وقرأ علي بن أبي طالب براءة يوم النحر عند الجمرة ، ونبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده ، وقال : لا يحجُّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . ثم رجعا قافلين إلى المدينة^(١) .

وفيما ذكر ابن عائد : أن المشركين كانوا يحجُّون مع المسلمين ، ويُعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك^(٢) : لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . ويطوف رجالٌ منهم عُرة ، ليس على رجل منهم ثوب بالليل ، يُعظمون بذلك الحرمة ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتي أمي ، ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم . فكره رسول الله ﷺ أن يحجَّ ذلك العام وأمر الله براءة ، وذكر تمام الخير . وفيه : فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر ، أُذن براءة من عهد كل مشرك لم يُسلم ، أن لا يدخل المسجد الحرام بعد ذلك العام ، ويُنَّ لهم مُدة الله التي ضرب على لسان نبيه أربعة أشهر يسبحون فيها حيث شاؤوا ، فقالوا : بل الآن لا نبتغي تلك المدة ، نرى منك ومن ابن عمك إلا من الضرب والطعن ، فحجَّ الناس عامهم ذلك ، فلما رجعوا أرغب الله المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً . وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عاماً وخاصاً ، فالعام أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت جاءه ، ولا يُخاف أحدٌ في الأشهر الحرم ، فانتقض ذلك بسورة

(١) الطبقات الكبرى ١٦٨/٢ .

(٢) « ج » : ليغلطوهم بذكر ..

براءة . والخاصُّ بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسمّاة ، ولذلك قال ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ الآية [التوبة : ٤] . ذكر معناه ابن إسحاق ، وذكر تمام الآية من سورة براءة وتفسيرها^(١) .

* * *

(١) السيرة النبوية ٥٤٣/٢ — ٥٥٤ .

وفود العرب

وفي سنة تسع قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ ، وكانت تسمى بذلك ، ففيها قدم وفد بني تميم الذي تقدم ذكره .

وفيهما قدم وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن جزة بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قاله بن إسحاق . قال : وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدَر به ، وقد قال له قومه : يا عامر : إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت لا أنتهي حتى يتبع العرب عقيي ، فأنا أتبع عقيب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف . فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني . قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . قال : يا محمد خالني^(١) . وجعل يُكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به ، فجعل أريد لا يُحير شيئاً . فلما رأى عامر ما يصنع أريد ، قال : يا محمد خالني . قال : لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ . قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فلما وثى قال رسول الله ﷺ اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أريد ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تعجل علي ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى لا أرى غيرك ، أفاضرك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر

(١) « خالني » : رُويت بتخفيف اللام ؛ أي تفرّد لي خالياً حتى أتحدث معك . ورويت بتشديد اللام أيضاً ، أي اتخذني خيلاً وصاحباً .

ابن الطفيل الطاعون^(١) في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر ! أعدّة كعدّة البكر في بيت امرأة من بني سلول .

ثم خرج أصحابه حين واروه التراب ، حتى قدموا أرض بني عامر ، فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أريد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله . فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما^(٢).

قدوم ضمام بن ثعلبة

قرأت على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبركم أبو اليمن الكندي قراءة عليه وأنتم تسمعون سنة سبع وستائة ، وأبو محمد عبد العزيز بن الأخضر إجازة من بغداد ، قالوا : أخبرنا الحافظ أبو القاسم بن السمرقندي سماعاً ، أخبرنا أبو الحسين بن النُّقُور ، أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن الجراح الوزير قراءة عليه وأنا أسمع ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي ، حدثني أبو عمارة حمزة بن الحارث بن عُمير — وهو أبو عمير — قال : سمعت أبي بكر يذكر عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : بينا النبي ﷺ مع أصحابه متكئاً — أو قال جالساً — جاءهم رجلٌ من أهل البادية ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قالوا : هذا الأمغر المرتفق — قال حمزة : الأمغر : الأبيض مشرب حمرة ، والمرتفق : مثل المتكىء — قال : فدنا منه ، وقال : إني سائلك فمشدد عليك في هذه المسألة . فقال : سل عما بدا لك . فقال : أنشدك ربّ مَنْ قبلَكَ وربّ من بعدَكَ : اللَّهُ أَرْسَلَك ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ أَغْيَانِنَا قِطْرَهُ عَلَى فَقْرَانَا ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدك بالله : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ اثْنِي عَشَرَ شَهْراً ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأنشدك بالله : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ يَحْجَّ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ

(١) « الطاعون » : الوباء ، المعروف في عصرنا بالكوليرا ، وما أصاب عامراً ليس منه ، وإنما هو — كما يوضحه

ما بعده — ضرب من السرطان والأورام الخبيثة ، والله أعلم .

(٢) السيرة النبوية ٥٦٧/٢ — ٥٦٩ .

استطاع إليه سبيلاً؟ قال : اللهم نعم . قال : فإني قد آمنتُ وصدّقتُ ، وأنا ضِمام بن ثعلبة . وأما هذه الهَنَاءُ فوالله إن كنا لنتنزه عنها في الجاهلية . — قال حمزة : فسمعتُ أبي يقول : الهَنَاءُ : الفواحش — . قال : فلما أن وُلِّي قال رسول الله ﷺ : « فقه الرجل » . قال : فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما رأيتُ أحداً أحسنَ مسألة ولا أَوْجَزَ من ضِمام بن ثعلبة^(١) .

وذكر ابن إسحاق هذا الخبر وقال فيه : إن ضِماماً قال لقومه عند ما رجع إليهم إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئْتُكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة . ذكره عن محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب عن ابن عباس^(٢) .

قدوم الجارود بشر^(٣) بن المعلّى في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ! إني قد كنتُ على دين وإني تاركٌ ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، أنا ضامنٌ أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه . ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان . فقال : والله ما عندي ما أحملكُم عليه . فقال : يا رسول الله فإنَّ

(١) رواه النسائي في الصلاة (باب كم فُرِضَت الصلاة) ٢٢٨/١ — ٢٢٩ وعُدل المؤلف عن روايته من النسائي ، لأنه وقع له أعلى . والقصة في البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه . نور الثبراس لوحة ١٣٤/٣ .

(٢) السيرة النبوية ٥٧٣/٢ — ٥٧٥ والمسنَد .

(٣) في الأصول « الجارود بن بشر » وكذا هو عند ابن هشام في السيرة النبوية ، والتصحيح من نور الثبراس لوحة ١٣٤/٣ ، والسيرة الشامية ٤٦٥/٦ والإصابة ٢١٦/١ وقال : لُقِّبَ بالجارود ؛ لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم .

بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ^(١) من ضَوَالِ الناس ، أفتبَلُّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إِيَّاكَ وإِيَّاها ، فإِذَا تَلَّكَ حَرَّقُ النار .

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلامَ صلياً على دينه حتى هلك ، وقد أدرك الردة ، فلما رجع قومه من كان أسلم منهم إلى دينه الأول مع الغرور^(٢) المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أَيُّهَا الناس ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفُرُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ^(٣) .

وقد روينا خير قدومه من حديث سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن العباس ، وفيه إنشاده النبي ﷺ حين قدم عليه في قومه :

يا نبي الهدى أتتك رجالاً	قطعت فدفداً وآلاً فالأ
وطوت نحوك الصَّحاصِخَ طُراً	لا تحالُ الكَلالَ فيكَ كلالاً ^(٥)
كلُّ دهناء يقصرُ الطرفُ عنها	أرقلتها قلاصناً إرقالاً ^(٦)
وطوتها الجيادُ تجمُحُ فيها	بُكُمة كَأَنجُمٍ تتسلا
تبتغي دفعَ بؤسِ يومِ عبوسٍ	أو جلَّ القلبَ ذُكره ثم هالا

قدوم بني حنيفة

ومعهم مسيلمة الكذاب

قال ابن إسحاق : وكان منزله في دار بنت الحارث ، امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة ، أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تسترهُ

- (١) « ضَوَالٌ » : جمع ضالة ، وهي الضالة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره .
- (٢) في الأصول كلها « المغرور » والتصحيح من نور التبراس لوحة ١٣٥/٣ ، والسورة النبوية ٥٧٥/٢ . واسمه : المنذر قال السهيلي : سمي كذلك لأنه غرَّ قومه حين حرب الردة .
- (٣) السيرة النبوية ٥٧٦/٢ والخبر مرسل .
- (٤) « فَدَفْدَأَ » : الفلاة من الأرض . و« آلاً » : سراياً .
- (٥) « الصَّحاصِخَ » : جمع صحصاح ، وهو المستوي من الأرض . و« كلالاً » : الكلال : التعب .
- (٦) « دهناء » : فلاة ، و« أرقلتها قلاصناً » : قطعته نياقتنا خبيأ .

باليثاب ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، معه عسيب من سَعَفٍ^(١) النَّخْل في رأسه خُوَيْصَات^(٢) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه باليئاب ، كَلَّمَهُ وسأله . فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على خلاف هذا : أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلقوا مُسَيْلَمَةَ في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا . قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشرٍّكم مكاناً — أي : لحفظه ضيعة أصحابه — ذلك الذي يُريد رسول الله ﷺ .

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله وتنبأ وتكذَّب لهم ، وقال : إني وقد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشرٍّكم مكاناً ؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أي قد أشركت في الأمر معه . ثم جعل يسجع لهم ، ويقول لهم فيما يقول — مضاهاة للقرآن — : لقد أنعم الله على الجبل ، أخرج منها نسمة تسعي ، من بين صفاقي وحشا .

وأحلَّ لهم الخمر والزنا ؛ ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي ، فأصفت^(٣) معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أي ذلك كان^(٤) .

قلت : كان مسيلمة صاحب نيروجات^(٥) ، يقال : إنه أول من أدخل البيضة في القارورة ، وأول من أوصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدَّعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها . قتله زيد بن الخطاب رضي الله عنه يوم اليمامة ، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

(١) « عسيب من سَعَف النَّخْل » : العسيب : الجزء الخشبي الممتد من جريدة النخل ، والسَعَف : أوراق الجريدة ، ولعل المقصود هنا : الجريدة نفسها ، خضراء وباسية ، من إطلاق الجزء على الكل .

(٢) « خويصات » : الخوص : ورق الجريدة يابساً .

(٣) « أصفت » : أجمعت .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٧٦/٢ — ٥٧٧ .

(٥) « نيروجات » : جمع نيروجة ، وهي كلمة فارسية تعني الشعبة .

لهفي عليك أبا ثمامة لهفي على ركني شمامة^(١)
كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامة

حكاه السهيلي : وقال : كذب ، بل كانت آياته منكوسة ، يقال : إنه تفل في بئر قوم
سأله ذلك تبركاً فملح مأوها ؛ ومسح رأس صبي فقرع قرعاً فاحشاً ، ودعا لرجل في ابنين له
بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب . ومسح على
عيني رجل استشفى بمسحه فايضت عيناه^(٢) .

قدوم زيد الخيل بن مهلهل الطائي

في وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم ،
فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وقال عليه الصلاة
والسلام : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد
الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما فيه » . ثم سماه زيد الخير ، وقطع له فيداً^(٣) وأرضين معه ، وكتب
له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن
يُتَجَّ^(٤) زيد من حمى المدينة فإنه »^(٥) . قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى
وغير أم ولد فلم يثبتته^(٦) . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة ، أصابته

(١) « شمامة » : بفتح الشين وتخفيف الميم ، قال سبط ابن العجمي : لا أعلم ما هو ، ولا رأيت أحداً ذكر فيه
شيئاً . نور النبراس لوحة ١٣٦/٣ .

(٢) الروض الأنف ٣٣٨/٢ .

(٣) « قيد » : اسم مكان قرب جبل سلمى في بلاد طيء .

(٤) « يتج » : كذا ضبطت بالبناء للمجهول ، ولعلها « يتج » مبنية للمعلوم .

(٥) « فإنه » : كذا وردت من غير خبر ، وقدره الزرقاني في المواهب ٢٦/٤ : فإنه لا يُعَابُ بسوء ، أو لم يُصِبْهُ
ضرر ، ونحو ذلك . ولعل المناسب : فإنه سيكون ذا تأثير في قومه بالإسلام . والله أعلم .

(٦) « فلم يثبتته » : قال السهيلي في الروض الأنف ٣٤٢/٢ : الاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى هو :
أم كُلبَة . و« ولدتم » : بكسر الميم وفتحها ، وسكون اللام ، وفتح الدال .

الحمى بها فمات ، فلما أحسَّ زيدٌ بالموت ، قال :

أُمرْتُ جَلَّ قومي المِشَارِقَ عَذْوَةً وأُتْرِكُ في بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ
ألا رَبُّ يَوْمٍ لو مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ من لَمْ يُسِرْ مِنْهُنَّ بِجَهْدٍ^(١)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان من كتبه التي أقطعها له رسولُ الله ﷺ فأحرقها^(٢) بالنار^(٣) .

قال أبو عمر : وقيل : بل مات في آخر خلافة عمر ، وكان قد أسرَ عامرَ بنَ الطفيل قبل إسلامه وجزَّ ناصيته . وكان له ابنان مِكنف وبه كان يُكنى ، وحُرَيْث ، أسلما وصحبا النبي ﷺ ، وشهدا قتالَ أهل الردة مع خالد^(٤) رضي الله عنه .

قدوم عددي بن حاتم الطائي

قال ابن إسحاق : وكان يقول — فيما بلغني — : ما من رجلٍ من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمرْبَاع^(٥) ، فكنت في نفسي على دين ، وكنتُ ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعياً لإبلي : لا أبا لك اعزلْ لي من إبلي أجماً ذُللاً سماناً ، فاحبسها قريباً مني ، فإذا سمعتُ بجيش محمد قد وطىء هذه البلاد فأذني ، ففعل . ثم إنه أتاني ذاتَ غداة فقال : يا عددي ما كنتَ صانعاً إذا غشيك محمدٌ فاصنعه الآن ، فإني قد رأيتَ راياتٍ ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب لي أجمالي ، فقربها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ،^(٦) قلتُ :

(١) يُرى : « : بالبناء للمجهول ، أي يُبريه السفر ويُضعفه .

(٢) ذكر ابن دريد أن امرأته حيناً رأت الراحلة مقبلة ليس عليها زيد ، ضرمتها بالنار ، فاحترقت واحترق الكتاب . السيرة الشامية ٥٤٦/٦ .

(٣) السيرة النبوية ٥٧٧/٢ — ٥٧٨ .

(٤) الاستيعاب ٥٦٣/١ — ٥٦٤ .

(٥) « المرْبَاع » : أخذ الربع من الغنيمة دون أصحابه .

(٦) كذا في « أ » و « ب » وبقي النسخ والسيرة النبوية : « ثم قلت ... » .

أَلْحَقْ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، وَخَلَّفْتُ بَنَاتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا .

وَتَخَالَفَنِي خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَصَيَّبُ ابْنَةُ حَاتِمٍ فِيمَنْ أَصَابَتْ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبَايَا طِيٍّ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ ، فَجُعِلَتْ بَنَاتُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بِيَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا تُحْبَسُ فِيهَا ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً^(١) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَفْدُ ، فَاْمَنْ عَلَيَّ مَنْ أَلَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : مَنْ وَافِدُكَ ؟ قَالَتْ : عَدِي بْنُ حَاتِمٍ . فَقَالَ : الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ ثُمَّ مَضَى وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرٌّ بِي فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ . حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرٌّ بِي وَقَدْ يَمُتُّ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ : أَنْ قَوْمِي فَكَلِمِيهِ . قَالَتْ : فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَفْدُ . فَاْمَنْ عَلَيَّ مَنْ أَلَّهُ عَلَيْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثَقَةً ، حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ، ثُمَّ آذِنِي . فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ كَلِمِيهِ ، فَقِيلَ : هُوَ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

فَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلَى أَوْ قُضَاعَةَ ، قَالَتْ : وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ . قَالَتْ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثَقَةٌ وَبِلَاغٌ . قَالَتْ : فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَمَلَنِي ، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ .

قَالَ عَدِي : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِقَاعِدٌ فِي أَهْلِ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تُصَوِّبُ إِلَيَّ ، تَوْمُنَا . قَالَ : فَقُلْتُ : ابْنَةُ حَاتِمٍ ؟ قَالَ : فَإِذَا هِيَ هِيَ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيَّ انْسَجَلْتُ^(٢) تَقُولُ : الْقَاطِعُ الظَّالِمُ ، احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدَكَ وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ الْوَالِدِ ، عَوْرَتِكَ . قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ أُخِيَّةٍ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا ، فَوَاللَّهِ مَا لِي مِنْ عَذْرِ ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتَ . قَالَ : ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي ، فَقُلْتُ لَهَا — وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً — مَاذَا تَرَيْنِ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قَالَتْ : أَرَى وَاللَّهِ

(١) « جَزَلَةٌ » : عَاقِلَةٌ .

(٢) « انْسَجَلْتُ » : انْصَبْتُ .

أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضلٌ ، وإن يكن ملكاً فلن تذلل في عزِّ
اليمين وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا للرأي .

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، فقال : من
الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم . فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ
بي إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً ، ثم كلمه في حاجتها ،
قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل
بيته ، تناول وسادةً من آدم محشوة ليفاً ، فقفدها إليّ ، فقال : اجلس على هذه . قال :
فقلت : بل أنت فاجلس عليها . قال : بل أنت . فجلستُ عليها ؛ وجلس رسول الله ﷺ
بالأرض . قال : فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ! ألم
تكن ركوسياً^(١) ؟ قال : قلت : بلى . قال : أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قال : قلت :
بلى . قال : فإن ذلك لم يكن يحلُّ لك في دينك . قال : قلت : أجل والله . قال : وعرفت
أنه نبيٌ مرسل ، يعلم ما يُجهل . ثم قال : « لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا
الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليُوشكنَّ المالُ أن يفيضَ فيهم حتى لا يُوجدَ من يأخذه ،
ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوِّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشكنَّ أن
تسمعَ بالمرأة تخرجُ من القادسية على بعيرها حتى تزورَ هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلك إنما
يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملكَ والسلطانَ في غيرهم ، وإيم الله ليُوشكنَّ أن تسمعَ
بالقصور البيض من أرض بابلٍ قد فُتحت عليهم » . قال : فأسلمتُ .

قال : فكان عدي يقول : مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لتكوننَّ ، قد رأيتُ
القصورَ البيضَ من أرض بابلٍ قد فُتحت عليهم ، وقد رأيتُ المرأةَ تخرجُ من القادسية على
بعيرها ولا تخافُ حتى تحجَّ هذا البيت ، وإيم الله لتكوننَّ الثالثة ؛ ليفيطنَ المالُ حتى لا يُوجدَ
من يأخذه^(٢) .

● الرُّكُوسِيَّةُ : قوم لهم دين .

(١) « ركوسياً » : نسبة إلى الركوسية ، وهم فئة لهم دين خليط من الصابئة والنصرانية .

(٢) السيرة النبوية ٥٧٨/٢ — ٥٨١ . رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة الفاتحة) رقم/٢٩٥٦ وأحمد
في المسند ٣٧٨/٤ ، وفي البخاري ومسلم بعضه .

● قوله : وغاب الوافد : بالواو ، وقال بعض الناس لا معنى له إلا على وجه بعيد ، قال : ووجدت الرقام ذكره في كتابه : الرافد بالراء ، وهو أشبه .

قدوم فروة بن مُسَيْك المرادي

قال ابن إسحاق : وقدم فروة على رسول الله ﷺ مفارقاً للملوك كِنْدَةَ ، وقد كان قُبَيْلَ الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعةٌ ، أصابت فيها هَمْدَانُ من مُراد ما أرادوا ، حتى أئْخَنَوهُم في يوم كان يُقال له الرَّدْم .

فكان الذي قاد إلى مُرادَ هَمْدَان : الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم .

وابن هشام يقول : مالك بن حُرَيْم^(١) .

وعن الدارقطني وابن مأكولا فيه : حَرِيم ، بفتح الحاء مكسور الراء المهملتين ، قيل : هو والد مسروق بن الأجدع . حكاه الدارقطني ، وتبعه ابن مأكولا ، وهو مما أنكره الوقشي ، وقال : ليس مالك بن حَرِيم جد مسروق كما زُعم ، لأن مالكا من بني دالان بن سابقة بن ناشع بن دافع بن مالك بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان ، ومسروقا من بني معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشع ، رأيته بخط الأستاذ أبي علي الشَّلوَيْنِ ، وقد أسقط بين جشم بن حيوان حاشد بن جشم . كذا هو عند الرُّشَاطِي : جشم بن حاشد بن جشم بن حيوان بن نوف .

ولما توجه^(٢) فروة إلى رسول الله ﷺ ، قال :

لما رأيتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٣)

قَرَّبْتُ راحِلتي أَوْمُ مُحَمَّدًا أرجو فواضِلَها وحُسْنَ ثَرائِها

وقال له رسول الله ﷺ : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله !

(١) السيرة النبوية ٥٨١/٢ .

(٢) رجع إلى كلام ابن إسحاق .

(٣) « عِرْقُ نَسَائِها » : هو عِرْقُ مستبطن في الرَّجُل ، كعِرْقِ الأَكْحَلِ في اليد ، والأصل فيه — النَّسَا — بالقصر .

من ذا يُصيب قومَه مثلُ ما أصابَ قومي يومَ الرَّدْمِ ولا يسوؤُه ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ : أما إن ذلك لم يزد قومَكَ في الإسلامِ إلا خيراً . واستعملَه على مُرادِ وزُييدَ ومذحجِ كُلِّها ، وبعثَ معه خالِدَ بنَ سَعِيدَ بنَ العاصِ على الصدقة ، فكانَ معه في بلاده حتى توفي رسولُ الله ﷺ ^(١) .

قدم عمرو بن معدي كرب

في أناس من بني زُييد

قدم عمرو ، فأسلم ، وقد كان قال لقيس بن مكشوح المرادي — وقيس ابن أخته — يا قيسُ إنك سيّدُ قومِكَ ، وقد ذُكرَ لنا أن رجلاً من قریش يُقال له محمد ، قد خرج بالحِجاز ، يقول : إنه نبي . فانطلق بنا إليه ، حتى نعلمَ علَمَه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عنكَ ، إذا لقيناه اتبعناه . وإن كان غير ذلك علمنا علَمَه . فأبى عليه قيس ذلك وسفّه رأيه ، فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلمَ وصدّقه وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيساً أوعدَ عمراً ، فقال عمرو في ذلك شعراً أوله :

أمرتكَ يومَ ذيِ اصنعا ءأمرأً بادياً رُشدُه

وأقام عمرو في قومه من بني زُييد وعليهم فروة بن مُسيك ، فلما تُوفي رسولُ الله ﷺ ارتد عمرو . قاله ابن إسحاق ^(٢) .

وذكر أبو عمر من طريق ابن عبد الحكم قال : حدثنا الشافعي ، قال : وجّه رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وخالِدَ بنَ سَعِيدَ بنَ العاصِ إلى اليمن ، قال : إذا اجتمعنا فَعَلِيّ الأمير ، وإذا افرقتما فكلُّ واحدٍ منكم أمير . فاجتمعا ، وبلغ عمرو بن معدي كرب مكانَهُما ، فأقبلَ في جماعة من قومه ، فلما دنا منهما ، قال : دعوني حتى آتي هؤلاء القوم ، فإنني لم أَسْمُ لأحدٍ قطُّ إلا هابني . فلما دنا منهما نادى أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معدي كرب ، فابتدره عليّ وخالِدُ ، وكلاهما يقولُ لصاحبه : خلّني وإياه ، ويُقدِّيه بأبيه وأمه . فقال

(١) السيرة النبوية ٥٨٢/٢ — ٥٨٣ .

(٢) المصدر السابق ٥٨٣/٢ — ٥٨٥ .

عمرو إذ سمع قولهما : العرب تُفَزِّعُ بي ، وأراني هؤلاء جَزَرَةٌ^(١) . فانصرف عنهما .
 وكان عمرو فارسَ العرب مشهوراً بالشجاعة ، وكان شاعراً مُحَسَّناً ، مما يُستجاد من
 شعره قوله :

أَعَاذَلْ غُدَّتِي يَزَنِي وَرَمَحِي	وَكُلُّ مُقْلَصٍ سَلَسِ الْقِيَادِ ^(٢)
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَفْنَى شِبَابِي	إِجَابَتِي الصَّرِيحَ إِلَى الْمَنَادِي
مَعَ الْأَبْطَالِ حَتَّى سُلَّ جَسْمِي	وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ التَّجَادِ
وَيَقْبَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حَلْمِي	وَيَفْنِي قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي
تَمْنَى أَنْ تُلَاقِيَنِي قَيْسٌ	وَدَدْتُ ، وَأَيْنَا مَنِي وَدَادِي ؟
فَمَنْ ذَا عَاذِرِي مِنْ ذِي سَفَاهِ	يُرَوِّدُ بِنَفْسِهِ شَرَّ الْمَرَادِ
أُرِيدُ حَيَاتِهِ وَيُرِيدُ قَتْلِي	عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ ^(٣)

يُرِيدُ قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ ، وَأَسْلَمَ قَيْسٌ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الصَّحَابَةِ ، وَقِيلَ : كَانَ
 إِسْلَامُهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ شَجَاعاً فَارِساً شَاعِراً ، وَكَانَ يُنَاقِضُ عَمراً ، وَهُوَ
 الْقَائِلُ لِعَمْرُو :

فَلَوْ لَا قَيْسِي لَا قَيْتَ قَرْنًا	وَوَدَّعْتَ الْحَبَائِبَ بِالسَّلَامِ
لَعَلَّكَ مُوَعِدِي بَيْنِي زُبَيْدٍ	وَمَا قَامَعْتُ مِنْ تِلْكَ اللَّتَامِ
وَمِثْلُكَ قَدْ قَرَنْتُ لَهُ يَدِيهِ	إِلَى اللَّحْيَيْنِ يَمْشِي فِي الْخِطَامِ

قدوم الأشعث بن قيس

وقدم الأشعث بن قيس في ثمانين ركباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده

(١) « جَزَرَةٌ » : شاة سمينة .

(٢) « يَزَنِي » : كذا في الأصول ، نسبة إلى « يَزَن » أحد ملوك حمير ، تنسب إليه الرماح . وفي الاستيعاب
 « بدني » معناه : درعي ، على حد قوله تعالى عن فرعون ﴿ فاليوم نتجيك ببندق ﴾ أي بدرعك ، كما فسره
 بعضهم . نور الثرائس لوحة ١٤٠/٣ . .

(٣) كذا في الاستيعاب ٥٢١/٢ وبعض النسخ ، ويروى « جَبَاؤُهُ » والأول أسير .

وقد رَجَلُوا^(١) جُمَمَهُمْ وتكحلوا ، وعليهم جُبُّ الحَبِرةِ قد كَفَفُوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ، قال : ألم تُسَلِّمُوا ؟ قالوا : بلى . قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فَشَقَّوْهُ مِنْهَا وَالْقَوَّه ، وقالوا : يا رسول الله نحن بنو آكل المُرار وأنت ابن آكل المُرار . فتبَّسَّم رسول الله ﷺ وقال : « نحن بنو النضر بن كِنانة لا نقفوا أُمَّتاً ولا ننتمي من أئبنا »^(٢) .

وكان الأشعث رئيساً مطاعاً في الجاهلية وجيهاً في قومه في الإسلام ، إلا أنه كان ممن ارتد بعد النبي ﷺ ، ثم راجع الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق ؛ وشهد بعد ذلك مع سعد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند ، ومات سنة أربعين أو اثنتين وأربعين بالكوفة .

● وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية من كِنْدَةَ ، وقيل : جده حجر بن عمرو ، أكل هو وأصحابه في غزوة شجراً يُقال له المُرار ، وللنبي ﷺ جدة من كِنْدَةَ مذكورة ، هي أم كلاب بن مرة ، فذاك أراد الأشعث^(٣) .

(قدوم صُرْد بن عبد الله الأزدي)

وقدم صُرْد بن عبد الله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد ، فأمره على من أسلم من قومه ، وأمره أن يُجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فخرج حتى نزل بجُرش ، وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن . وقد ضوت إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه . ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان بجبل يُقال له شُكْر ، ظن أهل جُرش إنما ولي عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً . وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شكر ؟ فقام

(١) « رَجَلُوا جُمَمَهُمْ » : سَرَحُوا وَمَشَطُوا نَوَاصِيَهُمْ .

(٢) « لا نقفوا أُمَّتاً .. » لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات . والحديث رواه ابن ماجه في الحدود (باب من نفى رجلاً من قبيلة) رقم / ٢٦١٢ / وإسناده صحيح وانظر الفصول في سيرة الرسول ﷺ ،

للحافظ ابن كثير ص ٨٦ بتحقيقنا .

(٣) السيرة النبوية ٥٨٥/٢ — ٥٨٦ .

الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يُقال له كشر ، وكذلك يسميه أهل جُرش . فقال : إنه ليس بكُشر ولكنه شُكر . قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدِنَ الله لتحرُّ عنده الآن . قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر — أو إلى عثمان — فقال لهما : ويحكمما إن رسولَ الله ﷺ الآن لينمى لكما قومكما ، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فأسألاه ذلك . فقال : اللهم ارفع عنهم . فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرْدُ بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر . فخرَجَ وفدُ جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم^(١) .

(قدوم رسول ملوك حِمير بكتابهم)

وقدم على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِمير ، ورسولُهم إليه بإسلامهم الحارث بن عبد كُلال ، ونعيم بن عبد كُلال ، والنعمان — قَبْلُ ذي رُعين ، ومُعاfer ، وهَمْدان — . وبعثَ إليه زُرْعَةُ ذو يَزِنَ بإسلامهم ، فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كُلال ، وإلى النعمان قَبْلُ ذي رُعين ومُعاfer وهَمْدان ، أما بعد : فأني أحمدُ الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه وقع بنا رسولُكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمسَ الله تعالى ، وسهم النبي وصفيه ، وما كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة ، من العقار عَشْرُ ما سقت العين وسقت السماء ، وما سقى العَرَبُ نصفُ العُشر ، وأن في الإبل الأربعين ابنة لَبُون ، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لَبُون ذكر ، وفي كلِّ خمس من الإبل شاة ، وفي كلِّ عَشْرٍ شاتان ، وفي كلِّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلِّ ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفي كلِّ أربعين من الغنم سائمةٌ وحدها : شاة ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير

(١) السيرة النبوية ٥٨٦/٢ — ٥٨٧ .

له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها وعليه الجزية ، على كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى ، حرّاً أو عبد ، ديناراً وإف من قيمة المعافير^(١) ، أو غوضه ثياباً . فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد : فإن محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذي يزن أن : إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيراً ، معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عُبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مُرارة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم^(٢) ، وأبلغوها رُسلي ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا يتقلبن إلا راضياً . أما بعد : فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله . ثم إن مالك بن مُرارة الرَّهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشّر بحير ، وأمرَك بِحُمَيْرٍ خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله ﷺ هو مولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحِلُّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُرَكَّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمرَك به خيراً ، فإنه منظور إليهم^(٣) والسلام عليكم ورحمة الله .

إسلام قُروة بن عمرو

قال ابن إسحاق : وبعث قُروة بن عمرو بن النَّافرة الجُدامي رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء . وكان قُروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه أخذوه فحبسوه

(١) « المعافير » : ثياب منسوبة إلى معافير ؛ بلد باليمن ، ويقال : معافري أيضاً كما جاء في النهاية ؛ لابن الأثير .

(٢) « مخاليفكم » : جمع مخلاف ، وهو المدينة بلغة اليمن .

(٣) كذا في النسخة « هـ » وفي « أ » و « ج » : « إليه » . وفي النص سقط من كلام ابن إسحاق بعد قوله :

« وأمرَك به خيراً .. » هو : وإني قد أرسلت إليكم من صالحى أهلي ، وأولي دينهم ، وأولي علمهم ، وأمرَك

بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام

٥٩٠/٢ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحى ٤٩٢/٦ .

عندهم ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين ، فزعم الزهري ابن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

أبلغ سَراةَ المسلمين بأنني سَلَّمُ لربي أعظمي ومُقامي
ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر — أو جُمادى الأولى — سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً : فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يُعلِّمهم الإسلامَ ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فكتب له رسول الله ﷺ أن يُقبلَ ، ويُقبلَ معه وفدهم . فأقبل وأقبلَ معه وفدهم ، منهم : قيس بن الحُصين ذي العُصَّة ، ويزيد بن عبد المَدَّان ، ويزيد بن المُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزياتي ، وشَدَّاد بن عبد الله القَنَاني ، وعمرو بن عبد الله الصُّبَائي^(١) . وقال لهم رسول الله ﷺ : كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً . قال : بلى . قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرَّق ، ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : صدقتم . وأمر عليهم قيس بن الحُصين ، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال — أو في ذي القعدة — فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر ، حتى توفي رسولُ الله ﷺ .

● وذو العُصَّة : لقب لأبي قيس ، قيل له ذلك ، لِعُصَّة كانت بحلقه لا يكاد يُبين منها .

(١) الاسم السادس ساقط من الأصول ، وأثبتناه من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩٣/٢ ، ونور النيراس لوحة ١٤٤/٣ .

(قدوم رفاعة بن زيد الجذامي)

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجذامي ، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إني بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .
فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة حرة الرّجلاء فزّلوها (١) .

(قدوم وفد همدان)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد همدان ، منهم مالك بن (٢) نمط أبو ثور ، ومالك بن أيفع ، وضيمام بن مالك السلماني ، وعميرة بن مالك الحارفي . فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الخبرات ، والعمائم العذنية ، على الرواحل المهريّة والأرحبيّة ، ومالك بن نمط يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ ، ويقول :

إليك جاوذن سواد الرّيف
في هبوات الصّيف والخريف
مخطّات بحال الليف

وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً . فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه ، وأمر عليهم مالك بن نمط ، واستعمله على من أسلم من قومه ، وأمره بقتال ثقيف ، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه . وكان مالك بن نمط شاعراً مُحسناً ، فقال :
ذكرت رسول الله في فحمة الدّجى ونحن بأعلى رَحْرَحَان وصلد (٣)

(١) السيرة النبوية ٥٩٦/٢ .

(٢) مالك بن نمط : كنيته أبو ثور ، ولقبه : ذو المشعار ، وقد جاءت الواو خطأ بين اسمه كنيته في السيرة النبوية

٥٩٧/٢ . نور النبراس لوحة ١٤٥/٣ .

(٣) « رَحْرَحَان وصلد » : موضعان .

وهنّ بنا خُوصٌ قلائصُ تغلّي
على كلِّ فتلاء الذراعين جَسْرَةَ
حلفتُ ربِّ الرافصاتِ إلى مِنّي
بأنّ رسولَ الله فينا مُصَدِّقٌ
فما حملتُ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها
وأعطى إذا ما طالِبُ العرفِ جاءه
● الهَجَفُ : الظليمُ المسن .

● والحَفِيدُ : الطويل الساقين من الظلّمان .

(وفد تُجِيب)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد تُجِيب ، وهم من السُّكُون ، ثلاثة عشر رجلاً ، قد ساقوا معهم صدقاتِ أموالهم التي فرض الله تعالى عليهم ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بهم وأكرمَ منزلَهم ، وقالوا : يا رسول الله سقنا إليك حق الله في أموالنا . فقال رسولُ الله ﷺ : رُدُّوها فاقسيموها على فقرائكم . قالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فَضَّلَ عن فقرائنا . فقال أبو بكر : يا رسول الله ما وفد علينا وفدٌ من العرب مثلاً ما وفد به هذا الحي من تُجِيب . فقال رسول الله ﷺ : إن الهدى بيد الله عز وجل ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان . وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ، فازداد رسولُ الله ﷺ فيهم رغبة ، وأمرَ بلالاً أن يُحسن ضيافتهم ، فأقاموا أياماً ، ولم يُطيلوا اللَّبثَ ، فقبل لهم : ما يُعجلُكم ؟ فقالوا : نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما رَدَّ علينا . ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُودِّعونَه ، فأرسل

-
- (١) « خوص » : جمع خوصاء ، وهي الغائرة العيون من شدة الجري ، و« تغلّي » : تشتد في سيرها .
وه « لاحب » : طريق بين .
(٢) « جَسْرَة » : ناقة قوية على السير ، و« الهَجَفُ » : الذكر الضخم من النعام ، و« الحَفِيدُ » : بمعناه أيضاً .
(٣) « الرافصات » : الإبل ، والرقص : ضرب من السير في حركة ، و« الصوادر » : الرواجع ، و« القَرْدُ » : ما ارتفع من الأرض .

إليهم بلالاً ، فأجازهم بأرفع ما كان يُجيز به الوفود . قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سناً . قال : فأرسلوه إلينا . فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام : انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه ، فإننا قد قضينا حوائجنا منه وودّعناه . فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إني امرؤ من بني أبلدى — قال الواقدي : هو أبلدى بن عدي ، وأم عدي ثجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج ، وإليها يُنسبون — يقول الغلام : من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم ، فاقض حاجتي يا رسول الله . قال : وما حاجتك ؟ قال : إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي ، وإن كانوا قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم ، وإني والله ما أعملني^(١) من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي وأن يرحمني ، وأن يجعل غناي في قلبي . فقال رسول الله ﷺ — وأقبل على الغلام — : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم .

ثم وافوا رسول الله ﷺ في الموسم بمضى سنة عشر ، فقالوا : نحن بنو أبلدى . قال رسول الله ﷺ : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : يا رسول الله والله ما رأينا مثله قط ، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظروا ولا التفّت إليها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله ، وإني لأرجو أن يموت جميعاً^(٢) . فقال رجل منهم : أو ليس الرجل يموت جميعاً يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يُبالي الله عز وجل في أيها هلك . قالوا : فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق . فلما توفي رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكّرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد . وجعل أبو بكر رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله ، وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيد يُوصيه به خيراً .

* * *

(١) « ما أعملني » : ما حثني وساقني .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٢٣/١ وفيها « أن يموت » . والسيرة الشامية ٤٣٤/٦ — ٤٣٥ .

(وفد بني ثعلبة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني ثعلبة سنة ثمان ، مرجعه من الجعرانة ، أربعة نفر ، فنزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وجاءهم بلال بجفنة من ثريد بلبن وسمن ، فأكلوا وشهدوا الظهر مع النبي ﷺ ، وقالوا له : إنه لا إسلام لمن لا هجرة له . فقال عليه الصلاة والسلام : حيثما كنتم وأنقيم الله فلا يضركم .. ثم لما جاؤوا يُودِّعونه قال لبلال : أجزهم . فأعطى كل رجل منهم خمس أواق فضة^(١) .

(وفد بني سعد هذيم)

وقدم على رسول الله ﷺ بنو سعد هذيم ، من قضاة في سنة تسع . ذكره الواقدي عن ابن النعمان منهم ، عن أبيه ، قال : قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي ، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد غلبةً وأذاع^(٢) العرب ، والنَّاسُ صنفان ؛ إما داخل في الإسلام راغب فيه ، وإما خائف من السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤم المسجد ، حتى انتهينا إلى بابه ، فوجد رسول الله ﷺ يُصلي على جنازة في المسجد ، فقمنا خلفه ناحية ، ولم ندخل مع الناس في صلاتهم ، حتى تلقى رسول الله ﷺ ونبايعه . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فنظر إلينا ، فدعا بنا ، ثم قال : من أنتم ؟ فقلنا : من بني سعد هذيم ، فقال : أ مسلمون أنتم ؟ قلنا نعم . قال : فهلا صليتم على أخيكم ؟ قلنا : يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك . فقال رسول الله ﷺ : أينما أسلمتم فأنتم مسلمون . قال : فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا على الإسلام ، ثم انصرفنا إلى رحالنا ، وقد كُنَّا خَلْفنا عليها أصغرنا ، فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا ، فأتي بنا إليه ، فتنقذ صاحبنا فبايعه على الإسلام . فقلنا : يا رسول الله إنه أصغرنا ، وإنه خادمنا . فقال : أصغر القوم خادمهم ، بارك الله عليه . قال : فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن ، لدعاء رسول الله ﷺ له . ثم أمر رسول الله ﷺ علينا ، فكان يؤمنا ، فلما أردنا الانصراف أمر

(١) الطبقات الكبرى ٢٩٨/١ .

(٢) « أذاع » : بالذال المعجمة : قهر واستولى .

بلالاً فأجازنا بأواقي من فضة ، لكل رجل منا ، فرجعنا إلى قومنا ، فرزقهم الله الإسلام^(١) .

(وفد بني فزارة)

قال أبو الربيع بن سالم في كتابه المسمى بـ « الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء » : ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن ، والحُرُّ بن قيس بن حصن ابن أخي عُيينة بن حصن ، وهو أصغرهم ، فنزلوا في دار^(٢) بنت الحارث ، وجاءوا رسول الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام ، وهم مُستنون^(٣) على ركاب عجاف ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسول الله أَسْتَتُّ بلادنا ، وهلكَت مواشينا ، وأجذبَ جنائبنا وعرَثَ^(٤) عيالنا ، فادعُ لنا ربَّكَ يُعْثِنَا ، واشفعْ لنا إلى ربِّكَ ، وليشفعْ لنا ربُّكَ إليك . فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ويلك^(٥) هذا أنا أشفعُ إلى ربي عز وجل ؟ فمن ذا الذي يشفعُ ربنا إليه ، لا إله إلا هو العليُّ العظيم ، وسعَ كرسيُّه السموات والأرضَ ، فهي تَحِطُّ^(٦) من عظمتِه وجلالِه ، كما يحيط الرجلُ الحديد . وقال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحكُ من شَفَقِكُمْ وَأَزَلِكُمْ^(٧) ، وقُربِ غيائِكُمْ . فقال الأعرايُّ : يا رسول الله ويضحكُ ربنا عز وجل ؟ قال : نعم . قال الأعرايُّ : لن يَعدِمَكَ من ربِّ يضحكُ خيرٌ . فضحك النبي ﷺ من قوله ، وصعدَ المنبرَ ، فتكلَّم بكلماتٍ ، وكان لا يرفعُ يديه في شيء من الدعاء إلا رفعَ الاستسقاء^(٨) ، ورفعَ يديه

(١) الطبقات الكبرى ٣٢٩/١ - ٣٣٠ بأخصر مما هنا .

(٢) هي رملة بنت الحارث المتقدمة في وفد بني ثعلبة ص ٣٣١ .

(٣) « مستنون » : مُجدبون .

(٤) « وعرَثَ عيالنا » : جاعوا .

(٥) « ويلك هذا » : ويلك يا هذا .

(٦) « تحطُّ » : من الأَطيَط ، وهو صوت الرَّحْلِ .

(٧) « من شَفَقِكُمْ وَأَزَلِكُمْ » : من إشفاقكم وضييقكم .

(٨) « إلا رفعَ الاستسقاء » : كذا قال في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه .. قالوا في معناه : لا يرفع

الرفع البالغ ؛ أو أن الراوي لم يره ، وإلا فقد ثبت فيما أو في أحدهما نحو ثلاثين حديثاً في كل منهما رفع

اليدنين في الدعاء .. نور التيرامس لوحة ١٤٩/٣ .

حتى رؤي بياضُ إبطيه ، وكان مما حُفظ من دعائه : اللهم اسق بلادَكَ وبهائِكَ ، وانشر رحمَتَكَ ، وأحي بلدَكَ الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُريحاً مُريعاً ، طبقاً واسعاً ، عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم اسقنا رحمة ، ولا تسقنا عذاباً ، ولا هدماً ولا غرقاً ولا مَحَقاً ، اللهم اسقنا الغيثَ وانصرنا على أعدائنا . فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، فقال : يا رسول الله التمر في المربد . فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عُرياناً يسدُّ ثعلبَ^(١) مِربده بإزاره . قالوا : لا والله ما في السماء سحابٌ ولا قَزَعَةٌ ، ولا بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار ، فطلعتُ من وراء سلع سحابةً مثلُ التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فوالله ما رأينا الشمسَ سبتاً^(٢) ، وقام أبو لبابة عُرياناً يسدُّ ثعلبَ مِربده بإزاره ، لئلا يخرجَ التمر منه ، فجاء ذلك الرجل أوغيره ، فقال : يا رسول الله هلكتِ الأموالُ ، وانقطعتِ السبلُ . فصعدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ ، فدعا ورفع يديه مدّاً ، حتى رؤي بياضُ إبطيه ، ثم قال : اللهم حَوَالَيْنَا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظُرابِ^(٣) وبطون الأودية ومنابت الشجر . قال : فانجابتِ السحابةُ عن المدينة انجيابَ الثوبِ^(٤) .

(وفدُ بني أسد)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ بني أسد ، عشرة رهط ، فيهم وابصة بن معبد ، وطليحة بن خويلد ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه ، فسَلَمُوا وتكَلَّمُوا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا شهدنا أَنَّ اللَّهَ وحده لا شريك له وَأَنَّكَ عبده ورسوله ، وجئناك يا رسولَ الله ولم تبعثْ إلينا بعثاً^(١) ، ونحن لمن وراءنا . قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله على رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تُمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات : ١٧] .

وكان مما سألوا رسولَ الله ﷺ عنه يومئذ العِيافةُ^(٥) والكِهانة وضربُ الحصى ، فهاهم

(١) « ثعلب مِربده » : مخرج الماء منه .

(٢) « سبتاً » : أراد أسبوعاً ؛ من السبت إلى السبت ، وورد في صحيح البخاري « سبتاً » أي ستة أيام .

(٣) « الظُراب » : الروابي الصغار .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٩٧/١ .

(٥) « العِيافة » : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها .

عن ذلك كله ، فقالوا : يا رسول الله إن هذه أمورٌ كُنَّا نفعلُها في الجاهلية . أَرَأَيْتَ خَصْلَةً بَقِيَتْ ؟ قال : وما هي ؟ قالوا : الخط^(١) . قال عَلَّمَهُ نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ صَادَفَ^(٢) مِثْلَ عَلَيْهِ عَلِمَ .

(وفد بهراء)

وذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد ، قالت : سمعت أُمِّي ضُبَاعَةَ بنت الزبير بن عبد المطلب ، تقول : قدم وفد بهراء من اليمن ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد ، ونحن في منازلنا بيني جديلة ، فخرج إليهم المقداد فرَحَّبَ بهم وأنزلهم ، وجاءهم بحفنة من خَيْس^(٣) ، كُنَّا قد هيَّأناها قبل أن يَجِلُّوا ؛ لنجلسَ عليها . فحملها أبو معبد المقداد — وكان كريماً — على الطعام ، فأكلوا منها ، حتى نهلوا ، وَرُدَّتْ إلينا القصعةُ وفيها أَكَلٌ ، فجمعنا تلك الأكلَ في قصعة صغيرة ، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ ، مع سِدْرَةٍ مولاتي ، فوجدته في بيت أم سلمة ، فقال رسول الله ﷺ : ضُبَاعَةُ أُرْسِلَتْ بهذا ؟ قالت سِدْرَةُ : نعم يا رسول الله . قال : ضعي . ثم قال : ما فعل ضيفُ أبي معبد ؟ قلت : عندنا . فأصاب منها رسولُ الله ﷺ أَكْلاً هو ومن معه في البيت ، حتى نهلوا^(٤) ، وأكلت معهم سِدْرَةُ ، ثم قال : اذهبي بما بقي إلى ضيفكم . قالت سِدْرَةُ : فرجعتُ بما بقي في القصعة إلى مولاتي . قالت : فأكل منها الضيفُ ما أقاموا ، تُرَدِّدُهَا عليهم وما تغيضُ^(٥) ، حتى جعل الضيفُ يقولون : يا أبا معبد ! إنك لتُنهِّلنا من أحبِّ الطعام إلينا ،

(١) « الخط » : ضرب الرمل ، وهو نوع من الكهانة منهي عنه ؛ كما بين ذلك النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم في الصلاة (باب تحريم الكلام في الصلاة) ٢٣/٥ فقال : فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه .

(٢) « فمن صادف » : في صحيح مسلم : « فمن وافق » قال النووي رحمه الله تعالى : اختلف العلماء في معناه ، فالصحيح أن معناه : من وافق خطه فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة ، فلا يُباح ، والمقصود أنه حرام ، لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها .. صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣/٥ .

(٣) « خَيْس » : طعام متخذ من التمر والأقط والسمن .

(٤) « نَهَلُوا » : طعموا .

(٥) « تغيض » : تنقص .

وما كُنَّا نقدر على مثل هذا إلا في الحَيْن ، وقد ذُكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام إنما هو العَلَقُ^(١) أو نحوهُ ، ونحن عندك في الشُّبْع . فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها أَكْلاً ورَدَّهَا ، فهذه بركة أصابع رسول الله ﷺ ، فجعلَ القومُ يقولون : نشهد أنه رسول الله ، وازدادوا يقيناً ، وذلك الذي أرادَ رسولُ الله ﷺ .

وتعلَّموا الفرائضَ وأقاموا أياماً ، ثم جاؤوا رسولَ الله ﷺ فودَّعوه وأمرَ لهم بجوائِزهم ، ثم انصرفوا إلى أهلهم^(٢) .

(وفد بني عُذرة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عُذرة في صفر سنة تسع ، اثنا عشر رجلاً ، فيهم جهرة بن النعمان ، فقال رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال مُتَكَلِّمُهُم : مَنْ لا تُنكر ، نحن بنو عُذرة ، إخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا من بطن مكة خزاعةً وبني بكر ، ولنا قراباتٌ وأرحامٌ . قال رسول الله ﷺ : مرحباً بكم وأهلاً ، ما أعرفني بكم ! فأسلموا . وبشَّرهُم رسولُ الله ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع بلاده ، ونهاهم عن سؤال الكاهنة ، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها ، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية ، فأقاموا أياماً بدار رملة ، ثم انصرفوا ، وقد أُجيزوا^(٣) .

(وفد بلي)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدٌ بلي في ربيع الأول سنة تسع ، فأنزلهُم رويفع بن ثابت البلوي عنده ، وقدم بهم على رسول الله ﷺ ، فقال : هؤلاء قومي . فقال له رسول الله ﷺ : مرحباً بك وبقومك . فأسلموا ، قال لهم رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم للإسلام ، فكلُّ من مات منكم على غير الإسلام فهو في النار . وقال له أبو الضُّبَيْب — شيخ الوفد — : يا رسول الله إن لي رغبة في الضِّيافة ، فهل لي في ذلك أجر ؟ قال : نعم ، وكل معروف صنعته إلى غنيٍّ أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله ما وقت

(١) « العَلَقُ » : جمع عُلقَة ، وهي البُلغة من الطعام .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٣١/١ مختصراً .

(٣) الطبقات الكبرى ٣٣٢/١ .

الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحلُّ للضيف أن يقيمَ عندك فيحرَّجَكَ . قال : يا رسول الله أرايتَ الضَّالةَ من الغنم ، أجدُّها في الفلاة من الأرض ؟ قال : لك أو لأخيك أو للذئب . قال : فالبعير ؟ قال : مالك وله ، دعه حتى يجده صاحبه . قال رويفع : ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي ، فإذا رسولُ الله ﷺ يأتي منزلي ، يحملُ^(١) تمرًا ، فقال : استعن بهذا التمر . فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثًا ، ثم ودَّعوا رسولَ الله ﷺ ، وأجازهم ، ورجعوا إلى بلادهم^(٢) .

(وفد بني مُرَّة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً ، رأسهم الحارث بن عوف . قال : يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك ، نحن قومٌ من بني لؤي بن غالب . فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ، وقال للحارث : أين تركتَ أهلَكَ ؟ قال : بَسَلَاحَ^(٣) وما والاها . قال : فكيف البلاد ؟ قال والله إنا لمُستنون ، وما في المال^(٤) مُخٌّ ، فادع الله لنا ، قال رسول الله ﷺ : اللهم اسقهم الغيث . فأقاموا أياماً ، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ ، مُودِّعينَ له ، فأمرَ بلالاً أن يُجيزَهم ، فأجازهم بأوقٍ وعشرِ أواقٍ مطيرة ، وفَضَّلَ الحارثَ بن عوف اثني عشرة أوقية ، ورجعوا إلى بلادهم ، فوجدوا البلادَ مطيرةً ، فسألوا : متى مُطرتم ؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسولُ الله ﷺ فيه ، وأخصبتْ بعد ذلك بلادهم^(٥) .

(وفد خَوْلَان)

وقدم على رسول الله ﷺ في شعبان سنة عشر وفدُ خولان ، وهم عشرة ، فقالوا : يا رسول الله نحن على مَنْ وراعنا من قومنا ، ونحن مؤمنون بالله عز وجل ، مُصدِّقون برسوله ، قد ضربنا إليك أباطَ الإبل ، وركبنا حُزُونَ الأرض وسهولها ، والمِنَّةُ لله ولرسوله علينا ، وقدمنا

(١) المصدر السابق ١/٣٣٠ ، وفيها « يأتي يحمل تمر ... » .

(٢) « بَسَلَاحَ » : كَسَحَاب ، موضع بأسفل خير .

(٣) « وما في المال مخٌ » : كناية عن ذهاب مواشيهم بالقحط .

(٤) الطبقات الكبرى ١/٢٩٧ - ٢٩٨ .

زائرين لك . فقال رسول الله ﷺ : أَمَا ما ذكرتم من مسيركم إليَّ فإن لكم بكل خطوة خطاها بعيرٌ أحدكم حسنةً . وأما قولكم زائرين لك ، فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة . قالوا : يا رسول الله هذا السفر الذي لا توى^(١) عليه . ثم قال رسول الله ﷺ : ما فعلَ عمُ أنس ؟ — وهو صنمُ حَوْلان الذي كانوا يعبدونه — قالوا : بشرٌ ، بَدَلْنَا الله ما جثَّتْ به ، وقد بقيت منا بعدُ بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، ولو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله ، فقد كنا منه في غرور وفتنة . فقال لهم رسول الله ﷺ : وما أعظمُ ما رأيتم من فتنته ؟ قالوا : لقد رأيتنا وأُستَتْنَا حتى أَكَلْنَا الرُّمَةَ ، فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثورٍ ، ونحرناهم لعمِّ أنس قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها تردُّها السَّبَّاعُ ، ونحن أحوجُّ إليها من السباع . فجاءنا الغيثُ من ساعتنا ، ولقد رأينا العشب يُورِي الرِّجَالُ ، ويقول قائلنا : أنعمَ علينا عمُّ أنس .

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم ، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جُزءاً له وجزءاً لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فنجعلُ له وَسَطَهُ ، فنسميه له ، ونسمي زرعاً آخرَ حَجَرَةَ لله ، فإذا مالت الريح بالذي سَمَّيناه الله جعلناه لعمِّ أنس ، وإذا مالت الريح بالذي جعلناه لعمِّ أنس لم نجعله لله . فذكر لهم رسول الله ﷺ أَن الله عز وجل أنزل عليه في ذلك : ﴿ وَجْعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً .. الآية ﴾ [الأنعام : ١٣٦] قالوا : وكنا نتحاكم إليه فَتُكَلِّمُ . فقال رسول الله ﷺ : تلك الشياطين تُكَلِّمُكُمْ .

وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم ، وأمرهم بالوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وحسن الجوار لمن جاوروا ، وأن لا يظلموا أحداً ، قال : فَإِنَّ الظُّلْمَ ظِلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثم ودَّعوه بعد أيام ، وأجازهم ، ورجعوا إلى قومهم ، فلم يَحُلُّوا عقدةً حتى هدموا عمُّ أنس^(٢) .

● الْحَجَرَةُ : الناحية .

* * *

(١) « لا توى » : لا هلاك ، مصدر توى يتوي ؛ إذا هلك المال .

(٢) الطبقات الكبرى ١/٣٢٤ مختصراً .

(وفد بني مُحَارِب)

وقدم على رسول الله ﷺ عام حجة الوداع وفد بني مُحَارِب ، وهم كانوا أغلظ العرب وأفظه^(١) على رسول الله ﷺ في تلك المواسم أيام عرضه نفسه على القبائل ، يدعوههم إلى الله ، فجاء رسول الله ﷺ منهم عشرة نائين عمن وراءهم من قومهم ، فأسلموا ، وكان بلال يأتيهم بعشاء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلى العصر ، فعرف رجلاً منهم ، فأمدّه النظر ، فلما رآه المحاريّ يديم النظر إليه ، قال : كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَوْهَمُنِي ؟ قال : لقد رأيْتُكَ . فقال المحاريّ : إني والله لقد رأيْتُني وكلّمتني ، وكلّمتك بأقبح الكلام ، ورددتك بأقبح الردّ بعكاظ وأنت تطوف على الناس . فقال رسول الله ﷺ : نعم . ثم قال المحاريّ : يا رسول الله ما كان في أصحابي أشدّ عليك يومئذٍ ولا أبعد عن الإسلام مني ، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدّقْتُ بك ، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم . فقال رسول الله ﷺ : إن هذه القلوب بيد الله عز وجل . فقال المحاريّ : يا رسول الله استغفر لي من مراجعتي إياك . فقال رسول الله ﷺ : « إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر » . ثم انصرفوا إلى أهلهم^(٢) .

(وفد صُدَاء)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد صُدَاء في سنة ثمان ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الجعرانة بعث ببعوثاً إلى اليمن ، وهيئاً بعثاً استعمل عليهم قيس بن سعد بن عباد ، وعقد له لواء أبيض ، ودفع له راية سوداء ، وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين ، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صُدَاء . فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم ، وعلم بالجيّش ، فأقْبَلَ رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله جئتُك وافداً على من ورأني ، فأردد الجيْش وأنا لك بقومي . فردّ رسول الله ﷺ قيس بن سعد من صدور قناة ، وخرج الصُدائيّ إلى قومه ، فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم ، فقال سعد بن عباد :

(١) « وأفظه » كذا بالأصول بإزالة الجمع منزلة المفرد .

(٢) الطبقات الكبرى ٢٩٩/١ مختصراً .

يا رسول الله دعهم ينزلوا عليّ . فنزلوا عليه ، فحبّاهم وأكرمهم وكسّاهم ، ثم راح بهم إلى النبي ﷺ ، فبايعوه على الإسلام ، وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا . فرجعوا إلى قومهم ، ففشا فيهم الإسلام ، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع .

ذكر هذا الواقدي عن بعض بني المصطلق . وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي ، أنه الذي قدم على رسول الله ﷺ ، فقال له : اردد الجيش وأنا لك بقومي ، فردّهم . قال : وقدم وفد قومي عليه ، فقال لي : يا أبا صُداء ! إنك لمطاع في قومك ؟ قال : قلت : بلى ، من الله عز وجل ومن رسوله . وكان زياد هذا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، قال : فاعتشى رسول الله ﷺ — أي : سار ليلاً — واعتشينا معه ، وكنت رجلاً قوياً . قال : فجعل أصحابه يتفرقون عنه ، ولزمت غرزه^(١) . فلما كان في السحر قال : أذن يا أبا صُداء . فأذنت على راحلتي ، ثم سرنا حتى نزلنا ، فذهب لحاجته ثم رجع . فقال : يا أبا صُداء هل معك ماء ؟ قلت : معي شيء في إداوتي^(٢) . قال : هاته . فجئت به . فقال : صُب . فصببت ما في الإداوة في القعب ، وجعل أصحابه يتلاحقون ، ثم وضع كفه على الإناء ، فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفور . ثم قال : يا أبا صُداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقيتنا واستقيتنا . ثم توضأ وقال : أذن في أصحابي : من كانت له حاجة بالوضوء فليرد . قال : فوردوا من آخرهم ، ثم جاء بلال يُقيم ، فقال رسول الله ﷺ : إن أبا صُداء أذن ، ومن أذن فهو يقيم . فأقمْتُ ، ثم تقدّم رسول الله ﷺ فصلى بنا ، وكنتُ سأله قبل : أن يؤمرني على قومي ويكتب لي بذلك كتاباً ، ففعل . فلما سلم — يريد من صلاته — قام رجلاً يشتكي من عامله ، فقال : يا رسول الله ! إنه أخذنا بذحول^(٣) كانت بيننا وبينه في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : لا خير في الإمارة لرجل مسلم . ثم قام رجل فقال : يا رسول الله أعطني من الصدقة . فقال رسول الله ﷺ : إن الله لم يكلّ قسّمها إلى ملك مُقرّب ولا نبي مرسل ، حتى جزأها على ثمانية أجزاء ، فإن كنت جزءاً منها أعطيتك ، وإن كنت غنياً عنها فإنما هو صُداع في الرأس وداء في البطن . فقلت في نفسي :

(١) « غَرَزَه » : الغرز : ركاب رجل البعير ، يكون من جلد أو خشب والمقصود هنا ملازمته له .

(٢) « إداوتي » : الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) « بذحول » : الذحول : جمع دَحَل ، وهو العداوة والثأر .

هاتان خصلتان ؛ حين سألت الإمارة وأنا رجل مسلم ، وسألته من الصدقة وأنا غني عنها . فقلت : يا رسول الله هذان كتاباك فاقبلهما . فقال رسول الله ﷺ : ولم ؟ قلت : إني سمعتك تقول : لا خير في الإمارة لرجل مسلم ، وأنا مسلم . وسمعتك تقول : من سأل من الصدقة وهو عنها غني فإيما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني . فقال رسول الله ﷺ : أما إن الذي قلت كما قلت . فقبلهما رسول الله ﷺ ، ثم قال : دُلني على رجل من قومك أستعمله . فدللته على رجل منهم ، فاستعمله . قلت : يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها ، وإذا كان الصيف قلّ علينا ، ففترقنا على المياه ، والإسلام اليوم فينا قليل ، ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنَا . فقال رسول الله ﷺ : ناولني سبعَ حصيات . فناولته ، فعراهنَّ بيده ، ثم دفعهنَّ إليَّ وقال : إذا انتهيت إليها ، فألق فيها حصاة حصاة وسم الله . قال : ففعلتُ ، فما أدركنا لها قرأاً حتى الساعة^(١) .

(وفد غَسَّان)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ غَسَّان في شهر رمضان سنة عشر ، ثلاثة نفر ، فأسلموا ، وقالوا : لا ندرى أيتبعنا قومنا أم لا ، وهم يُحبُّون بقاء ملكهم ، وقرب قيصر . فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز ، وانصرفوا راجعين ، فقدموا على قومهم ، فلم يستجيبوا لهم ، وكنتمو إسلامهم حتى مات رجلان منهم على الإسلام ، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك ، فلقي أبا عبيدة ، فخبَّره بإسلامه ، فكان يكرمه^(٢) .

(وفد سَلَامَانَ)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ سَلَامَانَ ، سبعة نفر ، فيهم حبيب بن عمرو السَلَاماني ، فأسلموا ، وقال : حبيب : فقلت : أي رسول الله ! ما أفضل الأعمال ؟ قال : الصلاة في وقتها .. ثم ذكر حديثاً طويلاً . وصلُّوا معه يومئذ الظهر والعصر . قال : فكانت صلاة العصر أخفَّ في القيام من الظهر . ثم شكوا إليه جدب بلادهم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقهم الغيث في دارهم . فقلت : يا رسول الله ! ارفع يديك فإنه أكثر

(١) الطبقات الكبرى ٣٢٦/١ — ٣٢٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٣٨/١ — ٣٣٩ .

وأطيب . فتبسّم رسول الله ﷺ ، ورفع يديه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه . ثم قامَ وقمنا معه ، فأقمنا ثلاثاً ، وضيافته تجري علينا ، ثم ودّعناه ، وأمر لنا بجوائز ، فأعطينا خمسَ أواقٍ فضّةٍ لكل رجلٍ منا ، واعتذر إلينا بلال ، وقال : ليس عندنا اليوم مال . فقلنا : ما أكثرَ هذا وأطيبه . ثم رحلنا إلى بلادنا ، فوجدناها قد مُطرت في اليوم الذي دعا فيه رسولُ الله ﷺ في تلك الساعة .

قال الواقدي : وكان مقدمهم في شوال سنة عشر^(١) .

(وفد بني عبس)

وقدّم على رسول الله ﷺ وفدُ بني عبس ، فقالوا : يا رسول الله ! قدّم علينا قراؤنا ، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرةَ له ، ولنا أموال ومواش ، وهي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرةَ له فلا خيرَ في أموالنا ، بعناها وهاجرنا من آخرنا . فقال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حيث كنتم ، فلن يَلتُكم من أعمالكم شيئاً . وسألهم رسولُ الله ﷺ عن خالد بن سِنان : هل له عقب ؟ فأخبروه أنه لا عقبَ له ، وكانت له ابنة فأنقرضت . وأنشأ رسولُ الله ﷺ يُحدّث أصحابه عن خالد بن سِنان ، فقال : « نبيّ ضيعه قومه »^(٢) .

(وفد غامد)

قال الواقدي : وقدّم على رسول الله ﷺ وفدُ غامد سنة عشر ، وهم عشرة ، فنزلوا في بقيع الغرقد ، وهو يومئذ أثلٌ وطرفاء ، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ ، وخَلَفُوا عند رَحْلِهِم أحدثهم سناً ، فنأَمَ عنه ، وأتى سارقٌ فسرقَ عِيَةً لأحدهم فيها أثواب له . وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ ، فسَلَّمُوا عليه ، وأقرُّوا له بالإسلام ، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع من شرائع الإسلام ، وقال لهم : مَنْ خَلَفْتُمْ في رحالكم ؟ قالوا : أحدثنا سنّاً يا رسول الله . قال : فإنه قد نأَمَ عن متاعكم ، حتى أتى آتٍ فأخذَ عِيَةً أحدكم . فقال أحد القوم : يا رسول الله ما لأحدٍ عِيَةٌ غيري . فقال رسول الله ﷺ : قد أخذت وردّت إلى موضعها . فخرج القوم سراعاً حتى أتوا رَحْلَهُم ، فوجدوا صاحبهم ، فسألوه عما خبرهم رسولُ الله ﷺ . فقال : فزعُتْ

(١) المصدر السابق ٣٣٢/١ — ٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٥/١ — ٢٩٦ ، والحديث رواه الحاكم في المستدرک ولم يتعقبه الذهبي ، وفيه محمد بن مهدي ، وفيه مقال . قال أبو حاتم : يأتي أحياناً بالناكير ، ووثقه غيره . نور النراس لوحة ١٥٤/٣ .

من نومي ، ففقدت العيبة ، فقمْتُ في طلبها ، فإذا رجلٌ قد كان قاعداً ، فلما رأيته ثارَ يعلو مني ، فانتهيتُ إلى حيثُ انتهى ، فإذا أثر حفرة ، وإذا هو قد غيَّب العيبة ، فاستخرجتها ، فقالوا : نشهدُ أنه رسولُ الله ، فإنه قد أخبرنا بأخذها ، وأنها قد رُدَّت . فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه ، وجاء الغلامُ الذي خلَّفوه فأسلم . وأمر النبي ﷺ أيَّ بن كعب فعلمهم قرآناً . وأجازهم ﷺ كما كان يُجيز الوفودَ وانصرفوا^(١) .

(وفد النَّخَع)

وقدَّمَ على رسول الله ﷺ وفدُ النَّخَع ، وهم آخر وفد . قدموا للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل ، فنزلوا دارَ الأضياف ، ثم جاؤوا رسولَ الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذَ بن جبل ، فقال رجل منهم يُقال له زُرارة بن عمرو : يا رسول الله إني رأيتُ في سفري هذا عجباً . قال : وما رأيتُ ؟ قال : رأيتُ أتانا تركتها في الحيِّ كأنَّها ولدتُ جدياً أسفعَ أحوى^(٢) . فقال له رسول الله ﷺ : هل تركتَ أمةً لك مُصرَّةً على حملٍ ؟ قال : نعم . قال : فإنها قد ولدتُ غلاماً ، وهو ابنك . قال : يا رسول الله فما باله أسفعَ أحوى ؟ قال : ادنُ مني . فقال : هل بك من برصٍ تكتمه ؟ قال : والذي بعثك بالحقِّ ما عَلِمَ به أحدٌ ولا أطلعَ عليه غيرُك . قال : فهو ذلك . قال : يا رسول الله ! ورأيتُ النعمانَ بن المنذرِ عليه قرطانٌ ودُمْلُجانٌ ومَسَكَنانٌ . قال : ذلك مُلْكُ العربِ رجَعَ إلى أحسنِ رِيٍّ وبَهْجَةٍ . قال : يا رسول الله ! ورأيتُ عجوزاً شمْطاءً خرجتُ من الأرض . قال : تلك بقيَّةُ الدنيا . قال : ورأيتُ ناراً خرجتُ من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يُقال له عمرو ، وهي تقول : لظيَّ لظيَّ ، بصيرٌ وأعْمى ، أطعموني أَكَلِكُمْ ، أَهْلِكُمْ ومالكم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون في آخر الزمان . قال : يا رسول الله ! وما الفتنة ؟ قال : يقتلُ النَّاسُ إمامهم ، ويشجعون اشتجارَ أطباقِ الرأسِ — وخالف رسولُ الله ﷺ بين أصابعه — يَحْسِبُ المسيء فيها أنه مُحْسِنٌ ، ويكون دَمُ المؤمن عند المؤمن أحلَّ من شربِ الماء ، وإن ماتَ ابنُك أدركتَ الفتنة ، وإن ميتٌ أنت أدركها ابنُك .

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٤٥ مختصراً .

(٢) « أسفعَ أحوى » : أسود .

قال : يا رسول الله ! ادْعُ الله أن لا أدركَها . فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم لا يدركَها .
فمات ، وبقي ابنه ، وكان ممن خلَعَ عثمان رضي الله تعالى عنه^(١) .
● والمسك : مفتوح الميم والسين المهملة : الذُّبْل^(٢) ، والمسك : الأسورة والخلخالُ من
الذُّبْل والقرون والعاج ، وأحدثه مَسَكَة ، قاله ابن سيده .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٣٤٦/١ .

(٢) « الذُّبْل » : شيء كالعاج ، وقيل : ظهر السلحفاة البحرية .

ذكر بعثته ﷺ إلى الملوك

يدعوهم إلى الإسلام

بعث دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الحنندي ملكي عُمان ، وسليط بن عمرو العامري إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفين ملكي اليمامة ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سكاوى العدي ملك البحرين . وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام ، ويقال بعثه إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن .

ذكر كتاب النبي ﷺ إلى قيصر

وما كان من خبر دحية معه

ذكر الواقدي : من حديث ابن عباس ، ومن حديثه جَرَجَ في الصحيحين ؛ أن رسول الله ﷺ كتبَ إلى قيصر يدعوهُ إلى الإسلام ، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر ، وكان قيصر لما كشفَ الله عنه جنودَ فارس مثنى من حمص إلى إيلياء شكراً لله عز وجل فيما أبلاه من ذلك ، فلما جاء قيصر كتابُ رسول الله ﷺ ، قال : التمسوا لي ^(١) هاهنا من قومه أحداً نسألهم عنه .

قال ابن عباس : فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً ، وذلك في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش ، قال : فأتانا رسولُ قيصر ، فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء ، فأدخلنا عليه ، فإذا هو جالسٌ في مجلسٍ ملكه وعليه

(١) كذا في «أ» و«د» وفي بعض النسخ «لنا» .

التاج وحوله عظماء الروم ، فقال لترجمانه : سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً ، وليس في الركب يومئذ رجل من بني عبد مناف غيري . قال قيصر : أدنوه مني ، ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ، ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه : إنما قَدَّمْتُ هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، وإنما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا عليه كذباً إن قاله . قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأتروا عليّ كذباً لكذبتُ عنه ، ولكنني استحييتُ فصدقتُ وأنا كاره . ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نسبُ هذا الرجل فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : قل له : هل قال هذا القول أحدٌ منكم قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : هل كان من آبائه مَلِكٌ ؟ قلت : لا . قال : فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : فهل يزيدون أو ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحدٌ منهم سَخَطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن الآن منه في مُدَّةٍ لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : فهل قاتلمتوه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف حربكم وحربه ؟ قلت : دُولٌ وسِجالٌ يُدال عليه مرةً ويُدال علينا أخرى . قال : فما يأمركم به ؟ قلت : يأمرنا أن نعبُد الله وحده ولا نشركَ به شيئاً ، وبهنا عَمَّا كان يعبدُ أبائُنا ، ويأمرنا بالصَّلَاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة .

فقال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن نسبه ، فرعمتَ أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسلُ تُبعث في نسب قومها . وسألتك : هل قال هذا القول منكم أحدٌ قبله . فرعمتَ أن لا ، فلو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله لقلتُ رجلٌ يأتُمُّ بقول قيل قبله ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فرعمتَ أن لا ، فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذبَ على الناس ويكذب على الله . وسألتك : هل كان من آبائه مَلِكٌ ؟ قلت : لا ، فقلتُ لو كان من آبائه مَلِكٌ قلتُ رجلٌ يطلبُ مُلكَ أبيه . وسألتك : أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلتُ : ضعفاؤهم ، وهم أتباعُ الرسل . وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟ فرعمتَ أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم . وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ سَخَطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ، فرعمتَ أن لا ، وكذلك الإيمان حين تُخالط بشاشتة القلوب لا يسخطه أحد . وسألتك : هل قاتلمتوه ؟ فقلتُ : نعم ، وأن حربكم وحربه دُولٌ وسِجالٌ ، يُدال عليكم مرةً

وئذ اللون عليه أخرى ، وكذلك الرسل تُبْتَلَى ، ثم تكون لهم العاقبة . وسألتك : ماذا يأمركم به فرعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، وهو نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظن أنه فيكم ، وإن كان ما أتاني عنه حقاً فيؤشك أن يملك موضع قدمي هاتين ، ولو أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقيته^(١) ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه .

قال أبو سفيان : ثم دعا يكتب رسول الله ﷺ ، فقرأ ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين^(٢) ، ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

قال أبو سفيان : فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب ، علت أصوات الذين حوله ، وكثر لعظهم ، فلا أدري ما قالوا ، وأمر بنا فأخرجنا ، فلما خرجت أنا وأصحابي ، وخلصنا ، قلت لهم : لقد أمر^(٣) أمر ابن أبي كبشة ، هذا ملك بني الأصفر يخافه . قال : فوالله ما زلت ذليلاً مستيقناً أن أمره سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام^(٤) .

ويروى^(٥) في خبر أبي سفيان أنه قال لقيصر لما سأله عن النبي ﷺ : أيها الملك ألا أخبرك عنه خيراً تعرف به أنه قد كذب ؟ قال : وما هو ؟ قلت : إنه قد زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة ، فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح .

(١) « لقيته » : لقاءه ، كلاهما مصدر لقي .

(٢) « إثم اليريسيين » : اليريسيون : الأكثرون ، وهم الفلاحون والزارعون ؛ أي عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . نور النبراس لوحة ١٥٧/٣ .

(٣) « أمر » : عظم ، وأصله من الكثرة ؛ يقال : أمر القوم ؛ إذا كثروا .

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب في تفسير سورة آل عمران) رقم ٤٥٥٦/ .

(٥) ويروى : قال سبط ابن العجمي : هذه الزيادة لا أعرف من ذكرها ، والمؤلف رجل حافظ ثبت في كل ما ينقله ويحكىه ، لا يشك فيه ، وهي زيادة حسنة ، فكان ينبغي أن يعزوها .. نور النبراس لوحة ١٥٨/٣ .

قال : وبطريق إيلياء عند رأس قيصر ، فقال : صدق أيها الملك . قال : وما علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أنام كل ليلة حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي ، فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرني فلم نستطع أن نحركه ، فكأنما نزاول جبلاً ، فدعوت التجارين فنظروا إليه ، فقالوا : هذا باب سقط عليه التجاف^(١) والبنيان فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى ، فرجعت وتركنا البابين مفتوحين ، فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مربط الدابة ، فقلت لأصحابي : ما حيس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى الليلة في مسجدنا هذا . فقال قيصر لقومه : يا معشر الروم أستم تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشركم به عيسى بن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله قد جعله في غيركم في أقل منكم عدداً وأضيقت منكم بلداً ، وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء .

● اليريسون : دهاقين القرى وكانوا إذ ذاك مجوساً .

ذكر^(٢) توجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى^(٣)

بكتاب النبي ﷺ

ذكر الواقدي : من حديث الشفاء بنت عبد الله ؛ أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة السهمي منصرفه من الحديدية إلى كسرى ، وبعث معه كتاباً مختوماً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بداعية^(٤) الله ، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ،

(١) « التجاف » : عتبة الباب ، وتسمى : الأُسْكُفَة .

(٢) في بعض النسخ « خير » .

(٣) واسمه أبرويز بن هرمز : كذا سماه غير واحد ، منهم السهيلي . نور النبراس لوحة ١٥٨/٣ .

(٤) في « ج » بدعابة الإسلام .

وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، أَسْلَمَ تَسْلَمَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ ^(١) .

قال عبد الله بن حذافة : فانتبهت به إلى بابه ، فطلبت الإذن عليه ، حتى وصلت إليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ ، فقرأ عليه ، فأخذه ومزقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ، قال مَرْقَى اللَّهِ مُلْكُهُ .

وذكر أيضاً : من حديث أبي هريرة وغيره ، أن كسرى بينا هو في بيت كان يخلو فيه ، إذا رجل قد خرج إليه وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً ، فأسلم تسلم ، وأتبعه يبق لك مُلْكُكَ . قال كسرى : أَخَّرْ هذا عني أثراً ^(٢) . فما فدعا حُجَّابَهُ وبوابيه ، فتَوَعَّدَهُمْ ، وقال : من هذا الذي دخل عليّ ؟ قالوا : والله ما دخل عليك أحد ، وما ضَيَعْنَا لك باباً ، ومكث حتى كان العام المقبل ، أتاه فقال له مثل ذلك ، وقال : إلا تُسَلِّمَ أَكْسِرَ الْعَصَا . قال : لا تفعل أَخَّرْ ذلك أثراً . ثم جاء العام المقبل ففعل مثل ذلك ، وضرب بالعصا على رأسه فكسرها ، وخرج من عنده . ويقال إن ابنه قتله في تلك الليلة ، وأعلم الله بذلك رسوله ﷺ لحدثان كونه ^(٣) . فأخبر رسول الله ﷺ بذلك رسل باذان إليه .

وكان باذان عامل كسرى على اليمن ، فلما بلغه ظهور النبي ﷺ ودعاؤه إلى الله ؛ كتب إلى باذان أن ابعث إلى هذا الرجل الذي خالف دين قومه ، فمره فليرجع إلى دين قومه ، فإن أبى فابعث إليّ برأسه — ويروى : وإلا فليؤاخذك يوماً تقتلون فيه — فلما ورد كتابه إلى باذان بعث بكتابه مع رجلين من عنده ، فلما قدما على رسول الله ﷺ أنزلهما وأمرهما بالمقام ، فأقاما أياماً ، ثم أرسل إليهما رسول الله ﷺ ذات غداة ، فقال : انطلقا إلى باذان فأعلماه أن ربي عز وجل قد قتل كسرى في هذه الليلة . فانطلقا حتى قدما على باذان ، فأخبراه بذلك ، فقال : إن يكن الأمر كما قال ، فوالله إن الرجل لنبي ، وسيأتي الخبر بذلك إليّ يوم كذا ، فأتاه الخبر بذلك ، فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله ﷺ ^(٤) .

(١) « المجوس » : المقصود بهم رعيته وشعبه الذين يتبعونه وينقادون له .

(٢) « أثراً » : بمد الهمزة ، ثم ثاء مثله ثم راء ، الظاهر أن معناه : ناقلاً وحاكياً عنك . نور النيراس لوحة ١٥٩/٣ .

(٣) في « د » : بحدثان كونه . وأشار في نور النيراس أنهما بمعنى واحد ، وهو أول أمر حدوث الشيء .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٥٩/١ — ٢٦٠ مختصراً .

ويُقال : إن الخير أتاه بمقتل كسرى وهو مريض ، فاجتمعت إليه أساورته^(١) ، فقالوا : من تؤمر علينا ؟ فقال لهم : ملكٌ مُدبرٌ ، وملكٌ مقبلٌ ، فاتَّبِعُوا هذا الرجلَ ، وادخلوا في دينه ، وأسلموا . وماتَ باذان فبعثَ رؤوسهم إلى رسول الله ﷺ ، وقد هم يُعرفونه بإسلامهم .

ذكر إسلام النجاشي

وكتاب رسول الله ﷺ إليه ، مع عمرو بن أمية الضمري

ذكر ابن إسحاق أن عمراً قال له : يا أضحمة إن عليَّ القول وعليك الاستماع ، إنك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنا في الثقة بك منك ، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يُردُّ وقاضٍ لا يجور ، وفي ذلك الموقع الحزَّ وإصابة المِفصل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم ، وقد فرَّق النبي ﷺ رسله إلى الناس ، فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنتك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر يُنتظر ، فقال النجاشي : أشهد بالله إنه للنبي الذي تنتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وأن العيان ليس بأشقى من الخير .

وذكر الواقدي أن ذلك الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سلِّم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألَّفَها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه كما خَلَقَ آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالة على طاعته ، وأن تبغني وتؤمنَ بالذي جاءني ، فإني رسولُ الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغْتُ ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه النجاشي : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي

(١) « أساورته » : جمع إسوار ؛ أي : فرسانه .

أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن
عيسى بن مريم لا يزيد على ما ذكرت ثَفْرُوقاً ، إنه كما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ،
وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مُصَدِّقاً ، وقد بايعتك وبايعت
ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ^(١) .

● الثَفْرُوق : علاقة ما بين النواة والقمع .

وتوفي النجاشي سنة تسع بالحيشة ، وأخير رسول الله ﷺ بموته يومه ، وخرج بالناس
إلى المصلى فصلى عليه ، والناس خلقه صفوف ، وكبر عليه أربعاً ^(٢) .

كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس

مع حاطب بن أبي بلتعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس ، عظيم القبط ، سلام على
من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتلك الله
أجرَك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط و ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ،
فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وختم الكتاب ، فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية ، فانتهى إلى حاجبه ، فلم
يلبث أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ . وقال حاطب للمقوقس لما لقيه : إنه قد كان
قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٥٨/١ - ٢٥٩ ، ولم يذكر نص الكتابين ، وإنما أشار إليهما .

(٢) كلام المؤلف عن إسلام النجاشي وكتاب رسول الله ﷺ إليه ، ثم وفاته وصلاة رسول الله عليه ، خطأ
صريح ؛ لأنه يفيد أن النجاشي الذي كتب إليه رسول الله ﷺ هو الذي أسلم ، وربما تابع المؤلف في هذا
الواقدي ، والصحيح أنهما اثنتان ؛ كما في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي ، وليس
الذي صلى عليه رسول الله ﷺ . وقال سبط ابن العجمي : والعجب كيف خفي هذا على مثل المؤلف .
نور الثبراس لوحة ١٥٩/٣ .

منه ، واعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك . قال : هات . قال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام ، الكافي به الله فقد ما سواه ، إن هذا النبي ﷺ دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له يهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكلُّ نبيٍّ أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحقُّ عليهم أن يُطيعوه ، فأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا نهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرُك به . فقال المقوقس : إني قد نظرتُ في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدتُ معه آلة النبوة بإخراج الخبء ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر .

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقٍّ من عاج ، وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتُ فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمتُ أن نبياً بقي ، وكنتُ أظنُّ أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمتُ رسولك وبعثتُ إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديتُ إليك بغلةً لتركبها ، والسلام عليك . ولم يزد على هذا ، ولم يسلم .

● الجاريتان : مارية وسيرين .

● والبغلة : دلدل ، بقيت إلى زمن معاوية ، وكانت شهباء .

وذكر الواقدي في هذا الخبر : أن المقوقس وصفَ لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ ، وقال : القبط لا يطاوعوني في اتباعه ، ولا أحبُّ أن تعلمَ بمحاورتي إياك ، وأنا أضمنُ بملكي أن أفارقَه ، وسيظهر على البلاد ، وينزلُ بساحتنا هذه أصحابُه من بعده ، حتى يظهرَ على من هاهنا ، فارجع إلى صاحبك فقد أمرت له بهدايا وجاريتين أختين ، وبغلة من مراكبي ، وألفَ مثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً ، وغير ذلك ، وأمرتُ لك بمائة دينار ، وخمسة أثواب ، فارحل من عندي ولا تسمع منك القبطُ حرفاً واحداً . فرحلتُ من عنده وقد كان لي مُكرماً في الضيافة وقلة اللبث ببابه ، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام . وإن الوفود وفودُ العجم ببابه منذ شهر وأكثر .

قال حاطب : فذكرت قوله لرسول الله ﷺ ، فقال : « صَنَّ الخبيثُ بملكه ولا بقاء لملكه » (١) .

قال الدارقطني : اسمه جُريج بن مينا ، أثبتَه أبو عمر في الصحابة ، ثم أمر بأن يُضرب عليه . وقال : يغلبُ على الظنُّ أنه لم يُسلم . وكانت شبهته في إثباته إياه في الصحابة أولاً روايةً رواها ابن إسحاق عن الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : أخبرني المقوقسُ أنه أهدى لرسول الله ﷺ قَدْحاً من قوارير فكان يشرب فيه .

كتابُ رسول الله ﷺ إلى المنذر بن سَأوى العبدي مع العلاء بن الحضرمي بعد انصرافه من الحديبية

ذكر الواقدي بإسناد له عن عكرمة ، قال : وجدتُ هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته ، فنسخته ، فإذا فيه : بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سَأوى ، وكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام ، فكتب المنذرُ إلى رسول الله ﷺ : أما بعد ، يا رسول الله فإني قرأتُ كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه . وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث إليَّ في ذلك أمرٌ . فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن سَأوى ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصحُ فإنما ينصحُ لنفسه ، وإنه من يُطع رسلِي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصَحَ لهم فقد نصَحَ لي ، وإن رسلِي قد أثنوا عليك خيراً وإني قد شَفَعْتُكَ في قومك ، فاتركْ للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوتُ عن أهل الذنوب ، فاقبلُ منهم ، وإنك مهما تُصلحُ فلن نزالَكَ عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية (٢) .

(١) الطبقات الكبرى ١/٢٦٠ - ٢٦١ مختصراً .

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٦٣ .

أسلم المنذر هذا بكتاب رسول الله ﷺ ، وحسن إسلامه ، ومات قبل ردة أهل البحرين .

وذكر ابن قانع : أنه وفد على النبي ﷺ . قال أبو الربيع بن سالم : ولا يصح ذلك .

كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعبد

ابني الجلندى الأزديين ، ملكي عُمان ، مع عمرو بن العاص

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوكم بدعاية الإسلام ، أسلما تسلمًا ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيًا ، ويحق القول على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولأنتكما ، وإن أبيتما أن تُقرَّ بالإسلام فإن مُلككما زائل عنكما ، وخيلي تحلُّ بساحتكما ، وتظهرُ نبوتِي على مُلككما .

وكتب أبي بن كعب ، وختم رسولُ الله ﷺ الكتاب .

قال عمرو : ثم خرجتُ حتى انتهيتُ إلى عُمان ، فلما قدمتها عمدتُ إلى عبدٍ وكان أحلمَ الرجلين وأسهلَهما خُلُقًا ، فقلت : إني رسولُ الله إليك وإلى أخيك ، فقال : أخي المقدم عليَّ بالسُّنِّ والملك ، وأنا أوصلكَ إليه حتى يقرأ كتابك . ثم قال لي : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وتحلَّع ما عُبدَ من دون الله ، وتشهد أن محمدًا عبده ورسوله . قال : يا عمرو إنك ابن سيِّد قومك ، فكيف صنع أبوك ، فإن لنا فيه قدوة ؟ فقلت : مات ولم يؤمنُ بمحمد ﷺ ، وددتُ أنه كان أسلم وصدَّق به ، وقد كنتُ أنا على مثل رأيه ، حتى هداني الله للإسلام . قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريبًا . فسألني أين كان إسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي ، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم . قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أفروه واتبعوه . قال : والأساقفة والرهبان اتبعوه ؟ قلت : نعم . قال : انظر يا عمرو ما تقول ، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب . قلت : ما كذبتُ وما نستحلُّه في ديننا . ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي . قلت : بلى . قال : بأي شيء علمتَ ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يُخرج له خرجًا ، فلما أسلم وصدَّق بمحمد ﷺ ، قال : لا والله لو سألتني درهمًا واحدًا ما أعطيتُهُ ، فبلغ هرقل قوله ، فقال له

يَتَأَقُّ أَخُوهُ : أَتَدْعُ عَبْدَكَ لَا يُخْرِجُ لَكَ خُرْجاً ، وَيَدِينُ دِيناً مُحَدَّثاً ؟ قَالَ هِرَقْلُ : رَجُلٌ رَغِبَ فِي دِينٍ وَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مَا أَصْنَعُ بِهِ ، وَاللَّهِ لَوْلَا الصَّنُّ بِمَلَكِي لَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ . قَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا عَمْرُو ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ صَدَقْتُكَ . قَالَ عَبْدُ : فَأَخْبِرْنِي مَا الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ . قُلْتُ : يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَيَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَعَنِ الزُّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَعَنِ عِبَادَةِ الْحَجَرِ وَالْوُثْنِ وَالصَّلِيبِ . فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ ، لَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي لَرَكِبْنَا حَتَّى نَوْمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَنُصَدِّقَ بِهِ ، وَلَكِنْ أَخِي أَضِنُّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدْعَهُ ، وَيَصِيرَ ذَنْباً . قُلْتُ : إِنَّهُ إِنْ أَسْلَمَ مَلَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَرَدَّهَا عَلَى فَقِيرِهِمْ . قَالَ : إِنْ هَذَا الْخَلْقُ حَسَنٌ ، وَمَا الصَّدَقَةُ ؟ فَأَخْبِرْتُهُ بِمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِبِلِ . فَقَالَ : يَا عَمْرُو وَتَوَخَّذْ مِنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الَّتِي تَرعى الشَّجَرَ وَتَرُدُّ الْمِيَاءَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَى قَوْمِي فِي بَعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عِدْدِهِمْ يُطِيعُونَ هَذَا . قَالَ : فَمَكْنْتُ بِيَابَهُ أَيَّاماً وَهُوَ يَصِلُ إِلَى أَخِيهِ فَيُخْبِرُهُ كُلَّ خَبْرِي . ثُمَّ إِنَّهُ دَعَانِي يَوْماً فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ أَعْوَانَهُ بِضُبُعِي ، فَقَالَ : دَعُوهُ . فَأُرْسِلْتُ ، فَذَهَبْتُ لِأَجْلَسَ ، فَأَبَاؤُا أَنْ يَدْعُونِي أَجْلَسُ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ . فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ مَخْتوماً ، فَفَضَّ خَاتَمَهُ ، فَقَرَأَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرْقُ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُخْبِرْنِي عَنْ قَرِيشٍ كَيْفَ صَنَعَتْ ؟ فَقُلْتُ : تَبِعُوهُ إِمَّا رَاغِبٌ فِي الدِّينِ وَإِمَّا مَقْهُورٌ بِالسَّيْفِ . قَالَ : وَمَنْ مَعَهُ ؟ قُلْتُ : النَّاسُ قَدْ رَغَبُوا فِي الْإِسْلَامِ وَاخْتَارُوهُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَعَرَفُوا بِعَقُولِهِمْ مَعَ هَدْيِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ ، فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ غَيْرَكَ فِي هَذِهِ الْحَرَجَةِ ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُسَلِّمِ الْيَوْمَ وَتَتَّبِعْهُ يُوطِّئَكَ الْخَيْلَ ، وَيُؤَيِّدُ خُضْرَاءَكَ ، فَاسْلَمْ تَسْلَمْ ، وَيَسْتَعْمَلُكَ عَلَى قَوْمِكَ ، وَلَا يُدْخِلُ عَلَيْكَ الْخَيْلَ وَالرِّجَالَ . قَالَ : دَعْنِي يَوْمِي هَذَا ، وَارْجِعْ إِلَيَّ غَداً . فَارْجَعْتُ إِلَى أَخِيهِ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ إِنْ لَمْ يَضُنَّ بِمُلْكِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ ، أَتَيْتُ إِلَيْهِ ، فَأُنِّي أَنْ يَأْذَنَ لِي ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَخِيهِ فَأَخْبِرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا أَضَعُفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَكَتْ رِجُلًا مَا فِي يَدَيَّ وَهُوَ لَا تَبْلُغُ خَيْلَهُ إِلَيَّ هَاهُنَا ، وَإِنْ بَلَغَتْ خَيْلَهُ أَلْفَتْ قِتَالًا لَيْسَ كَقِتَالِ مَنْ لَاقَى ، قُلْتُ : وَأَنَا خَارِجٌ غَداً ، فَلَمَّا أَيقَنَ بِمُخْرَجِي خَلَا بِهِ أَخُوهُ ، فَقَالَ : مَا نَحْنُ فِيمَا قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ مَنْ

أرسل إليه قد أجابه ؟ فأصبح فأرسل إليَّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً ، وصدقاً النبي ﷺ ، وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم . وكانا لي عوناً على من خالفني^(١) .

كتاب النبي ﷺ إلى هوزة بن علي الحنفي صاحب اليمامة ، مع سليط بن عمرو العامري

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الحُفِّ والخافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك .

فلما قدم عليه سليط بكتاب النبي ﷺ مختوماً ؛ أنزله وحجابه ، وقرأ عليه الكتاب ، فردّه دون ردٍّ ، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعرٌ قومي وخطيئهم ، والعربُ تهابُ مكاني ، فأجعل إليَّ بعضَ الأمرِ أُتبعَكَ . وأجازَ سليطاً بجائزة ، وكساه أثواباً من نسجِ هَجَرٍ ، فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره . وقرأ النبي ﷺ كتابه ، وقال : لو سألتني سَيَابَة^(٢) من الأرض ما فعلت ، بادَّ وبادَّ ما في يديه . فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأن هوزة قد مات^(٣) ، فقال ﷺ : أما إن اليمامةَ سيخرجُ بها كَذَابٌ يتنبأ ، يُقتل بعدي . فقال قائلٌ : يا رسول الله من يقتله ؟ فقال له رسول الله ﷺ : أنت وأصحابك ، فكان كذلك .

وفيا ذكر الواقدي أن أركون دمشق — عظيم من عظماء النصارى كان عند هوزة — فسأله عن النبي ﷺ ، فقال : جاءني كتابه يدعوني فيه إلى الإسلام فلم أجبه ، قال الأركون : لم لا تجيبه ؟ فقال : ضننتُ بديني وأنا ملكٌ قومي ، ولئن تبعته لم أملك . قال : بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وإن الخيرة لك في اتباعه ، وإنَّه للنبي العربي الذي بشرَ به عيسى بن مريم ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله . وذكر باقي الخبر .

(١) الطبقات الكبرى ٢٦٢/١ — ٢٦٣ مختصراً .

(٢) « سَيَابَة » : بَلَحَة من ثمر النخيل .

(٣) الطبقات الكبرى ٢٦٢/١ .

كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهب

ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث شجاعاً إلى الحارث بن أبي شمر ، وهو بغوطة دمشق ، فكتب إليه مرجعه من الحديبية :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق ، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ويبقى لك ملكك .

فختم الكتاب ، وخرج به شجاع بن وهب ، قال : فانتبهت إلى حاجبه ، فأجده يومئذ وهو مشغول بتهيئة الأنزال والأطاف^(١) لقيصر ، وهو جاء من حمص إلى إيلياء حيث كشف الله عنه جنود فارس ، شكراً لله تعالى . قال : فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت : لحاجبه : إني رسول رسول الله ﷺ إليه ، فقال حاجبه : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا . وجعل حاجبه — وكان رومياً اسمه مري — يسألني عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه ، فكنْتُ أحدثه ، فيرقُّ حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قرأت في الإنجيل ، وأجدُ صفة هذا النبي بعينه ، فكنْتُ أراه يخرج بالشام ، فأراه قد خرج بأرض القرظ^(٢) ، فأنا أؤمن به وأصدقُه ، وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني . قال شجاع : فكان — يعني هذا الحاجب — يُكرمني ويحسن ضيافتي ، ويُخبرني عن الحارث باليأس منه ، ويقول : هو يخاف قيصر . قال : فخرج الحارث يوماً وجلس ، فوضع التاج على رأسه ، فأذن لي عليه ، فدفعتهُ إليه كتاب رسول الله ﷺ ، فقرأه ثم رمى به ، وقال : مَنْ ينتزع مني ملكي ، وأنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جنته ، علي بالناس ، فلم يزل جالساً يعرضُ حتى الليل . وأمر بالخيْل أن تتعلَّ ، ثم قال : أخيرُ صاحبك بما ترى . وكتبَ إلى قيصر يخبرُه خبري ، فصادفَ قيصرُ بإيلياء ، وعنده دحية الكلبي ، وقد بعثه إليه رسولُ الله ﷺ ، فلما قرأ قيصرُ كتابَ الحارث كتبَ

(١) « الأنزال والأطاف » : ما يُهيأ للزِيل من المأكَل والهدايا .

(٢) « القرظ » : ورق السلم ؛ تُدبغ به الجلود ، وأرضُ القرظ : كناية عن جزيرة العرب ، لأنها منبته .

إليه : ألا تسر إليه ، والله عنه ، ووافني بإيلياء . قال : ورجع الكتاب وأنا مقيم ، فدعاني ، وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غداً . فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ، ووصلني مربي بنفقة وكسوة ، وقال : اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام ، وأخبره أنني متبع دينه . قال شجاع : فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : بادء ملكه . وأقرأته من مربي السلام ، وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : صدق^(١) .

وابن هشام يقول : بأن المرسل إليه جبلة بن الأيهم ، بدل الحارث بن أبي شمر . وقد تقدم فيما ذكرناه عن ابن إسحاق كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال ومن معه باليمن ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢٦١/١ — ٢٦٢ .

سرية علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى اليمن

قال ابن سعد : يُقال مرتين : إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مُهاجرة ﷺ ، وعقد له لواء وعُظمه بيده ، وقال : امض ولا تلتفت ، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فخرج في ثلاثمائة فارس ، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، وهي بلاد مذحج ، ففرق أصحابه ، فأتوا بنهب غنائم وأطفال ونساء وتعم وشاء وغير ذلك ، وجعل عليّ على الغنائم بُريدة بن الحُصيب الأسلمي ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ورموا بالنبل والحجارة ، فصفت أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان الأسلمي^(١) ، ثم حمل عليهم عليّ بأصحابه ، فقتل منهم عشرين رجلاً ، فتفرقوا وانهمزوا ، فكفّ عن طلبهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا ، وتابعه نفر من رؤسائهم على الإسلام ، وقالوا : نحن على من وراعا من قومنا ، وهذه صدقاتنا ، فخذ منها حق الله . وجمع عليّ الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء ، فكتب في سهم منها لله ، وأقرع عليها ، فخرج أول السهام سهم الخمس ، وقسم عليّ على أصحابه بقية المغنم ، ثم قفل فوافي النبي ﷺ بمكة ، وقد قدمها للحج سنة عشر^(٢) .

قال الرُّشَاطِي : وفي الحديث أن رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أبي طالب في سرية إلى اليمن ، وذلك في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما قرأ كتابه حرّ الله ساجداً ، ثم جلس فقال : السَّلامُ على همدان . وتتابع أهل اليمن على الإسلام . انتهى كلام الرُّشَاطِي ، ويُشبه أن تكون هذه هي السرية الأولى ، وما في الأصل هو السرية الثانية ، والله أعلم .

* * *

(١) في « د » والطبقات الكبرى ١٧٠/٢ « السلمي » . قالوا : والنسبتان صحيحتان ، فهو أسلمي صليبة ، سلمي بالخلف . نور البراس لوحة ١٦٤/٣ .
(٢) الطبقات الكبرى ١٦٩/٢ — ١٧٠ .

حجّة الوداع

قال الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفارسي رحمه الله^(١) : أعلم عليه الصلاة والسلام الناس أنه حاجٌ ، ثم أمر بالخروج معه ، فأصاب الناس بالمدينة جُدري أو حصبة منعت من شاء الله تعالى أن تمنع من الحج معه ، فأعلم رسول الله ﷺ أن عمرة في رمضان تعدل حجة .

وخرج رسول الله ﷺ إلى مكة عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه الصلاة والسلام إليها غيرها ، فأخذ على طريق الشجرة ، وذلك يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة عشر نهاراً ، بعد أن ترجّل وأذهن ، وبعد أن صلّى الظهر بالمدينة ، وصلّى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة ليلة الجمعة ، وطاف تلك الليلة على نسائه ، ثم اغتسل ، ثم صلّى بها الصبح ، ثم طيَّته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بيدها بذريرة^(٢) ، وبطيب فيه مسك . ثم أحرم ولم يغسل الطيب ، ثم لبّد رأسه ، وقلّد بدنته^(٣) نعلين ، وأشعرها^(٤) في جانبها الأيمن ، وسلّت^(٥) الدم عنها ، وكانت هدي^(٦) تطوع ، وكان عليه الصلاة والسلام سابق الهدى مع نفسه ، ثم ركب راحلته ، وأهلّ حين انبعثت به من عند المسجد مسجداً ذي الحليفة بالقران بالعمرة والحج معاً ، وذلك قبل الظهر بيسير ، وقال للناس بذي الحليفة : من أراد منكم أن يَهْلَ بعمرة وحج فليفعل ، ومن أراد أن يَهْلَ بحج فليَهْلَ ، ومن أراد أن يَهْلَ بعمرة فليَهْلَ . وكان معه عليه الصلاة والسلام من الناس جموعٌ لا يُحصيهم إلا خالقهم ورازقهم عز وجل .

(١) هو ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

(٢) « بذريرة » : الذريرة : نوع من الطيب المدقوق ، مجموع من أخلاط .

(٣) « قلّد بدنته نعلين » : وضعهما في رجليها ؛ ليُعلم أنها هدي .

(٤) « أشعرها » : شقّ أحد جنبي سنامها شقاً ضيقاً بمشط ونحوه حتى تَدْمَى ؛ ليُعرف أنها هدي .

(٥) « سلّت الدم عنها » : أزاله لتتضح علامتها .

(٦) وكانت هدي تطوع : هذا بناء من ابن حزم الظاهري على أصله الذي انفرد به عن الأئمة ؛ أن القارن لا يلزمه هدي ، وإنما يلزم المتمتع . وبين بطلانه ابن القيم في زاد المعاد فانظره . نور التبراس لوحة ١٦٥/٣ .

ثم لبى رسول الله ﷺ فقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام زاد على ذلك ، فقال : لبيك إله الحق . وأتاه جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية .

وَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ الْحِثْعَمِيَّةِ — زَوْجَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَغْتَسِلَ وَأَنْ تَسْتَفِرَّ^(١) بِثَوْبٍ ، وَتُحْرِمَ وَتَهْلُ . ثم نهض عليه الصلاة والسلام وصلى الظهر بالبيداء ، ثم تَمَادَى . واستهْلَ هلال ذي الحجة ليلة الخميس ليلة الثامن من خروجه من المدينة ، فلما كان بِسَرَفٍ حَاضَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ قَدْ أَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَغْتَسِلَ ، وَتَنْقِضَ رَأْسَهَا ، وَتَمْتَشِطَ ، وَتَتْرِكَ الْعُمْرَةَ ، وَتَدْعَهَا وَتَرْفِضَهَا ، وَلَمْ تَحُلْ مِنْهَا ، وَتَدْخُلَ عَلَى الْعُمْرَةِ حَجًّا ، وَتَعْمَلَ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْحَجِّ حَاشِيَ الطَّوْفِ بِالْبَيْتِ مَا لَمْ تَطْهَرَ .

وقال عليه الصلاة والسلام وهو بِسَرَفٍ لِلنَّاسِ : مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ وَأَحَبُّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلَا . فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا عُمْرَةً كَمَا أُبِيحَ لَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَادَى عَلَى نِيَةِ الْحَجِّ وَلَمْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً ، وَهَذَا فِيمَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ ، فَلَمْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً أَصْلًا . وَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُهْلَ بِالْقِرَانِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا ، ثُمَّ نَهَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَنْ نَزَلَ بِذِي طُوًى ، فَبَاتَ بِهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خَلُونَ لِذِي الْحِجَّةِ ، فَصَلَّى الصُّبْحَ بِهَا ، وَدَخَلَ مَكَّةَ نَهَارًا مِنْ أَعْلَاهَا مِنْ كَدَاءٍ ، مِنْ الشَّيْثَةِ الْعَلِيَا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ الْمَذْكُورِ الْمُورَخِ ، فَاسْتَلَمَ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ ، وَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَعْبَةِ سَبْعًا ، وَرَمَلَ ثَلَاثًا مِنْهَا ، وَمَشَى أَرْبَعًا ، يَسْتَلِمُ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ وَالرَّكْنَ الْيَمَانِيَّ فِي كُلِّ طَوْفَةٍ ، وَلَا يَمَسُّ الرُّكْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي الْحِجْرِ ، وَقَالَ بَيْنَهُمَا : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] ثُمَّ صَلَّى عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَكَعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا مَعَ أُمِّ الْقُرْآنِ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وَ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(١) « تستفر » : تشد على فرجها بحرقه عريضة بعد أن تحتشي قطناً فتضع سيل الدم .

إِذْ أَتَى الْمَقَامَ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٥٨] . ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا فقرأ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ والمروةَ من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبداً بما بدأ الله به ، فطاف بين الصفا والمروة أيضاً سبعةً ركباً على بعيره ، يخبُّ ثلاثاً ، ويمشي أربعاً ، إذا رقى الصفا استقبل القبلة ونظر إلى البيت ووَحَّدَ الله تعالى وكَبَّرَهُ ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم يدعو ، ثم يفعل على المروة مثل ذلك . فلما أكمل عليه الصلاة والسلام الطواف والسعي أمر كلَّ من لا هدي معه بالإحلال قارناً كان أو مفرداً ، وَأَنْ يُحِلُّوا الْحِلَّ كُلَّهُ من وطء النساء والطَّيب والخيطة ، وَأَنْ يَقُوا كَذَلِكَ إلى يوم التروية ، وهو يوم منى ، فَيَهْلُوا حينئذ بالحج ، وَيُحْرَمُوا عند نهوضهم إلى منى ، وأمر من معه الهدى بالبقاء على إحرامهم ، وقال لهم عليه الصلاة والسلام حينئذ إذ تَرَدَّدَ بعضهم : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سَقَت الهدى حتى اشتريه ، ولجعلتها عمرة ، ولأحلتُ كما أحللتُ ، ولكني سَقَتُ الهدى فلا أُجِلُّ حتى أنحر الهدى . وكان أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعليٌّ ، ورجال من أهل الوفرة^(١) ، ساقوا الهدى فلم يُحِلُّوا وَيَقُوا محرمين ، كما بقي هو عليه الصلاة والسلام مُحَرَّمًا ، لأنه كان ساق الهدى مع نفسه ، وكن أمهات المؤمنين لم يسقن هدياً فَأَحْلَلْنَ ، وكن قارنات حجاً وعمرة ، وكذلك فاطمة ابنة النبي ﷺ ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، أحلَّتَا ، حاشى عائشة رضي الله عنها من أجل حيضها لم تُحِلَّ كما ذكرنا ، وشكا عليٌّ فاطمة إلى النبي ﷺ إذ حَلَّتْ ، فَصَدَّقَهَا عليه الصلاة والسلام في أنه أمرها بذلك . وحينئذ سأله سُراقَةُ بن مالك بن جُعشم الكِنَاني ، فقال : يا رسول الله مُتَعِنَا هذه لعامنا هذا أم للأبد ، ولنا أم للأبد ؟ فَشَبَّكَ عليه الصلاة والسلام أصابعه وقال : لا ، بل للأبد الأبد ، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

وأمر عليه الصلاة والسلام من جاء إلى الحج على غير الطريق التي أتى عليه الصلاة والسلام عليها ، ممن أهل بإهلال كإهلاله ، بأن يَقُوا على حالهم ، فمن ساقَ منهم الهدى لم يُحِلَّ ، فكان عليٌّ من أهل هذه الصفة ، ومن كان منهم لم يَسُقِ الهدى أن يُحِلَّ ، فكان أبو موسى الأشعري من أهل هذه الصفة .

(١) « أهلُ الوفرة » : من بأيديهم مال زائد عن الحاجة .

وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة محرماً من أجل هديه يوم الأحد المذكور والاثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس . ثم نهض صلى الله عليه وسلم بكرة يوم الخميس ، وهو يوم منى ، ويوم التروية مع الناس إلى منى ، وفي ذلك الوقت أحرَمَ بالحجِّ من الأبطح كلُّ من كان أحلَّ من أصحابه رضي الله عنهم ، فأحرموا في نهوضهم إلى منى في اليوم المذكور ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر من يوم الخميس المذكور والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، وبات بها ليلة الجمعة ، وصلى بها الصبح من يوم الجمعة ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور إلى عرفة بعد أن أمر عليه الصلاة والسلام بأن تُضرب له قُبَّةٌ من شَعَرِ بنمرة ، فأنى عليه الصلاة والسلام عرفة ، ونزل في قبته التي ذكرنا ، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فُرِحِلَتْ ، ثم أتى بطنَ الوادي ، فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها عليه الصلاة والسلام تحريمَ الدماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها . وأوَّلُ ما وضع دمَ ابنِ ربيعة^(١) بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مُسْتَرْضِعاً في بني سعد بن بكر فقتلته هذيل . وذكر النَّسَائُونُ أنه كان صغيراً يحبو أمام البيوت ، وكان اسمه^(٢) آدم ، فأصابه حجر عائر^(٣) أو سهم غَرَبَ^(٤) من يد رجل من بني هذيل فمات .

ثم نرجع إلى وصف عمله عليه الصلاة والسلام

ووضع أيضاً عليه الصلاة والسلام في خطبته بعرفة ربا الجاهلية ، وأوَّلُ ربا وضعه ربا عمه العباس رضي الله عنه ، وأوصى بالنساء خيراً ، وأباحهم ضربهنَّ غيرَ مُبرِّحٍ إن غصين بما لا يَحِلُّ ، وقضى لهنَّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهنَّ ، وأمر بالاعتصام بعَدَه بكتاب الله عز وجل ، وأخبر أنه لا يَضِلُّ من اعتصم به ، وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمه^(٥) ، فاعترف الناس بذلك ، وأمر عليه الصلاة والسلام أن يُبلِّغ ذلك الشاهد الغائب . وبعثت إليه أمُّ الفضل بنتُ الحارث الهلالية — وهي أمُّ عبد الله بن عباس — لبناً في

(١) « ابن ربيعة » : قال المحققون والجمهور : أن اسم هذا الابن إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) قال الدارقطني : وهو تصحيف ؛ أي : من بعض النسابين . نور الثبراس لوحة ١٦٧/٣ .

(٣) « حجر عائر » : لا يُعرف من رماه .

(٤) « سَهْمٌ غَرَبٌ » : السهم الذي أخطأ هدفه ، أو لا يُعرف من رماه أيضاً .

(٥) كذا في « د » والمطبوع ؛ أي ما يلزمه تبليغهم ، وفي سائر النسخ « ما يلزمهم » .

قدح ، فشربه عليه الصلاة والسلام أمام الناس وهو على بعيره ، فعلموا أنه ﷺ لم يكن صائماً في يومه ذلك ، فلما أتم الخطبة المذكورة أمر بلالاً فأذن ثم أقام ، فصلّى الظهر ، ثم أقام فصلّى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً ، لكنّ صلاتهما عليه الصلاة والسلام بالناس مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد لهما معا ، وبإقامتين ، لكل صلاة إقامة ، ثم ركب عليه الصلاة والسلام راحلته حتى أتى الموقف ، فاستقبل القبلة ، وجعل حبل المشاة^(١) بين يديه ، فلم يزل واقفاً للدعاء .

وهناك سقط رجلٌ من المسلمين عن راحلته وهو مُحرم في جملة الحجيج فمات ، فأمر رسول الله ﷺ بأن يُكفّن في ثوبيه ، ولا يُمسّ بطيب ، ولا يُحَنّط ، ولا يُغَطّى رأسه ولا وجهه . وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يُبعث يوم القيامة مُلبياً .

وسأله قومٌ من أهل نجد هنالك عن الحج ، فأعلمهم عليه الصلاة والسلام بوجوب الوقوف بعرفة ، وَوَقَّت الوقوف بها ، وأرسل إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم ، فلم يزل عليه الصلاة والسلام واقفاً حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكور وذهبت الصفرة ، أردف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع عليه الصلاة والسلام ، وقد ضمّ زمام القصواء ناقته ، حتى أن رأسها ليصيب طرف رحله ، ثم مضى يسير العتق ، فإذا وجد فجوة نصّ — وكلاهما ضرب من السير ، والنص آكدهما ، والفجوة : الفسحة من الناس — كلما أتى ربوة من تلك الروابي أرخى للناقة زمامها قليلاً ، حتى يُصعِدَهَا ، وهو عليه الصلاة والسلام يأمر الناس بالسكينة في السير . فلما كان في الطريق عند الشعب الأيسر نزل عليه الصلاة والسلام فيه ، فبال وتوضأ وضوءاً خفيفاً ، وقال لأسامة المصلى أمامك — أو كلاماً هذا معناه — ثم ركب حتى أتى المزدلفة ليلة السبت العاشر من ذي الحجة ، فتوضأ ثم صلى بها المغرب والعشاء الآخرة دون خطبة ، لكن بأذان واحد لهما معاً ، وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة ، ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم اضطجع عليه الصلاة والسلام بها حتى طلع الفجر ، فقام وصلى الفجر بالناس بمزدلفة يوم السبت المذكور ، وهو يوم النحر ، وهو يوم الأضحى ، وهو يوم العيد ، وهو يوم الحج الأكبر ، مُغَلِّساً أول انصداع الفجر .

(١) « حبل المشاة » : طريقهم الذي يسلكونه في الرمل ، وقيل : أراد صفهم وجمتمعهم في مشيمهم ؛ تشبيهاً بحبل الرمل ، وهو القطعة من الرمل الضخمة الممتدة .

وهناك سأله عروة بن مُضَرَّس الطائي — وقد ذكر له عمله — أله حج ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن من أدرك الصلاة — يعني صلاة الصبح — بمزدلفة في ذلك اليوم مع الناس ، فقد أدرك الحج ، وإلا فلم يُدرك . واستأذنته سودة وأم حبيبة في أن يدفعاً من مزدلفة ليلاً ، فأذن لهما ولأم سلمة في ذلك ، وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وأذن أيضاً عليه الصلاة والسلام للنساء والضعفاء في ذلك بعد وقوف جميعهم بمزدلفة ، وذكرهم الله تعالى بها . إلا أنه عليه الصلاة والسلام أذن للنساء في الرمي بليل ، ولم يأذن للرجال في ذلك ، لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم ، وكان ذلك اليوم يوم كونه عليه الصلاة والسلام عند أم سلمة .

فلما صلى عليه الصلاة والسلام الصبح كما ذكرنا بمزدلفة ، أتى المشعر الحرام بها^(١) ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله عز وجل وكبر وهلل ووحد ، ولم يزل واقفاً بها حتى أسفر جداً ، وقبل أن تطلع الشمس ، فدفع عليه الصلاة والسلام حينئذ من مزدلفة ، وقد أردف الفضل بن عباس ، وانطلق أسامة على رجليه في سباق قريش . وهناك سألت الخثعمية النبي ﷺ الحج عن أبيها الذي لا يطيق الحج ، فأمرها أن تحج عنه ، وجعل ﷺ يصرف بيده وجه الفضل بن عباس عن النظر إليها وإلى النساء ، وكان الفضل أبيض وسيماً ، وسأله أيضاً عليه الصلاة والسلام رجلاً عن مثل ما سألت عنه الخثعمية ، فأمره عليه الصلاة والسلام بذلك .

ونهض عليه الصلاة والسلام يريد منى ، فلما أتى بطن مُحَسَّر حَرَكَ ناقته قليلاً ، وسلك عليه الصلاة والسلام الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى منى ، فأتى الجمرة التي عند الشجرة ، وهي جمرة العقبة ، فرماها عليه الصلاة والسلام من أسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ ، بحصى التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخذف ، وأمر بتمثلها ، ونهى عن أكبر منها ، وعن الغلو في الدين ، فرماها عليه الصلاة والسلام وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا ، يُكَبِّر مع كل حصاة منها ، وحينئذ قطع عليه الصلاة والسلام التلبية ، ولم يزل يُلَبِّي حتى رمى جمرة العقبة التي ذكرناها .

(١) كذا في « ه » ، وفي بقية النسخ : « أتى المشعر الحرام فوقف بها ، فاستقبل القبلة .. » .

ورماها عليه الصلاة والسلام راكباً ، وبلال وأسامة أحدهما يُمسك بخطام ناقته عليه الصلاة والسلام ، والآخَر يُظله بثوبه من الحر .

وخطب عليه الصلاة والسلام النَّاسَ في اليوم المذكور — وهو يوم النحر بمنى — خطبةً ، كرر فيها أيضاً تحريمَ الدماء والأموال والأعراض والأبشار ، وأعلمهم عليه الصلاة والسلام فيها بتحريم يوم النحر ، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمر بالسمع والطاعة لمن قَادَ^(١) بكتاب الله عز وجل ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم ، فلعله لا يحج بعد عامه ذلك ، وعلمهم مناسكهم ، وأنزل المهاجرين والأنصار والناس منازلهم ، وأمر أن لا يرجعوا بعده كفاراً ، ولا يرجعوا بعده ضللاً لا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر بأن رُبَّ مبلغ أوعى من سامع .

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المنحر بمنى ، فنحر ثلاثاً وستين بدنة ، ثم أمر علياً فنحر ما بقي منها ، مما كان عليّ أتى به من اليمن ، مع ما كان عليه الصلاة والسلام أتى به من المدينة ، وكانت تمام المائة .

ثم حلقَ عليه الصلاة والسلام رأسه المقدس ، وقسمَ شعره فأعطى من نصفه الشعرة والشعرتين ، وأعطى نصفه الثاني كله أبا طلحة الأنصاري ، وضحى عن نسائه بالبقر ، وأهدى عمن كان اعتمرَ منهن بقرة ، وضحى هو عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم بكبشين أملحين^(٢) ، وحلق بعضُ الصحابة وقصّر بعضهم ، فدعا عليه الصلاة والسلام للمحلّقين ثلاثاً وللمقصّرين مرة ، وأمر عليه الصلاة والسلام أن يؤخذ من البُدن التي ذكرنا ، من كل بدنة بضعة ، فجعلت في قدر وطُبِخت ، فأكل هو عليه الصلاة والسلام وعليّ من لحمها ، وشربا من مرقها ، وكان عليه الصلاة والسلام قد أشركَ علياً بقسمة لحومها كلها وجلودها وجلالها^(٣) ، وأن لا يُعطى الجازر شيئاً منها على جزارتها ، وأعطى عليه الصلاة والسلام الأجرة على ذلك من نفسه ، وأخبر الناس أن عرفة كلها موقف حاشى بطنِ عُرنة ، وأن

(١) « قَادَ » : أي حكم الناس وقادهم .

(٢) « أملحين » : الأملح : الذي يياضه أكثر من سواده ، وقيل : هو النقي البياض .

(٣) « جلالها » : جمع جُلٍّ ، وهو الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة لتصان به .

مزدلفة كلَّها موقف حاشى بطن مُحَسَّر ، وأن منى كلَّها منحَر ، وأن فجَاح مكة كلَّها منحَر .

ثم تطيَّب عليه الصلاة والسلام قبل أن يطوف طواف الإفاضة ، وإحلاله قبل أن يُحِلَّ في يوم النحر ، وهو يوم السبت المذكور ، طيَّبته عائشة رضي الله عنها أيضاً بطيب فيه مسك ، ثم نهضَ عليه الصلاة والسلام راكباً إلى مكة في يوم السبت نفسه ، فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة ، وهو طواف الصَّدَر^(١) قبل الظهر ، وشرب من ماء زمزم بالدلو ، ومن نبذ السَّقاية^(٢) .

ثم رجعَ من يومه ذلك إلى منى فصلى الظهر . هذا قول ابن عمر ، وقالت عائشة وجابر : بل صلى الظهر ذلك اليوم بمكة ، وهذا هو الفعل الذي أشكل علينا الفصل فيه ، لصحة الطرق في ذلك ، ولا شك أن أحد الخبرين وَهَم والثاني صحيح ، ولا ندرى أيهما هو .

وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس ، فاستأذنت النبي ﷺ في ذلك ، فأذن لها ، وطافت أيضاً عائشة ذلك اليوم ، وفيه طَهُرَتْ ، وكانت رضي الله عنها حائضاً يوم عرفة ، وطافت أيضاً صُفِيَّة في ذلك اليوم ، ثم حاضت بعد ذلك ليلة النَّفَر .

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى منى ، وسُئِلَ عليه الصلاة والسلام حينئذ عن ما تقدم بعضُه على بعض ، من الرمي والحلق والنحر والإفاضة ، فقال في كل ذلك : لا حرج . وكذلك قال أيضاً في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة . وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى أنزلَ لكلِّ داء دواء إلا الهرم ، وعظَّمْ إثم من اقترض^(٣) عِرْضَ امرئ مسلم ظلماً . فأقام هنالك باقي يوم السبت ، وليلة الأحد ، ويوم الاثنين ، الاثنين ، وليلة الثلاثاء ، ويوم الثلاثاء — وهذه أيام منى ، وهذه هي أيام

(١) « الصَّدَر » : الصدور من منى .

(٢) « نبذ السقاية » : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبذ في الماء .

(٣) « اقترض عِرْضَ امرئ » : نال منه وقطعه بالغيبة ، وهو افتعال من القَرْض : وهو القطع . ويُروى « اقترض » وهو أيضاً : القطع .

التشريق — يرمي الجمار الثلاث كل يوم من هذه الأيام الثلاثة . بعد الزوال ، بسبع حصيات ، كل يوم لكل جمرة ، يبدأ بالدنيا — وهي التي تلي مسجداً منى — ويقف عندها للدعاء طويلاً ، ثم التي تليها — وهي الوسطى — ويقف أيضاً عندها للدعاء كذلك ، ثم جمرة العقبة ولا يقف عندها . ويُكَبِّرُ عليه الصلاة والسلام مع كل حصاة .

وخطبَ النَّاسَ أيضاً يوم الأحد ، ثاني يوم النحر ، وهو يوم الرؤوس . وقد روي أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام خطبهم أيضاً يوم الاثنين وهو يوم الأكارع ، وأوصى بذي الأرحام خيراً ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لا تجني نفس على أخرى .

واستأذنه العباس عمه في المبيت بمكة من أجل سقايته ، فأذن له عليه الصلاة والسلام ، وأذن للرعاة أيضاً في مثل ذلك .

ثم نهضَ عليه الصلاة والسلام بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ ، وهو آخر أيام التشريق ، وهو الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو يوم النفر إلى المَحْصَب — وهو الأبطح — فضربت بها قُبَّتُهُ ، ضربها أبو رافع مولاه ، وكان على ثَقْلِهِ^(١) عليه الصلاة والسلام . وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لأسامة بن زيد : إنه ينزل غداً بالمحصب خَيْفَ بني كِنانة ، وهو المكان الذي ضرب فيه أبو رافع قبته وفاقاً من الله عز وجل ، دون أن يأمره عليه الصلاة والسلام بذلك .

وحاضَتْ صَفِيَّةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ليلة النَّفَر بعد أن أفاضت ، فأخبر بذلك النبي ﷺ ، فسأل : أفاضت يوم النحر ؟ فقليل له : نعم . فأمرها أن تنفر ، وحكم فيمن كانت له حالة كحالتها أيضاً بذلك .

وصلَّى عليه الصلاة والسلام بالمحصب الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة من ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي الحجة ، وبات بها ليلة الأربعاء المذكورة ، ورقد رقدة .

ولما كان يوم النحر ويوم النفر رغبت إليه عائشة بعد أن طهرت أن يُعِمِّرَها عمرة مفردة ، فأخبرها عليه الصلاة والسلام أنها قد حَلَّتْ من حجها وعمرتها ، وأن طوافها يكفيها ويُجزئها

(١) « على ثَقْلِهِ » : على أمتعته .

لحجها وعمرتها ، فأبْتُ إلا أن تعتمرَ عمرةً مفردة ، فقال لها : ألم تكوني طفتِ ليالي قدمت ؟ قالت : لا . فأمرَ عبدُ الرحمن بن أبي بكرٍ أخاها بأن يردفَها ويُعمرَها من التمتع . ففعلوا ذلك ، وانتظرَها عليه الصلاة والسلام بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك ، وقال لها : هذه مكان عمرتك ، وأمرُ النَّاسِ أن لا ينصرفوا حتى يكونَ آخرَ عهدهم الطواف بالبيت ، ورخصَ في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضها .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في الليل من ليلة الأربعاء المذكورة ، فطاف بالبيت طواف الوداع ، لم يرمل في شيء منه سحراً قبل صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور ، ثم خرج من كُذِي أسفل مكة ، من الثنية السفلى ، والتقى بعائشة رضي الله عنها وهو ناهض إلى الطواف المذكور ، وهي راجعة من تلك العمرة التي ذكرنا ، ثم رجع عليه الصلاة والسلام ، وأمر بالرحيل ، ومضى عليه الصلاة والسلام من فوره ذلك راجعاً إلى المدينة ، وخرج من مكة من الثنية السفلى ، فكانت مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة منذ دخلها إلى أن خرج منها إلى مِني إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى إلى الحصب إلى أن وجَّه راجعاً عشرة أيام ، فلما أتى ذا الحليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كَبُرَ ثلاث مرات ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهراً من طريق المَعْرَس والحمد لله وحده .

(عُمُرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام)

وأما عمره عليه الصلاة والسلام فأربع . روينا من حديث قتادة ، قال : قلت لأنس : كم اعتمرَ النبي ﷺ ؟ قال : أربعاً ، عمرته التي صدَّه عنها المشركون عن البيت من الحديبية في ذي القعدة ، وعمرته أيضاً من العام المقبل حين صالحوه في ذي القعدة ، وعمرته حين قسم غنائم حنين من الجِعْرانة في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته^(١) .

وقد روي عن ابن عباس أن عمرة الجِعْرانة كانت لليلتين بقيتا من شوال^(٢) .

(١) الطبقات الكبرى ١٧١/٢ ، وحديث قتادة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ، وحديث ابن عباس لا يصح .. نور التبراس لوحة ١٧٣/٣ .

سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أبيه^(١)

وهي أرض الشراة^(٢) ناحية البلقاء

قالوا لما كان يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجراته ، أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد ، فقال : سر إلى موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد وليتكَ هذا الجيش ، فأغز صباحاً على أهل أبي ، وحرّق عليهم ، وأسرع السير تسبق الأخبار ، فإن ظفرك الله تعالى فأقلّ اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك .

فلما كان يوم الأربعاء بُدئ برسول الله ﷺ وجعه ، فحُمّ وصُدِعَ ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ، ثم قال : اغز بسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله . فخرج بلوائه معقوداً ، فدفعه إلى بُريدة بن الحَصْبِ الأسلمي ، وعسكر بالجُرْف ، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة ، منهم : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم بن حريس . فتكلّم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ؟ فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فخرج وقد عصّب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة ، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة ، وإن ابنه من بعده خليفاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ، وإنهما لم يخيلان لكل خير — أي مَظَنَّةٌ لكل خير — فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم . ثم نزل فدخل بيته ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

(١) « أبي » : بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون فألف مقصورة ، موضع . قال السهيلي : هي القرية التي عند مؤتة حيث قُتل أبوه زيد . وقال ابن الأثير : أبي : بضم الهمزة ، اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة .

(٢) « الشراة » : جبل شاخ في عسقلان .

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة ، يُودَّعون رسول الله ﷺ ، ويخرجون إلى العسكر بالجُرف ، وثقل رسول الله ﷺ ، فجعل يقولُ أنفذوا بعث أسامة . فلما كان يوم الأحد اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه ، فدخل أسامةٌ من معسكره والنبي ﷺ مغموراً^(١) ، وهو اليوم الذي لدَّوه^(٢) فيه ، فطأطأ أسامةُ فقبَّله والنبي ﷺ لا يتكلَّم ، فجعل يرفعُ يديه إلى السماء ثم يضعُهما على أسامة . قال أسامة : فعرفت أنه يدعو لي . ورجع أسامة إلى معسكره ، ثم دخل يوم الاثنين ، وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً ، فقال له : اغدُ على بركة الله . فودَّعه أسامةٌ وخرج إلى معسكره ، فأمر النَّاسَ بالرحيل ، فيينا هو يُريد الركوب إذا رسولُ أمه أم أيمن قد جاءه يقولُ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يموتُ . فأقبلَ وأقبلَ معه عمر وأبو عبيدة ، فانتهاوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموتُ ، فتوفي حين زاغَت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول ، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرف إلى المدينة ، ودخل بُريدة بن الحَصِيب بلواء أسامة معقوداً حتى أتى باب رسول الله ﷺ ، ففرزه عنده .

فلما بُويع لأبي بكر أمر بُريدة بن الحَصِيب أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، ليضي لوجهه ، فمضى به إلى معسكرهم الأول ، فلما ارتدت العربُ ، كلَّم أبو بكر في حبس أسامة ، فأبى ، وكلَّم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلف ، ففعل ، فلما كان هلالُ شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة ، خرج أسامةُ فسارَ إلى أهل أبي عشرين ليلةً ، فشنَّ عليهم الغارة ، وكان شعارهم « يا منصور أمت » فقتلَ من أشرف له ، وسبى من قدم عليه ، وحرَّق في طوائفها بالنار ، وحرَّق منازلهم وحرثهم ونخلهم ، فصارت أعاصيرُ من الدخاخين ، وأجال الخيل في عَرَصاتهم وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم ، وكان أسامة على فرس أبيه « سبعة » وقتلَ قاتلَ أبيه في الغارة ، وأسهم للفرس سهمين ، وللفراس سهماً ، وأخذ لنفسه مثلَ ذلك ، فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ؛ ثم أغدَّ^(٣) السير فورودوا وادي القرى في تسع ليال ، ثم بعث بشيراً إلى المدينة بسلامتهم ، ثم قصد^(٤) بعد في السير فسار إلى المدينة

(١) « مغمور » : مغشى عليه .

(٢) « لدَّوه » : سقوه اللد ، وهو عندهم دواء يسقونه للمريض في أحد لَدَيْدِيهِ ؛ أي في جانبي فمه .

(٣) « أغدَّ » : أسرع .

(٤) « قصد » : اعتدل .

ستاً ، وما أُصيب من المسلمين أحد . وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سروراً بسلامتهم ، ودخل على فرس أبيه « سبحة » واللواء أمامه ، يحمله بُريدة بن الحُصَيْب ، حتى انتهى إلى باب المسجد ، فدخل فصلّى ركعتين ، ثم انصرف إلى بيته .
وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة ، فبعث رابطة^(١) يكونون باللقاء ، فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر^(٢) رضي الله عنهما .

* * *

(١) « رابطة » : جماعة .

(٢) الطبقات الكبرى ١٨٩ — ١٩٢ .

ذكر الحوادث جملة

بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة

في السنة الأولى : جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام بـ شهر . وفيها صلى الجمعة ﷺ حين ارتحل من قباء إلى المدينة ، صلاًها في طريقه ببني سالم ، وهي أول جمعة صلاًها ، وأول خطبة خطبها في الإسلام . وفيها بنى رسول الله ﷺ مسجده ومسأكنه ، ومسجد قباء ، وفيها بدء الأذان ، وفيها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثانية أشهر . وفيها أسلم عبد الله بن سلام . ومات أسعد بن زرارة ، وأعرس النبي ﷺ بعائشة ، وبعث حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض غيراً لقريش في رمضان ، وبعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً من المهاجرين إلى بطن رابع ، وبعث سعد بن أبي وقاص إلى الحرار^(١) في ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض لغير قريش ، وغزوة الأبواء ، وغزوة ودان في صفر .

وفي السنة الثانية : غزوة بواط ، وطلب كرز بن جابر ، وغزوة ذي العُشيرة ، وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة بدر الكبرى ، ووفاة رقية ابنة النبي ﷺ ، وسرية عمير بن عدي ، وسرية سالم بن عمير ، وغزوة بني قينقاع ، وغزوة السويق ، وغزوة قرقرة الكدر ، وتحويل القبله ، وفرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس سبعة عشر شهراً ، وفرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، ووفاة عثمان بن مظعون بعد مشهده بداراً ، وفيها ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أحدهما عن أمته والآخر عن محمد وآله ، ومولد عبد الله بن الزبير ، ومولد النعمان بن بشير ، وأعرس علي بفاطمة .

وفي السنة الثالثة : السرية لكعب بن الأشرف ، وغزوة غطفان ، وغزوة بني سليم ، وسرية زيد بن حارثة إلى القردة ، وغزوة أحد ، وغزوة حمراء الأسد ، وسرية أبي سلمة إلى

(١) « الحرار » : تقدم أنه موضع قرب الجحفة .

قَطَن ، وسرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بَعْرَنَة ، وبئر معونة والرجيع ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام حفصة بنت عمر ، وتزويجه زينب بنت خزيمة ، وتزويج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت النبي ﷺ ، ومولّد الحسن بن علي ، وتحريم الخمر ، وقيل في الرابعة .

وفي السنة الرابعة : تحريم الخمر ، وغزوة بني النضير ، وبدر الموعد ، وذات الرّقاع ، وصلاة الخوف ، ورجعه عليه الصلاة والسلام اليهودي واليهودية ، ومولّد الحسين بن عليّ ، ووفاة زينب بنت خزيمة ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام أم سلمة ، وتزويجه أيضاً زينب بنت جحش على الأصح ، ونزول الحجاب .

وفي السنة الخامسة : غزوة دُومة الجندل ، وغزوة المُرَيْسِع ، وحديث الإفك ، وقد تقدم الخلاف في ذلك ، وقول عبد الله بن أبيّ ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ﴾ [المنافقون : ٨] . وغزوة الخندق وبني قريظة ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام ریحانة بنت يزيد التَّصْرِيّة ، وجويرة بنت الحارث ، وسرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع ، وسرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وفيها زلزلت المدينة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله سيعتكم فأعتبوه . وفيها سابق بين الخيل .

وفي السنة السادسة : غزوة بني لحيان ، وغزوة الغابة ، وسرية عُكَّاشَة إلى الغمر ، ومحمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّة فأصيبوا ، وبعثُ أبي عُبيدة إلى ذي القَصَّة فهربوا ، وسرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم ، وسريته إلى العيص ، وسريته إلى الطُّرف ، وسريته إلى حِسمى ، وسريته إلى وادي القرى ، وسريته إلى أم قَرْفَة ، وسرية ابن عوف إلى دومة الجندل ، وعليّ إلى بني سعد بن بكر ، وابن عتيك إلى أبي رافع على قول . وقد تقدم في الخامسة . وسرية عمرو بن أمية الضَّمْرِي ، وسلمة بن أسلم لقتل أبي سفيان بمكة ، وعمرة الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وفيها قُحِطَ النَّاسُ فاستسقى لهم رسولُ الله ﷺ فسُقوا في رمضان .

وفي السنة السابعة : غزوة خيبر ، وسرية عمر إلى ثُرْبَة ، وسرية أبي بكر إلى بني كلاب أو فَوَارَة ، وبشير بن سعد إلى بني مرة ، وغالب الليثي إلى الميفعة ، وبشير بن سعد إلى يَمَن وُجَبَار . وعمرة القضية ، وسرية ابن أبي العوجاء إلى بني سُليم ، وسرية غالب إلى بني المُلُوح ، وسريته إلى فَدَك ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وصفية بنت حيّ ، وميمونة بنت الحارث . وقُدُومُ جعفر من الحبشة ، وأبي موسى ومن معه ، وإسلام أبي

هَـرِيرَة وَعَمْرَانُ بَنِ الْحَصِينِ ، وَبَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرَّسُلُ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَاتَّخَذَ الْخَاتِمَ ؛
لَحْمَ الْكَتَبِ ، وَتَحْرِيمُ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ مَتَاعِ النِّسَاءِ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ : قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَأَسْلَمُوا ،
وَسَرِيَّةُ شِجَاعِ بْنِ وَهَبٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ ، وَكَعْبُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ ، وَغَزْوَةُ مُؤْتَةَ ،
وَسَرِيَّةُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، وَسَرِيَّةُ الْحَبْطِ ، وَسَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ إِلَى خَضِرَةَ ثُمَّ إِلَى
بَطْنِ إِضْمٍ ، وَغَزْوَةُ الْفَتْحِ ، وَسَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْعَزَى ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى سُوَاعٍ ،
وَسَعْدُ بْنُ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ إِلَى مَنَاةَ فِي رَمَضَانَ ، وَسَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ، وَغَزْوَةُ
حَنِينٍ ، وَسَرِيَّةُ الطَّفِيلِ بْنِ عَمْرٍو إِلَى ذِي الْكَفَيْنِ ، وَغَزْوَةُ الطَّائِفِ ، وَسَرِيَّةُ عُيَيْنَةَ بْنِ حَصَنٍ
إِلَى بَنِي تَيْمٍ ، وَسَرِيَّةُ قُطَيْبَةَ بْنِ عَامِرٍ إِلَى خَثْعَمٍ ، وَبَعَثَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي الْمَصْطَلِقِ ، وَاتَّخَذَ
الْمَنْبِرَ وَالْخُطْبَةَ عَلَيْهِ ، وَحَنِينُ الْجَذَعِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْبِرٍ عُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِيهَا أَقَادَ النَّبِيُّ ﷺ
رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، وَمَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَوَفَاةُ زَيْنَبِ بِنْتِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِيهَا وَهَبَتْ سُودَةُ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ حِينَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ طَلَاقَهَا .

وَفِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ : إِيْلَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ نِسَائِهِ ، وَسَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ إِلَى بَنِي
كِلَابٍ ، وَعَلْقَمَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَعَلِيٌّ إِلَى الْفِلَسِ ، وَعُكَّاشَةُ إِلَى الْجَنَابِ ، وَثُبُوكُ ، وَهَدْمُ
مَسْجِدِ الضَّرَّارِ ، وَقُدُومُ الْوَفُودِ ، وَلِعَانُ عُوَيْرِ الْعَجْلَانِي مَعَ امْرَأَتِهِ ، وَمَوْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
وَحَّجٍّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ ، وَنَدَاءُ عَلِيٍّ بِسُورَةِ بَرَاءَةِ ، وَمَوْتُ أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَمَوْتُ النَّجَاشِيِّ .

وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ : سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَّانِ بَنِي جُرَّانٍ ، وَعَلِيٌّ إِلَى الْيَمَنِ ،
وَجِجَّةُ الْوَدَاعِ ، وَنَزُولُ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الْآيَةُ [الْمَائِدَةُ : ٣] . وَنَزُولُ
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ الْآيَةُ [النُّور : ٥٨] . وَكَانُوا
لَا يَفْعَلُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَمَوْتُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ .

* * *

ذكر نبذة من معجزاته

عليه الصلاة والسلام

وإن أكثر ما نوره هنا قد سبق إيرادُه لكن مفرقاً ، والغرض الآن ذكره مجموعاً كما فعلنا في الباب الذي قبله . فمن ذلك : القرآن وهو أعظمها ، وشق الصدر ، وإخباره عن البيت المقدس ، وانشقاق القمر ، وأن الملائكة من قریش تعاقبوا على قتله ، فخرج عليهم فحَفَضُوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبضَ قبضةً من تراب وقال : شأته الوجوه ، وحصبهم فما أصاب رجلاً منهم شيء من ذلك الحصى إلا قُتل يوم بدر . ورمى يوم حنين قبضةً من تراب في وجوه القوم فهزَمَهم الله تعالى ، ونسج العنكبوت عليه في الغار ، وما كان من أمر سُراقَة بن مالك بن جُعشم إذ تبعه في خبر الهجرة ؛ فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلْد . وَمَسَحَ على ضَرْع عَنَاق^(١) ؛ لم ينز عليها الفحل ؛ فدرت : وقصة شاة أم معبد . ودعوته لعمر أن يُعزَّ الله به الإسلام . ودعوته لعلي أن يذهب الله عنه الحرَّ والبرد ، وتفلَّ في عينيه وهو أرمَدُ فُعُوفِي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك . وردَّ عين قتادة بن النعمان بعد أن سألت على خده ؛ فكانت أحسنَ عينيه . ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين ، ودعا لجمال جابر ؛ فصار سابقاً بعد أن كان مسبوqاً ، ودعا لأنس بطول العُمُر وكثرة المال والولد ، ودعا في تمر حائط جابر بالبركة ؛ فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسُقاً . واستسقى عليه الصلاة والسلام فمَطَرُوا أسبوعاً ؛ ثم استصحى لهم فأنجابت السحابة . ودعا على عُتْبة بن أبي لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام . وشهدت له الشجر بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام ؛ فقال هل من شاهد على ما تقول ، فقال : نعم هذه الشجرة^(٢) ؛ ثم دعاها فأقبلت ؛ فاستشهدها ، فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ؛ ثم رجعت إلى منبتها ، وأمر شجرتين فاجتمعتا ثم افترقا ، وأمر أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقولُ هنَّ : أمركن رسولُ الله ﷺ أن تجتمعا فاجتمعن ؛ فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهنَّ بالعود إلى أماكنهن فعدن ، ونام فجاءت شجرة تشقُّ الأرض حتى قامت عليه ؛ فلما استيقظ ذكرت

(١) « عَنَاق » : الأنثى من صغار الماعز .

(٢) في « د » : السُّمرة .

له : فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تُسَلِّمَ عليَّ فأذن لها . وسَلَّمَ عليه الحجر والشجر ليالي بُعث : السلام عليك يا رسول الله ، وقال : إني لأعرف حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن . وحنَّ إليه الجذع ، وسبَّح الحصى في كفه ، وسبَّح الطعام بين أصابعه ، وأعلمته الشاة بِسَمِّها ، وشكا إليه البعير قَلَّةَ العلف وكثرة العمل ، وسألته الظبية أن يُخَلِّصها من الحبل لترُضِعَ ولديها وتعود ، فخلَّصها ، فعادت وتلفَّظت بالشهادتين . وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه . وأخبر أن طائفة من أمته يغزون في البحر ؛ وأن أمَّ حرام بنت ملحان منهم ، فكان كذلك . وقال لعثمان بن عفان : أنصبيه بلوى شديدة ؛ فأصابته ؛ وقُتل . وقال للأنصار : إنكم ستلقون بعدي أثرة ؛ فكانت زمن معاوية . وقال في الحسن : إن ابني هذا سيد ؛ ولعلَّ الله تعالى أن يُصلِّحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ؛ فصالح معاوية ؛ وحقق دماء الفئتين من المسلمين . وأخبر بقتل الأسود العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله ، وبمن قتله . وقال لثابت بن قيس : تعيش حميداً وتُقتل شهيداً ؛ فقتل يوم اليمامة . وارتدَّ رجلٌ ولحق بالمشركين ؛ فبلغه أنه مات ؛ فقال : إنَّ الأرض لا تقبله ؛ فكان كذلك . وقال لرجل يأكلُ بشماله : كل يمينك ؛ فقال : لا أستطيع ؛ فقال له : لا استطعت . فلم يُطق أن يرفعها إلى فيه بعد . ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة ، ويده قضيب ؛ فجعل يُشير به إليها ، ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ؛ وهي تتساقط . وقصة مازن بن الغضوية ، وخبر سواد بن قارب ، وأمثالهما كثير . وشهد الصَّبُّ بنبوته ، وأطعم ألفاً من صاع شعير بالخنديق فشبعوا والطعام أكثر مما كان ، وأطعمهم من تمر يسير أيضاً بالخنديق ، وجمع فضل الأزواد على النطع ، فدعا لها بالبركة ، ثم قسمها في العسكر ، فقامت بهم . وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صَفَّهَنَّ في يده ، وقال : ادعُ لي فيهن بالبركة ففعل ، قال أبو هريرة : فأخرجتُ من ذلك التمر كذا وكذا وسَقَا في سبيل الله ، وكنا نأكل منه ونُطعم ، حتى انقطع في زمن عثمان . ودعا أهل الصُّفَّة لقصعة ثريد ؛ قال أبو هريرة : فجعلتُ أتناول ليدعوني ، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها ، فجمعه رسولُ الله ﷺ فصار لقمة ، فوضعها على أصابعه وقال لي : بسم الله . فوالذي نفسي بيده ما زلتُ آكلُ منها حتى شبعْتُ . ونَبَعَ الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضَّؤوا وهم ألف وأربعمائة ، وأني بقدر فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يَسع ، فوضع

أربعة منها ، وقال : هلموا فتوضؤوا أجمعين ، وهم من السبعين إلى الثمانين . ووردَ في غزوة تبوك على ماء لا يُروى واحداً ، والقوم عطاش ، فشكوا إليه ، فأخذ سهماً من كِنَانته وأمرَ بفرسه ففَارَ الماءَ وارتوى القوم ، وكانوا ثلاثين ألفاً . وشكا إليه قومٌ مُلوحَةٌ في مائهم ، فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفلَّ فيه ، فتفجَّرَ بالماء العذب المَعِين . وأتته امرأةٌ بصبيٍّ لها أقرع ؛ فمسحَ على رأسه فاستوى شعره ؛ فذهب داؤه . وانكسر سيفُ عُكَّاشة بن محصن يوم بدر ، فأعطاه جذلاً من حَطَبٍ فصار في يده سيفاً ؛ ولم يزل بعد ذلك عنده . وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد ؛ وعزَّتْ كُدَيْةٌ بالختنق عن أن يأخذها المعول ، فضرَبها فصارت كتيباً أهيل . ومسحَ على رجل ابن عتيك في خبر أبي رافع وقد انكسرت ، فكانه لم يشتكها قط .

ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يجمعها كتاب أو يحصرها ديوان .

* * *

ذكر أولاده ﷺ

روينا عن ابن سعد : قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان أول من وُلد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسم ، وبه كان يُكْنَى ، ثم ولدت له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم وُلد له في الإسلام عبد الله ، فسُمِّي الطيب الطاهر ، وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم مات عبد الله بمكة ، فقال العاص بن وائل السهمي : قد انقطع ولده فهو أبتر ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] وقيل : بل الطيب والطاهر ابنان سواه ، وقيل : كان له الطاهر والمطهر وُلدا في بطن واحد : وقيل : كان له الطيب والمطيب وُلدا في بطن أيضاً ، وقيل : إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة ^(١) .

وقال الزبير بن بكار : وُلد له القاسم ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، ثم عبد الله ، هكذا رأيته بخط شيخنا الحافظ أبي محمد الدميّاطي رحمه الله تعالى . قال : وفيه نظر .

وأما أبو عمر فحكى عن الزبير غير ذلك ، قال : ولد له القاسم وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، وكان يُقال له الطيب ويُقال له الطاهر ، وُلد بعد النبوة ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، هكذا الأول فالأول . ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت مات من ولده ، ثم عبد الله مات أيضاً بمكة ^(٢) .

وقال ابن إسحاق : ولدت له خديجة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم — وبه كان يُكْنَى — والطاهر والطَّيِّب ، فهلكوا في الجاهلية . وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه ^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى ١/١٣٣ .

(٢) الاستيعاب ٤/٢٨١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

قال أبو عمر : وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني : أولاد رسول الله ﷺ القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب . وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله ، وكان يقال له : الطَّيِّبُ والطاهر . قال : وهذا هو الصحيح ، وغيره تخليط^(١) . وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تُقْبَلُ^(٢) خديجة في ولادها^(٣) ، وكانت تعقُّ عن كل غلام بشاتين وعن الجارية بشاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم وتُعِدُّ ذلك قبل ولادها .

فأما زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمه هالة بنت خويلد ، فولدت له علياً — أُرْدِفَهُ النبي ﷺ وراءه يوم الفتح ، ومات مُراهقاً — وأُمامة تزوجها علي بعد خالتها فاطمة ، زوجها منه الزبير بن العوام ، وكان أبوها أبو العاص أوصى بها إلى الزبير ، فلما قُتِلَ علي رضي الله عنه ، وآمت^(٤) أُمّامة منه ، قالت أم الهيثم النَّحْجِيَّة :

أَشَابَ ذَوَابِّي وَأَذَلَّ رَكِي أُمَامَةُ حِينَ فَارَقَتِ الْقَرِينَا
تُطِيفُ بِهِ لِحَاجَتِهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتِيَأَسَتْ رَفَعَتْ رَيْنَا

ثم تزوجها بعد علي المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فولدت له يحيى بن المغيرة ، وهلك عند . وقد قيل : إنها لم تلد لعلي ولا للمغيرة . وُلِدَتْ زينب سنة ثلاثين من مولد رسول الله ﷺ وماتت سنة ثمان من الهجرة ، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّهَا ، وكان زوجها أبو العاص مُحِبًّا فِيهَا ، وهو القائل في بعض أسفاره إلى الشام :

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لَمَّا وَرَّكَتُ أَزْمَا فَقُلْتُ سَفِيًّا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمَا^(٥)

(١) الاستيعاب ٢٨١/٤ .

(٢) « تُقْبَلُ خديجة في أولادها » : تكون قابلة لها في ولادتها .

(٣) في الأصول « أولادها » والتصحيح من الطبقات ، ونور النبراس لوحة ١٧٩/٣ ، وفيه : يقال : ولدت المرأة ولاداً وولادة .

(٤) في « ب » : تَأَيَّمَتْ ، وهما بمعنى واحد .

(٥) « وَرَّكَتُ أَزْمَا » : نزلت به ، والضمير عائذ على الناقة التي كانت تحمله ، و« أزم » : اسم موضع .

بنت الأمين جزاها الله صالحةً وكلُّ بعمل سيئني بالذي علما^(١)

وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان فولدت له عبد الله ، مات بعدها ، وقد بلغ ست سنين . وتوفيت رقية يوم قدوم زيد بن حارثة بشيراً بقتلى بدر ، وقيل : كان مولدها سنة ثلاث وثلاثين من مولد النبي ﷺ .

وأما أم كلثوم فتزوجها عثمان بعد موت رقية ، وماتت سنة تسع من الهجرة ولم تلد له .
وأما فاطمة فتزوجها عليّ وبنى بها مرجعهم من بدر ، فولدت له حسناً وحسيناً ، ومحسناً : مات صغيراً ، وأم كلثوم وزينب ، وماتت فاطمة بعد أبيها بثلاثة أشهر ، وقيل : بستة ، وقيل بثمانية ، وكذلك اختلف في مولدها . قال المدائني : قبل النبوة بخمس سنين . وقال ابن السراج : سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي ، يقول : ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ .

قال أبو عمر : وذكر الزبير أن عبد الله بن حسن بن حسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي ، فقال هشام لعبد الله بن حسن : يا أبا محمد كم بلغت فاطمة من السن ؟ فقال : ثلاثين سنة . فقال هشام للكلبي : كم بلغت من السن ؟ قال : خمساً وثلاثين سنة ؟ فقال هشام لعبد الله بن حسن : اسمع الكلبي يقول ما تسمع ، وقد عُني بهذا الشأن . فقال عبد الله بن حسن : يا أمير المؤمنين سئلي عن أُمِّي ، وسل الكلبي عن أمه^(٢) . وكان عليّ رضي الله عنه قد خطب عليها ابنة أبي جهل ، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال : والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله عند رجل واحد أبداً . قال : فترك عليّ الخطبة .

وروينا من طريق مسلم : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن الوليد بن كثير ، قال : حدثني محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلي ؛ أن ابن شهاب حدثه ، أن علي بن الحسن حدثه ، أنهم حين قدموا المدينة لقيه المسور بن مخرمة ، فذكر حديثاً ، وفيه أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة ، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره ، وأنا يومئذ محتلم ، وفيه قوله عليه

(١) الطبقات الكبرى ٣٢/٨ .

(٢) الاستيعاب ٣٨٠/٤ .

الصلاة والسلام : « والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله مكاناً واحداً أبداً »^(١) .

قلت : كذا وقع في هذا الحديث : قوله عن المسور : وأنا يومئذ محتلم ، وهو وَهْم ؛ فإن المسور ممن وُلد في السنة الثانية من الهجرة بعد مولد ابن الزبير بأربعة أشهر ، فلم يُدرك من حياة النبي ﷺ إلا نحو الثمانية أعوام ، ولا يُعدُّ من كانت هذه سنه محتملاً .

وقد روى الإسماعيلي^(٢) في صحيحه هذا الحديث من هذا الوجه : عن أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، عن يعقوب ، فذكره بسنده ، وفيه عن المسور : « وأنا يومئذ كالمحتلم » يعني في ثبته وحفظه ما يسمعه ، فبيّنت هذه الرواية الصواب ، ودار الحمل فيه على من دون يعقوب بين أحمد ومسلم ، ووجدت الطبراني في معجمه الكبير قد رواه عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، كرواية مسلم ، فبريء مسلم من عهده أيضاً كما برىء يعقوب ومن فوقه ، وقد رواه البخاري^(٣) عن سعيد بن محمد الجرّمي ، عن يعقوب ، كرواية مسلم عن أحمد ، فهو حديث اختلف فيه على يعقوب ، جَوَّده يحيى بن معين ، والله أعلم .

ثم ولدت له ﷺ مارية بنت شمعون القبطية إبراهيم ، وعقَّ عنه بكبش يوم سابعه ، وحلق رأسه ، حلقه أبو هند ، فتصدَّق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدُفن في الأرض ، وسماه يومئذ فيما قال الزبير ، والصحيح أنه سمَّاه ليلة ولادته ، وكانت قابليتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع ، فأخبرته أنها قد ولدت غلاماً ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشَّره ، فوهب له عبداً ، وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، ومات في ربيع الأول سنة عشر ، وقد بلغ ستة عشر شهراً . وقد قيل في سنه ووفاته

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل فاطمة) رقم /٢٤٤٩/ .

(٢) الإسماعيلي : الحافظ الكبير الحجة ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني ، روى عن إبراهيم بن زهير الحلواني ، وحمزة بن محمد الكاتب وأبي يعلى ، وابن خزيمة ، وروى عنه الحاكم والجرجاني والبرقاني ، له مصنفات كثيرة ، منها الصحيح والمعجم ومسنده ، توفي سنة ٣٧١ هـ . وهذا غير الإسماعيلي المتقدم أبي بكر محمد بن إسماعيل بن مهران الحافظ ، فهذا توفي سنة ٢٩١ هـ ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٨١/٣ .

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة (باب مناقب فاطمة) رقم /٣٧٦٧/ .

غير ذلك ، مات في بني مازن عند ظفره أم بُردة خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد ، وحُمل من بيتها على سرير صغير ، وصلى عليه وكَبُرَ أربعاً ، ودُفن بالبقيع ، ورُشَّ عليه الماء ، وقال : « الحقُّ بسَلَفِنَا الصالح عثمان بن مظعون » . وقال : « إن له ظُفْراً^(١) تم رضاعه في الجنة » . وقال : « لو عاش لوضعتُ الجزية عن كل قبطي » . وقال : « لو عاش إبراهيم ما رُقَّ له خال »^(٢) . والله أعلم .

* * *

(١) « ظُفْراً » : مرضعة ، وفي صحيح مسلم رقم /٢٣١٦/ : « وإن له لظُفْرَيْنِ تَكْمَلَانِ رضاعه في الجنة » .
(٢) الطبقات الكبرى ١/١٤٤ ، ومعنى الجملة الأولى : أن إبراهيم لو عاش فيراه أخواله القبط لأسلموا فرحاً به وتكرمة له ، فوضعت الجزية ؛ لأنها لا تُوضع على مسلم ، وأما الجملة الثانية ؛ فمعناها معروف لأنهم أسلموا .. نور النبراس لوحة ١٨٣/٣ .

ذكر أعمامه وعماته ﷺ

أبو طالب : عبد مناف ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وأم حكيمة ، وعاتكة ، وبرة ، وأروى ، وأميمة .

وأُمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وعبد الله والد رسول الله ﷺ شقيق هؤلاء وقد تقدم ذكره .

وحزمة ، والمقوم ، وجَحْل^(١) — واسمه المغيرة — وصفية ، وزاد بعضهم : العوام .

وأُمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ .

والعباس وضرار ؛ وأُمهما ثثة ، وقيل : ثثيلة بنت جناب بن كلب من النمر بن قاسط .
والحارث ، وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يُكَنَّى ، وشقيقه قُثم ، وهلك قُثم صغيراً ،
وأُمهما صفية بنت جندب بن حُجَيْر بن زُبَاب بن حبيب بن سُواة .

وأبو لهب عبد العزى ؛ وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول من خزاعة .

والغيداق : واسمه مصعب ، وقيل نوفل ، ولُقِبَ الغيداق لجوده ؛ وأمه مُمنعة بنت عمرو بن مالك من خزاعة .

فأعمامه عليه الصلاة والسلام اثنا عشر ، ومن الناس من يعدهم عشرة ، فيسقط عبد الكعبة ، ويقول : هو المقوم ، ويجعل الغيداق وجحلاً واحداً ، ومن الناس من يعدهم تسعة ، فيسقط قُثم .

وأما عماته فست لا خلاف في ذلك ، وكلهن بنات فاطمة المخزومية ، إلا صفية ، فهي

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٣٩٠ .

من هالة الزهرية ، هذا هو المشهور عند أهل النسب . وقد ذكر أن أروى لفاطمة الخزومية .
ولم يُسلم من أعمامه عليه الصلاة والسلام إلا حمزة والعباس على الصحيح . وقد حُكي
إسلام أبي طالب ، وقد سبق ذكره .

وأما العمات : فإسلام صفية معروف محقق ، وفي أروى خلاف . ذكرها العقيلي في
الصحابة . قال أبو عمر : وأى غيره من (١) ذلك . وذكر الواقدي في خير أنها أسلمت ،
وكذلك اختلف في إسلام عاتكة ، والمشهور عندهم أن عاتكة لم تُسلم ، هي صاحبة الرؤيا
يوم بدر .

فأما أبو طالب : فولده طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي ، وكان كلٌّ من هؤلاء أكبر من
الذي يليه بعشر سنين ، وأختهم أم هانئ ؛ فاخته ؛ ويُقال لها هند . قيل : وجمانة بنت أبي
طالب ، أخت ثمانية لهم ، قسم لها رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من خير ، وهي أم
عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، أسلموا كلُّهم إلا طالباً .

وأما الزبير : فولده عبد الله شهد يوم حُنين مع النبي ﷺ وثبت معه ، وكان فارساً
مشهوراً ، كان النبي ﷺ يقول له : ابن عمي وحبي . ومنهم من يروي أنه كان يقول له : ابن
أمي وحبي . قال أبو عمر : لا أحفظ له رواية عن النبي ﷺ ، وقد روت أختاه ضُباعة وأم
الحكم ، وكانت سنة يوم توفي النبي ﷺ نحواً من ثلاثين سنة ، وقُتل شهيداً بأجنادين في
خلافة أبي بكر سنة ثلاث عشرة بعد أن أبلى بها بلاءً حسناً . وضُباعة وصفية وأم الحكم وأم
الزبير بنات الزبير ، لهن صحبة ، ولا عقب لعبد الله بن الزبير هذا .

وأما حمزة فأسلم قديماً ، وعزَّ به الإسلام ، وكفَّت قريش عن النبي ﷺ ، عن بعض
ما كانوا ينالون منه خوفاً من حمزة رضي الله عنه ، وعلماً منهم أنه سيمنعه ، وكان عمُّ
رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة ، أرضعتها ثوبية الأسلمية ، وكان أسنُّ منه بيسير ، وأمُّ
كلٍّ منهما ابنة عمٍّ لأمِّ الآخر ، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وأُحداً ، وبها مات شهيداً ، قتله

(١) كذا في الأصول والاستيعاب ٢٢٤/٤ ، ولعل « من » زائدة .

وحشّي بن حرب ، قيل : كان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين ، ويقول : أنا أسدُ الله ، ذكره الحاكم^(١) ، وروى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : أتاني جبريلُ فأخبرني أن حمزةً مكتوبٌ في أهل السماوات أسدُ الله وأسدُ رسوله^(٢) . وروى أن حمزةً قُتلَ جُنُباً ففسلته الملائكة ، وقال : صحيح الإسناد^(٣) . وكان له من الولد : يعلى وعماره . وقال مصعب : ولِدَ لحمزة خمسة رجال لصلبه وماتوا ولم يُعقبوا . وقال الزبير : لم يُعقب أحدٌ من بني حمزة إلا يعلى وحده ؛ فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه ، وماتوا ولم يُعقبوا . ومن أولاد حمزة أمانة ، ويقال : أمة الله . وكان الواقدي يقول فيها : عماره . قال أبو بكر الخطيب : انفرد الواقدي بهذا القول ، وإنما عماره ابنه لا ابنته ، وقد تقدم ذكره . وله أيضاً ابنة تسمى أم الفضل ، وابنة تسمى فاطمة ، ومن الناس من يعدّها واحداً ، وفاطمة إحدى هذه الفواطم ، التي قال عليه الصلاة والسلام لعلي ، وقد بعث له حُلَّةً : تشقها حُمرأً بين الفواطم ، وهن : فاطمة بنت أسد ؛ أم علي ، وفاطمة بنت محمد ، وزوجه ، وفاطمة بنت حمزة هذه ، وفاطمة ابنة عتبة .

وأما العباس فيكنى أبا الفضل بابنه ، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بستين أو ثلاث ، وكان رئيساً في قريش ، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية ، شهد العقبة مع رسول الله ﷺ ليشترطَ له على الأنصار ، وشهد بدرأً مع المشركين مكرها ، وفدى يومئذ نفسه ، وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه أبي طالب والحارث ، وأسلم قبل فتح خيبر ، وكان يكتُم إسلامه إلى يوم فتح مكة ، فأظهره ، وقيل أسلم قبل يوم بدر ، وكان يكتُم ذلك ، وشهد يوم حُنين وثبت . وهو القائل :

ألا هل أتى عرسي مكرّي ومقدمي	بوادي حنين والأسنّة تُشرعُ
وكيف رددت الخيلَ وهي مغيرة	بزوراء تعطي في اليدين وتمنعُ
نصرنا رسولَ الله في الحرب سبعة	وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وثامننا لاق الحِمَامَ بسيفه	بما مسّه في الله لا يتوجع

وكان النبي ﷺ يقول فيه : العباسُ أجودُ قريش كفاً وأوصلُها . وروى أن العباس لم يمر

(١) رواه الحاكم في المستدرک ١٩٤/٣ وصححه ، ووافقه الذهبي .

بعمر ولا بعثان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً له ، وكان النبي ﷺ يُجَلُّهُ ، واستسقى به عمر عام الرمادة سنة سبع عشرة ، فسقوا ، ففي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبي هب :

بعمي سقى الله الحجازَ وأهله عشية يستسقي بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب راغباً فما كَرَّ حتى جاء بالدَّيْمَةِ المطر

وكان من دعاء العباس وهو يستسقي : اللهم أنت الراعي لا تُهمل الضَّالَّةَ ، ولا تدع الكسير^(١) بدار مضیعة ، فقد ضرع الصغير ، ورقَّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، فأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من روحك إلا القوم الكافرون .

وفضائل العباس كثيرة ، ومناقبه مشهورة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ، وصلى عليه عثمان ، وقيل في وفاته غير ذلك .

وولد العباس سبعة لأم الفضل لبابة بنت الحارث — وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أختها ميمونة في زوجات النبي ﷺ — وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وأم حبيب شقيقته . وتَمَّام ، وكثير ، لأم ولد . والحارث ، وأمُّه من هذيل . وعون بن العباس ، قال أبو عمر^(٢) : لم أقف على اسم أمه . قال : وكل بني العباس لهم رواية ، وللفضل وعبد الله وعبيد الله سماعٌ ورواية .

وكان الفضل أكبرهم ، وتَمَّام أصغرهم ، وقد روى تَمَّام عن النبي ﷺ : « لا تدخلوا عليَّ قُلْحاً ، استاكوا »^(٣) . وكان الفضل جميلاً ، وعبد الله عالماً ، وعبيد الله سخياً جواداً ، وكان تَمَّام من أشد الناس بطشاً ، وكان العباس يحمل تَمَّاماً ، ويقول :
تَمَّامُ بَتَمَّام فصاروا عشرة ياربِّ فاجعلهم كراماً برره
واجعل لهم ذكراً وأنثى ثمرة

(١) في « أ » : الكبير ، والتصحيح من « ج » .

(٢) لم نجد كلام ابن عبد البر في الاستيعاب ، ولا في الدرر .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤٤٢/٤ عن تَمَّام ، عن أبيه قثم . ومعنى « قُلْحاً » : جمع أقْلَح ، وهو الذي تعلو أسنانه قلحة ، أي صفرة ووسخ ، و« استاكوا » : استعملوا ما يُنظفها كالسواك ونحوه .

ويقال : ما رؤيت قبوراً أشدَّ تباعداً من بعض قبور بني العباس بن عبد المطلب ،
استشهد الفضلُ بأجنادين ، ومات معبد وعبد الرحمن بإفريقية ، وعبد الله بالطائف ،
وعبيد الله باليمن ، وقُتْم بسمرقند ، وكثير بالينبع ، وقد يقع في ذلك خلاف ليس هذا موضعه .
وأما الحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب ، وبه كان يُكْنَى .

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى : لم يدرك الإسلام ، وأسلم من أولاده
أربعة : نوفل ، وربيعة ، وأبو سفيان ، وعبد الله ، فكان نوفل أسنَّ إخوته وأسنَّ من أسلم من
بني هاشم ، ولم يذكر المغيرة فيهم . وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتابه في الصحابة ،
فيكون خامساً لهم ، غير أنه قال : ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبي سفيان ، والصحيح
الأول^(١) . يعني أنه غيره .

وأما أبو لهب : فأبوه كناه بذلك ، لحسن وجهه . قال السهيلي : كُنِّي بأبي لهب مقدمة
لما يصير إليه من اللهب ، وكان بعد نزول السورة فيه لا يشكُّ مؤمن أنه من أهل النار ،
بخلاف غيره من الكفار — يعني الموجودين — فإن الأطماع لم تنقطع من إسلامهم^(٢) .
وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية ، اسمها العوراء ، فولد أبو لهب عتبة ومُعْتَباً ، شهدا حنيناً
وثبتاً فيه ، وأختهما درة ، لها صحبة ، وأخوهم عتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام بدعوة
النبي ﷺ عليه ، وبعضهم يجعلُ عتبة المُكَبَّرَ عقيرَ الأسد ، وعُتَيْبَةُ الصَّحَابِيُّ ، والمشهور
الأول .

وأما ضرار : فإنه مات أيام أُوحي إلى النبي ﷺ ولم يسلم ، وكان من (أبهى) فتيان
قريش جمالاً و (أكثرهم) سخاء .

وأما الغيداق : فكان أكثر قريش مالاً ، وكان جَوَاداً .

وأما المَقْوَمُ وجَحَل : فولد لهما ، وانقطع العقب منهما .

وأما عبد الكعبة : فلم يدرك الإسلام ولم يُعقب .

(١) الاستيعاب ٣/٣٨٦ .

(٢) الروض الأنف ١/١٣٢ .

وأما قثم فهلك صغيراً كما تقدم .

وأما أم حكيم — وهي البيضاء — : فكانت عند كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له عامراً ، وبنات منهن : أروى أم عثمان بن عفان ، وهي توأمة عبد الله والد رسول الله ﷺ ، على خلاف في ذلك . وهي التي وضعت جفنة الطيب للمطَّيِّين في حلفهم ، وكانت تقول : إني لخصان فما أكلتم ، وصنَّاع فما أعلم .

وأما عاتكة : فكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له عبد الله ، له صحبة ، وزهيراً وقريةً ، مختلف في صحبتها ، وهم إخوة أم سلمة لأبيها ، وهي صاحبة الرؤيا بمكة يوم بدر ، وقد تقدمت .

وأما برة فكانت عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، فولدت له أبا سبرة ، له صحبة ، شهد بدرًا والمشاهد مع رسول الله ﷺ . ثم خلف عليها عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقيل : بل كانت عنده قبل أبي رهم ، فولدت لعبد الأسد أبا سلمة عبد الله ، زوج أم سلمة ، صحابي مشهور ، توفي في حياة رسول الله ﷺ ، وبعد وفاته تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة زوجته .

وأما أميمة : فكانت عند جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، فولدت له عبد الله المجذع في الله بدعائه ، المقتول يوم أحد شهيداً رضي الله عنه ، وأبا أحمد الشاعر الأعمى ، وعبيد الله ، أسلما أيضاً ، وهاجرا إلى أرض الحبشة ، ثم تنصَّرت هنالك عبيد الله . وزينب أم المؤمنين ، وحمنة ، وكانت عند مصعب بن عمير ، ثم خلف عليها طلحة بن عبيد الله ، فولدت له محمداً وعمران ، وكانت تُستحاض ، وكانت ممن خاض في حديث الإفك وجُلد فيه ، إن صحَّ أنهم جلدوا ، وثُكِّئ حمنة هذه أم حبيبة عند قوم ، وعند الأكثرين أم حبيبة غيرها ، وكانت أم حبيبة تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُستحاض ؛ حديثها في صحيح^(١) مسلم ، وكان شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي ، رحمه الله يقول : هُنَّ زينب ، وحمنة ، وأم حبيب ، ويعدُّ ما عدا

(١) رواه مسلم في الحيض (باب المستحاضة ..) رقم / ٣٣٤ / عن عائشة رضي الله عنها .

ذلك وَهَمَا ، وقيده بخطه على صحيح مسلم في الفوائد التي كتبها على نسخه ، وقد علقت عنه هذه الفوائد .

وأما أروى فمختلف في إسلامها كما تقدم . وحكاها أبو عمر عن الواقدي في خير يُسنده ؛ أن ابنها طُليب بن عُمر حملها على ذلك ، فوافقته وأسلمت ، وكانت بعد ذلك تعاضد النبي ﷺ وتحضُّ ابنها على نصرته . وقد رواه الحاكم^(١) ، وزعم أنه على شرط البخاري . وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي ، فولدت له طُليب بن عمير ، كان بدرياً من فضلاء الصحابة ، وقُتل بأجنادين شهيداً ، ولا عقب له . ثم خلف عليها كَلْدَة بنتُ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي — وهو عند أبي عمر كَلْدَة بن عبد مناف ، والصحيح الأول — فولدت له فاطمة . ورأيت في كتاب أبي عمر^(٢) : أروى ، وليس بشيء . فولدت فاطمة هذه زينب بنتُ أَرْطَاة بن عبد شُرحبيل بن هاشم المذكور آنفاً ، فولدت زينبُ كَيْسَة بنت الحارث بن كُرَيْز بن ربيعة زوج مسيلمة بن حبيب الكذاب . ثم خلفَ على كَيْسَة ابنُ عمها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز ، وُلد على عهد رسول الله ﷺ ، وعَوَّذَه ، وتفل في فيه ، فجعلَ يتسَوَّغ ريقَ رسول الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنه لمُسْقِيٌّ . فكان لا يُعَالج أرضاً إلا ظهرَ له الماء ، وهو الذي عمل السقايات بعرفة ، وشقَّ نهرَ البصرة ، جمع له عثمان بينَ ولاية البصرة وفارس ، وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وكان سخياً جَوَاداً ، وفيه يقول زياد الأعجم :

أَخْ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا	عَلَى الْعِلَاتِ مَبْتَسِماً جَوَاداً
أَخْ لَكَ مَا مَوْدُّهُ بِمَذِي	إِذَا مَا عَادَ فَقَرُّ أَخِيهِ عَادَا ^(٣)
سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا	وَأَعْطَى فَوْقَ مُنَيْتِنَا وَزَادَا
وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عَدْنَا	فَأَحْسَنَ ثُمَّ عَدْتُ لَهُ فَعَادَا
مَرَاراً مَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ إِلَّا	تَبَسُّمَ ضَاحِكاً وَثْنِي الْوَسَادَا

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٢/٤ وقال الذهبي معقباً : لم أجد إسلامها إلا عند الواقدي .

(٢) الاستيعاب ٢٢٧/٤ .

(٣) « بِمَذِي » : أصل المذق : اللبن المشوب بالماء ، والمراد أن مودته صافية .

وأما صفية : فأسلمت وهاجرت ، وكانت عند الحارث بن حرب ، أخي أبي سفيان بن حرب ، فولدت له صيفي بن الحارث ، ثم خلف عليها العوّام بن ثُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فولدت له الزبيرَ والسائبَ صحابين مشهورين ، وعبد الكعبة ، وأمّ حبيب تزوجها خالد بن حزام ، فولدت له أمّ حسن ، لا عقب لها . ثُوَيْت صفية رضي الله عنها سنة عشرين ، ودُفِنَت بالبقيع ، ولها ثلاث وسبعون سنة .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل

سوى ما تقدم

● جَحَلٌ : بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو السقاء الضخم . قال ابن دريد : واسمه مصعب ، وجحل لقب . وغيره يقول : اسمه المغيرة كما سبق . والجَحَلُ : نوع من اليعاسب ، عن صاحب العين . وقال أبو حنيفة : كلُّ شيء ضخم فهو جَحَلٌ ، ذكره السهيلي ، وكان الدارقطني يقول : هو جَحَلٌ : بتقديم الحاء ، ويُقَسَّرُ بالخلخال أو القيد .

● وقُتَمٌ : قد ذكرنا أنه شقيق الحارث ، وكان ابن قدامة يقول : الحارث لا شقيق له ، والذي رواه ابن سعد بسنده عن ابن الكلبي أن قُتَمَ شقيقُ العباس وضرار . قال ابن سيده : قُتَمَ الشيء يقشّمه قُتْماً : جمعه ، ويقال : قُتَامَ أي اقُتِمَ ، مطرد عند سيبويه ، وموقوف عند أبي العباس . وقُتَمَ له من العطاء قُتْماً : أكثر ، وقُتَمَ : اسم رجل مشتق منه . وقُتَامٌ : من أسماء الضبع ، وقُتَمَ : الذكر من الضباع ، وكلاهما معدول عن فاعل وفاعلة ، وقد تكرر هذا الاسم لابن عبد المطلب ولابن عباس . وكان قُتَمَ بن العباس والياً لعليّ على مكة ، أردفه النبي ﷺ ، ودعا له ، واستشهد بسمرقند . قال ابن عبد البر : وقال الزبير في الشعر الذي أوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطائته والبيت يعرفه والحل والحرم

إنه قاله بعض شعراء المدينة في قُتَمَ بن العباس ، وزاد الزبير في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كم صارخ بك مكروبٍ وصارخة يدعوك يا قُتَمَ الخيرات يا قُتَمَ

قال : ولا يصح في قثم بن العباس ، وذلك شعر آخر على عروضه وقافيته . وما قاله الزبير فغير صحيح ، ثم قال أبو عمر : وفي قثم بن العباس هذا يقول داود بن سلم :

عُتِقْتُ مِنْ جِلْمِي وَمِنْ رَحْلَتِي يَا نَاقُ إِنِّ بَلَّغْتَنِي مِنْ قَثْمٍ
إِنَّكَ إِنِ أَذْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا خَالَفَنِي الْبُؤْسُ وَمَاتَ الْعَدَمُ
فِي كَفِّهِ بِحَرِّ وَفِي وَجْهِهِ بَدَرٌ وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ^(١)
أَصَمُّ عَنْ قِيلِ الْخَنَاءِ سَمْعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
لَمْ يَدْرِ مَا « لَا » وَبَلَى قَدْ دَرَى فَعَافَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا « نَعَمْ »

كذا قال أبو عمر ، وإنما الشعر في قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان والياً على اليمامة لأبي جعفر المنصور ، وكان داود بن سلم من شعراء الدولة العباسية ، فأين هو من ذلك الزمان ؟

● وتقدم ذكر أبي سفيان بن الحارث ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : أبو سفيان خير أهلي ، أو من خير أهلي ، وفيه كان يقول عليه الصلاة والسلام : كل الصيد في جوف الفراء . وقيل في أبي سفيان بن حرب ، وكان أبو سفيان بن الحارث أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وابن عمه ، وكان فارساً مشهوراً وشاعراً مطبوعاً ، أنشد له أبو عمر :

لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشٌ غَيْرَ فَخِيرٍ بَأْنَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعاً سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ — إِذَا طَعَنُوا — سِنَانَا
وَأَدْفَعُهُمْ لَدَى الصُّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَهُهُمْ — إِذَا نَطَقُوا — لِسَانَا

قال أبو عمر : وكان أحد الخمسة المشبهين بالنبي ﷺ ، وهم : جعفر بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، وقثم بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف^(٢) .

ولم يزد على ذلك ، وإلى السائب هذا يُنسب الإمام الشافعي ، قال المؤلف : فقلت في ذلك شعراً :

(١) « العرنين » : الأنف .

(٢) الاستيعاب ٨٤/٤ .

بِخَمْسَةِ شُبَّهِ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ يَا حَسَنَ مَا خُولُوا مِنْ شِبْهِهِ الْحَسَنِ
بِجَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو الْمُصْطَفَى قُثَمٍ وَسَائِبِ وَأَبْنَى سَفِيَانَ وَالْحَسَنِ
قُلْتُ : وَمَنْ كَانَ يُشَبَّهُهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَيْضاً : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَغِيراً ، فَقَالَ : هَذَا شَبَهُنَا . وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ إِذْ رَأَاهُ : يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ هَذَا أَشَبَّهُ بَنَا مِنْكُمْ .

● وَأَبُو لَهَبٍ : اسْمُ أُمِّهِ لَبَنَى ، كَذَا هُوَ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ ، وَفَسَّرَهُ السَّهِيلِيُّ بِشَيْءٍ يَتِمَّعُ مِنْ
بَعْضِ الشَّجَرِ ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ . قَالَ : وَيُقَالُ لِبَعْضِهِ : الْمِيعَةُ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرِو فِي اسْمِ
أُمِّهِ : لُبْنَى ، عَلَى وَزْنِ فُعْلَى مِنَ اللَّبِّ ، عَلَى قِيَاسِ قَوْلِ ابْنِ دَرِيدٍ فِي حُبْنَى مِنَ الْحَبِّ ، وَقَالَ
السَّهِيلِيُّ : بِنْتُ هَاجِرٍ بِكَسْرِ الْحِيمِ .

* * *

ذكر أزواجه

عليه الصلاة والسلام وسراريه

روى عبد الملك بن محمد النيسابوري بسنده : عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تزوجت شيئاً من نسائي ، ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحى جاءني به جبريل عن ربي عز وجل^(١) » .

● فأول من تزوج ﷺ خديجة ، وقد تقدم ذكرها .

● ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِشَل بن عامر بن لؤي ، بعد خديجة على الصحيح ، ومن الناس من يقول : تزوج عائشة قبلها ، وأصدق النبي ﷺ سودة أربعمائة . وأُمُّها الشموسُ بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِداش بن عامر بن عَنَم بن عدي بن النجار ، بنت أخي سلمى بنت عمرو بن زيد ؛ أم عبد المطلب ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، أخي سهل وسهيل وسليط وحاطب ، ولكلهم صحبةٌ ، وهاجر بها السكرانُ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم رجع بها إلى مكة ، فمات عنها ، فلما حَلَّتْ تزوجها عليه الصلاة والسلام في السنة العاشرة من النبوة ، وقيل : في الثامنة . ومات بعده في المدينة في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، هذا هو المشهور في وفاتها ، وابن سعد يقول عن الواقدي : توفيت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية ، وكانت قد كبرت عنده ، فأراد طلاقها ، فوهبت يومها لعائشة ، فأمسكها ، وقيل : بل طلقها وراجعها ، والصحيح الأول ، قاله الديلمي ، وقال أبو عمر : أسنت عند النبي ﷺ ، فهم بطلاقها ، فقالت : لا تطلقني ، وأنت في حلٍّ من شأني ، فإنما أريد أن أحشر في أزواجك ، وإني قد وهبتُ يومي لعائشة ، وإني لا أريدُ ما تُريد النساء . فأمسكها رسولُ الله ﷺ ، حتى توفي عنها .

● ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم عبد الله ، اكننت بابن أختها عبد الله بن

(١) الحديث في إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف . والنبي ﷺ تزوج خديجة قبل النبوة . نور النبراس لوحة

الزبير ، بإذن رسول الله ﷺ لها بذلك ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، وقيل بنت عمير بن عامر من بني دهمان بن الحارث . كانت تُسَمَّى لجبير بن مطعم ، فسألها أبو بكر منهم وزوجها النبي ﷺ . روى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة — رضي الله تعالى عنها — قالت : تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين ، وبني بي وأنا بنتُ تسع ، وقُبِضَ عني وأنا بنتُ ثمانٍ عشرة . ورويناه من طريق النسائي : عن أبي كريب ، وأحمد بن حرب ، عن أبي معاوية (١) .

وتزوجها عليه الصلاة والسلام بمكة في شوال سنة عشر من النبوة . فلما هاجر إلى المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة يأتیان بعياله : سودة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، وأمّ أيمن ، وإينها أسامة . وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر : أم رومان ، وعائشة ، وأسماء ، فقدموا المدينة ، فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان ، ورسول الله ﷺ حينئذ يبنى مسجده ، فلما فرغ من بنائه بنى بيتاً لعائشة ، وبيتاً لسودة ، وأعرس بعائشة في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجرة ﷺ ، وقيل : سبعة أشهر ، وقيل : ثمانية عشر . وكان مقامه في بيت أبي أيوب ، إلى أن تحول إلى مساكنه سبعة أشهر ، وقُبِضَ عنها وهي بنت ثمانٍ عشرة ، ومكثت عنده تسع سنين وخمسة أشهر ، ولم يتزوج بكرة غيرها ، يقال : إنها أتت من النبي ﷺ بسقط ، ولا يثبت .

وكانت فضائلها جمّة ، ومناقبها كثيرة . قال عليه الصلاة والسلام : « فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (٢) . وقيل له : أيُّ النساء أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قيل : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » (٣) . ونزلت براءتها في القرآن ، وقُبِضَ عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرها ، ودُفِنَ في بيتها . وقال أبو الضحى ، عن مسروق : رأيتُ مشيخةً أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح :

(١) رواه النسائي في النكاح (باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة) ٨٢/٦ .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (باب فضل عائشة) رقم /٣٧٧٠/ ومسلم في فضائل الصحابة

(باب فضل عائشة) رقم /٢٤٤٦/ والترمذي في المناقب (باب مناقب عائشة) رقم /٣٨٨١/ والنسائي في

عشرة النساء (باب حب الرجل بعض نسائه) ٦٨/٧ .

(٣) رواه الترمذي في المناقب ، (باب مناقب عائشة) رقم /٣٨٧٩/ وقال : حديث حسن صحيح .

كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة . وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقهِ ولا بطبِّ ولا بشعرٍ من عائشة . وقال الزهري : لو جمع علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل . وفيها يقول حسن يمدحها ويعتذر إليها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بَرِيَّةٌ	وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لَحْمِ الْغَوَافِلِ ^(١)
عَقِيلَةٌ أَصْلٌ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ	كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدِهِمْ غَيْرُ زَائِلٍ ^(٢)
مَهْدَبَةٌ قَدْ طِيبَ اللَّهُ خِيَمَهَا	وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ غِيٍّ وَبَاطِلٍ ^(٣)
فَإِنْ كَانَ مَا قَدْ قِيلَ عَنِّي قَلْتُهُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِي
وَكَيْفَ وَوَدِّي مَا حَيْثُ وَنَصْرَتِي	لَا لِرَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمُخَافِلِ

توفيت سنة ست ، وقيل : سنة سبع ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة ، ودُفنت بالبقيع ليلاً . ونزل في قبرها القاسم بن محمد ، وابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن أبي عتيق ، وعبد الله وعروة ابنا الزبير ، وقد قاربت سبعاً وستين سنة ، ومولدها سنة أربع من النبوة .

● ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأمها قدامة بنت مظعون ، وهي شقيقة عبد الله بن عمر ، وأسن منه . مولدها قبل النبوة بخمس سنين ، كانت تحت خنيس بن حذافة السهمي ، فتوفي عنها من جراحات أصابته بيدر ، وقيل : بأحد ، والأول أشهر ، فتزوجها رسول الله ﷺ في شعبان ، على رأس ثلاثين شهراً من مهاجرة ﷺ على القول الأول ، أو بعد أحد على الثاني . وكان عمر قد عرضها على أبي بكر قبل أن يتزوجها عليه الصلاة والسلام ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك ، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية ، فقال : ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان ، وأخبره بعرضه حفصة عليه . فقال رسول الله ﷺ : تتزوج حفصة خيراً من

(١) « مَا تُزَنُّ » : مَا تُثْنَى . وَ« غَرْنِي » : جَائِعَةٌ .

(٢) « عَقِيلَةٌ » : كَرِيمَةٌ .

(٣) « خِيَمَهَا » : طَبَعَهَا وَسَجَّيَهَا .

عثمان ، ويتزوج عثمان خيراً من حفصة . ثم تزوج عليه الصلاة والسلام حفصة ، وزوج ابنته أم كلثوم عثمان .

وطلق عليه الصلاة والسلام حفصة تطليقة ، ثم ارجعها ، وذلك أن جبريل نزل عليه فقال له : راجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة . ومن حديث عقبة بن عامر ، قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة ، فبلغ ذلك عمر ، فحشا على رأسه التراب ، وقال : ما يعباؤ الله بعمر وابنته بعدها . فنزل جبريل على النبي ﷺ من الغد ، وقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر^(١) . وقد روي من طريق عمار بن ياسر أنه طلقها ثم راجعها رحمة لعمر ، ثم أراد أن يطلقها ثانية ، فقال له جبريل : لا تطلقها فإنها صوامة قوامة .. الحديث^(٢) .

توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة ، وحمل سريرها بعض الطريق ، ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها ، ونزل في قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر ، وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر ، وقد بلغت ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : ماتت سنة إحدى وأربعين ، وأوصت إلى عبد الله أخيها بما أوصى إليها عمر ، وبصدقة تصدقت بها بمال وقفته بالغابة .

● ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، كانت تدعى أم المساكين ؛ لرأفتها بهم ، كانت عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها ، فتزوجها أخوه عبيدة ، فقتل يوم بدر شهيداً كما سبق ، فخلف عليها رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، على رأس أحدٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر ، على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة ، وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ودفنها بالقيع ، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها .

ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة ، وفي ريحانة خلاف ، وقال أبو عمر : كانت قبل النبي ﷺ عند عبد الله بن جحش ، حكاه عن ابن شهاب ، قال : وقتل عنها يوم

(١) حديث عقبة رواه أبو عمر في الاستيعاب ٢٦٩/٤ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة .

(٢) حديث عمار بن ياسر رواه أبو عمر في الاستيعاب ٢٦٩/٤ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة .

أحد ، ف تزوّجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث ، ولم تلبث عنده إلا يسيراً ، شهرين أو ثلاثة^(١) .
وحكى عن علي بن عبد العزيز الجرجاني ؛ أنها كانت أخت ميمونة لأُمها ، قال : ولم أر ذلك
لغيره^(٢) .

ولما خطبها عليه الصلاة والسلام جعلت أمرها إليه ، ف تزوّجها ، وأشهد وأصدقها اثنتي
عشرة أوقية ونشأ^(٣) ، وأرادت أن تُعتق جارية لها سوداء ، فقال لها رسول الله ﷺ : ألا
تفدين بها بني أخيك أو أختك من رعاية الغنم^(٤) .

● ثم أم سلمة ، واسمها هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وهما أول من هاجر إلى أرض الحبشة ،
ولدت له برة ، سماها رسول الله ﷺ زينب ، وسلمة وعمر ودره ، شهد أبو سلمة بداراً
وأحدأ ، ورُمي بها بسهم في عضديه ، فمكث شهراً يداويه ، ثم برأ الجرح ، وبعثه
رسول الله ﷺ في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره ، وبعث معه مائة
 وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى قطن ، وهو جبل بناحية قيد ، فغاب تسعاً
وعشرين ليلة ، ثم رجع إلى المدينة ، فانتقض جرحه ، فمات لثمان خلون من جمادى الآخرة
سنة أربع ، فاعتدت أم سلمة ، وحلّت لعشر بقين من شوال سنة أربع ، ف تزوّجها
رسول الله ﷺ في ليالٍ بقين من شوال المذكور . وأبو عمر يقول : إنها في جمادى الآخرة ،
سنة ثلاث ، وهو لم يتزوجها إلا بعد انقضاء عدتها من أبي سلمة بالوفاة ، وقال لها : إن
شئت سبعت لك وسبعت لنسائي ، وإن شئت ثلثت ودرت ، فقالت : بل ثلث .

وخطبها عليه الصلاة والسلام ، فقالت : إني مُسنّة ، وذات أيتام ، وشديدة العيرة .
فقال رسول الله ﷺ : أنا أسنُّ منك ، وعيالك عيال الله ورسوله ، وأدعو الله لك فيذهب

(١) الاستيعاب ٣١٣/٤ .

(٢) « ونشأ » : النش ، بفتح النون وتشديد الشين ، هو نصف الأوقية ، والأوقية : أربعون درهماً ، فيكون جميع
صداقها رضي الله عنها خمسمائة درهم .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣١٦/٤ نقلاً عن ابن سعد ؛ وقال : هذا خطأ فإن صاحب هذه القصة
هي ميمونة بنت الحارث ، وهي هلالية ، وفي الصحيح نحو هذا من حديثها ، وقد ذكر ابن سعد نحوه في
ترجمة ميمونة من وجه آخر .

عنك العيرة ، فدعا لها فكان ذلك .

توفيت في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح . وأُمُّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس ، وقد قيل في اسم أم سلمة : رملة ، وليس بشيء .

● ثم زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وكان اسمها برة ، فسمّاها زينب . أمُّها أُميمة عمة رسول الله ﷺ ، كانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه ، ثم طلقها ، فلما حلت ، رَوَّجَ الله إياها من السماء سنة أربع ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة خمس . وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة ، وأولم عليها ، وأطعم المسلمين خبزاً ولحماً ، وفيها نزل الحجاب ، وهي التي قال الله في حقها : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

ولما تزوجها تكلم في ذلك المنافقون ، وقالوا : حرّم محمد نساء الولد وقد تزوّج امرأة ابنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ الآية [الأحزاب : ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] فدعى زيد بن حارثة ، وكان يدعى زيد بن محمد ، وكانت تفخر على نسائه عليه الصلاة والسلام تقول : إن آباءكن أنكحوكن ، وإن الله تعالى أنكحنى إياه من فوق سبع سموات . وغضب عليها رسول الله ﷺ لقولها لصفية بنت حيي : تلك اليهودية . فهجّرها لذلك ذا الحجة والحرم وبعض صفر ، ثم أتاها ، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار ، وهي أول نسائه لحوقاً به ، توفيت سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين . وكانت عائشة تقول : هي التي تُساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، وما رأيت امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . وقال عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب في حقها : إنها لأوَّاهة . قال رجل : أي رسول الله وما الأوَّاهة ؟ قال : الخاشع المتضرع ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] .

● ثم جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعيد بن كعب بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء ، سبّاها يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق . وقد تقدم ذكرها ، وقعت في سهم ثابت بن

قيس بن شماس ، كاتبها على تسع أواق ، فأدّى عليه الصلاة والسلام عنها كتابتها ، وتزوَّجها ، وقال الشعبي : كانت جُويرية من ملك اليمين ، فأعتقها عليه الصلاة والسلام ، وتزوَّجها ، وقال الحسن : من رسول الله ﷺ على جُويرية ، وتزوَّجها . وقيل : جاء أبوها فافتداها ، ثم أنكحها رسول الله ﷺ بعد ذلك . وكان اسمها برة ، فحوّله رسول الله ﷺ وسماها جُويرية . وكانت قبل رسول الله ﷺ عند مسافع بن صفوان المصطليقي .

وكانت جميلة ، قالت : عائشة : كانت جُويرية عليها ملاحاة وحلاوة ، لا يكاد يراها أحدٌ إلا وقعت بنفسه . وعندما تزوَّجها عليه الصلاة والسلام ، قال الناس : صهر رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق . قالت عائشة فلا نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها منها .

توفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة ، وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه تزوَّجها وهي بنتُ عشرين سنة . وقيل : توفيت سنة خمسين ، وهي بنتُ خمس وستين سنة ، ولأبيها الحارث بن أبي ضرار صحبة ، وكان قد قدم في فداء ابنته جُويرية بأباعر ، فاستحسن منها بعيرين فغيَّبها بالعقيق في شعب ولم يعترف بهما لرسول الله ﷺ ، فأخبره النبي ﷺ عنهما . فقال : والله لم يطلع على ذلك أحد ، أشهد أنك رسول الله ، وأسلم . ذكره ابن إسحاق والواقدي^(١) .

● ثم ريحانة : بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد من بني النضير ، وبعضهم يقول من بني قريظة ، وكانت متزوجة فيهم رجلاً يُقال له الحكم ، وكانت جميلةً وسيمةً ، وقعت في سبي بني قريظة ، فكانت صفى رسول الله ﷺ ، فخيرها بين الإسلام ودينها ، فاختارت الإسلام ، فأعتقها وتزوَّجها ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ ، وأعرس بها في المحرم سنة ست في بيت سلمى بنت قيس النجارية ، بعد أن حاضت حيضةً ، وضرب عليها الحجاب ، فغارت عليه غيرةً شديدة ، فطلَّقها تطليقة ، فأكثرَت البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحال فراجعها . ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشر .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٥-٦٤٦ .

وقيل : كانت موطوءة له بملك اليمين ، والأول أثبت عند الواقدي ، وأما أبو عمر فقال :
ريحانة سُرِّية النبي ﷺ ، لم يزد على ذلك . ووالدها شمعون يأتي ذكره في موالي النبي ﷺ .

● ثم أم حبيبة : رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية عمّة عثمان بن عفان ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ، فولدت له حبيبة ، وبها كانت تُكْنَى ، وتَنَصَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ هُنَاكَ ، وثبتت هي على الإسلام ، وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، فزوَّجه إياها ، والذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار على خلاف محكمي في الصَّدَاق ، والعاقد من كان . وبعثها مع شرحبيل بن حسنة ، وجَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ . وقد قيل في اسمها هند ، وزوجها من النبي ﷺ عثمان بن عفان ، وكان الصَّدَاقُ مَائَتِي دِينَارٍ ، وقيل : أربعة آلاف درهم . وقيل : قد عقد عليها النجاشي ، وكان قد أسلم . وقيل : إنما تزوّجها عليه الصلاة والسلام بالمدينة مرجعها من الحبشة ، والأول أثبت في ذلك كله . وكان أبو سفيان في حرب رسول الله ﷺ ، فقيل له : إن محمداً قد نكح ابنتك . فقال : هو الفحل لا يُقْدَعُ أَنْفُهُ^(١) . وكان أبو عبيدة يقول : تزوّجها عليه الصلاة والسلام سنة ست ، وليس بشيء .

وقد وقع في الصحيح^(٢) قول أبي سفيان يوم الفتح للنبي ﷺ : أسألك ثلاثاً ؛ فذكر منهن : أن تزوج يا رسول الله أم حبيبة — يعني ابنته — فأجابه عليه الصلاة والسلام لما سأل . وهذا يخالف لما اتفق عليه أرباب السير والعلم بالخبر ، وقد أجاب عنه الحافظ المنذري جواباً يتساو^(٣) هزلاً . فقال : يكون أبو سفيان ظناً أن بما حصل له من الإسلام تجددت له عليها الولاية ، فأراد تجديد العقد يوم ذلك لا غير^(٤) .

(١) « لا يُقْدَعُ أَنْفُهُ » : أي أنه كريم كقوله لابنته . والجملة في أصلها ، مثل : وهو أن يكون الفحل غير كريم ، فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضُربَ أَنْفُهُ بِالرَّحْ أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى يَرْتَدِعَ وَيَنْكَفَرُ .

(٢) . رواه مسلم في فضائل الصحابة (باب مناقب أبي سفيان) رقم ٢٥٠١ / .

(٣) « يتساو هزلاً » : يتمايل ضعفاً .

(٤) استعرض الحافظ ابن كثير في كتابه « الفصول » ص ٢٤٨ أقوال العلماء في تأويل ما وقع في هذا الحديث ،

توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين ، وبعد موتها استلحق معاوية زياداً ، وقيل : قبله ،
والأول أشبه ، تخرجاً من دخوله عليها ، وكان الذي جَسَرَه على استلحاقه إياه الأبيات التي
لأبي سفيان ، يُخاطب بها علياً :

أما والله لولا خوف واشٍ يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم يكن المقالة عن زيادٍ
فقد طالت مجاملي ثقيفاً وترك في فيهم ثمر الفؤاد

● ثم صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن
أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه
الصلاة والسلام ، كان أبوها سيد بني النضير ، فقتل مع بني قريظة . وأمها
برة بنت شموال أخت رفاعة بن شموال القرظي ، وكانت عند سلام بن مشكم . ثم خلف
عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق الشاعر النَّضْرِي ، فقتل عنها يوم خيبر ، ولم تلد لأحد
منهما شيئاً ، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه ، فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها .
وبعض العلماء يعد ذلك من خصائصه عليه الصلاة والسلام . وكانت جميلة لم تبلغ سبع
عشرة سنة .

روى حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن النبي ﷺ اشترى صفية بنت حيي
بسبعة أرؤس . وخالفه عبد العزيز بن صهيب وغيره : عن أنس ، فقالوا : إن رسول الله ﷺ
لما جمع سبي خيبر ، جاءه دحية الكلبي ، فقال أعطني جارية من السبي . فقال : اذهب فخذ
جارية . فأخذ صفية بنت حيي . فقليل : يا رسول الله إنها سيدة قريظة والنضير ، وإنها
لا تصلح إلا لك . فقال له النبي ﷺ : خذ جارية من السبي غيرها . وقال ابن شهاب :
كانت مما أفاء الله عليه ، فحجبها ، وأولم عليها بتمر وسويق ، وقسم لها . ويروى أن
رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي ، فقال لها : ما يُبكيك ؟ قالت : بلغني أن
عائشة وحفصة تالان مني ، ويقولان : نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ

= ثم قال : « والصحيح في هذا أن أبا سفيان لما رأى صهر رسول الله ﷺ شرفاً أحب أن يزوجه ابنته الأخرى ،
وهي عزة ، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة .. » .

وأزواجه . قال : أفلا قلت لمن كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى ، وزوجي محمد رسول الله ﷺ^(١) . وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة . قال أبو عمر : روي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : إن صفية تحب السب ، وتصل اليهود . فبعث إليها عمر ، فسألها ، فقالت : أما السب فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً ، فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان . قالت : اذهبي فأنت حرة^(٢) . وكانت صفية قد رأت قبل ذلك أن قمراً وقع في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب . فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك ، فأخبرته الخبر .

وماتت صفية سنة خمسين في رمضان ، وقيل سنة اثنتين وخمسين . ودُفنت بالبقيع ، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض ، وأوصت لابن أختها بالثلث ، وكان يهودياً .

● ثم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُحير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكان اسمها برة ، فسماها ميمونة ، زوجه إياها العباس عمه ، وكانت خالة ابن عباس ، وهي أخت لبابة الكبرى ، أم بني العباس ، ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وعصماء وعزة ، وأم حفيد هزيمة ، لأب وأم ، وأخواتهن لأمه : أسماء وسلمى وسلامة بنات عُميس . وزاد بعضهم : زينب بنت خزيمة وأمهم هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة الحميرية .

وكانت ميمونة في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عُمر الثقفي ، ففارقها ، وخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، فتوفي عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة سبع ، وفيها اعتمر عمرة القضية في ذي القعدة ، وقد اختلفت الرواية هل تزوجها عليه الصلاة والسلام وهو محرم ، أو

(١) رواه الترمذي في المناقب (باب مناقب أزواج النبي) رقم/٣٨٩١ وفي سنده هاشم بن سعيد الكوفي ، وهو ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي رقم/٣٨٩٤ عن أنس ، والنسائي في الكبرى ، وأحمد في المسند ١٣٦/٣ .

(٢) الاستيعاب ٣٤٨/٤ .

وهو حلال ؟ فلما قدم مكة أقام بها عليه الصلاة والسلام ثلاثاً ، فجاءه سهيل بن عمرو في نفر من أصحابه من أهل مكة ، فقال : يا محمد ! اخرج عنا ، اليوم آخر شرطك . فقال : دعوني أبثني بامرأتي ، وأصنع لكم طعاماً . فقال : لا حاجة لنا بك ، ولا بطعامك ، اخرج عنا . فقال سعد : يا عاضُّ بظُرِّ أمِّه أرضك وأرض أمك دونه ، لا يخرجُ رسولُ الله ﷺ إلا أن يشاء . فقال له رسول الله ﷺ : دعهم ، فإنهم أزارونا ، لا نؤذيهم . فخرج ، فبني بها بسرٍ حيث تزوّج بها ، وهنالك ماتت في حياة عائشة سنة إحدى وخمسين ، وقد بلغت ثمانين سنة ، وقد قيل في وفاتها غير ذلك ، وهي آخر من تزوّج عليه الصلاة والسلام . وقال ابن شهاب : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ . وقال السهيلي : لما جاءها الخاطب ، وكانت على بعير ، رمت بنفسها من على البعير ، وقالت : البعيرُ وما عليه لرسول الله ﷺ .

فهؤلاء نساؤه المدخولُ بهنَّ اثنتا عشرة امرأة ، منهنَّ ربحانة ، وقد ذكرنا الخلاف فيها ، ومات عليه الصلاة والسلام عن تسعٍ منهنَّ .

قال الحافظ أبو محمد الدميّاطي : وأما من لم يدخل بها ، ومن وهبت نفسها له ، ومن خطبها ، ولم يتفق تزويجها ، فثلاثون امرأة على اختلاف في بعضهن ، والله أعلم .

قال المؤلف : ولندكر من تيسر لنا ذكره منهن على سبيل الاختصار : فممن :

- أسماء بنت الصلت السُّلمية .
- وأسماء بنت النعمان بن الجؤن بن شراحيل . وقيل : بنت النعمان بن الأسود بن حارثة بن شراحيل من كِنْدَةَ .
- وأسماء بنت كعب الجؤنية ، ذكرها ابن إسحاق من رواية يونس بن بُكير عنه ، ولا أراها والتي قبلها إلا واحدة .
- وجمرة بنت الحارث الغطفاني ، خطبها عليه الصلاة والسلام لأبيها ، فقال : إن بها سوءاً . ولم يكن ، فرجع فوجدها قد برّصت .
- وأميمة بنت شراحيل ، لها ذكر في صحيح البخاري .
- وحبّية بنت سهل الأنصارية التي تركها ، فتزوّجها ثابت ، قاله ابن الأثير .

● وخولة بنت الهذيل بن هُبيرة بن قُبيصة بن الحارث بن حبيب التغلبية ، ذكرها أبو عمر عن الجرجاني .

● وخولة أو خويلة بنت حكيم السُّلمية ، كانت امرأةً صالحةً فاضلةً ، تُكْنَى أم شريك ، وقيل : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد تكونان اثنتين ، فالله أعلم .

● وسناء بنت الصلت ، وهي عند أبي عمر بنت أسماء بن الصلت ، وقيل : أسماء أخ لها ، وقيل : تزوّجها ، ثم طلقها ، وقيل : ماتت قبل أن تصل إليه ، وقيل : لما علمت أنه تزوّجها عليه الصلاة والسلام ماتت من الفرح .

● وسودة القرشية ، كانت مُصبيةً ، خطبها عليه الصلاة والسلام ، فاعتذرت بينها ، وكانوا خمسة أو ستة ، فقال لها خيراً .

● وشراف بنت خليفة ، أخت دحية الكلبي تزوّجها ، فهلكت قبل دخوله بها .

● وصفية بنت بشامة بن نضلة ، أخت الأعور بن بشامة ، أصابها سبأٌ ، فخيرها رسولُ الله ﷺ ؛ فقال : إن شئتِ أنا وإن شئتِ زوجُك ؟ قالت : زوجي . فأرسلها إليه ، فلعنتها بنو تميم .

● والعالية بنت ظبيان بن عمر بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، تزوّجها عليه الصلاة والسلام ، وكانت عنده ما شاء الله ، ثم طلقها ، قاله أبو عمر . وقال : قلَّ مَنْ ذكرها .

● وعمرة بنت يزيد بن الجَوْن الكلابية ، تزوّجها ، قبلَ أن بها برصاً ، فطلقها ، ولم يدخل بها ، وقيل : هي التي تعوّذت منه ، فقال لها : لقد عذبتِ بمعاذ . فطلقها ، وأمر أسامة فمَتَّعَهَا بثلاثة أثواب .

● وعمرة بنت معاوية الكِنْدية ، ذكرها ابن الأثير .

● وأم شريك العامرية ، قال ابن عبد البر : اسمها غزية بنت دُودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رفاعة بن حَجْر ، ويقال حُجير بن عبد بن مُعيص بن عامر بن لُؤي ، يقال : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد قيل ذلك في جماعة سواها .

- وأم شريك بنت جابر الغفارية ، ذكرها أحمد بن صالح في أزواج النبي ﷺ .
- وفاخنة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، خطبها عليه الصلاة والسلام لأبيها عمه أبي طالب ، وخطبها هُبيرة بن أبي وهب ، فتزوجها أبو طالب من هُبيرة .
- وفاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي ، تزوجها ، وخيرها حين نزلت آية التخيير ، فاخترت الدنيا ، ففارقها ، فكانت بعد ذلك تُلَقِّط البعر ، وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا . حكاه أبو عمر ، وردّه ، وقيل : التي كانت تقول : أنا الشقية ، هي المستعيذة منه ، وقيل غير ذلك .
- وفاطمة بنت شريح ، قال ابن الأمين : ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ .
- وقُتَيْلة بنت قيس بن معدى كرب أخت الأشعث ، تزوجها قبل موته بيسير ، ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ، قيل : وأوصى أن تُخَيَّرَ فإن شاءت ضُرب عليها الحجاب وحرِّمت على المؤمنين ؛ وإن شاءت طُلِّقت ونكحت من شاءت ، فاخترت النكاح ، فتزوجها بعد عكرمة بن أبي جهل .
- ولبلى بنت الخطيم — أختُ قيس — الأنصارية ، عرضت نفسها على النبي ﷺ فتزوجها ، ثم رجعت ، فقالت : أقلني . فقال : قد فعلت .
- ومُليكة بنت داود ، ذكرها ابن حبيب .
- ومليكة بنت كعب الليثي ، تزوجها ، وقيل : دخل بها ، وقيل لم يدخل .
- وهند بنت يزيد بن البرصاء ، من بني أبي بكر بن كلاب ، ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ ، وقال أحمد بن صالح : هي عمرة بنت يزيد . قال أبو عمر : فيه نظر ، لأن الاضطراب فيه كثير جداً .
- وأما سراريه ، فكن أربعاً :
- مارية بنت شمعون القبطية ، أم ولده إبراهيم ، وكانت من حَفَنَ ، من كورة أنصنا ، من صعيد مصر ، أهداها إليه المقوقس ، ومعها أختها سيرين ، وألف مثقال ، وعشرون ثوباً من قباطي مصر ، والبغلة الشهباء دلدل ، وحمار أشهب يُقال له يعفور أو عُفَيْر ، وخصي

يُسمى مابور ، وقيل : إنه ابن عمها ، ومن غسل بنها ، فأعجب النبي ﷺ الغسل ، ودعا في غسل بنها بالبركة ، فولدت له عليه الصلاة والسلام مارية إبراهيم ، وقد تقدم ذكره .

● وريحانة بنت يزيد البُضْريّة ، وقد سبق ذكرها .

● ● وقال أبو عبيدة : كان له أربع : مارية ، وريحانة ، وأخرى جميلة ، أصابها في السبي . وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . وقال قتادة : كان للنبي ﷺ وليدتان : مارية وريحانة وبعضهم يقول : رَيْحَة القرظية .

* * *

ذكر خدم رسول الله ﷺ

● أنس بن مالك الأنصاري ● وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلمي . ● وربيعة بن كعب الأسلمي . ● وكان عبد الله بن مسعود : صاحب نعليه ، كان إذا قام ألبسه إياهما ، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم . ● وكان عقبة بن عامر الجهني : صاحب بغلته ، يقود به في الأسفار . ● وأسلع بن شريك : صاحب راحلته . ● وبلال بن رباح المؤذن . ● وسعد مولى أبي بكر الصديق . ● وأبو الحمراء ، قيل : اسمه هلال بن الحارث . وقيل : هلال بن ظفر ، حديثه عن النبي ﷺ ؛ أنه كان يمر ببيت علي وفاطمة ، فيقول : السلام عليكم أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] (١) . ● وذو مخمر : ابن أخي النجاشي ، ويقال : ابن أخته . ويقال : ذو مخبر . ● وبُكر بن شدّاخ الليثي ، ويقال : بكر . ● وأبو ذرّ الغفاري . ● ورزينة امرأة ، حديثها عن النبي ﷺ في فضل يوم عاشوراء عند أهل البصرة (٢) . ● وأربد : كذا وجدته فيهم ، غير منسوب ، وقد ذكر إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة : أربد بن حُمير ، فلا أدري أهو هو ؟ أم لا . ● والأسود بن مالك الأسدي الجاني ، وأخوه الحذرّجان بن مالك ، وجزء بن الحذرّجان ، ذكرهم ابن منده . ● وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري ، له حديث حسن طويل ، من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ؛ عن جابر ، قال : كان فتى من الأنصار يحفّ برسول الله ﷺ ويحدثه أنه مر بباب رجل من الأنصار ، فاطّلع فيه ، فوجد امرأة الأنصاري تغتسل فكرّر النظر ، وذكر باقي الحديث بطوله في سبب توبته . ذكره أبو محمد الرّشاطي ، وقال : أغفله أبو عمر ، ولم ينبّه عليه ابن فتحون ، وقد رأيت عن أبي حاتم البستي ، قال في ثعلبة هذا : مات خوفاً من الله في حياة النبي ﷺ ، وهو إشارة إلى هذا الحديث (٣) . ● وسالم خادمه عليه الصلاة والسلام ،

(١) الاستيعاب ٤/٤٦ .

(٢) المصدر السابق ٤/٣١٠ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٢٠٠ وقال : روى ابن شاهين وأبو نعيم مطولاً ؛ من جهة سليم بن

وبعضهم يقول مولاه . ● ومنهم من يقول أبو سلمى : راعي رسول الله ﷺ . ● وقد ذكر بعضهم : سلمى خادم رسول الله ﷺ ، وقيل : هو سالم المذكور . ● وسابق^(١) : ذكره أبو عمر ، وقال : روي عنه حديث واحد من حديث الكوفيين ، اختلف فيه على شعبة ومسعر ، والصحيح فيه عنهما : ما رواه هشيم وغيره ، عن أبي^(٢) سفيان ، عن سابق بن ناجية ، عن أبي سلام خادم رسول الله ﷺ . قال : ولا يصح سابق في الصحابة ، والله أعلم .

والحديث الذي أشار إليه عن أبي سلام خادم رسول الله ﷺ ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « ما من عبد يقول حين يُسمي وحين يُصبح ثلاث مرات : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة » .

قال أبو عمر : ومن قال في أبي سلام هذا أبو سلامة فقد أخطأ . هو أبو سلام^(٣) الهاشمي ، ذكره في الصحابة وفي خدم النبي ﷺ خليفة بن خياط .

● وصفية خدمت النبي ﷺ ، روت عنها أمة الله بنت رزينة في الكسوف مرفوعاً^(٤) ، قاله ابن عبد البر . ● ومهاجر مولى أم سلمة ، روى أبو عمر من حديثه ، قال : خدمت رسول الله ﷺ خمس سنين ، لم يقل لشيء صنعتُه لم صنعتَه ، ولا لشيء تركته لم تركته^(٥) ؟ . ● ونعيم بن ربيعة بن كعب ، ذكر عن ابن منده وأبي نعيم . ● وأبو عبيد

= منصور بن عمار ، عن أبيه ، عن المنكدر ... قال ابن منده بعد أن رواه مختصراً : تفرد به منصور قلت : وفيه ضعف وشيخه أضعف منه ، وفي السياق ما يدل على وهن الخبر . وانظر الخبر . في المقاصد السننية ؛ لابن بلبان المقدسي ص ٢٤٠ بتحقيقنا .

(١) سبتين من السياق بعد قليل أن ذكر سابق في الصحابة ؛ أو في خدم رسول الله ﷺ وهم وقع فيه بعض المحدثين .

(٢) كذا في الأصول ، والصحيح هو أبو عقيل هاشم بن بلال قاضي واسط . انظر التهذيب والاستيعاب ٩٨/٤ .

(٣) هذه الطريق هي الصحيحة عن مسعر ، وأما الطريق الأخرى التي نصّ ابن عبد البر على خطئها في الاستيعاب ٩٩/٤ ؛ فهي طريق وكيع عن مسعر ، عن أبي عقيل عن أبي سلامة ، عن سابق خادم رسول الله ﷺ .

(٤) الاستيعاب ٣٥٠/٤ .

(٥) الاستيعاب ٣٥٠/٤ .

قال أبو عمر : قيل خادم رسول الله ﷺ وقيل مولاه ، لم أقف له على اسم .

ومن النساء سوى ما تقدم : ● أمة الله بنت رُزينة ، وقد تقدم ذكر أمها . ● وخولة : جدة حفص بن سعيد ، ذكرها أبو عمر^(١) ، وقال : لها حديث في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى : ١-٣] ليس إسناده مما يُحتج به . ● ومارية جدة المثنى بن صالح ، لها حديث عند الكوفيين . ومارية أم الرباب ، لها حديث عند البصريين ، ذكرها أبو عمر^(٢) ، وذكر حديثيها ، وقال في الثانية : لا أدري أهي التي قبلها أم لا .

* * *

(١) الاستيعاب ٤٣٧/٣ .

(٢) المصدر السابق ٤١٤/٤ .

ذكر موالي رسول الله ﷺ

● زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي . وابنه أسامة بن زيد ، وأخوه لأمه : أئمن بن عبيد بن أم أئمن ، استشهد أئمن يوم حنين ، وكان على مطهرة النبي ﷺ . وأسلم بن عبيد . ● وأبو رافع ، واسمه أسلم ، وقيل إبراهيم ، وقيل هرمز ، وكان للعباس بن عبد المطلب ، وقيل كان لسعيد بن العاص أبي أحيحة . ● وأبو رافع أيضاً والد البهي بن أبي رافع ، وقيل كان اسمه رافعاً ، كان لأبي أحيحة سعيد بن العاص ، فمات فورثه بنوه فعتق بعضهم ، وبعضهم وهب نصيبه لرسول الله ﷺ ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وهو الأول عند ابن أبي خيثمة والبخاري ومصعب الزبيري ، ومنهم من يقول : هما اثنان . ● وأبو أثيلة : رأته بخط شيخنا الحافظ أبي محمد الدمياطي ، ولم يسمه ، ولم ألق له ذكراً أكثر من أن أبا عمر قال في الصحابة : أبو أثيلة . قيل : اسمه راشد ، حجازي له صحبة . وكذلك قال أبو أحمد الحاكم ، وكناه : أبا أثيلة مصغراً . ● وأبو كبشة : واسمه سليم ، شهد بدرأ . ● وأنسة : يُكنى أبا مُسَرَّح . ● وثوبان : ويكنى أبا عبد الله . ● وشقران : واسمه صالح . ● وربّاج : أسود ، كان يأذن على النبي ﷺ . ● ويسار : ثوبى . ● وأبو السّمح : قيل اسمه إياد ، ضلّ فلا يدرى أين مات . ● وأبو مُوهبة . ● ورافع ، وكان لسعيد بن العاص . ● وأفلح . ● ومابور . ● ومِدْعَم : أسود ، وهبه له رِفاعة بن الجُدّامي . ● وكِرْكِرَة : كان على ثقل النبي ﷺ . ● وزيد : جد بلال بن يسار بن زيد . ● وعُبيد . ● وطهّمان . ● وكَيْسَان . ● وذُكْوَان . ● ومروان . ● وواقد . ● وأبو واقد . ● وسَنْدَر . ● وهشام . ● وحُثَيْن . ● وسعيد . ● وأبو عسيب ، واسمه أحمر . ● وأبو لبابة . ● وأبو لقيط . ● وسفينة : واسمه مهران بن فروخ ، مولى أم سلمة . ● وأبو عُبيد . ● وسعد . ● وضُميرة بن أبي ضُميرة ، جد الحسين بن عبد الله بن ضُميرة . ● وأبو هند . ● وأبو بكرة : ثقيع ، وأخوه نافع . ● وأبو كِنْدِير سعيد . ● وسلمان الفارسي . ● وسالم . ● وسابق .

وقد تقدم في الخدم ذكر شيء من ذلك .

● وعبيد الله بن أسلم ● ونبیه ● وهشام ● وورْذَان ● وَأَنْجَشَةُ : وكان حادياً ، وهو الذي قال له : « رفقاً بالقوارير »^(١) . ● وبإدام : ذكره النووي عن أبي موسى ، ونقل له حديثاً . ● وحاتم : ذكره ابن الأثير ، عن أبي موسى . ● وزيد بن بولا ● ودوس ● ورويفع ● وأبو ریحانة شمعون — وتقدم ذكر ریحانة هذه — وعبيد بن عبد الغفار ● وغيلان ● وقَفِيْزٌ : غلام رسول الله ﷺ ، ذكره عبد الغني بن سعيد ، والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » من طريق أنس بن مالك . ● وكُرَيْبٌ ● ومحمد بن عبد الرحمن . ● ومحمد : غير منسوب ● ومكحول ، وذكر أنه عليه الصلاة والسلام وهبه أخته من الرضاة الشفاء . ● ونبيل ● وهرمز ● وأبو البشير ● وأبو صفية ، وكان يُسَبِّح بالنوى .

ومن النساء : ● أم أيمن الحبشية ، واسمها بركة ● وسلمى : أم رافع ● ومارية ● وريحانة ● ورُيُحَة . — وقد تقدم ذكرهن — ● وخَضِرَة ● ورَضْوَى ● وميمونة بنت سعد ● وميمونة بنت أبي عسيب ● وأم ضُمَيْرَة ● وأم عِيَّاش ● وأميمة : مولاة النبي ﷺ ، روى عنها جُبَيْر بن نَفِير ، قاله أبو عمر . ● وقيسر : القبطية ، أهداها له المقوقس مع مارية ● وسيرين : قيل إنه عليه الصلاة والسلام وهبها لأبي جهم بن حذيفة ، وقيل : وهبها لجهم بن قيس العبدي ، وذكر ابن يونس : أن زكرياء بن الجهم بن قيس لقيسَر أخت مارية هذه ، وأما سيرين فوهبها لحَسَن بن ثابت ، فولده عبد الرحمن منها .

وقد ذكرنا في هذا الفصل ميمونة بنت سعد ، وميمونة بنت أبي عسيب ، ذكرهما أبو عمر ، وذكر معهما ميمونة ثالثة ، وقال في كل منهن : مولاة النبي ﷺ ، ولم ينسب الثالثة ، غير أنه فرّق بينهن بروايتن ، وذكر لكل واحدة حديثاً غير الآخر .

* * *

(١) رواه البخاري في الأدب (باب المعارض) رقم / ٦٢٠٩ / بلفظ « ارفق يا أنجشة — وبحك — بالقوارير » .

ذكر أسمائه

عليه الصلاة والسلام

قد قدمنا في أول الكتاب حديث الترمذي : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر : الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب : الذي ليس بعده نبي »^(١) .

وقد ذكر من أسمائه ﷺ : الرسول ، المرسل ، النبي ، الأمي ، الشهيد ، المصدق ، النور ، المعلم ، البشير ، المبشر ، النذير ، المنذر ، المبين ، الأمين ، العبد ، الداعي ، السراج ، المنير ، الإمام ، الذكر ، المذكر ، الهادي ، المهاجر ، العامل ، المبارك ، الرحمة ، الأمر ، الناهي ، الطيب ، الكريم ، المحلل ، المحرم ، الواضع ، الرافع ، المجير ، خاتم النبیین ، ثاني اثنين ، منصور ، أذن خير ، مصطفى ، مأمون ، قاسم ، نقيب ، المزمّل ، المدثر ، العلي ، الحكيم ، المؤمن ، الرؤوف ، الرحيم ، الصّاحب ، الشفيّع ، المشفّع ، المتوكّل ، نبي التوبة ، نبي الرحمة ، نبي الملحمة . ﷺ .

* * *

(١) رواه الترمذي في الأدب (باب مجاء في أسماء النبي) رقم / ٢٨٤٢ .

ذِكْرُ كُتَابِهِ

عليه أفضل الصلاة والسلام

● أبو بكر ● وعمر ● وعثمان ● وعامر بن فهيرة ● وخالد ، وأبان : ابنا سعيد بن العاص أبي أحيحة . وذكر شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي أيضاً أخاهما سعيداً ● وعبد الله بن الأرقم الزهري ● وحنظلة بن الربيع الأسدي ● وأبي بن كعب ، وهو أول من كتب له من الأنصار ● وثابت بن قيس بن شماس ● وزيد بن ثابت ● وشرحبيل بن حسنة ● ومعاوية بن أبي سفيان ● والمغيرة بن شعبة ● وعبد الله بن زيد ● وجهم بن الصلت ● والزيتر بن العوام ● وخالد بن الوليد ● والعلاء بن الحضرمي ● وعمرو بن العاص ● وعبد الله بن رواحة ● ومحمد بن مسلمة ● وعبد الله بن عبد الله بن أبي ومعيقب بن أبي فاطمة ● وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وهو أول من كتب له من قريش ، ثم ارتد فتزلت فيه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

وذكر في كتابه عليه الصلاة والسلام أيضاً : ● طلحة ● ويزيد بن أبي سفيان ● والأرقم بن أبي الأرقم الزهري ● والعلاء بن عتبة ● وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد ● وبريدة بن الحصيب ● والحصين بن نمير ● وأبو سلمة المخزومي ، عبد الله بن عبد الأسد ● وخويطب بن عبد العزى ● وأبو سفيان بن حرب ● وحاطب بن عمرو .

ورويانا من طريق أبي داود : من حديث أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، قال : السَّجِّلُ ، كان كاتباً لرسول الله ﷺ (١) .

ورويانا من طريق النزال بن سبرة ، عن علي ، قال : كان ابن خطل يكتب قُدَّام النَّبِيِّ ﷺ ، فكان إذا نزل : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ كتب : رحيم غفور ، وإذا نزل : ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ كتب : عليم سميع . وفيه : فقال ابن خطل : ما كنتُ أكتبُ إلا ما أريد .

(١) رواه أبو داود في الحراج والإمارة والفقه (باب في اتخاذ الكاتب) رقم /٢٩٣٥/ وهو حديث موضوع كما نقل ابن القيم عن ابن تيمية رحمهما الله تعالى .

ثم كفر ولحق بمكة . فقال رسول الله ﷺ : من قتل ابنَ حَظَل فهو في الجنة . فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة .

هذا وَهَم ، والنزأل بن سَبْرَة له صحبة ، وروايته عن علي مخرجة في الكتب ، وإنما الحمل فيه على من هو دونه ، وهذه الواقعة معروفة عن ابن أبي سرح ، وهو ممن كان النبي عليه الصلاة والسلام أهدرَ دمه يوم الفتح كابن حَظَل ، فقتل ابن حَظَل ، ودخلَ بابن أبي سرح على رسول الله ﷺ عثمانُ بن عفان ، فراجع الإسلام بين يديه عليه الصلاة والسلام ، قبله بعد تلؤم ، وقد أوردنا ذلك قبل هذا في يوم الفتح . ولم يُنقم على ابن أبي سرح بعد ذلك شيء في إسلامه ، ومات ساجداً رحمه الله ، ورضي عنه .

وذكر ابن دحية فيهم رجلاً من بني النجار غير مسمى ، قال : كان يكتبُ الوحي لرسول الله ﷺ ، ثم تنصر ، فلما مات لم تقبله الأرضُ .

ذِكْرُ حُرَّاسِهِ وَمَنْ كَانَ يَضْرِبُ الْأَعْنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُؤَذِّنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ • ويوم أحد محمد بن مسلمة • ويوم الخندق الزبير بن العوام • وحرسه ليلة بني بصفية أبو أيوب الأنصاري بخير أو ببعض طريقها ، فذكر أن رسول الله ﷺ قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما باتك يحفظني . • وحرسه بوادي القرى بلال ، وسعد بن أبي وقاص ، وذكوان بن عبد قيس . • وكان على حرسه عباد بن بشر ، فلما نزلت ﴿ وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] ترك الحرس .

وكان الذين يضربون بين يديه الأعناق : علي ، والزبير ، والمقداد ، ومحمد بن مسلمة ، وعاصم بن ثابت .

ومؤذنه : بلال ، وعبد الله بن عمرو بن أم مكتوم الأعشى ، وسعد القرظ بن عائذ مولى عمار بن ياسر ، وأبو محذورة سمرة بن مغير ، وقيل : أوس .

ذكر العشرة من أصحابه

والخواريين وأهل الصُّفة

وليس من العشرة والخواريين إلا من تقدم نسبه ، فيُنظرُ في موضعه ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، رضي الله عنهم . وأنشدت بيتاً ، جمعهم فيه ناظمه ، والذي تقدمه توطئة له :

لقد بُشِّرْتُ بعد النبي محمدٍ بجنَّةِ عدنٍ زمرةٌ سُعداءُ
سعيدٌ ، وسعد ، والزبيرُ ، وعامرٌ وطلحةٌ ، والزهرِيُّ ، والخلفاءُ

وأما الخواريون : والخواريُّ : الخليل ، وقيل : الناصر ، وقيل : صاحب المستخلص . فكلُّهم من قريش ، وهم : الخلفاء الأربعة ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عبيدة ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة ، والزبير .

وأما أصحاب الصفة : فقوم فقراء ، لا منزلَ لهم غير المسجد . روينا عن ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني محمد بن نعيم المجمر ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا هريرة يقولُ : رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصفة ، يُصلُّون خلفَ رسول الله ﷺ ، ليس عليهم أردية .

عُدَّ منهم : أبو هريرة ، وأبو ذر ، ووائلة بن الأسقع ، وقيس بن طخفة الغفاري . وقد ذكر في عددهم أكثر من ذلك بكثير .

ذكر سلاحه عليه الصلاة والسلام

● سيف يُقالُ له مأثور ، ورثه من أبيه ، وقدم به المدينة . ● والعَصْبُ : أرسل إليه به سعد بن عبادَة عند توجهه إلى بدر . ● وذو الفقار : كان في وسطه مثل فقرات الظهر ، غنمه يومَ بدر ، وكان للعاص بن منبه السَّهمي ، وكان ذو الفقار مع النبي ﷺ بعد في حروبه كلُّها ، وكانت قائمته وقيبعته^(١) وحَلَقَتِه وعِلاقَتِه فضة ، وهو بكسر الفاء ، وقيد أيضاً

(١) « قبيعته » : هو ماعلى طرف مقبضه من فضة أوحديد ونحوها .

بفتحها . ● والصمصامة : سيف عمرو بن معدى كرب ، وكان مشهوراً . ● وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : سيفاً قلعيّاً ، يفتح اللام ، نسبة إلى مرج قلعة بالبادية ، والبتارُ والحُتف ● وكان له أيضاً الرُّسُوب والمُخْدَم : أصابهما مما كان على الفُلس ؛ صنم طيء ، وهو بضم الفاء وسكون اللام . ● والقضيب ، فتلك عشرة .

وكان له درعٌ يقال لها : ذاتُ الفضول ؛ لطولها ، أرسل إليه بها سعد بن عبادة حين سار إلى بدر . ● وذات الوشاح . ● وذات الحواشي . ● ودرعان : أصابهما من بني قينقاع : السُّغْدِيّة ، وفضة ويُقال : السُّغْدِيّة : كانت درعُ داود ، التي لبسها لقتال جالوت . ● والبراء والحِرْنَق . فتلك سبع .

وكان له من القسي خمس : ● الروحاء ● والصفراء : من تبع ● والبيضاء من شوحط ، أصابهما من بني قينقاع . ● والزوراء ● والكنوم ؛ لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .

وكانت له جعبة : وهي الكنانة ، يجمع فيها نبله ، ومنطقة : من أديم مبشور ، ثلاث حلقاتها وأبزيمها وطرفها فضة .

وثلاثة أتراس : الزُّلُوق ، وفَتَق ، وأهدي له ترس فيه تمثال عُقاب أو كبش ، فوضع يده عليه ، فأذهب الله ذلك التمثال .

وخمسة أرماح : ثلاثة من بني قينقاع ، والمثوي ، والمثني .

وكانت له حرية : تسمى التَّبَعَة ، ذكرها السبيلي . وحرية كبيرة اسمها البيضاء ، وحرية صغيرة دون الرمح ، شبه العُكَاز ، يقال لها : العَنَزَة .

وكان له مِغْفَران : الموشح ، والسبوغ ، أو ذو السبوغ .

وراية سوداء : مربعة ، يقال لها : العُقاب ، وراية بيضاء : يُقال لها الزينة ، وربما جعل فيها الأسود .

وروى أبو داود في سننه : من حديث سيماك بن حرب ، عن رجل من قومه ، عن آخرهم قال : رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء^(١) .

(١) رواه أبو داود في الجهاد (باب في الرايات والألوية) رقم ٢٥٩٣/ وفي إسناده رجل مجهول .

وروى أبو الشيخ بن حبان : من حديث ابن عباس ، قال : كان مكتوباً بأعلى راياته : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وقال الحافظ أبو محمد الدمياطي : قال يوسف بن الجوزي : روي أن لواءه أبيض ، مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وكان فسطاطه : يُسمى الكِنُّ .

وكان له مِخْبَن : قدر ذراع ، أو أكثر ، يمشي ويركبُ به ، ويُعلِّقُه بين يديه على بعيره .

وكان له مِخْصَرَة : تسمى العُرجون . وقضيب : يُسمى المشوق ، من شوحط .

وقدح : يسمى الريان ، وآخر مُضَبَّب ، يَقْدُرُ أكثر من نصف المَدِّ فيه ، فيه ثلاث ضبات من فضة ، وحلقة كانت للسفر ، وثالث من زجاج .

وكان له تَوْر من حجارة ، يقال له : المِخْضَب ، يتوضأ فيه ، وكان له مِخْضَب من شَبَه (١) يكون فيه الخناء . وركوة : تسمى الصادرة ، ومَغْسَل : من صُفْر (٢) . وريعة : إسكندرانية : من هدية المقوقس ، يجعل فيها مُشْطاً من عاج ، ومِكَحَلَة ، ومِقْرَاضاً ومِسْوَكَاً ، ومِرْآة .

وكانت له أربعة أزواج خفاف : أصابها من خير ، ونعلان سَبْتِيَتَان (٣) . وخفٌّ سَادَج (٤) ، أسود ، من هدية النجاشي وقصعة وسرير وقطيفة .

وقد اختلفت الروايات في صفة الخاتم ، فيُحتمل أن تكون خواتم متعددة ، وقد كان له خاتم من فضة ، وخاتم من ذهب ، لبسه ثم طرحه ، وخاتم حديد ملوِّي بفضة ، نقشه « محمد رسول الله » .

وكان يتبخر بالعود ويطرح معه الكافور .

(١) « شبه » : نحاس أصفر .

(٢) « صفر » : نحاس .

(٣) « سبتيتان » : مدبوغتان قُطِعَ عنهما شعرهما .

(٤) « سادج » : معرب مادة ، خالص السواد .

وقال ابن فارس : ترك رسول الله ﷺ يوم مات ثوبى حَبْرَةَ ، وإزاراً عُمانياً ، وثوبين صحاريين ، وقميصاً صحارياً ، وآخر سحولياً ، وجُبّة يمنية ، وكساء أبيض ، وقلانس صيفاراً لاطئة^(١) ثلاثاً أو أربعاً . وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وخميصة^(٢) ، وملحفة مَورسة^(٣) ، وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ، ويعتم .

وكان له ﷺ عِمامة يعتم بها يُقال لها السحاب ، وهبها لعلّي ، وعمامة سوداء ، ويلبس يوم الجمعة ثوباً غير ثيابه المعتادة كل يوم ، ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتمّاً بعمامة يُرسلها بين كتفيه ، ويُدِيرها ويغرزها .

وكان له رداء^(٤) مربع ، وكان له فراش من آدم حشوه ليف ، وكساء أحمر ، وكساء من شعر ، وكساء أسود ، ومنديل يمسح به وجهه .

وسُئِلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مِسْحٌ^(٥) ، ثُنْيِيه ثُنْيَتَيْنِ فينام عليه ، فلما كان ليلة ثنِيته بأربع ثُنَيَات ليكون أوطأ ، فلما أصبح قال : « ما فرشتم لي ؟ » قلنا : هو فراشك ، ثنيناها أربعاً . قال : « ردوه لحاله الأول ، فإنه منعني وطأته صلاة الليل » . ذكره الترمذي^(٦) في الشمائل .

وكان له قدح من عَيْدَان ، يُوضع تحت سريره يبول فيه من الليل ، رواه أبو داود^(٧) والنسائي .

(١) « لاطئة » : لا صقة بالرأس .

(٢) « خميصة » : كساء مربع ذو خطوط ، أو عدة ألوان (وهو أقرب ما يكون إلى ثوب فضفاض ، من غير أكمام مفتوح من جانبيه) .

(٣) « مَورسة » : فيها أثر الورس ، وهو الزعفران .

(٤) « رداء مربع » : هو الخميصة المذكورة قبل قليل ، والله أعلم .

(٥) « مِسْحٌ » : بكسر الميم ، كساء خشن يُعدُّ للفراش من صوف .

(٦) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في فراش رسول الله ﷺ) رقم / ٣٢٢ .

(٧) رواه أبو داود في الطهارة (باب في الرجل يبول بالليل في الإناء) رقم / ٢٤ والنسائي في الطهارة (باب البول في الإناء) ٣١/١ .

وكان له سرير ينام عليه ، قوائمه من ساج^(١) ، بعث به إليه أسعد بن زرارة ، فكان الناس بعده يستحملون عليه موتاهم تبرُّكاً به .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل

سوى ما تقدم

- البتَّار والمخْذَم : القاطع .
- والحُتَف : الموت .
- والرَّسُوب : من رسب في الماء إذا غاص فيه ، لأنَّ ضربته تغوص في المضروب به .
- ومرج القلعة : قريب من حلوان على طريق هَمْدان .
- والسفد : موضع تُصنع به الدروع ، عن ابن القَطَّاع .
- والحِزْنَق : ولد الأرنب .
- والفُسْطاط : البيت من الشعر .
- والكِئْن : ما يستر من الحر والبرد .
- والمِغْفَر : ما يلبسه الدارع على رأسه من زَرَد أو نحوه .
- ورداء مربع : طوله أربعة أذرع ، وإنما اختلف في عرضه ، فقليل ذراع وشير ، وقيل ذراعان وشير .
- وقَدَح من عَيْدان : مفتوح العين المهملة ، ساكن الياء ، آخر الحروف . والعَيْدانة : النخلة السحوق . قال الشاعر :
- إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عَيْدَانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَبْلُغْ بِالرَّثَمِ^(٢)
- بَنَاتٌ نَعَشٍ وَنَعَشٌ لَا كَسُوفَ لَهَا وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْهَا الدَّهْرُ فِي الرَّقَمِ^(٣)

(١) « من ساج » : من خشب .

(٢) « الرَّثَم » : نبات يشبه نبات السعدان ، غير أنه بلا شوك .

(٣) المراد أن الشمس والقمر يصايبان بالكسوف .

ذكر خيله

عليه أفضل الصلاة والسلام ، وما له من الدواب والنعم

● السَّكْبُ : وكان اسمه قبل أن يشتريه : الضرس ، اشتراه بعشر أواق ، أول ما غزا عليه ﷺ أحداً ، ليس للمسلمين غيره .

● وفرس أبي بردة بن نيار ، ويسمى مُلَاوَح ، وكان أَعْرً ، مُحَجَّلًا ، طلق البين ، كُمَيْتًا ، وقيل : كان أَدَهَم ، روي ذلك عن ابن عباس .

شُبّه بفيض الماء وانسكابه . والضُّرس : الصعب السيء الخلق . والمُلاوَح : الضَّامِر ، الذي لا يُسْمَن ، والعظيم الألواح : وهو المُلواح أيضاً^(١) .

● وكان له فرس ، يُقال له المَرْتَجَز : سمي بذلك لحسن صهيله ، كأنه يُنشد رَجْزًا ، وكان أبيض ، وهو الذي شهد له فيه خزيمة^(٢) بن ثابت ، فجعل شهادته شهادة رجلين ، وقيل : هو الطَّرْف — بكسر الطاء المهملة — نعت المذكر خاصة ، وقيل : هو النجيب ، والطَّرْف والنجيب : الكريم من الخيل .

وكان له أيضاً اللّحيف ، ولزاز ، والطَّرِب : فأما اللّحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، وأما لزاز : فأهداه له المقوقس ، وأما الطَّرِب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي .

اللّحيف : فاعيل بمعنى فاعل ، كأنه يلحف الأرض بذنبه ، وقيل فيه : بضم اللام وفتح الحاء على التصغير . ولزاز : من قولهم : لاززته ، أي لاصقته ، كأنه يلتصق بالمطلوب ، لسرعته ، وقيل : لاجتماع خَلْقِهِ ، والمُلَزَز : المجتمع الخلق . والطَّرِب : واحد الطَّراب ؛ وهي

(١) هذا تفسير لما قبله .

(٢) رواه أبو داود في الأفضية (باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد ..) رقم /٣٦٠٧/ ، والنسائي في البيوع ، والحاكم في المستدرک ١٨/٢ ، وهو في البخاري في التفسير (باب : فمنهم من قضى نحبه ..) رقم /٤٧٨٤/ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

الروائي الصغار ، سمي به لكبره وسَمَنَه ، وقيل : لقوته وصلابته .

● وفرس يُقال له الورد : أهداه له تيمم الداري ، فأعطاه عمر بن الخطاب ، فحملَ عليه في سبيل الله ، ثم وجدَه يُباع برخص ، فقال له : لا تشتريه .
والوَرْد : لون بين الكُميت والأشقر .

● وفرس يُدعى سبحة : من قولهم : فرس ساج ؛ إذا كان حسنَ مد اليدين في الجري ، وسَبَّحُ الفرس : جريه .

قال شيخنا الحافظ أبو محمد الدميّاطي رحمه الله فهذه سبعة متفق عليها : وهي : السكب ، والمرتمز ، واللحيف ، ولزاز ، والظرب ، والورد ، وسبحة . وكان الذي يمتطي عليه ويركب : السَّكْب . وقيل : كانت له أفراس أخر غيرها : وهي : الأبلق : حمل عليه بعض أصحابه ، وذو العقّال ، وذو اللّمة ، والمرتمل ، والمرواح ، والسُّرحان ، واليعسوب ، واليعبوب ، والبحر — وهو كُميت — والأدهم ، والشُّحا ، والسَّجل ، وملاوح ، والطُّرف ، والنجيب . هذه خمسة عشر مختلف فيها .

وذكر السهيلي في خيله عليه الصلاة والسلام : الضُّريس . وذكر ابن عساكر فيها : مندوباً .

وذو العقّال — بضم العين — وبعضهم يشدد قافه ، وبعضهم يُخففها ، وهو ظَلَع^(١) في قوائم الدواب . واللّمة : بين الوفرة والجُمّة فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة ، فإذا زادت حتى أملت بالمنكبين فهي لمة ، فإذا زادت فهي جُمّة . والارتجال : خلط الفرس العنق بالهملجة ، وهما ضربان من السير . والمُرواح : من الريح لسرعته . والسُّرحان : الذئب ، وهذيل تسمى الأسد سِرْحاناً . واليعسوب : طائر ، وهو أيضاً أمير النحل ، والسيد : يعسوبُ قومه ، واليعسوب : غرة تستطيل في وجه الفرس . واليعبوب : الفرس الجواد ، وجدول يعبوب : شديد الجري . والشُّحا : من قولهم : فرس بعيد الشحوة ؛ أي بعيد الخطوة . ومندوب : من ندبه فانتدب ، أي دعاه فأجاب .

(١) ظَلَعٌ : عرج .

وأما البغال والحمير : فكانت له .

- بغلة شهباء ، يقال لها دُلْدُل ، أهداها له المقوقس مع حمار يُقال له عُفِير .
- وبغلة : يقال لها فضة ، أهداها له فروة بن عمرو الجذامي ، مع حمار يُقال له يَعْفُور ، فوهبَ البغلة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- وبغلة : أهداها له ابن العَلَماء صاحب أيلة .
- وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس .
- وقيل : أهدى له كسرى بغلةً ولا يثبت .
- وعن ابن عباس أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ بغلةً فكان يركبها . فهذه ست .

وأما النعم : فكانت له .

- نافقة التي هاجر عليها تسمى القصواء ، والجذعاء ، والعضباء ، وكانت شهباء .
- وعن قدامة بن عبد الله ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في حَجَّتِه يرمي على نافقة صهباء^(١) . والصهباء : الشقراء .
- وعن بُيُوط بن شَرِيْط قال رأيت رسول الله ﷺ في حَجَّتِه على جمل أحمر^(٢) .
- وبعث عليه الصلاة والسلام خراش بن أمية يوم الحديبية إلى قريش على جمل يُقال له : الثعلب .
- وكان في هديه عام الحديبية جمل كان لأبي جهل ، في رأسه بُرة^(٣) من فضة ، غنمه يوم بدر ، ليغيظ به المشركين وكان مَهْرِيًّا .

(١) رواه النسائي في الحج (باب الركوب إلى الجمار) ٢٧٠/٥ والترمذي وابن ماجه كما في التحفة ٢٨٠/٨ .
(٢) رواه أبو داود في المناسك (باب الخطبة على المنبر بعرفة) رقم/١٩١٦ والنسائي في الحج (باب الخطبة يوم عرفة على جمل أحمر) ٢٥٣/٢ .
(٣) « بُرة » : حلقة .

● وكانت له عشرون لَقِحة^(١) بالغابة ، وهي التي أغار عليها عُيينة بن حصن الفزاري ، وقد سبق خبرُها .

● وَلَقِحة : غزيرة ، تحلب كما تحلب لَقِحتان غزيرتان ، أهداها له الضحَّاك بن سفيان .

● وكانت له خمس عشرة لَقِحة بذِي الجُدُر^(٢) ، يرعاها يسار ، أغار عليها العُرَنيون ، وقد تقدم الخبر عن ذلك .

● وكانت له بذِي الجُدُر أيضاً : سبع لقائح .

● وكانت له لَقِحة : تسمى الحَفْدَة والحفدة : السريعة .

● ومَهْرِيَّة : بعث إليه بها سعد بن عبادَة من نَعَم بني عقيل .

● وكانت له لَقِحة تسمى مروة .

● وكان له ﷺ من الغنم مائة شاة ، لا يريد أن يزيد على ذلك ، كلما وَلَدَ الراعي بهمةً ذبح مكانها شاة .

● وكانت له شاة تسمى غوثة ، وقيل : غيثة .

● وشاة تسمى قمر .

● وعنز تسمى اليَمَن .

● وكانت له سبعة أعنز منائح ترعاهن أمُّ أيمن .

وأما البقر : فلم يُنقل أن رسول الله ﷺ ملك منها شيئاً .

* * *

(١) « لَقِحة » : ناقة ذات لبن .

(٢) « بذِي الجُدُر » : موضع على ستة أميال من المدينة من جهة قباء .

ذكر صفته ﷺ

قد تقدم في حديث أم معبد شيء من ذلك . وقرأ على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصوري وأنا أسمع بدمشق ، أخبركم الشيخان أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي قراءة عليه وأنت تسمع ، وأبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينه إجازة ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد سماعاً عليه ، زاد ابن سكينه والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي سماعاً ، قال : أخبرنا أبو الحسين بن النُّقُور ، قال ابن سكينه : وأخبرتنا فاطمة بنت أبي حكيم الخبزي ، قالت : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة ، قال : أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح الوزير ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا عمر بن زارة ، حدثنا الفياض بن محمد ، عن عبد الله بن منصور ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبع بن بُبَاة ، عن علي ، قال : كان الحسين بن علي يُحدِّث عن النبي ﷺ بأحاديث سمع بعضها منه ، وسأله أن يُحلِّي لنا النبي ﷺ ، قال :

كان فخمًا مفخمًا ، يتلأأ وجهه كالقمر ليلة البدر ، أقصر من المشذب^(١) وأطول من المربع ، عظيم الهامة ، رجل^(٢) الشعر ، إن انفرت عقيقته^(٣) فرَّقَ وإلا فلا ، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفَّرَه ، أزهر^(٤) اللون ، واسع الجبين ، أزج الحاجبين^(٥) ، سوابغ^(٦) في غير قَرْن ، أفتى العرنيين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم ، سهل الخدين ، أشنب ، مُفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً^(٧) ، متماسكاً ، سواء^(٨) البطن والصدر ، عريض الصدر ، وبعيد ما بين المنكبين ، ضخماً^(٩) الكراديس ، أنور المتجرد^(١٠) ، موصول ما بين اللبة والسرة ، شعر يجري كالخط ، عازي

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٤٢٨ .

(٢) « سوابغ » : طوال .

(٣) « المتجرد » : ما تجرد عنه الثوب من البدن ، ومعنى أنه أنور : شديد البياض .

الثديين والبطن وما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمناكب وأعالي الصدر ، طويل الزندين ،
سائل الأصابع ، شَنَّ (١) الكفين والقدمين ، سَبَطَ العظام ، خَمَصَان (٢) الأخمصين ، مسيح
القدمين ، ينبو عنهما الماء ﷺ (٣) .

وقد رويناه حديث الحسن بن علي ، حدثنا خالي (٤) هند بن أبي هالة ، عن صفة
النبي ﷺ كما سبق ، وفيه : أزج الحاجبين ، سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يُدره
الغضب . وفيه : كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم . وفيه : إذا زال زال
تقلعاً ، ويخطو تكفوفاً ، ويمشي هوناً ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب ، وإذا
التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جلُّ
نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لي منطقته . قال : كان رسول الله ﷺ مُتواصل الأحران ، دائم الفكرة ،
ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه
بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم . فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير . دمثاً ليس بالجافي
ولا المهين ، يُعظم النعمة وإن دَقَّت ، لا يذم شيئاً ، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ، ولا يُقام
لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها . إذا أشار
أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ؛ فضرَبَ بإبهامه اليمنى راحته
اليسرى . وإذا غضب أَعْرَضَ وأشاح . وإذا فرح غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلُّ ضحكته التيسم ،
ويَقْتَرَعَن مثل حَبِّ العمام .

قال الحسن : فكتمتها الحسين بن علي زماناً ، ثم حدثته ، فوجدته قد سبقني إليه ،
فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ، ومجلسه وشكله ، فلم يدع منه شيئاً ، قال
الحسين : سألت أبي رضي الله تعالى عنه عن دخول رسول الله ﷺ ، فقال : كان دخوله
لنفسه ، مأذوناً له في ذلك ، فكان إذا أوى إلى مجلسه جزأً دخوله ثلاثة أجزاء . جزءاً

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٤٢٨ .

(٢) في إسناده الأصمعي بن ثبابة وهو كذاب متروك ؛ كما في ميزان الاعتدال ٢٧١/١ .

(٣) في جميع النسخ « ابن خالي » والصحيح حذف كلمة : ابن ، كما نبه إلى ذلك في نور التبراس . لوحة
٢٢٥/٣ .

لله تعالى ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه . ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فإرد ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يدخر عنهم شيئاً ، فكان من سيرته في جزء الأمة إشاراً أهل ذي الفضل بإذنه ، قسمته على قدر فضلهم في الدين ، منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة في مسأله عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : ليلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة — يعني فقهاء — .

قلت : فأخبرني عن مخرجه ، كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يحزن لسانه إلا مما يعينهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ، ويؤلفه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويؤهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، ولا يغفل ؛ مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعظم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

فسأله عن مجلسه ، عما كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يؤطن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جلساه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالس له أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول . وقد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤين فيه الحرم ، ولا تثني فلتائه ، يتعاطون بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويرحمون الغريب .

فسأله عن سيرته ﷺ في جلسائه ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤئس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث ؛ كان لا يذم أحداً ، ولا يُعيرُهُ ، ولا يطلبُ عورته . ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه ؛ كأنما على رؤوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أوّهم . يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون ، ويصير للغريب على الجفوة في المنطق ، ويقول : إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفده ، ولا يقبلُ الشاء إلا من مكافء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوّزه ؛ فيقطعه بانتهاء أو قيام .

قلت : كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوته على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ؛ فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس ، وأما تفكيره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم ﷺ في الصبر ، فكان لا يُغضبهُ شيء يستفزّه ، وجمع له في الحذر أربع أخذهُ بالحسن ليقتدى به ، وتركهُ القبيح لينتهي عنه ، واجتهاد الرأي بما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة^(١) .

(ذكر فوائد تتعلق بهذا الحديث)

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله بعد إيراده حديث هند بن أبي هالة هذا :

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله :

● قوله المشذب : أي البائن الطول في نحافة ، وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس

(١) حديث هند هذا في إسناده انقطاع ، وقد أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال : وإسناد هذا الحديث على جهالة بعض نقلته هو المحفوظ ، وأخرج الترمذي منه مواضع مقطعة في كتاب الشائل .. وانظره في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٣٣/١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢٨٥/١ — ٢٩٢ والمقاصد السننية في الأحاديث الإلهية ؛ لابن بلان ص ٤٩٨ — ٥٠٢ .

بالطويل الممَّعُط^(١) .

- والشَّعْرُ الرَّجُلُ : الذي كأنه مُشْط فتكسَّر قليلاً ، ليس بسبط ولا جعد .
- والعقيقة : شعر الرأس ، أراد إن انفرت من ذات نفسها فَرَقَهَا ، وإلا تركها معقوصة ، ويروى : عقيصته .
- وأزهر اللون : تَبَّرُهُ ، وقيل : أزهر : حسن ، ومنه : زهرة الحياة الدنيا ، أي زينتها ، وهذا كما قال في الحديث الآخر : ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم . والأمهق : هو الناصع البياض ، والآدم : الأسمر اللون ، ومثله في الحديث الآخر : أبيض مشرب : أي فيه حمرة .
- والحاجب الأزجُ : المقوَّسُ الطويل ، الوافر الشعر .
- والأقنى : السائل الأنف المرتفع وسطه ، والأشمُ : الطويل قصبة الأنف .
- والقرن : اتصال شعر الحاجبين ، وضدّه البلج ، ووقع في حديث أمِّ مَعْبَد^(٢) وصفه بالقرن .
- والأدعج : الشديد سواد الحدقة ، وفي الحديث الآخر : أشكل العين وأسجر العين ، وهو الذي في بياضه حمرة .
- والشَّنبُ : رونق الأسنان وماؤها ، وقيل رقتها وتحزير فيها كما يوجد في أسنان الشباب .
- والفَلَج : فرق بين الثنايا .
- ودقيقُ المسرية : خيط الشعر الذي بين الصدر والشرة .
- بادن : ذو لحم متناسك ، معتدل الخلق ، يُمسك بعضه بعضاً ، مثل قوله في الحديث الآخر : لم يكن بالمطَّهَّم ولا بالمكَلَّم ، أي ليس بمسترخي اللحم ، والمكَلَّم : القصير الذقن .

(١) « الممَّعُط » : المتناهي الطول .

(٢) في الأصول « في حديث أبي سعيد » والتصحيح من الشفاء ، وانظر نسيم الرياض ؛ للخفاجي ، وبهامشه شرح الشفاء ؛ لملا علي الفاري ١٩١/٢ .

● وسواء البطن والصدر : أى مستويهما . ومُشِيع الصدر : إن صحت هذه اللفظة ، فيكون من الإقبال ، وهو أحد معاني أشاح ، أى أنه كان بادِي الصدر ، ولم يكن في صدره قَعَس ، وهو تطامن فيه ، وبه يتضح قوله قبلُ : سواء البطن والصدر ، أى ليس بمتقاعس الصدر ولا مُفاض البطن ، ولعلَّ اللفظ مَسِيح بالسين المهملة وفتح الميم : بمعنى عريض ، كما وقع في الرواية الأخرى ، وحكاها ابن دريد .

● والكراديس : رؤوس العظام ، وهو مثل قوله في الحديث الآخر : جليل المشاش والكُتْد ؛ والمشاش : رؤوس المناكب ، والكُتْد مُجْتَمَع الكتفين .

● وشَنُّ الكفين والقدمين : لحيمهما .

● والزُّنْدَان : عظاما الذراعين .

● وسائل الأطراف : أى طويل الأصابع . وذكر ابن الأنباري ، أنه روي : ساين — بالنون — وهما بمعنى ، تُبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها . وأما الرواية الأخرى : وسائر الأطراف : فإشارة إلى فخامة جوارحه ، كما وقعت مفصلة في الحديث .

● ورحب الراحة : أى واسعها ، وقيل : كُنِيَ به عن سعة العطاء والجود .

● خَصْصَان الأخمصين : أى متجافي أخمص القدم ، وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم .

● ومسيحُ القدمين : أى أَمْلَسهما ، ولهذا قال : ينبو عنهما الماء ، وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا ، قال فيه : إذا وَطِئَ بقدمه وَطِئَ بِكُلِّهَا ، ليس له أخمصٌ ، وهذا يُوافق معنى قوله : مسيحُ القدمين ، وبه قالوا : سُمِّيَ المسيح بن مريم ، أى لم يكن له أخمص ، وقال السهيلي في المسيح بن مريم : فعيل بمعنى فاعل ، لأنه كان يُوثَق بذوي العاهات فيمسحُ على مواضعها فتزول ، والمسيح الدجال : بمعنى مفعول ، أى ممسوح العين ، كما جاء في الحديث .

رجع إلى الأول : وقيل : مسيح ، لا لحم عليهما ، وهذا أيضاً يُخالف قوله : شَنُّ القدمين .

● والتَّقْلُع : رفع الرجل بقوة .

● والتكفؤ : الميل إلى سَنَنِ المشي وقصده .

- والهون : الرفق والوقار .
- والذريع : الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ، ويقصد سمنه وكل ذلك يرفق وتثبت دون عجلة كما قال: كأنما ينحط من صيب .
- وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه : أي لسعة فمه ، والعرب تتماذج بهذا ، وتذم بصغر الفم .
- وأشاح : مال وانقبض .
- وحَبَّ الغمام : البرَد .
- وقوله : فبرُدُّ ذلك بالخاصة على العامة : أي جعل من جزء نفسه ما يُوصل الخاصة إليه ، فتوصل عنه العامة ، وقيل : يجعل منه للخاصة ثم ييذلها في جزء آخر للعامة .
- ويدخلون رواداً : أي مُحْتَاجِينَ إليه .
- ولا ينصرفون إلا عن ذواق : قيل : عن علم يتعلمونه ، ويشبه أن يكون على ظاهره ، أي في الغالب والأكثر .
- والعتاد : العدة ، والشيء الحاضر المُعَدُّ .
- والمؤازرة : المعاونة .
- وقوله : لا يُوطن المواطن ، أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً ، وقد ورد نهيه عن هذا مُفسراً في غير هذا الحديث .
- وصابره : أي حبس نفسه على ما يُريد صاحبه .
- ولا تُؤنِّن فيه الحرم : أي لا يُذكرن بسوء . ولا تنثي فلتاته : أي لا يُتحدَّث بها ، أي لم تكن فيه فلتة .
- ويرفدون : يُعينون .
- والسَّحَاب : الكثير الصياح .

- وقوله : ولا يقبلُ الثناء إلا من مكافئ : قيل : مقتصد في ثنائه ومدحه ، وقيل : إلا من مسلم ، وقيل إلا من مكافئ على يدٍ سبقت من النبي ﷺ .
- ويستغفره : يستخفه .
- وفي حديث آخر في وصفه : منهوسُ العقب : أي قليل لحمها .
- وأهدبُ الأشفار : أي طويل شعرها .

* * *

ذكر خاتم النبوة

عن جابر بن سَمُرَةَ ، قال : رأيتُ للنبي ﷺ عند كتفيه مثلَ بيضة الحمامة ، تشبهُ جسده^(١) . وفي لفظ : سلعة مثل بيضة الحمامة .

وقد روي عن أبي رمثة ، أنه شعرٌ مجتمع عند كتفيه^(٢) . وروي عنه أيضاً أنه مثل بيضة الحمامة ، وأنه قال : يا رسول الله! ألا أدأويك منها ؟ فقال : يُداويها الذي وضعها^(٣) . وروي عنه أيضاً : قال : مثل التفاحة^(٤) .

وعن سلمان الفارسي أنه قال : كان مثل بيضة الحمامة ، بين كتفيه^(٥) .

وقيل : على نَعْضِ كتفه الأيسر . وقيل : كانت بَضْعَةً لحم ؛ كلون بدنه . وقيل : كانت كثرَ الحَجَلَةِ . وقيل : كانت ثلاثَ شعرات مجتمعات . وقيل : كانت شامة خضراء مُحْتَفَرَةً في اللحم .

وقال عبد الله بن سَرْجَس : رأيت خاتم النبوة جُمُعاً عليه خيلان ، كأنها الثَّالِيلُ عند ناغِض — وروي عند غُضْرُوف — كتفه اليسرى^(٦) . وفي رواية : سود . رواه مسلم .

وقيل : مثل البندقة . وقيل : كأثرِ المَحْجَمِ . وقيل : كركبة العنز ، أسنده أبو عمر ، عن عَبَّاد بن عمرو . وقيل : نور . عن ابن عائذ في مغازيه بسنده إلى شَدَاد بن أوس ، فذكرَ حديث الرِّضَاع ، وشق الصدر . وفيه : وأقبلَ الثالثُ — يعني المَلَك — وفي يده خاتم له شعاع ، فوضعه بين كتفيه وثديه ، ووجدَ بردهَ زماناً . وقيل : وُلِدَ وهو به .

(١) رواه مسلم في الفضائل (باب شبهه ﷺ) رقم / ٢٣٤٤ / والنسائي في الزينة (باب الدهن) ١٥٠ / ٨ .
(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي ؛ كما في تحفة الأشراف ٢٠٨ / ٩ .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤٣٨ / ٥ من طريق أبي قرة الكندي و ٤٤٣ / ٥ من طريق عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري مطولاً في الموضعين .

(٤) رواه مسلم في الفضائل (باب إثبات خاتم النبوة) رقم / ٢٣٤٦ / .

وذكر الواقدي عن شيوخه ، قالوا : لما شَكُّوا في موت النبي ﷺ : وضعتُ أسماء بنتُ
عميس يدها بين كتفي رسولِ الله ﷺ ، فقالت : إنه قد توفي ، وقد رُفِعَ الخاتم من بين
كتفيه . فهذا الذي عُرف به موته عليه الصلاة والسلام^(١) .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٢ .

ذكر جمل من أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام

● قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن^(١) . يعني التأدب بآدابه ، والتخلق بمحاسنه ، والالتزام لأوامره وزواجره . وقد قال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(٢) .

● وقال أنس : كان النبي ﷺ : أحسن الناس خلقاً^(٣) . وكان عليه الصلاة والسلام أرجح الناس جُلماً . وروي أنه لما كُسرت رباعيته ، وشُجَّ وجهه يوم أحد ، شقَّ ذلك على أصحابه ، وقالوا : لو دعوت عليهم ؟ فقال : « إني لم أبعث لعناً ، ولكني بُعثت داعياً ورحمةً ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »^(٤) .

وكان ﷺ أعظم الناس عفواً ، لا ينتقم لنفسه ، ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله بالسيف بيده ، وقال لرسول الله ﷺ : من يمنعك مني ، قال له : « الله » فسقط السيف من يده ، فقال له عليه الصلاة والسلام ، وقد أخذ السيف « من يمنعك مني ؟ » فقال : كن خيراً أخذ . فتركه وعفا عنه ، فجاء إلى قومه ، فقال : جئكم من عند خير الناس^(٥) .

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (باب جامع صلاة الليل ..) رقم /٧٤٦/ .

(٢) رواه مالك في الموطأ في حسن الخلق (باب ما جاء في حسن الخلق) ٩٠٤/٢ .

(٣) رواه مسلم في الأدب (باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته) رقم /٢١٥٠/ .

(٤) الحديث بهذا السياق ذكره ابن حجر في فتح الباري ٤٢٨/٧ وقال أخرجه مسدد في مسنده ، وإبراهيم الحارثي في كتابه « غريب الحديث » ، وأصل القصة رواها البخاري في المغازي (باب غزوة ذات الرقاع) رقم /٤١٣٥/ ومسلم في الفضائل (باب توكله ﷺ على الله تعالى) رقم /٨٤٣/ .

(٥) الحديث رواه البيهقي في « شعب الإيمان » مرسلاً ، وهو في الصحيح حكاية عن نبي ضربه قومه . انظر نسيم الرياض ؛ للصفاحي ٣٥/٢ .

وعفا عليه الصلاة والسلام عن اليهودية التي سَمَّته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح^(١) .

ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ، ولا عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما ثقل عنهم قولاً وفعلأً .

● وكان ﷺ أسخى الناس كفاً ، ما سُئِلَ شيئاً فقال لا . وأعطى صفوان بن أمية غنماً ملأت وادياً بين جبلين ، فقال : أرى محمداً يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر . وردَّ على هوازن سبایهم ، وكانت ستة آلاف ، وأعطى العباس من الذهب ما لم يُطلق حملَه . وحملت إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمُها ، فما ردَّ سائلاً ، حتى فرغ منها . وذُكر عن الرُّبِيع بنت معوذ^(٢) بن عَفراء ، قالت : أتيتُ النَّبيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ — يعني طبقاً — وأَجْرٍ زُغَبٍ^(٣) — يريد قِثَاءً — فأعطاني ملء كفه حُلِيّاً وذهباً .

ورويانا عن الشافعي حدثنا الحسين بن عبد الله القَطَّان بالرقعة ، حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبو عبد الصمد العمِّي ، حدثنا أبو عمران الجَوَني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إذا طبختَ فأَكثِرِ المرقَ ، واقسم في أهلِكَ وجيرانِكَ » . رواه مسلم^(٤) . عن أبي كامل وإسحاق بن إبراهيم ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبي عمران به .

● وكان ﷺ أشجعَ الناس ، سُئِلَ البراء : أفررتَ يوم حُنين ؟ قال : لكن رسولَ الله ﷺ لم يفرّ . وفيه : فما رُئيَ يومئذٍ أحدٌ كان أشدَّ منه . وقال ابن عمر : ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجَدَ ولا أجودَ ولا أرضى من رسول الله ﷺ .

(١) رواه البخاري في الهبة (باب قبول الهدية من المشركين) رقم /٢٦١٧/ ومسلم في السلام (باب السِّم) رقم /٢١٩٠/ وأبو داود في الديات (باب فيمن سقى رجلاً سماً ..) رقم /٤٥٠٨/ .

(٢) في جميع النسخ ، والشفاء « معوذ بن عَفراء » والتصحيح من الشامل للترمذي ص ١٠٣ ومن نور النبراس لوحة ٢٢٨/٣ .

(٣) « أَجْر زُغَب » : صغار القثاء ، وأَجْر : كالجزء والأجرية والأجزاء ، وهو الصغير من كل شيء .

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (باب الوصية بالجار والإحسان إليه) رقم /٢٦٢٥/ .

وعن أنس : كان النبي ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلةً ، فانطلق ناسٌ قبل الصوت ، فتلقاهم رسولُ الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت ، واستبرأ الخيَر على فرسٍ لأنبي طلحة عُرِي ، والسيف في عنقه وهو يقول : « لن تُراعوا^(١) » .

وقال عمران بن حصين : ما لقي النبي ﷺ كنيةً إلا كان أولَ من يضرب^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب كنا إذا حمي — أو اشتد — البأسُ واحمرَّتِ الحدقُ اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدو منه^(٣) ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشدَّ الناس يومئذ بأساً .

وقيل : كان الشجاعُ هو الذي يقربُ منه ﷺ ؛ لقربه من العدو .

وكان ﷺ أشدَّ الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .
وعن أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه^(٤) — الحديث .

وعن عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا وكذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ؟ ينهى عنه ولا يُسمي فاعله^(٥) .

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب اسم الفرس والحصار) رقم / ٢٨٥٧ / ومسلم في الفضائل (باب في شجاعة النبي ﷺ) رقم / ٢٣٠٧ / وأبو داود في الأدب (باب رقم ٨٧) رقم / ٤٩٨٨ / والترمذي في الجهاد (باب ما جاء في الخروج عند الفزع) رقم / ١٦٨٥ / .

(٢) رواه أبو الشيخ في كتاب الأخلاق ، كما في نسيم الرياض ٥١/٢ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب في غزوة حنين) رقم / ١٧٧٦ / .

(٤) رواه البخاري في الأدب (باب الحياء) رقم / ٦١١٩ / ومسلم في فضائل النبي (باب كثرة حيائه ﷺ) رقم / ٢٣٢٠ / .

(٥) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم / ٤٧٨٩ / .

وعن أنس في حديث ؛ أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يُواجه أحداً بما يكره^(١) .
وعن عائشة : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخاباً بالأسواق ،
ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح^(٢) .
وعنها : ما رأيت فرَجَ رسول الله ﷺ قط^(٣) .
وروي عنه أنه كان من حياته لا يُثبت بصره في وجه أحد ، وأنه كان يكتفي عن
ما اضطره الكلام إليه مما يكره^(٤) .
● وكان ﷺ أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة ، وأكرمهم
عشرة ، هذا من كلام علي في صفته^(٥) .

وعن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فلما أراد الانصراف ، قرب له سعد
حماراً وطأ له عليه بقطيفة ، فركب رسول الله ﷺ ، ثم قال سعد : يا قيس اصحب
رسول الله ﷺ . قال قيس : فقال لي رسول الله ﷺ : اركب . فأبيت ، فقال : إما أن
تركب وإما أن تنصرف . فانصرف^(٦) . وفي رواية : اركب أمامي ، فصاحب الدابة أحق
بمقدمها^(٧) .

وعن عائشة في حديث عنه ﷺ : أنه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال :
لبيك^(٨) .

-
- (١) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم /٤٧٨٩/ .
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ١/٣٦٥ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/٢٨٩ وابن عساكر في تهذيب تاريخ
دمشق ١/٣٣٩ عن عائشة .
(٣) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ) رقم /٣٤٠/ كما رواه في الجامع برقم
٢٠١٧/ في البر .
(٤) قال الخفاجي : وهذا ذكره الغزالي في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي ، إنه لم يجده في كتب الحديث ، وكذا
قال السيوطي . نسيم الرياض ٢/٥٩ .
(٥) رواه الترمذي في المناقب (باب وصف عليّ للرسول ﷺ) رقم /٣٦٤٢/ .
(٦) رواه أبو داود في الأدب رقم /٥١٨٥/ والنسائي في عمل اليوم والليلة (باب كيف السلام) رقم /٣٢٥/ .
(٧) رواه أبو نعيم في الدلائل بسند ضعيف ، كما في نسيم الرياض ٢/٦٧ .

وقال جرير : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيي إلا تَبَسَمَ^(١) .

● وكان ﷺ يُمازح أصحابه ، ويُخالطهم ، ويُحادثهم ، ويُداعب صبيانهم ، ويجلسهم في حجره ، ويُجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعودُ المرضى في أقصى المدينة ، ويقبلُ عذر المعتذر .

قال أنس : ما التَقَمَ أحدُ أذن النبي ﷺ فيُنَحِّي رأسه ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يُنَحِّي رأسه ، وما أخذَ أحدٌ بيده فيرسلُ يده ، حتى يُرسلها الآخذ ، ولم يُر مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليسه له^(٢) .

● وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم يُر قطُّ مادّاً رجله بين أصحابه ، حتى لا يُضَيِّقَ^(٣) بهما على أحد ، يكرم من يدخلُ عليه وربما بسطَ له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزمُ عليه في الجلوس عليها إن أبى ، ويُكنِّي أصحابه ، ويدعوهم بأحبِّ أسمائهم تكرمةً لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه .

وروي أنه كان لا يجلس إليه أحدٌ وهو يُصلي إلا خَفَّفَ صلاته ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عادَ إلى صلاته .

● وكان أكثرَ الناس تبسماً ، وأطيبهم نفساً ، ما لم ينزل عليه قرآن ، أو يعِظَ ، أو يخطب ، قال عبد الله بن الحارث : ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسماً من رسول الله ﷺ^(٤) .

● وأما شفقتُه ﷺ على خلق الله ورأفته بهم ، ورحمته لهم ، فقد قال الله تعالى فيه : ﴿ عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم ﴾ [التوبة : ١٢٨] وقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] قال بعضهم : من فضله عليه الصلاة والسلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال ﴿ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم ﴾ .

(١) رواه الترمذي في الشامل (باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ) رقم / ٢٣٠ / كما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم / ٤٧٩٤ / .

(٣) في جميع النسخ « حتى يُضَيِّقَ » ، ولعل المعنى : أنه لا يمدّها إذا ضَيَّقَ بهما على أحد ، وما أثبتناه أقرب .

(٤) رواه الترمذي في الشامل (باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ) رقم / ٢٢٧ / كما أخرجه في المناقب رقم / ٣٦٤٥ / .

ومن ذلك : تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكرهته أشياء مخافة أن تُفرض عليهم ، كقوله : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسُّواك مع كل وضوء »^(١) وخبر صلاة الليل ، ونهيبهم عن الوصال ، وكرامية دخول الكعبة لئلا يُعَيِّنَ أمته ، ورغبته لربه أن يجعل سببه ولعنه لهم رحمةً ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوَّز في صلاته ، ولما كذَّبه قومه ، أتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال وسلَّم عليه ، وقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ قال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً^(٢) .

وروى ابن المنكدر ، أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك ، فقال : « أؤخر عن أمتي ؛ لعل الله أن يتوب عليهم »^(٣) .

قالت عائشة : ما خيَّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما^(٤) .

وقال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ يتخوَّننا بالموعظة مخافة السَّامة علينا^(٥) .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يُبلغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً ، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر »^(٦) .

(١) رواه البخاري في الجمعة (باب السواك يوم الجمعة) رقم /٨٨٧/ ومسلم في الطهارة (باب السواك) رقم /٢٥٢/ كما رواه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي ، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (باب إذا قال أحدكم آمين ..) رقم /٣٢٣١/ ومسلم في الجهاد والسير (باب مالقي النبي ﷺ من أذى المشركين) رقم /١٧٩٥/ .

(٣) الخبر مرسل ، لأن ابن المنكدر تابعي ، إلا أنه ليس مما يقال بالرأي ، فيكون له حكم الموصول ، وبعضه الحديث السابق في الصحيحين . وانظر نسيم الرياض ٨٢/٢ وبهامشه شرح القاري .

(٤) رواه البخاري في المناقب (باب صفة النبي ﷺ) رقم /٣٥٤٢/ ومسلم في الفضائل (باب مباحثته ﷺ للأنام) رقم /٢٣٢٧/ والموطأ في حسن الخلق ٩٠٣/٢ .

(٥) رواه البخاري في العلم (باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة) رقم /٦٨/ ومسلم في المناقب (باب في الاقتصاد في الموعظة) رقم /٢٨٢١/ والترمذي في الأدب (باب ما جاء في الفصاحة والبيان) رقم /٢٨٥٩/ .

(٦) رواه أبو داود في الأدب (باب رفع الحديث من المجلس) رقم /٤٨٦٠/ والترمذي في المناقب (باب فضل أزواج النبي ﷺ) رقم /٣٨٩٣/ .

● وكان ﷺ أوصل الناس للرحم ، وأقومهم بالوفاء وحسن العهد .

روينا من طريق أبي داود حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن سنان ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بُذَيْل ، عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي الحَمَسَاء ، قال : بايعتُ النبي ﷺ يبيع قبل أن يُبعثَ ، وبقيتُ له بقية ، فوعده أن آتيه بها في مكانه ، ثم نسيتُ ، ثم ذكرتُ بعد ثلاث فجيئته فإذا هو في مكانه ، فقال : يا فتى لقد شققتَ عليّ أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرُك^(١) .

وعن أنس كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة^(٢) . ودخلت عليه امرأة فهُشَّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجتُ ، قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وإن حسنَ العهد من الإيمان^(٣) . وقال عليه الصلاة والسلام : إن آلَ أبي فلانَ ، ليسوا لي بأولياءَ غير أن لهم رَحماً سأبُلُّها بيلالها^(٤) .

وعن أبي قتادة : وَفَدَ وفدٌ للنجاشي ، فقام النبي ﷺ يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحبُّ أن أكافئهم^(٥) . ولما جيء بأخته من الرضاعة الشفاء في سبي هوازن ، بسطَ لها رداءه ، وخيَّرَها بين المقام عنده ، والتوجه إلى أهلها ، فاخترتُ قومها فمَتَّعَهَا^(٦) .

● وكان ﷺ أشدَّ الناس تواضعاً ، على علوِّ منصبه ، فمن ذلك : أن الله خيرٌ بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فاختر أن يكون نبياً عبداً . فقال له إسماعيل عند ذلك : فإن

(١) رواه أبو داود في الأدب (باب في العدة) رقم /٤٩٩٦/ وفي إسناده ضعف .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ١٧٥/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٤) رواه البخاري في الأدب (باب تُبَلُّ الرحم بيلالها رقم /٥٩٩٠/ ومسلم في الإيمان (باب موالاة المؤمنين ..) رقم /٢١٥/ . ومعنى « سأبُلُّها بيلالها » : سأصلُّها بصلتها .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٣٠٧/٢ عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية ٤٥٨/٢ ، والبيهقي في الدلائل ١٩٩/٥ ، ومعنى « متعتك » : أعطيتك متاعاً حسناً .

الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع^(١) .

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له ، فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يُعظم بعضها بعضاً ، وقال : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ^(٢) » . وكان يركبُ الحمارَ ، ويُردف خلفه ، ويعودُ المساكين ، ويُجالس الفقراء ، ويُجيب دعوة العبد ، ويجلسُ بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيث ما انتهى به المجلسُ جلس ، وقال لامرأة أته في حاجة : اجلسي يا أم فلان في أيِّ طرق المدينة شئتُ أجلسُ إليك حتى أقضي حاجتك ، فجلستُ وجلس^(٣) . وكان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنيخة^(٤) فيُجيب ، وحجَّ على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم ، وأهدى في حَجِّه ذلك مائة بدنة ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام .

وروينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن حماد بن ماهان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن بكر ، حدثنا محمد بن سواء ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ أن رسولَ الله ﷺ مرَّ على صبيان فسلم عليهم^(٥) .

وكان في بيته في مهنة أهله يَفْلِي ثوبه ، ويحلبُ شائه ، ويخسف نعله ، ويخدم نفسه ، ويعلفُ ناضحه^(٦) ، ويقمُّ البيت^(٧) ، ويعقل البعيرَ ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة والبيهقي في الدلائل ؛ عن ابن عباس كما في نسيم الرياض ٩٤/٢ وشرح ملا علي القاري بهامشه .

(٢) رواه أبو داود في الأدب (باب في قيام الرجل للرجل) رقم /٥٢٣٠/ وإسناده ضعيف ، ومعناه في صحيح مسلم برقم /٤١٣/ فيتقوى به .

(٣) رواه مسلم في الفضائل (باب قرب النبي ﷺ من الناس) رقم /٢٣٢٦/ بلفظ قريب جداً .

(٤) « الإهالة السنيخة » : الإهالة : شحوم الحيوان من الإلية وغيرها والسنيخة : ما تغيرت رائحته منها .

(٥) رواه أبو داود في (باب في السلام على الصبيان) رقم /٥٢٠٢/ والبخاري ومسلم والترمذي بنحوه .

(٦) « ناضحه » : البعير يتخذ لترح الماء من البئر .

(٧) « يقيم » : يكنس .

وعن أنس : إن كانت الأمة من أهل المدينة ، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فتنتقل به حيث شاءت ، حتى يقضي حاجتها^(١) .

● وكان ﷺ يُسمى الأمين قبل النبوة ؛ لما عرفوا من أمانته وعدله .

وعن الرِّبِّيع بن خُثَيْم : كان يُتَحَاكَم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام^(٢) .

وقال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ! لا والله ما هو بساحر^(٣) .

وفي الحديث عنه : « ما لِمَسْتُ يَدَهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطَّ لَا يَمْلِكُ رِقَهَا »^(٤) . وقال : « وبحك ! فمن يعدل ! إن لم أعدل ؟ »^(٥) .

وعن الحسن : ما كان رسول الله ﷺ يأخذ أحداً بقرْف^(٦) ، ولا يصدق أحداً على أحد ، وكان أوقر الناس في مجلسه ، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه^(٧) .

● وكان ﷺ يُحِبُّ الطيبَ والرائحةَ الحسنة ، ويستعملها كثيراً ، ويحضُّ عليها .

● ومن مروءته ﷺ نهيُه عن النفع في الطعام والشراب ، والأمرُ بالأكل مما يلي ، والأمر

(١) رواه البخاري في الأدب تعليقاً (باب الكبر) رقم /٦٠٧٢/ ووصله ابن ماجه في الزهد (باب البراءة من الكبر) رقم /٤١٧٧/ .

(٢) رواه الربيع ، أبو يزيد الثوري ، تابعي ثقة عابد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر نسيم الرياض ١٠٧/٢ .

(٣) رواه ابن إسحاق ٢٩٩/١ ، والبيهقي ٢٠١/٢ عن ابن عباس . والنضر هذا كان شديد العداوة للنبي ﷺ ، أخذ أسيراً بيد ، فأمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه فقتله بالصفراء .

(٤) رواه البخاري في التفسير (تفسير سورة الممتحنة) رقم /٤٨٩١/ ، ومسلم في الإمارة (باب كيفية بيعة النساء) رقم /١٨٦٦/ .

(٥) رواه البخاري في المناقب (باب علامات النبوة في الإسلام) رقم /٣٦١٠/ .

(٦) « بقرْف أحد » : بفعلته أحد وتميمته .

(٧) رواه أبو داود في مراسيله عن الحسن البصري رحمه الله تعالى . كما في نسيم الرياض ١١٣/٢ .

بالسواك ، وإنقاء البراجم والرواجب^(١) ، واستعمالُ خصالِ الفطرة .
● وأما زهده في الدنيا وعبادته ربه عز وجل : فقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله . وكان يدعو : « اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قوتاً^(٢) » .

وعن عائشة قالت : ما شبَّعَ رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيامَ تَباعاً من خبزٍ برٍّ ، حتى مضى لسبيله ، وفي رواية : من خبزٍ شعيرِ يومين متوالين^(٣) .

وقالت عائشة : ما ترك رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً^(٤) . قالت : ولقد ماتَ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شَطَرَ شعير في رَفِّ لي^(٥) . وقال لي : « إني عُرض عليَّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً . فقلت : لا يا رب بل أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليومُ الذي أجوعُ فيه فأتضرَّعُ إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمدُك وأثني عليك » .

وقال ابن عباس : كان ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاءً^(٦) وكان يقول : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً^(٧) » .
وفي حديث المغيرة : صَلَّى رسولُ الله ﷺ حتى انتفخت قدماه^(٨) .

(١) البراجم « والرَّوَّاجِب » : القُعد التي في ظهور الأصابع ، يجتمع فيها الوسخ ، والرواجب : هي ما بين عقد الأصابع من الداخل .

(٢) رواه البخاري في الرقاق (باب كيف كان عيش النبي ﷺ) رقم /٦٤٦٠/ ، ومسلم في الزهد رقم /١٠٥٥/ والترمذي في الزهد رقم /٢٣٦٢/ .

(٣) رواه البخاري في الأطعمة (باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون) رقم /٥٤١٦/ ومسلم في الزهد رقم /٢٩٧٠/ والترمذي في الزهد رقم /٢٣٥٨/ وفي القيامة رقم /٢٤٧٣/ .

(٤) رواه مسلم في الوصية (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به) رقم /١٦٣٥/ .

(٥) رواه البخاري في الرقاق (باب فضل الفقر) رقم /٦٤٥١/ ومسلم في الزهد رقم /٢٩٧٣/ والترمذي في الزهد رقم /٢٥٦٩/ .

(٦) رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ) رقم /٢٣٦١/ .

(٧) رواه البخاري في الرقاق (باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم) رقم /٦٤٨٥/ والترمذي في الزهد (باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم) رقم /٢٣١٤/ .

(٨) رواه البخاري في التهجد (باب قيام النبي ﷺ) رقم /١١٣٠/ ومسلم في صفات المنافقين (باب إكثار الأعمال ..) رقم /٢٨١٩/ كما رواه أصحاب السنن إلا أبا داود .

وقالت عائشة : كان عملُ رسول الله ﷺ ديمةً ، وأبيكم يطيق ما كان يطيق ، وقالت ، كان يصومُ حتى نقولَ لا يُفطر ، ويُفطر حتى نقولَ لا يصومُ^(١) .

وقال عوفُ بن مالك : كنتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً ، فاستاك ، ثم توضأ ، ثم قام يُصلي ، فقامت معه ، فبدأ فاستفتح البقرة ، فلا يمرُ بآية رحمةٍ إلا وقفَ فسأل ، ولا بآية عذابٍ إلا وقفَ فتعوذ ، ثم ركعَ فمكثَ بقدر قيامه ، يقول : « سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة » ثم سجدَ وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ، ثم سورةَ سورةٍ يفعلُ مثل ذلك^(٢) .

وعن عائشة : قام رسولُ الله ﷺ بآيةٍ من القرآن ليلةً^(٣) .

وقال ﷺ : « فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة^(٤) » .

* * *

(١) رواه الترمذي في الشئائل (باب ما جاء في صوم رسول الله ﷺ) رقم /٣٠٣/ .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (باب ما يقول الرجل في ركوعه ..) رقم /٨٧٣/ والنسائي في الصلاة (باب نوع آخر من الذكر) ١٩١/٢ ، والترمذي في الشئائل (باب ما جاء في صوم رسول الله) رقم /٣٠٦/ .

(٣) رواه الترمذي في الصلاة (باب ما جاء في قراءة الليل) رقم /٤٤٨/ .

(٤) رواه مسلم في الذكر (باب استحباب الاستغفار) رقم /٢٧٠٢/ .

ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله ﷺ

ولما قفل ﷺ من حجة الوداع ، أقام بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا ، وضرب على الناس بعثاً أميره أسامة بن زيد . وقد تقدم ذكره ، وهو آخر بعوثه ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ صلوات الله عليه وسلامه بشكواه^(١) الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته وكرامته في ليالٍ بقين من صفر — أو في أول شهر ربيع الأول — فكان أول ما ابتدئ به ﷺ أنه قد خرج إلى بقيع الغرقد — مقبرتهم — من جوف الليل ، فاستغفر لهم . ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قالت عائشة : رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجذُ صُداً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « بل أنا والله يا عائشة وارأساه » . قالت : ثم قال : « ما ضرك لو ميتٌ قبلي ، فقمْتُ عليك ، وكفنتُك ، وصليتُ عليك ، ودفنتُك » . قلت : والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لرجعتُ إلى بيتي فأعرستُ فيه ببعض نسائك . فتبسّم رسولُ الله ﷺ ، وتَنَامَ به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى استعزَّ^(٢) به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهنَّ في أن يُمرّضَ في بيتي ، فأذنَّ له . قالت : فخرج رسولُ الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن عباس ورجلٌ آخر ، عاصباً رأسه ، تحطُّ قدماه الأرض حتى دخل بيتي^(٣) . — قال ابن عباس : الرجل الآخر : علي بن أبي طالب — ثم غمِرَ^(٤) رسولُ الله ﷺ واشتد به وجعه ، فقال : أهرقوا عليّ من سبع قرب

(١) « بشكواه » : بمرضه .

(٢) « استعزَّ » : اشتد به .

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٥٤٤ — ٥٤٥ ، والمصنف لعبد الرزاق

٤٢٩/٥ — ٤٣٠ والسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٩ ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ ، ودلائل

النبوة ؛ للبيهقي ٧/١٦٨ — ١٧٠ .

(٤) « غمِرَ » : علاه المرض .

من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس ، فأعهد إليهم ، فأقعدناه في مَحْضَبٍ (١) لفصنة بنت عمرو ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : « حسبكم حسبكم » (٢) .

وعن الزهري ، قال : حدثني أيوب بن بشير ، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صَلَّى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيرهُ الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ، ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يُريد . فقال : تفديك بأنفسنا وأبنائنا . فقال : على رسلك يا أبا بكر ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللاظفة (٣) في المسجد فسدوها إلا باب أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصنحة عندي يدأ منه (٤) . وأراد عمر فتح كوة لينظر إلى النبي ﷺ منها فمنعه من ذلك . وقال عليه الصلاة والسلام للعباس : ما فتحت عن أمري ولا سددت عن أمري (٥) . واستبطن الناس في بعث أسامة ، فخرج ﷺ عاصباً رأسه . حتى جلس على المنبر — وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار — فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً بها . ثم نزل رسول الله ﷺ وانكمش (٦) الناس في جهازهم ، واستعز برسول الله ووجهه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْف — من المدينة على فرسخ — فضرب به عسكره ، وتَّامَّ إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسوله عليه الصلاة والسلام (٧) .

(١) « مَحْضَب » : المَحْضَب : وعاء من نحاس ونحوه ، تُغسل فيه الثياب ، منه الصغير والكبير ، ومن أسمائه : الإِجَانة والمِرْكَن أيضاً .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/٢ .

(٣) « اللاظفة » : كذا في « هـ » والمطبوع ، وقال في نور النيراس : أي النافذة . وفي « أ » : اللاتي . وفي « ب » : وهـ ج « د » : اللاصقة .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/٢ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٢ .

(٦) « وانكمش الناس » : أسرعوا ومضوا .

(٧) رواه ابن إسحاق عن الزهري ؛ فهو مرسل . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/٢ .

ومن حديث عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ أوصى بالأنصار يوم صَلَّى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر ، فقال : يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً ، فإنَّ الناس يزيدون ، وإنَّ الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيْتِي^(١) التي أويْتُ إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسِنِهِمْ وتجاوزوا عن مُسيئِهِمْ . ثم نزل رسول الله ﷺ^(٢) . وكان عليه الصلاة والسلام يُوعك^(٣) وَعَكاً شديداً^(٤) . دخل عليه أبو سعيد الخدري ، وعليه قطيفة ، فوضع يده عليه ، فوجد حرارتها فوق القطيفة ، فقال : ما أشدَّ حُمَاكَ ؟ فقال : « إنا كذلك يُشَدُّ علينا البلاء ويُضاعف لنا الأجر^(٥) » .

وعن علقمة قال : دخل عبد الله بن مسعود على النبي ﷺ ، فوضع يده عليه ، ثم قال : يا رسول الله إنك لَتُوَعَكُ وَعَكاً شديداً . قال : أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم . قال : قلت : يا رسول الله ذلك بأن لك أجرين .. الحديث^(٥) .

وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يُصَلِّيَ بالناس ، فصلَّى بهم فيما روينا سبع عشرة صلاة ، وصَلَّى النبيُّ مؤتماً به ركعة ثانية من صلاة الصبح ، ثم قضى الركعة الباقية . وقال : لم يُقبضُ نبيٌّ حتى يؤمَّه رجلٌ من قومه .

وقال عليه الصلاة والسلام في مرضه ذلك : مِرِ الناس فليصلوا — يقول ذلك لعبد الله بن زمعة بن الأسود — فذهب ابنُ زمعة فقلَّم عمر لغيبة أبي بكر ، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته ، أخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته ، ثم قال : لا ، لا ، لا ، ليصل لهم ابن أبي قحافة^(٦) .

(١) « عَيْتِي » : موضع سري ، وهي في الأصل الحقيبة ونحوها .

(٢) قال سبط ابن العجمي في « نور التراس » : والحديث الذي ساقه المؤلف من حديث عبد الله هذا ليس في شيء من الكتب الستة ولا في مراسيل أبي داود ، والله أعلم .

(٣) « يوعك وعكاً » : حرارة الحمى تشتد عليه .

(٤) رواه أبو يعلى في المسند ١٠٤٥/٢ وبهامشه : إسناده حسن ، وأخرجه ابن ماجه في الفتن (باب الصبر على البلاء) رقم ٤٠٢٤ / والإمام أحمد في المسند ٩٤/٣ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٨١/١ ، وقال الشيخ أحمد شاكر بعد أن رقمه بـ/٣٦١٨ : إسناده صحيح ورواه الشيخان كما في الذخائر ٤٧١٢/ .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٢/٤ ، وأبو داود في السنة (باب في استخلاف أبي بكر) رقم ٤٦٦٠/ .

وعن أبي سعيد الخدري في هذا الخبر ، قال : فانتقضت الصفوف ، وانصرف عمر ،
فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة ، وكان بالسُّنْح ، فتقدَّم فصلَّى بالناس ، وتبسَّم عليه
الصلاة والسلام لما رأى من هيئة المسلمين في صلاتهم سروراً بذلك^(١) .

وقال : اتنوني أكتب لكم كتاباً ، لا تَضِلُّوا بعده ، فتنازعوا ، فلم يكتب^(٢) .

وقالت عائشة : آخر ما عهد إلينا أن لا يُترك بحزيرة العرب دينان^(٣) .

وقالت أم سلمة : عامة وصيته عند الموت : الصلاة وما ملكت أيمانكم^(٤) . وكانت
عائشة : سمعته يقول قبل ذلك : ما من نبي يموت حتى يُخَيَّر ، قالت : فسمعته وهو يقول :
« اللهم الرفيق الأعلى »^(٥) فعلمت أنه ذاهب .

وفي خبر عنها ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ . وقالت : رأيت
رسول الله ﷺ وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، وهو يُدخل يده في القدح ، ثم يمسح
وجهه بالماء ، ويقول : اللهم أعني على سكرات الموت^(٦) .

وذكر ابن سعد في وفاته عليه الصلاة والسلام خبراً فيه : أنه لما بقي من أجله ثلاث ،
نزل عليه جبريل : فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصةً
لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف تجحدك ؟ وفيه : أن ذلك ثلاث ، المرة
بعد المرة ، وفي الثالثة صحبه ملك الموت ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، ثم استأذنه في قبض

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٥٤ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته) رقم /٤٤٣١/ ومسلم في الوصية (باب ترك
الوصية لمن ليس له شيء يُوصي به) رقم /١٦٣٧/ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٣٢٨ وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، وزجال أحمد رجال
الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

(٤) زواه ابن ماجه في الجنائز (باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ) رقم /١٦٢٥/ وفي الزوائد : إسناده
صحيح على شرط الصحيحين .

(٥) رواه البخاري في المغازي (باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته) رقم /٤٤٥١/ .

(٦) رواه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء في التشديد عند الموت) رقم /٩٧٨/ وابن ماجه في الجنائز (باب
ما جاء به في ذكر مرض رسول الله ﷺ) رقم /١٦٢٣/ .

نفسه ، أو تركها ، وأن الله أمره بطاعته في ذلك . فقال جبريل : يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك . قال : فاقبضْ يا مَلِكُ الموتِ كما أُمِرْتُ به . قال جبريل : السلام عليك يا رسولَ الله هذا آخر موطني الأرض . فتوفي ﷺ ، وجاءت التعزية ، يسمعون الصوتَ ولا يرون الشخص ، السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كلُّ نفس ذائقة الموت ، وإنما تُوفَّون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عزاء عن كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل ما فات ، فبالله فنيقوا ، وإياه فارجوا ، إنما المصاب من حُرْمِ الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وقد ذُكر أن هذا المعزِّي هو الحضرة عليه السلام^(١) .

واختلف أهل العلم في اليوم الذي توفي فيه ، بعد اتفاقهم على أنه يوم الاثنين في شهر ربيع الأول ؛ فذكر الواقدي وجمهورُ الناس أنه الثاني عشر . قال أبو الربيع بن سالم : وهذا لا يصح ، وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه . وقد تقدّمه السهيلي^(٢) إلى بيانه ؛ لأن حجة الوداع ، كانت وقفتها يوم الجمعة . فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، سواء أتمت الأشهر كلها أو نقصت كلها ، أو تم بعضها . وقال الطبري : يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول . وقال أبو بكر الخوارزمي : أول يوم منه . وكلاهما ممكن .

ولما توفي رسول الله ﷺ وسجّته الملائكة ، دُهِشَ النَّاسُ ، وطاشت عقولهم ، واختلفت أحوالهم في ذلك ، فأما عمر : فكان ممن خُيِّلَ ، فجعلَ يقولُ : إنه والله ما مات ، ولكنه ذهبَ إلى ربه كما ذهبَ موسى بن عمران حين غابَ عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم . وأما عثمان : فأخرسَ ، حتى جعلَ يُذهب به ويُجاء وهو لا يتكلم ، وأُقيِدَ عليٌّ ، وأُضْني عبد الله بن أنيس — من الضنى : وهو المرض — وبلغ أبا بكر الخبرُ ، وكان بالسُّنْعِ ، فجاء وعيناه تَهْمَلَانِ ، فقبَّلَ النبي ﷺ وهو يبكي ، وقال : بأبي أنت وأمي ، طِبَّتْ حياً وميتاً .

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٢) الروض الأنف ٤/٢٧٠ .

وتكلّم كلاماً بليغاً ، سكّن به نفوس المسلمين ، وثبّت جأشهم ، وكان أثبت القوم رضي الله عنه^(١) .

وعُسلّه عليه الصلاة والسلام عليّ والعباس ، وابناه : الفضل وقثم . ومولّاه^(٢) : أسامة وشقران . وحضّرهم أوس بن حوّلّ الأنصاري .

وكفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وصلّى عليه المسلمون أفذاذاً ، ولم يؤمّهم أحدٌ ، وفُرش تحته قطيفة حمراء ، كان يتغطّى بها . ودخل قبره العباس وعليّ ، والفضل ، وقثم ، وشقران ، وأطبق عليه تسع لبنات . ودُفن في الموضع الذي توفاه الله فيه حول فراشه .

وكانوا قد اختلفوا في غسله ، فقالوا : والله ما ندري : أنجرّد رسول الله من ثيابه كما نُجرّد موتانا ، أو نُعسله وعليه ثيابه . فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم النوم ، وكلّمهم مُكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبّون عليه الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم . فأسنده عليّ إلى صدره ، والعباس والفضل ، وقثم يعلّبونه معه ، وأسامة وشقران يصبّان الماء ، وعليّ يُعسله بيده^(٣) .

واختلفوا في موضع دفنه ، هل يكون في مسجده ؟ أو مع أصحابه ؟ فقال أبو بكر : ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه ، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيّب ، فعلموا أن قد صدق .

وكان أبو عبيدة بن الجراح يُضرح كحفر أهل مكة ، وأبو طلحة زيد بن سهل يلحد كأهل المدينة ، فاختلفوا كيف يُصنع بالنبي ﷺ ، فوجّه العباس رجلين ، أحدهما لأبي

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٦٦ — ٢٧٢ .

(٢) « ومولّاه » : هما من موالي رسول الله ﷺ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٥ — ٢٧٧ .

عبيدة بن الجراح ، والآخِر لطلحة ، وقال : اللهم خِرْ لِنَبِيِّكَ . فحضرَ أبو طلحة فَلَحَدَ^(١) له .

ولما فُرجَ من جَهازه يوم الثلاثاء ، وكانت وفاته يوم الاثنين حين زاغت الشمس ، قال علي : لقد سمعنا هممة ولم نر شخصاً ، سمعنا هاتفاً يقول : ادخلوا رحمكم الله فصلُّوا على نبيِّكم .

ثم دُفِنَ من وسط الليل ، ليلة الأربعاء ، وكانت مدة شكواه ثلاثَ عشرة ليلة .

ولما دُفِنَ عليه الصلاة والسلام قالت فاطمةُ ابنته :

اغبرِ آفاقَ السماءِ وَكَوِّرْ	شمسُ النهارِ وَأظْلَمَ العِصرانِ
فالأرضُ من بعدِ النبي كتيبةٌ	أسفاً عليه كثيرةُ الرجفانِ
فليكنه شرقُ البلادِ وغربُها	ولتبكّه مُضَرٌّ وكلُّ يمانِ
وليكه الطُّودُ المعظمُ جوهُ	والبيت ذو الأستار والأركانِ
يا خاتمَ الرُّسلِ المباركِ ضوؤه	صلَّى عليك مُنَزَّلُ الفرقانِ

ويروى أنها تمثلت بشعر فاطمة بنت الأحجم :

قد كنتَ لي جبلاً ألوذُ بظلهُ	فتركتني أمشي بأجرَدَ ضاحِ
قد كنتَ ذاتَ حميةٍ ما عشتَ لي	أمشي البرازِ وكنتَ أنتَ جناحي
فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأتقي	منه ، وأدفعُ ظالمي بالراحِ
وإذا دعتُ قُمريَّةً شجناً لها	ليلاً على فَنَزِ دعوتُ صباحي

ومما يُنسب لعلي أو فاطمة رضي الله عنهما :

ماذا علي من شَمِّ تربةِ أحمدٍ	ألا يَشُمَّ مدى الزمانِ غواليا
صُبَّتْ علي مصائبُ لو أنها	صُبَّتْ على الأيامِ عُذَنَ لياليا

وقال أنس بن مالك : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ — يعني المدينة — أضاء منها كلُّ شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلمَ منها كلُّ شيء ، وما نفصنا الأيدي

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٩٤ — ٢٩٨ .

من دفته حتى أنكرنا قلوبنا^(١) .

وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « لَتُعَزَّ المسلمِينَ في مصائبهم المصيبة^(٢) بي » .

وفي حديث عنه : « أنا فرطُ لأمتي ، لن يُصابوا بمثلي^(٣) » .

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثيه :

أرقتُ فباتَ ليلى لا يزولُ	وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ
وأُسعدني البكاء وذاك فيما	أصيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عظمْتُ مصيبتنا وجلَّتْ	عشيَّة قيل قد قبضَ الرسولُ
وأضحَتْ أرضنا مما عراها	تكادُ بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحيَ والتَّزِيلَ فينا	يروحُ به ويغدو جبرئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالتُ عليه	نفوسُ النَّاسِ أو كَرِبتُ تسيلُ
نبيٌّ كان يحلو الشكُّ عنا	بما يُوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلَّالاً	علينا والرسولُ لنا دليلُ
أناطُم إن جرعتَ فذاك عذرُ	وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فقبرُ أيك سيِّدُ كلِّ قير	وفيه سيِّدُ النَّاسِ الرسولُ

ولو فتحنا باب الإكثار ، وسمحنا بإيراد ما يُستحسن في هذا الباب من الأشعار ، لخرجنا عما جئنا إليه من الإيجاز والاختصار ، فالأشعار في هذا كثيرة ، ولأنواع الأسى والأسف مثيرة ، فياله من خطب جلٍّ عن الخطوب ومُصابٍ علَّم دمع العين كيف يَصُوبُ ، ورُزء غرَبَتْ له التَّيراثُ ، ولا تعلل بشروقها بعد الغروب ، وحادثِ هجمَ هجوم الليل فلا نجاء منه هارب ، ولا فرار منه لمطلوب ، ولا صباح له فيجلو غياهبه الملمة ودجاجيه

(١) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ) رقم /٢٧٤/ وفي المناقب برقم /٣٦٢٢/

وابن ماجه في الجنائز برقم /١٦٣١/ .

(٢) رواه مالك في الموطأ (باب جامع الحسبة في المصيبة) ٢٣٦/١ .

(٣) رواه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً) رقم /١٠٦٢/ وإسناده حسن .

المُدْهَمَّة ، ولكل ليل إذا دَجى صباحٌ يؤوب ، ومن سرَّ أهلَ الأرض ثم أبكى أَسَى بكى بعيون
 سرَّها وقلوب ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون من نار حُنيت عليها الأضالع لا تنجو ولا تخمد ،
 ومصيبةٌ تستكُّ منها المسامع لا يبلَى على مرِّ الحديدِين حزنُها المجدد :
 وهل عدلت يوماً رزِيَّةً هالك رزِيَّةً يومٍ مات فيه محمد
 وما فقد الماضون مثلَ محمَّد ولا مثله حتى القيامة يُفقدُ
 صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

وقد انتهى بنا الغرضُ فبما أوردناه إلى ما أوردناه ، ولم نسلِك بعون الله فيه غير الاقتصاد
 الذي قصدناه ، فمن عثر على وَهْم أو تحريف أو خطأ أو تصحيف ، فليصلح ما عثر عليه
 من ذلك ، وليسلك سبيلَ العلماء في قبول العذر هنالك ، ومن مرَّ بخير لم أذكره أو ذكرته
 بعضه ، فلعله بحسب موضعه من التبويب ، أو نسقه في الترتيب ، أو الاختصار الذي اقتضاه
 التهذيب ، أو لنكارة في متنه تُنقِم على واضعه ، أو لأني ما مررت به في موضعه . ومن يرى
 من الإحاطة — أيها الناظر — إليك ، فليس لك أن تلزمه بكل ما يردُّ عليك .

* * *

* * *

ذكر الأسانيد التي وقعت لي من المصنفين الذين أخرجت من كتبهم في هذا المجموع ما أخرجه

● فما كان فيه من صحيح البخاري : فأخبرنا به الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحرّاني بقراءة والدي رحمه الله عليه ، وأنا أسمع ، قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن هبة الله بن البيّع الحافظ قراءةً عليه وأنا أسمع ببغداد سنة ستائة ، وغيره إجازة . قالوا : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو الحسين الداودي ، أخبرنا أبو محمد بن حمويه ، أخبرنا أبو عبد الله الفريزي عنه .

● وما كان فيه من صحيح مسلم : فأخبرنا به أبو محمد عبد العزيز ابن الحافظ أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحُضَري قراءةً وأنا أسمع لجميعه ، أخبرنا أبو الحسين المؤيد بن محمد بن علي الطوسي إجازة ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي الفَرّاي ، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن عيسى بن عمرو بن الجلودي ، أخبرنا ابن سفيان ، أخبرنا مسلم .

وقد سمعت قطعة منه : على أبي بكر محمد ابن الحافظ أبي الطاهر إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي ، بسامعه من أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري بن الحرستاني ، وإجازة من المؤيد بن محمد ، قال الأول أنبأنا ، وقال الثاني أخبرنا أبو عبد الله الفَرّاي بسنده .

● وما كان فيه من سنن أبي داود : فأخبرنا به أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن العَلَم المَوْصلي قراءةً عليه وأنا أسمع لجميعه ، خلا من قوله : باب المستبان . إلى باب الأرجوحة . فإجازة . قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد قراءةً عليه في الخامسة ، وهو سمع الكتاب كاملاً : من أبي البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي بعضه ، وبعضه من أبي الفتح مُفلح بن أحمد بن محمد الدومي كما هو مثبت عندي على الأصل . قالوا أخبرنا أبو بكر الخطيب الحافظ ، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي ،

عن أبي علي اللؤلؤي عنه .

وما كان فيه من كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي فأخبرنا بجميعه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن تَرْجَم المازني قراءة عليه وأنا أسمع لبعضه ، وبقرأتي عليه لبعضه ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن البنا قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَرَوُخي ، قال : أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي ، وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد العُورَجِي . وأخبرنا من أول الكتاب إلى مناقب عبد الله بن عباس أبو نصر عبد العزيز بن محمد التُّرَيَّاقِي . ومن مناقب ابن عباس إلى آخر كتاب العلل أبو المظفر غُبيد الله بن علي بن ياسين ، قالوا : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد المحبوبي ، حدثنا الترمذي .

● وما كان فيه من سنن أبي عبد الرحمن النسائي فأخبرنا به غير واحد من شيوخنا سَمَاعاً ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم بن باقا البغدادي ، قال : أخبرنا أبو زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمد بن الحسن الدوني ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكَسَّار ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني عنه .

● وما كان فيه من سنن ابن ماجه فقد قرأت الكتاب كاملاً على أبي علي يعقوب بن أحمد بن فضائل الحلبي ، قلت له : أخبرك الإمام موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي قراءة عليه وأنت تسمع بحلب ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا أبو زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المقومِي إجازة إن لم يكن سماعاً ، ثم ظهر سماعه ، أخبرنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطَّان عنه .

● وما كان فيه عن ابن إسحاق ، فمن كتاب السيرة النبوية من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام التَّحَوِي وتهذيبه ، عن زياد بن عبد الله البَكَّائي عنه .

وقد قرأتها على أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي إلا يسيراً ، فسمعتَه بقراءة غيري عليه ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد القوي بن عبد الله بن الجَبَّاب قراءة عليه وأنا أسمع ،

وإجازة لما خالف المسموع إن خالف . ومن أصل ابن الجَبَاب كانت القراءة ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن الخَلَعِي ، أخبرنا ابن النحاس ، أخبرنا ابن الورد ، عن ابن البرقي ، عن ابن هشام .
ولي في هذا الكتاب أسانيد آخر .

● وما كان فيه من كتاب المغازي عن موسى بن عقبة فقد سمعتُ من شيخنا الإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم بن الفرّج الفاروئي أكثر هذا الكتاب ، وأجاز لي سائرَه بسماعه من أبي محمد إسماعيل بن علي بن باتكسين الجوهري بسماعه من أبي بكر أحمد بن المُقَرَّب الكرخي ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسين بن أحمد بن الباقلاني ، عن أبي طالب حمزة بن الحسين بن أحمد بن سعيد بن القاسم بن شعيب الكوفي ، عن أبي الحسن علي بن محمد الشُونِيزي ، عن أحمد بن زنجويه المُحَرَّمي ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن فُلَيْح ، عنه .

● وما كان فيه من كتاب المغازي عن أبي عبد الله محمد بن عائذ القرشي الكاتب فقد قرأت على أبي القاسم الخضر بن أبي الحسين بن الخضر بن عبدان الأزدي الدمشقي بها بعضَ هذا الكتاب ، فأجازني سائرَه وناولني جميعَه ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنِّ الأسدي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق ، أخبرنا جدي ، أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن أبي العَقَب ، أخبرنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي ، عنه .

● وما كان فيه عن محمد بن سعد فمن كتاب الطبقات الكبير له . وقد قرأت معظم هذا الكتاب على الشيخ الإمام بهاء الدين أبي محمد عبد المحسن بن الصاحب محيي الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، وأجاز لي جميع ما يرويه ، وكان سمعه كاملاً من الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي ، وذهب يسيراً من أصل سماعه ، فلم يقدر عليه حين قراءتي إياه عليه ، قال ابن خليل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن دَهَبَل بن علي بن منصور بن إبراهيم بن كَارَة سماعاً عليه ببغداد ، قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبي محمد الحسن بن علي

الجوهري ، قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكرياء بن حيّوية ، قال : قرئ على أبي الحسن أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخشاب وأنا أسمع في شعبان سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، قال : أخبرنا أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي ، أخبرنا ابن سعد . هذا الإسناد من أول الكتاب إلى آخر ما فيه من خير النبي ﷺ ، وهو الذي أخرج منه في هذا المجموع ما أخرج .

وقد تغير إسناده في باقي الكتاب ، ولا حاجة بنا إلى بيانه ، غير أني رأيت بعض من كتبه عن ابن دَهْلٍ أسنده عنه عن القاضي أبي بكر سماعاً لجميع ما ذكر عن الجوهري إجازة من أول الكتاب إلى قوله : ذكرُ مقام رسول الله ﷺ بمكة حين نُبّيء إلى الهجرة . وعن أبي إسحاق البرمكي أيضاً إجازة ، قال : أخبرنا ابن حيّويه والذي وقع لي في إسناد ابن خليل بالنعنة لم يتبين فيه السماع من الإجازة . وقد أخبرنا به إجازة الشيخ المسند أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور الحرّاني ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن كآرة قراءةً عليه وأنا أسمع لبعضه ، وإجازة لسايريه ، بسنده المذكور أيضاً .

● وما كان فيه عن أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني فأخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصوري بقراءتي عليه ، وبقراءة الحافظ أبي الحجاج المزني ، أخبركم الشيخان : أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح الصالحاني ، وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر إجازةً من أصبهان ، قال : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية ، وعائشة حاضرة ، قالت أم إبراهيم : أخبرنا أبو بكر بن ريذة ، أخبرنا الطبراني .

● وما كان فيه عن أبي يعلى الموصلي فأخبرنا به أيضاً ابن عبد المؤمن بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة ، وعائشة بنت معمر بن الفاخر إجازةً ، قال : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي ، أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الكسائي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي بشر الدولابي فهو مما قرأته بدمشق على الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن إبراهيم الفساروي ، أخبركم الأمير أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن السيدي ، قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر سماعاً ، أخبرنا أبو ظاهر محمد بن

أحمد بن أبي الصقر الأنباري ، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل بن نظيف
الفرّاء ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن رشيق ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي بكر الشافعي فمن الفوائد المعروفة بالغيلانيات من رواية أبي
طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البراز ، عنه . وقد سمعتها بقراءة والدي رحمه الله
على أبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن العلم ، ثم قرأتها على أبي الهيجاء غازي بن
أبي الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ،
أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين ، عن ابن غيلان .

● وما كان فيه عن أبي عروبة الحسين بن أبي معشر الحرالي فمما سمعته على الشيخ
أبي عبد الله بن عبد المؤمن بن أبي الفتح ، بظاهر دمشق ، عن زاهر بن أبي طاهر ،
ومحمود بن أحمد الثقفيين ، وهشام بن عبد الرحيم الأصهبانيين ، إجازةً بسماهم من أبي نصر
محمد بن حميد الكبريتي ، أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي بن مُهزَبَرْد النحوي أخبرنا أبو
بكر بن المقرئ ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي الحسين بن جميع الغَسَّائي فمن معجمه ، وقد قرأته على
الشيخ أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن غدير القَوَّاس ، بعربيل بظاهر دمشق بغوطتها ،
أخبركم القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرساني حُضوراً في الرابعة سنة تسع
وستائة . قال : أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي ، أخبرنا
الحسين بن أحمد بن طَلَّاب الخطيب ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي عمر فمن كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير له وهو مما
رويته عن والدي رحمه الله ، عن شيخه أبي الحسين محمد بن أحمد بن السراج ، عن خاله أبي
بكر بن خير ، عن أبي الحَجَّاج الشنَمَرِي ، عن أبي علي الغساني ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي محمد عبد الله بن علي الرُّشَاطِي فمن كتابه في الأنساب
وأخبرنا به والدي ، عن أبي الحسين بن السراج ، إجازةً ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن
محمد بن علي بن عبد الله بن عُبيد الله الحُجْرِي إجازةً إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا
الرشاطي قراءة عليه .

● وما كان فيه عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، فمن كتابه المسمى بـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ وقد سمعته كاملاً بقراءة والذي رحمه الله بمصر على القاضي الإمام علم الدين أبي الحسن محمد بن الشيخ الإمام جمال الدين أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق بمصر في سنة سبع وسبعين وستائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني سماعاً عليه سنة تسع وستائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة ، أخبرنا القاضي عياض سماعاً .

● وما كان فيه عن الأستاذ أبي القاسم السهيلي فمن روايتي عن والذي رحمه الله ، قال : أخبرنا الشيخ الراوية الزاهد أبو الحسين محمد بن أحمد بن السراج إجازة إن لم يكن سماعاً . وقد سمع عليه الكثير بقراءة والده ، قال : قرئ كتاب الروض الأنف ، والمشرع الروي ، على أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، مصنفه من أوله إلى آخره مرتين . وأنا أسمع . ومن كتابه هذا أثبت ما أثبت عنه هنا .

وربما أثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب من فوائد ألفيتها بخط جدي أبي بكر محمد بن أحمد علّقها عن شيخه الأستاذ أبي علي عمر بن محمد الأزدي بن الشلوين عند قراءة السيرة الهاشمية عليه . وأثبتها في طرر كتابه . رحم الله جميعهم ، ونفعنا بما يسّر لنا من ذلك بمنّه وكرمه آمين .

* * *

خاتمة النسخة « أ » هي :

تمّ كتاب « عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير » بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغ من نسخ ذلك يوم الأحد المبارك التاسع عشر ربيع الآخر من شهور سنة ١١٦٩ من الهجرة النبوية ، على يد كاتبه خليل الحنفي ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وغفر الله له ولمن قرأ فيه ، ودعا له بالمغفرة ولسائر المسلمين أجمعين ، آمين .

أما خاتمة النسخة « ب » فهي :

تمّ جميع كتاب « عيون الأثر في المغازي والشمال والسير » بعون الله تعالى وحسن توفيقه ولطفه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، ما هطل الغمام ، وغرّدت الحمام ، وأدمّ يا ربنا ذلك على الدوام ، وذلك على يد العبد الفقير الذليل الحقير ، المعترف بالذنوب والتقصير ، والراجي عفو ربه القدير ، أقفر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه ، الفار إليه من ذنبه ، الفقير على بن أحمد بن علي البهيشيني بلداً ، الشافعي مذهباً ، وقد علّقها بيده الفانية لنفسه ، ينتفع بها قراءة وعارية وغير ذلك ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة ، ومن نظر فيها خطأ وأصلحه ، آمين آمين آمين .

وكان الفراغ من نسخها يوم السبت المبارك عاشر شهر جمادى الأولى ، من شهور سنة سبع وعشرين وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، إلى يوم القيامة وساعة القيام ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ، النبي الأمي سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين .

ولابد من عيب فإن تجذّكه فسامع وكن بالستر أكرم مُفضل
فمن ذا الذي ماساء قط ومَن له المحاسن قد تُمّت سوى خير مُرسَل

• • •

وأما خاتمة النسخة « ج » فهي :

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

وعلّقهُ لنفسه ثم لمن يشاء الله من بعده العبد الفقير إلى الله تعالى ، الراجي عفو ربه أبو بكر ، الدلجي بلداً ، الشافعي مذهباً ، لطف الله به وبوالديه ، وبجميع المسلمين ، وذلك في صبيحة يوم السبت المبارك في شهر ربيع الأول من شهور سنة ١٠٨٠ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وكان الفراغ على يد كاتبها الفقير إلى الله تعالى ابن يحيى ابن الشيخ العارف بالله درشان الامبيلي بن عبيد الله بن طلحة بن سلمان بن هاشم الراجي عفو ربه رمضان القناوي ، الشافعي مذهباً ، لطف الله به وبوالديه ، وبجميع المسلمين ، آمين آمين رب العالمين .

• • •

وأما خاتمة النسخة « د » فهي :

هذا آخر السيرة النبوية ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين . وكان الفراغ من تعليقها وقت أذان ظهر يوم الأحد المبارك ، وهو العشرون من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وألف . والحمد لله وحده .

* * *

وأما خاتمة النسخة « هـ » فهي :

تم كتاب السيرة النبوية ، لابن سيد الناس ، بحمد الله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وسراً ، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الخلق ، وحبيب الحق ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله وحده .

وكان الفراغ من كتابته في سابع عشر شهر ربيع الثاني سنة ١١٠٣ هـ على يد العبد الفقير عبد الله بن محمد أبو اليسر الكتبي عفا الله عنه .

* * *

فهارس الجزء الثاني

من عيون الأثر

(١) فهرس الأحاديث النبوية

(٢) فهرس الأعلام

(٣) فهرس الموضوعات

(١) فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث الصفحة

همزة الوصل

ابسطوا أنظاعكم.....	١٧١
اجلس ، إنه عمرو.....	٩٣
ادفنوا عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح في قبر واحد.....	٣٤
اذهبوا بها إلى بيت فلانة.....	٤٤٠
اركب فصاحب الدابة أحق بمقدمها.....	٤٣٤
ارم فداك أبي وأمي.....	٣٣ و ٣٤
اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه.....	٢٥
اضرب في وجهها فإنها سترجع.....	١٩٥
اغز بسم الله ، وفي سبيل الله.....	١٥٥ و ٣٦٩
افتتح رسول الله ﷺ خير عنة.....	١٨٨
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.....	١٦٨
الحق بسلفنا الصالح.....	٣٨٢
انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن.....	٣٤
اتوني أكتب لكم كتاباً.....	٤٤٨
الآن نغزوهم ولا يغزوننا.....	٩٩

٢٦٧		الآن حمي الوطيس
١٨٢		الله أكبر خربت خير
٢٩		الله مولانا ولا مؤلى لكم
٤٤٣		اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً
٤١٤		اللهم احفظ أبا أيوب
٧٧		اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار
٣٣٣		اللهم اسق بلادك وبهائمك
٣٨		اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
٢٥٩		اللهم اغفر لأبي عامر
٢٧١		اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين
٤٤٨		اللهم أعني على سكرات الموت
٢٥٠		اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
١٨٢		اللهم رب السموات وما أظللن
٤٤٨		اللهم الرفيق الأعلى
٢٢١ و ٢٢٠		اللهم لا تغفر لحلم بن جثامة
٣٤٣		اللهم لا تدركها
٣١٣		اللهم نعم
١٧٦		احمه
٢٥٩		انهزموا ورب محمد
١١٥		اهتز العرش لموت سعد بن معاذ

همزة القطع

١٢٤		آيون تائبون إن شاء الله

- أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْرَةَ..... ٣٨٥
- أَتْبَعْنِيهِ؟..... ٨٠
- أُحَدِّثُ جَبْلَ يَحْبُنَا وَنَحْبُهُ..... ٥
- أَدْنِيَا إِلَيَّ أَحَاكِمًا..... ٢٩٩
- إِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ..... ١٤٥
- إِذَا رَأَيْتَهُ هَبَّتْهُ..... ٥٩
- إِذَا طَبَخْتَ فَأَكْثِرِ الْمَرْقَ..... ٤٣٥
- أَطْلُقُوا ثِمَامَةَ..... ١١٩
- أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ..... ٣٥
- أَفَلَا قُلْتُ لَهْنُ كَيْفَ تَكُنْ خَيْرًا مِنِّي؟..... ٤٠٢
- أَفْلَحَ الْوَجْهُ..... ٦٠
- أَقْمَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ..... ٢١
- أَلَا تَقْدِرِينَ بِهَا بَنِي أَخِيكَ؟..... ٣٩٧
- أَلَا شَفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟..... ٢٠١
- أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ؟..... ٢٥٢
- إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدِّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ..... ٤٤٧
- أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ..... ٣٣
- أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ..... ٢٢٨
- إِنْ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ..... ٤٤٠
- إِنَّ أُحَدِّثُ هَذَا جَبْلَ يَحْبُنَا وَنَحْبُهُ..... ٥
- إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِأَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا..... ٢٩٩
- إِنْ تَكُنْ أَحْسَنْتَ الْقِتَالَ فَقَدْ أَحْسَنْ عَاصِمَ بْنِ ثَابِتٍ..... ٣٨

٨٥	 إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا
٣١٠	 إن عِصَاةَ وَجٍّ وَصِيْدِهِ لَا يُعْصَدُ
٣٣٨	 إن الإسلام يجب ما قبله
٢١١	 إن الله أبدله بيديه جناحين يطيرُ بهما
٢١١	 إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم
٣٩٦	 إن الله يأمرك أن تراجع حفصة
٩٨	 إن لكل نبي حوارياً وإن حوارِيَّ الزبير
١١٢	 إن له حملةً غيركم
٤١٢	 إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد
٧٢	 إن الملائكة وارت جثته
٢٧٦	 إن من البيان لسحراً
٢٣٧	 إن النبي لا ينبغي أن تكون له خاتنة الأعين
٢٢٥	 إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب
٣١٧	 إن ينج زيد من حمى المدينة فأئنه
٩١	 إنه خبيث ، خبيث الدية
٢١٧	 إنه في قلب جود
٣٨٩	 إنه لمسقي
٣٨٢	 إن له ظئراً تتم رضاعه في الجنة
٤٤٠	 إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
١٣٠	 إنهم الآن يُقَرَّون بأرض غطفان
٤٤٣	 إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً
٤٣٤	 إني لم أبعث لعاناً

إني مردف كبشاً.....	١١
أؤخر عن أمتي.....	٤٣٩
أوجب طلحة.....	٣٦
أوقد رأيت ذلك يا سلمان!؟.....	٨٨
أي بريدة ! هل رأيت من شيء يريك؟.....	١٤١
أين مسك حبي بن أخطب؟.....	١٩٠

حرف الباء

بُعِثْتُ لأتم مكارم الأخلاق.....	٤٣٤
بل أرجو الله أن يُخرجَ الله من أصلاهم.....	٤٣٩
بل أنا والله يا عائشة وأرأساه.....	٤٤٥
بئس الكلام بل هو أعظم الفتح.....	١٧٢
بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها.....	٢١٣ و ١٢٨
نبي ضيعة قومه.....	٣٤١

حرف التاء

تنزوج حفصة خيراً من عثمان.....	٣٩٦

حرف الحاء

خربت خير.....	١٨٢

حرف الدال

ذاك جبريل ، أمرني أن أمضي إلى بني قريظة.....	١٠٣

حرف الزاي

زُملوهم بجراحهم ٣٣

حرف الراء

رحم الله أبا ذر ٢٩٦

رحمة الله عليك ، فإنك كنت ٣٠

رفقاً بالقوارير ٤١١

حرف السين

سبحان ذي الجبروت والعظمة ٤٤٤

سبحان الله ! ويلك هذا ٣٣٢

السَّلام على هَمدان ٣٥٨

حرف السين

شاهت الوجوه ٢٥٩

شراك من نار ١٩٨

شُرُّ صفوف الرجال آخرها ٢٤٨

شغلونا عن الصلاة الوسطى ٩٦

الشهداء على بارق نهر بيباب الجنة ٥٦

حرف الصاد

الصلاة في وقتها ٣٤٠

حرف العين

عُلِّمَهُ نَبِيٌّ من الأنبياء - الخط - ٣٣٤

حرف الفاء

- فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة..... ٤٤٤
 فضل عائشة على النساء..... ٣٩٤
 فهل من وضوء..... ١٧١

حرف القاف

- قد نجاكم الله من القوم الظالمين..... ١٥٨

حرف الكاف

- كلا والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها..... ١٩٨

حرف اللام

- لا أعفي أحداً قتل بعد أخذ الدية..... ٢٣٨
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له..... ٣٦٨
 لا تبكيه ، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها..... ٣٥
 لا تتمنوا لقاء العدو..... ١٨٤
 لا تدخلوا علي قلحاً..... ٣٨٦
 لا تطلقها فإن صوامه قوامه..... ٣٩٦
 لا تقوموا كما تقوم الأعاجم..... ٤٤١
 لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً..... ٤٣٩
 لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين..... ٧
 لا ، لا ، لا ، ليصل لهم ابن أبي قحافة..... ٤٤٧
 لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله..... ١٨٤

طرف الحديث

الصفحة

لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله.....	١٨٦
ليبك اللهم ليك.....	٣٦٠
لُتَعَزَّ المسلمون في مصائبهم المصيبة بي.....	٤٥٢
لعلك يا عدِّي ! إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين.....	٣٥٠
لقد حكمت فيهم بحكم الله.....	١٠٩
لقد رُفِعُوا إِلَيَّ في الجنة.....	٢١٠
لقد نزل سبعون ألف مَلَكٌ شهدوا سعداً.....	١١٢
لما أُصِيبَ إخوانكم بأحد.....	٥٦
لمناديل سعد في الجنة أحسن.....	٢٩٨ و ١١٣
لن تراعوا.....	٤٣٦
لو تعلمون ما أعلم.....	٤٤٣
لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك.....	٣١٦
لو عاش إبراهيم ما رُقَّ له خال.....	٣٨٢
لو عاشَ لوَضَعْتُ الجزيةَ عن كل قبطني.....	٣٨٢
لولا أن أشقَّ على أمتي.....	٤٣٩

حرف الميم

ما تزوجت شيئاً من نسائي.....	٣٩٣
ما خلأْتُ ، وما هو لها بخلق.....	١٦٣
ما ذُكر لي رجلٌ من العرب بفضل إلا.....	٣١٧
ما علمتُ بشيء من هذا ، وقد أجرنا.....	١٥٢
ما فرشتُم لي ؟.....	٤١٨

- ما فعل كعب بن مالك؟ ٣٠٢
- ما لمست يده يد امرأة قط ٤٤٢
- ما من عيد يقول حين يُسمي ٤٠٨
- مثّل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در ٢١١
- مكة مُناخ من سبق ٢٣١
- مكة حرام مُحَرَّم لم تجلّ لأحد قبلي ٢٣٢
- من أطاع أميري فقد أطاعني ٢٠٧
- من بدل دينه فاضربوا عنقه ١١٦
- من بدل دينه فاقتلوه ١١٦
- من تتبّع المشمعة شمع الله به ٢٧٦
- من رجل يشتري لنا نفسه؟ ٢٢
- من رجل ينظر ما صنع سعد بن الربيع؟ ٤١
- من سرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجهه ٢١
- من قتل ابن خطل فهو في الجنة ٤١٤
- من قتل قتيلاً فله سلبه ٢٦٧
- من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلّين العصر إلا في بني قريظة ١٠٤
- من لم يكن معه هديّ وأحبّ أن يجعلها عمرة ٣٦٠
- من مسّ دمي دمّه لم تُصبه النار ٢١
- من يأتينا بخير القوم؟ ٩٨
- من يمنحك مني؟ ٨٠ و ٤٣٤
- المؤمن يأكل في معي واحد ١٤٤

حرف النون

- نحن بنو النضر بن كنانة ٣٢٤

حرف الهاء

هذا الرجل غادر..... ١٦٣

حرف الواو

والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره..... ٢٨

والذي نفسي بيده لو سُومَتْ لهم حجارة..... ٥٨

والله ، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله..... ٣٨١

ويحك فمن يعدل إن لم أعدل ؟..... ٤٤٢

ورأيت ؟..... ١٠٣

ويل أمه محشٌ حرب..... ١٧٨ و ١٧٩

حرف الياء

يا ابن الأكموع ! ملكك فأسجج..... ١٣٠

يا أسامة ! أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟..... ٢٠١

يا خيل الله اركبي..... ١٠٤ و ٢٦٧

يا سلمة ! هب لي المرأة..... ٢٠٠

يا عائشة ! أما الله فقد برأك..... ١٤٣

يا عمرو ! بايع فإن الإسلام يجب ما قبله..... ١٢٣

يا معشر الأنصار ! قلتم : أما الرجل..... ٢٣٦

يا معشر الأنصار ! ما قاله بلغتني عنكم ؟..... ٢٦١

يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي..... ١٤٢

يا ويح قريش أكلتهم الحرب..... ١٦٢

(٢) فهرس الأعلام

الصفحة

الاسم

- أ -

الأحابيش.....	٦
الأقرع بن حابس.....	٢٧٥
أيمن بن عبيد الخزرجي.....	٢٥٩

- ب -

بشر بن المعلى.....	٣١٤

- ج -

الجارود.....	٣١٤
أبو جندل.....	١٧٧

- ح -

حاطب بن أبي بلتعة.....	٢٤٦
حِثَّان بن العَرِقة.....	١١٥
الحويرث بن ثَقِيف.....	٢٣٨

- خ -

خفاف بن عمير بن الحارث.....	٢٦٦
الخليل بن أحمد الفراهيدي.....	١٤٤

- ز -

زيتب بنت عامر (أم رومان) ١٤٥

- س -

ابن أبي سرح ٢٣٦

أبو سفيان بن الحارث ٢٤٦

سنان بن أبي سنان ١٧٥

سنان بن وير ١٤٤

سلمى بنت قيس ١١١

- ص -

صفية بنت شيبة ٢٥٧

- ض -

الضحاك بن سفيان ٢٦٨

- ط -

الطفيل بن النعمان ١٩٥

- ع -

عاصم بن ثابت الأنصاري ٦٢

عامر بن الطفيل ٦٦

عامر بن الأكوع ١٩٦

عبد الرحمن بن سمره ٢١١

عبد الله بن أبي بكر.....	٦٧
عبد الله بن الحسن (السبط).....	١٨٧
عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري.....	٩٤
عبيد الله بن عمر العُمري.....	١٠٣
عثمان بن مظعون.....	٨٦
عكرمة بن أبي جهل.....	٢٣٧
علي بن مسعود الغساني.....	٢٨٦
عمر بن عثمان المخزومي.....	٢٥٧
عمرو بن خِدَاش.....	١٥٧
عمرو بن عبد بن ود.....	١٠١
عوف بن أبي عوف الأشجعي.....	٢٦٦
عينية بن حصن.....	٢٧٥ و ١١٤

— ق —

أبو القاسم السهيلي.....	٢٨٩ و ٢٩٠
قلاية بنت سعد العَرَقَة.....	٩٥
قيس بن المُسَخَّر.....	١٥٤ و ١٥٧

— ك —

كعب بن زهير.....	٢٩٠
أم كلثوم بنت جرول.....	١٧٠
كنانة بن الربيع.....	١٩١

— م —

١٩٣	مالك بن أوس بن الحدثان
٥٦	محمد بن مسلم بن زيد المكي (أبو الزبير)
٩٦	محمد بن يزيد
١٩٦	عمود بن مسلمة
٨٥	مسعود بن ربيعة
٢٤٥	المغيرة بن الحارث
٢٥٧	منصور بن عبد الرحمن الحنظلي

— ه —

٢٣٨	هبار بن الأسود

— و —

١٠٤	الوليد بن مسلم

— ي —

٢١١	يَعْلَى بن مُنِيَّة

* * *

(٣) فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
غزوة أحد.....	٥
ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار.....	٣٨
ذكر من استشهد يوم أحد.....	٤٢
وقُتل من كفار قريش يوم أحد.....	٤٨
ما قيل من الشعر يوم أحد.....	٤٩
ذكر فوائد تتعلق بما ذكرناه من الأشعار.....	٥٥
ذكر فضل شهداء أحد.....	٥٦
غزوة حمراء الأسد.....	٥٧
سرية أبي سلمة بن عبد الأسد.....	٥٩
سرية عبد الله بن أنيس.....	٥٩
بعث الرجيع.....	٦٢
قصة بئر معونة.....	٦٧
غزوة بني النضير.....	٧٣
غزوة ذات الرقاع.....	٧٩
غزوة بدر الأخيرة.....	٨٢
غزوة دومة الجندل.....	٨٣
غزوة الخندق.....	٨٤
ما قيل من الشعر يوم الخندق.....	٩٩

الموضوع

الصفحة

١٠١	ذكر شهداء الخندق.....
١٠٣	غزوة بني قُريظة.....
١١٤	ذكر فوائد تتعلق بما سبق من ذكر الخندق وبني قريظة.....
١١٨	سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء.....
١٢٠	سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع.....
١٢٢	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما.....
١٢٤	غزوة بني لحيان.....
١٢٥	غزوة ذي قرد — ويُقال لها الغاية.....
١٣٠	ذكر فوائد تتعلق بهذه الواقعة.....
١٣١	سرية سعيد بن زيد إلى العُرنين.....
١٣٢	ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر.....
١٣٤	غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع.....
١٣٩	حديث الإفك.....
١٤٤	ذكر فوائد تتعلق بخبر بني المُصْطَلِق وحديث الإفك.....
١٤٩	سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر.....
١٥٠	سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّة.....
١٥٠	سرية أبي عُبَيْدة بن الجراح إلى ذي القَصَّة.....
١٥١	سرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم بالجموم.....
١٥١	سرية زيد بن حارثة إلى العيص.....
١٥٢	سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف.....
١٥٢	سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى.....
١٥٣	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى.....

- سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل..... ١٥٥
- سرية زيد بن حارثة إلى مدين..... ١٥٥
- سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بِقَدَك..... ١٥٥
- سرية زيد بن حارثة إلى أُمِّ قُرْفَة بوادي القرى..... ١٥٦
- سرية عبد بن رواحة إلى أُسَير بن رِزَام..... ١٥٧
- سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن حريس..... ١٥٨
- غزوة رسول الله ﷺ الحديبية..... ١٦٠
- ذكر فوائد تتعلق بخبر الحديبية..... ١٧٣
- ذكر الخبر عن أبي بصير وأبي جندل..... ١٧٨
- غزوة خيبر..... ١٨١
- ذكر القسمة..... ١٩١
- ذكر من استشهد بخيبر..... ١٩٥
- أمر وادي القرى..... ١٩٧
- خبر ثيماء..... ١٩٩
- سرية عمر بن الخطاب إلى ثُربة..... ١٩٩
- سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد..... ٢٠٠
- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فَدَك..... ٢٠٠
- سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى المَيْفَعَة..... ٢٠١
- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يَمَن وَجَبَار..... ٢٠٢
- عمرة القضاء ، ويُقال لها عمرة القصاص..... ٢٠٣
- سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سُلَيم..... ٢٠٤
- سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المَلُوح بالكديد..... ٢٠٥

- سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ٢٠٦
- سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبي ٢٠٧
- سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق ، وهي من وراء وادي القرى ٢٠٧
- غزوة مؤتة ٢٠٨
- ذكر تسمية من استشهد يوم مؤتة ٢١١
- ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار ٢١٢
- سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ٢١٤
- سرية الحَبْط ٢١٦
- خبر العنبر ٢١٨
- سرية أبي قتادة بن ربيعة إلى خُضرة وهي أرض محارب ٢١٩
- سرية أبي قتادة بن ربيعة الأنصاري إلى بطن إضم ٢٢٠
- سرية ابن أبي حذرد الأسلمي إلى الغابة ٢٢١
- فتح مكة شرفها الله تعالى ٢٢٣
- بقية الخبر عن فتح مكة ٢٤٠
- ومما قيل من الشعر يوم الفتح ٢٤٤
- ذكر فوائد تتعلق بخبر الفتح سوى ما تقدم ٢٤٦
- سرية خالد بن الوليد ٢٤٩
- سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع ٢٤٩
- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مَناة ٢٤٩
- سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة ٢٥٠
- غزوة حنين ٢٥٣
- ما قيل من الشعر يوم حنين ٢٦٤

- ذكر فوائد تتعلق بغزوة حنين وما اتصل بها..... ٢٦٧
- سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين في شوال سنة ثمان..... ٢٦٩
- غزوة الطائف..... ٢٧٠
- سرية عُيَنة بن حصن الفزاري إلى بني تميم..... ٢٧٣
- ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر والكلام على شيء من غريب شعره..... ٢٧٥
- سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم بناحية بيشة قريباً من تربة..... ٢٧٧
- سرية الضحّاك بن سفيان الكلّابي إلى بني كلاب..... ٢٧٧
- سرية علقمة بن مُجَزَّر المدلجي إلى الحبشة..... ٢٧٨
- سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طيء ليهذمه..... ٢٧٨
- سرية عُكَّاشة بن مِخْصَن..... ٢٧٩
- خبر كعب بن زهير مع النبي ﷺ وقصيدته فيما بين رجوعه ﷺ من الطائف
- وغزوة تبوك..... ٢٨٠
- ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر..... ٢٨٧
- غزوة تبوك..... ٢٩٢
- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة..... ٢٩٧
- أمر الثلاثة الذين خلّفوا وأمر المعذّرين في غزوة تبوك..... ٣٠١
- أمر وفد ثقيف وإسلامها..... ٣٠٦
- حج أبي بكر بالناس في سنة تسع..... ٣١٠
- وفود العرب..... ٣١٢
- قدوم ضِمَام بن ثعلبة..... ٣١٣
- قدوم الجارود بِشر بن المُعلّى في وفد عبد القيس..... ٣١٤
- قدوم بني حنيفة ، ومعهم مسيلمة الكذاب..... ٣١٥

الموضوع

الصفحة

٣١٧		قدوم زيد الخيل بن مهلهل الطائي في وفد طيء
٣١٨		قدوم عدّي بن حاتم الطائي
٣٢١		قدوم قروة بن مُسيك المرادي
٣٢٢		قدوم عمرو بن معدي كرب في أناس من بني زُبيد
٣٢٣		قدوم الأشعث بن قيس
٣٢٤		قدوم صُرد بن عبد الله الأزدي
٣٢٥		قدوم رسول ملوك حُمير بكتائبهم
٣٢٦		إسلام قروة بن عمرو
٣٢٧		إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم
٣٢٨		قدوم رفاعة بن زيد الجُدّامي
٣٢٨		قدوم وفد همدان
٣٢٩		وفد ثُجيب
٣٣١		وفد بني ثعلبة
٣٣١		وفد بني سعد هُدَيم
٣٣٢		وفد بني فِزْزارة
٣٣٣		وفد بني أسد
٣٣٤		وفد بهراء
٣٣٥		وفد بني عُذرة
٣٣٥		وفد بَلّٰى
٣٣٦		وفد بني مُرة
٣٣٦		وفد خُولان
٣٣٨		وفد بني مُحارب

٣٣٨	وفد صداء.....
٣٤٠	وفد غسان.....
٣٤٠	وفد سلامان.....
٣٤١	وفد بني عيس.....
٣٤١	وفد غامد.....
٣٤٢	وفد النخع.....
٣٤٤	ذكر بعثه ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.....
٣٤٤	ذكر كتاب النبي ﷺ إلى قيصر وما كان من خبر دحية معه.....
٣٤٧	ذكر توجه عبد الله بن خُذافة السهمي إلى كسرى بكتاب النبي ﷺ.....
٣٤٩	ذكر إسلام النجاسي ، وكتاب رسول الله ﷺ إليه مع عمرو بن أمية الضمري.....
٣٥٠	كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس مع حاطب بن أبي بلتعة.....
٣٥٢	كتاب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي مع العلاء بن الحضرمي ..
	كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجُلندى الأزديين ملكي عُمان ،
٣٥٣	مع عمرو بن العاص.....
٣٥٥	كتاب النبي ﷺ إلى هوزة الحنفي صاحب البمامة ، مع سَلِيط بن عمرو العامري.....
٣٥٦	كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، مع شُجاع بن وهب.....
٣٥٨	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن.....
٣٥٩	حجة الوداع.....
٣٦٨	عُمَره عليه الصلاة والسلام.....
٣٦٩	سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أبنى ، وهي أرض الشراة ناحية البلقاء.....
٣٧٢	ذكر الحوادث جملة بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة.....
٣٧٥	ذكر نبذة من معجزاته عليه الصلاة والسلام.....

كس
٥٦

الصفحة

الموضوع

٣٧٨	ذكر أولاده ﷺ
٣٨٣	ذكر أعمامه وعمّاته ﷺ
٣٩٠	ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل سوى ما تقدم
٣٩٣	ذكر أزواجه عليه الصلاة والسلام وسراريه
٤٠٧	ذكر خديم رسول الله ﷺ
٤١٠	ذكر موالى رسول الله ﷺ
٤١٢	ذكر أسمائه عليه الصلاة والسلام
٤١٣	ذكر كتابه عليه أفضل الصلاة والسلام
٤١٤	ذكر حراسه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه ومؤذنيه عليه الصلاة والسلام
٤١٥	ذكر العشرة من أصحابه والحواريين وأهل الصّفة
٤١٥	ذكر سلاحه عليه الصلاة والسلام
٤١٩	ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل سوى ما تقدم
٤٢٠	ذكر خيله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وما له من الدواب والتّعم
٤٢٤	ذكر صفته ﷺ
٤٢٧	ذكر فوائد تتعلق بهذا الحديث
٤٣٢	ذكر خاتم النبوة
٤٣٤	ذكر جمل من أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام
٤٤٥	ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله ﷺ
	ذكر الأسانيد التي وقعت لي من المصنفين الذين أخرجت من كتبهم في
٤٥٥	هذا المجموع ما أخرجته
٤٦٥	فهرس الأحاديث النبوية
٤٧٥	فهرس الأعلام
٤٧٩	فهرس الموضوعات